

# رحلات جلفر

# رحلات جلفر

المؤلف  
جوناثان سويفت  
١٦٦٧ - ١٧٤٥ م

المترجم وكاتب الدراسة  
د. محمد رجا عبد الرحمن الديري  
أستاذ مشارك  
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها - كلية الآداب  
جامعة الكويت

« ساهمت جامعة الكويت في نفقات إعداد هذا الكتاب »

الطبعة الأولى

مكتبة لبنات



## المُحتويات

### صفحة

VII

XXX

XXXI

٦٩

١٢٧

١٨٧

٢٥٦

مُقلّعة

مراجع مختارة

الجزء الأول: رحلة إلى نهبورت

الجزء الثاني: رحلة إلى برونجنج

الجزء الثالث: رحلة إلى لاورنا . . .

الجزء الرابع: رحلة إلى بلاد أفونيم

هوامش الترجمة

## عُقدمة

### تمهيد

ذائب المترجمون العرب عن تقديم كتاب رحلات جلفر للقراء العرب بغيره نوحى بأنه كتاب مُحصص للأطفال فقط؛ وأنه يَناسب مع عقولهم الباذية وأفكارهم الطفولية وحيالاتهم الضبابية. وهم في سبيلهم هذا غير مُحققين؛ لأنهم لم يُفعلوا القرب إلا جبراً، بسبب من الحقائق المُتعددة والمُتنوعة عن هذا الكتاب العظيم.

يَنالُ كتاب رحلات جلفر من أربع رحلات. تكون مُعظم المترجمين العرب لم يُقدِّموا للقراء سوى ترجمتين مُبسطة ومُفحمة أو مُهدية ومُنصرفة للرحبة الأولى فقط أو لرحلة الثانية فقط أو لرحلتين الأولى والثانية معاً، وأعملوا بشكك عالم الرغائب الدقة والراعية. وقد بُنى هذا على نشر مفهوم خاطئ؛ فهو أن هذا الكتاب ليس سوى قصة خيالية مُسببة عن إنسان عادي يعيش مع الأفكار تارة ومع انتمائه تارة أخرى، ويُعرض في الحاشين لأحداث مُضحكة؛ وأنه يُحاسب الصغار من القراء دون الكبار.

الترجمة التي نُقدِّمها للقراء في هذا الكتاب تُسحج هذا المفهوم الخاطئ وتعطي صورة صحيحة رابطة عن الرحلات الأربع في الكتاب، وتؤكد أنه يُحاطب القراء من جميع الأعمار والأعمار.

كذلك ذائب المترجمون العرب على طاعة كثر رداً في كتيب مُستقل، أو على طباعة المرحلتين الأولى والثانية معاً في كتيب مُنفصل، والمُحتمل أنَّهُ في كتابين منفصلين. ولم نعلم حتى الآن على الرحلات الأربع منشورة في كتاب واحد بالعربية. وهذا خطأ ثانٍ نشر إلى تصحيحه في الترجمة التي نُقدِّمها في هذا الكتاب، لأن الأصل والقاعدة الأساسية في إصدار

رحلات جلفر هو نشره بأجزائه الأربعة (أو رحلاته الأربع) في مجلده واحد، وكله يُقرأ باعتباره وحدة فنية وعُصوية واحدة ذات أجزاء مُتعلّدة لكنها متلاحمة وتُشابهة بطريقة لا تسمح «بفصل» جزء منها واستقلاله عن الأجزاء الأخرى. هذا ما أُرشد المؤلف «جوناثان سويت» حين غيّل على إصدار كتابه لأول مرّة عام ١٧٦٦: «وحيثُ سمعنا أثناء حياته، بإعادة طبعه عدّة مرّات كانت آخرها طبعة ١٧٣٥ التي نعتبدها ذلّة النشر الإنجليزية السجادة حتى الآن، والتي عتدناها في الترجمة التي تقدّمها في هذا السجل».

إلى جانب تصحيح المفهوم الخاطئ الشائع لدى القراء العرب عن حقيقة كتاب رحلات جلفر، وتقرير السمات العربية المنحرفة عن جادة الصواب في نشر هذا الكتاب، حاولنا أن تتلّاهي نفس آخر نجاحاته الترجمة العربية السابقة، ونقصد هذا التمهّل في تعاقب حاجة القارئ لمعرفة طبيعة هذا الكتاب وغرضه ولمعرفة بعض المعلومات الأساسية عن مؤلف الكتاب وعصره. ولهذا كانت الترجمات السابعة تصدر دون مقدمات ذات معلومات صحيحة ودقيقة.

### المؤلف «جوناثان سويت»: عصره وحياته

وُلد «جوناثان سويت» في «دبلن» بإيرلندا عام ١٦٦٧ وتوفي أيضاً في «دبلن» عام ١٧٤٥، أي أنه عاش النصف الثاني من القرن السابع عشر، والنصف الأول من القرن الثامن عشر. تُعرّف هذه الفترة في تاريخ بريطانيا بأسماء مُتعددة: فهي تحمل اسم «عصر العقل» (The Age of Reason) كما تحمل اسم «عصر النور» أو «التنوير» (The Age of Enlightenment)، وهي أيضاً تحمل اسم «عصر عودة الملكية» (Restoration)، أو اسم «العصر النيوكلاسيكي» أو «عصر الكلاسيكية الجديدة» (Neoclassical Age)، أو «العصر الأوغسطي» (Augustan Age)، أو عصر المحوّل الوسط (The Age of Compromise).

ولهذا انطوى سمات فكرية وفنية واجتماعية وسياسية وأدبية وفنية تُعرّاه من بقية العصور التاريخية في بريطانيا بشكل خاص وفي أوروبا بشكل عام.

يُحضر عام ١٦٦٠ بداية لهذا العصر، وهو العام الذي عا فيه انضمّ الملكي إلى بريطانيا بعد انتصار ديم حوالي عشرين سنة (١٦٤٠ إلى ١٦٦٠) عاشت بريطانيا خلافاً دون ملك وهي ظلّ حكم جمهوري مُترَمّت برأية «أوليفر كرومويل» (Cromwell). في هذه الفترة كان الملك

الشرعي يعيش، مع حاشيته والمُزالين للنظام العنكي، في سويسرا بفرنسا. وحتى عاد هذا السلك إلى إنجلترا جُلب معه قوِيَّات فكرية وفلسفية وأخلاقية جديدة وتيارات أدبية جديدة لتدبّر بالتأثيرات الأدبية في فرنسا، كما جُلب معه روحاً ثقافية وسلوكية جديدة سادت فيها من الفكر والفلسفة والأدب والأخلاق أكثر من مئة عام (حتى عام ١٧٧٠ بعد بعض المؤرخين وغير ١٧٨٠ عند بعضهم الآخر).

عُرف هذا العصر بإنجلترا بالحرص على الاستغناء عن طريق الاحتكام إلى العقل وأهمّ المواقف والانفعالات في مواضع مشاكل الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية، وعن طريق الاعتماد على العنكب ما أمكن ذلك. كما عُرف بالحرص على الاعتدال، وعلى الابتعاد عن التعصب لأيّ دهر آخر، وتلجّب ذوقاً غير من الغداهيب، وعلى السماح بوجود اختلاف في الرأي والفكر وتسلح في التعامل مع ذوي التفكير المخالف والزّيّ المعارض.

في هذا العصر توجّح العقل ابتشيراً حلياً على كلّ انقواب والقدرات الإنسانية، ونُصب فرجاً أساسياً وقاصياً وخجماً في شؤون الحياة ونجالاتها المتعلّقة من فخر وسلوك ديني أو اجتماعي أو اقتصادي أو فني أو أدبي. وتغيّرت الملاحظة الباصرة والبحث التجريبي وسيلتي العقل للتعرف على حقائق الحياة وجمع المعلومات والمعارف وتصنيفها وتوحيها. ولهذا ازدهرت في هذا العصر العلوم التجريبية والتصفية القائمة على الملاحظة والتجريب والبرهنة المنهجية، ونشأت الجمعية المنكبة لتحسين المعرفة وجمع المعلومات على أسس منهجية وموضوعية كان فرانسيس بيكون (Francis Bacon) قد نادى ببعضها ودعا إلى إتباعها في مؤلفاته العديدة وأشهرها كتابه تحسين العلم The Advancement of Learning عام ١٦٠٥، وكتابه أطلالنا الجديدة New Atlantis ١٦٢٧ وكتابه الأداء الجديد Novum Organum، الذي قضى هي تأليفه أكثر من عشرين عاماً.

وفي هذا العصر أصبح الانسيان وراء المواقف، والاستسلام لضغط الانفعالات الحادّة، والتعصب للزّي، والتمسك سنوكيات جديدة بالازدراء والتشعير لأنها تُدل على عدم التحضّر وفقد الحكمة والتعقل. كما تُدل على جهل أو غفلة أو استنّة أو فساد أو انحراف عن الطريق القويم.

وفي هذا العصر ازدهرت الصناعة والتجارة وظهرت في التمدّن الكبيرة، وهي الموانئ طبعاً

برجوازية من الصناع والتجار ونوابي البحار ونقبة المستعمرات في العالم الجديد، وكانت هذه الطبقة كبيرة العدد واسعة الثراء منا حدا به إلى توسيع طموحيتها وتوسيع رغبتها في المشاركة بقوة وفعالية في حكم البلاد، وفي نيل نصيب أكثر في سلطات التشريع والإدارة، وإصدار القرارات السياسية والاقتصادية المهمة، كما رادت طموحيتها إلى نيل حريات واسعة، في التجارة والكسب والعدالة. وقد استطاعت هذه الطبقة البرجوازية الضاعمة قبيل بداية هذا القرن أن تغير نظم الحكم في إنجلترا من ملكي إلى جمهوري (بين ١٦٤٠ و ١٦٦٠) ثم عدلت فوافقت على تعيينه من نظام جمهوري قترئته لتسلط إلى نظام ملكي دستوري قساص، كما استطاعت أن تعزل ملكها عن عرشه حتى حازل تجاوز صلاحية الدستورية وغيت مكانه ملكاً غيره، وألقت هذا دود إرادة الشعب ودون لجوء إلى العنف لهذا.

لما في ميدان الأدب وأساليب التعبير الأدبي فقد اعتبرت الأعمدة الأدبية والفنية الكلاسيكية (الإلهرقية والرومانية) روائع نموذجية تحسب فيها قواعد الأدب الرفيع وأصول الفن الراقي ونهاد هي جذيرة بالدراسة والفهم والاعتدال بما تنطوي عليه من قواعد فنية راسخة وأصول ومبادئ إبداعية كاملة. وفي ازدهرت أجماعات أدبية في الأدب المسرحي والمخري مشابهة لتلك التي ازدهرت في عصر الإمبراطور الروماني أوغسطس (٢٧ ق.م - ١٤ م) على يد أدباء خالدين مثل: الفرجيون، وهوراس، وأوفيد، وغيرهم من الذين زخروا قواعد عدد من الأجناس الأدبية كالملحمة، والشعر المرحلي، والنثر المهدئي الساخر، والتفسيريات المحكومة بقواعد الزخات الثلاث (وخذة الزمان، وخذة المكان، وخذة الحدث) ورشحو تفضل أصول الكتابة والتعبير الأدبي كالنوسج والإيجاز والدقة والشفافية حتى أصبحت هذه القواعد شعارات أساسية يلتزم بها معظم الأدباء والكتاب في هذه الفترة من تاريخ إنجلترا الأدبي.

في هذه الفترة ازدهر في الشعر الغائب الممري المعروف باسم (Heroic Couplet) والقالب المعروف باسم (Ode)، كما ازدهر الشعر الهجائي الساخر، وظهرت النصوص لأزل مررة وسد فر المغاللة، كما راجت كُت الرُحلات، والكتابات العلمية والفلسفية، كما نزل إلى الوجود فن القصص الواقعية الطويلة. وفي الرواية، وأصبح للأدب بجميع أجناسه سوقاً راجحة وجمهور واسع من القراء، وأصبحت الكتابة مهنة ذات عوائد مادية ومعنوية مرموقة وأصبحت الكلمة المطبوعة، شقراً كانت أو نزل، لولا مهمة فكاكة وصلاحها فعلاً في صراعات الحياة والمادة والأحزاب والفئات الدينية المتنافسة والمذاهب الفكرية المتعارضة.



في هذه الأجواء السبائية والفكرية والاجتماعية والأدبية ولدت جونانان سويفت، ونشأ، وتكون لنفسه مكانة مرموقة كأديب بارع في استعماله سلاح الكلمة المصبرة، وكسياسي مُحكِّم، وزجلر كيسة مرموق، ونظير قومي لدى جمعيه إرلندا.

كان جدّه رجُلٌ كيسة إنجليزيًا. حين قامت الثورة في إنجلترا ضد الملك «جيمس ستيرارت» الأول، رُفّت جدّ سويفت إلى جانب الملك والملكيين. لكنّ الثورة انتصرت وقبض الثوّار على القليل «جيمس» الآخر، فسجنوه وحاكموه وأدانوه ثمّ أعدموه، واضطهدوا أوصاه ومن بينهم جدّ «جونانان سويفت» ممّا اضطرّ أبناؤه إلى الهرب إلى إرلندا حيث انحلّوا من قبل عاصمة إرلندا وطنًا ثانيًا لهم. وكانّ وائد «جونانان سويفت» أصغر أولئك الأساء. وقد وُيِّد «سويفت» عن جُلّه كراهية دائمة وغداوة لا تليق للثوّار (البروتستانت) وفكرهم وعقيدتهم.

حين وُيِّد سويفت كان أبوه قد توفّي منذ سبعة أشهر، وخلف وراءه زوجةً وحفلةً في فقر تدفع نعل خذ الجوع، ممّا اضطرّ أمّ «سويفت» أن تترك ابنها في رعاية عمائه وتعود إلى إنجلترا لتعيش مع أُمّرتها. وهكذا قضى سويفت طفولته في تعاسةٍ بالغةٍ محرومًا من خدب الأب وحنان الأم.

غلّقه أعمامه في أحسن المدارس الثنواوية في «دبلين» حينذاك حتى تخرّج بشهادته الجامعية الأولى من كلية «تريني» في «دبلين» عام ١٦٨٦. لكنّ إحسان سويفت بالفقر واليتم وبأهله عالة على الآخرين كان يُلْزمه ويحزّ في نفسه ويصنّيه بمشاعر الإحباط وسوء الحظ وتعاسة العيش.

بالإضافة إلى إحسانه بفقره ويؤس وضعه العائلي، كان «سويفت» يتألّم لكثرة المضارعات الدينية في إرلندا بين الكاثوليك والإنجليكان، والشيسية بين أنصار القديك «جيمس» الثاني المعزول وأنصار الملك وليم الثالث ملك إنجلترا الجديد، ولما ينجم عن هذه المضارعات من كراهية كلّ فريق للآخرين واضطهادهم وتأمرهم عنهم. كذلك كان الفقر الشديد الذي تروّج تحت لبره الجماهير الإيرلندية ثريد شعور «سويفت» بتعاسة العيش ويؤس الحياة وقسوة الشر.

لهذا، غلّه غافز «سويفت» إرلندا حالما تيسّر له ذلك ودُخِب في عام ١٦٨٨ إلى إنجلترا حيث أقام مع أمّه بضعة أشهر انتقل بعدها إلى قصر «المير ولیم» يقبله الذي غيّه سكرتير له. كان «تبلر» من أقطاب رجال السياسة والحكم والفكر في إنجلترا. في هذه الفترة كان مُطاعداً لكنّ قصّرة كان نادياً يؤمّه عددٌ من أصدقائه من البلاط والساسة والأدباء.

استمر «سويت» على علاقة حميمة مع «السير وليم بيتل» رغم ظهور فترة أو فترتين قصيرتين من الفتور وانخوة من جانب «سويت». وقد كان لهذه العلاقة الحميمة أثرها البالغ في زخم مستقبل «سويت» وتشكيل حياته العاطفية واهتمامه الفكرية والسياسية. أثناء إقامته ببيت والدته في قصر «بيتل» حتى عام ١٦٩٩ تعرف «سويت» على عدد من رجال الحكم والسياسة في إنجلترا، وتعلم أساليبهم في التعامل والسلوك والمجاملة، وقرأ الكثير من الكتب والسيرة المتوافرة في مكتبة «بيتل» التي يكتب الأدب والتاريخ والحكمة والفكر، وترشح خيه لثروت انكلاسيكي، وحصل عام ١٦٩٢ على شهادة الباجستير من جامعة أوكسفورد، كما خضع، بدغم من «بيتل»، على منصب محترم في الكنيسة الإنجليكانية في إرلندا. كذلك ألفت في هذه الفترة عددًا من الكتب التي نشرها فيما بعد (عام ١٧٠٤)، وأهمها كتاب معركة الكتب (The Battle of the books) وكتاب قصة برميل (A Tale of A Tub). وبأسية لحياته العاطفية تعرف سويت على فتاة صغيرة محبوبة في قصر «بيتل» اسمها «امتر جونسون» وشبهت في نعلبها، حين كبرت أصبحت صديقه المفضلة - وربما حبيبته - وأصبح هو بالسبب لها الحبيب لأخذ الذي لا غنى لها عنه. ولا تزال قصة علاقة «سويت» بهذه الفتاة التي اشتهرت باسم «ميتلا» سرًا غامضًا مجهول التفاصيل. هناك من يقول إنه تزوجها سرًا عام ١٧١٦، ومن يقول إن هذا الزواج كان اسميًا فقط، وقرى يقول إنه لم ينزوها قط وإن علاقتهما كانت حبًا أطلاقيًا عميقًا وقويًا وصامتًا. لكنّ الديث إن «ميتلا» هذه انتقلت إلى رلد بعد وفاة «بيتل» وأقامت بجور «سويت» حتى توفيت عام ١٧٢٨.

بعد وفاة «بيتل» في عام ١٦٩٩ راجع «سويت» الحياة وحده، فترك أحواله العائلية وعلاقاته الشخصية ومواجبه الفكرية والأخوية فتحدث له أبواً للأمل بالصعود وتحقيق الكثير من طموحاته. حصل على الدكتوراه في اللاهوت عام ١٧٠٦. ونشر في عام ١٧٠٤ كتاب معركة الكتب وكتاب قصة برميل ومقالات أخرى لغت إلى إعزاز الأدباء وقادة حزب «الحرار» وأمرته الكنيسة في إنجلترا وإرلندا. بدأ نجم «سويت» في الصعود وصار الكثيرون يخطبون وُده ويستميلونه ويكلفونه بالدفاع عن مصالحهم لدى أصحاب الثروة والقرى في الدولة. وبالتدريج أصبح له صوت مسموع ورأي يحسب له الحسب في الكنيسة الإنجليكانية في رلندا، وفي الحياة السبسية في إنجلترا، وصار لقلبه حولات مشهودة في الصحف والمطابع المتدنية والإرلندية.

الفترة الأدبية في حياة سويت كانت بين عامي ١٧١١ و ١٧١٤ حين اعتلى حزب المحافظين رئاسة «مارلي» (لورد أوكسفورد) و«سان جون» (بولتريك) سدة الحكم في بريطانيا.

في هذه الفترة عاش «سويغت» جُلَّ وقته في لندن حيث أصبح صديقاً مقرباً ومستشاراً مسيوغ الكلمة لدى زعيمى حزب المحافظين. من ناحية سُخر سويغت قلمه لترويج سياسة هذا الحزب بخصوص قضية الحرب والسلام مع فرنسا وتشجيع ميادى حزب الأحرار حول هذه القضية وغيرها من القضايا. سُلّمه حزب المحافظين عام ١٧١١ رئاسة تحرير جريدة The Examiner : الناطقة بلسان الحزب. فنشر فيها وحاربها عددٌ من المقالات التي أثارت عى مشيرة الأحداث في إنجلترا وعلى سيرة علاقات إنجلترا بأوروبا عامة وفرنسا بشكل خاص، ومن أهم هذه المقالات مقالته المعروفة بعنوان سلوك الحلفاء The Conduct of the Allies (عام ١٧١١) والتي بدأ بها عى سياسة حزب المحافظين احتجاجاً بضرورة إنهاء الحرب مع فرنسا وغلقاً لمعادى سلام معها، ومقالته بمران: نيوم، وتُدسور The Windsor Prophecy (عام ١٧١٢) التي تُهاجم وتسخر من رجالات حزب الأحرار المعارضين.

في هذه الفترة أيضاً كان «سويغت» منتجاً لذوى الحاجات من المفكرين والأدباء والمثقفين وخلفى بصداقة الكثيرين منهم. وفي عام ١٧١٤ ألف مع عددٍ من أصدقائه المثقفين نايين «مُكثريروس» الأدبي الذي وضع عدداً من المُشاريع الأدبية الساخرة. لكن هذا الكتاب لم يُعمر طويلاً.

عكفت «سويغت» في هذه الفترة على تسجيل مُذكراتٍ شبه يومية وكذا يُرسلها إلى صديقه وشقيقه في إرتندا. وقد جُمِعت هذه المُذكرات فيما بعدُ رُتبِت في كتاب نُحِت عنوانه مُذكرات إلى ستيل Journal to Stella. وأصبح هذا الكتاب مرجعاً مهماً لمن يرغبون في معرفة شخصية «سويغت» والتعرف على قضايا العصر المُهمّة.

خلال هذه الفترة تُعرفت سويغت على فئةٍ من إحدى الأسر المراقية في لندن، وهي الفئة المعروفة لدى كتاب سيرة سويغت باسم «فايتا» أُخِبت هذه الفئة «سويغت» حياً طويلاً عن حياتها بحيث لم تُعد تُعقّق الابتعاد عنه. وحين اصغر «سويغت» المُعادرة لندن عام ١٧١٤ وقضاء بقية عُمره في «دبلن» بإيرلندا. لحقت «فايتا» به وعاشت بجواره حتى لحقت تُحيتها في عام ١٧٢٣.

انتهت هذه الفترة المُهمّة في حياة «سويغت» شكل مُدججٍ ومأساوي حين توفيت ابنته «آن» (Ann) وسقط حزب المحافظين وتسلّم حزب الأحرار دفة الحكم وراح يُضطهد رجالات حزب المحافظين ويُهمهم بالحياة أو استغلال القوة أو سوء الإدارة، فهُزّب بعضهم إلى فرنسا

ووضع بعضهم في السجون. أما «سويفت» فقد أُسْلِمَ عائلاً إلى «دبيل» حيث نُزِمَ الضَّعْفُ واعتُصِمَ من الحياة العامة في إنجلترا.

قَبْلَ نهاية هذه الفترة، وفي عام ١٧١٣ على وَجْهِ الشَّهيد، فَرَّ «سويفت» بمنصب ربيع في الكنيسة الإنجليكانية بإيرلندا، وهو دُرسَةُ كاتدرائية «سان باتريش»، وهي كاتدرائية مُهِمَّةٌ وذاتُ أوقافٍ وعوائد مادية غنيَّة. وَجِئَ سَقَطَتْ وزارةُ جُزْبِ المُحافظين لِحُكْمِ «سويفت» إلى كاتدرائيته وَكُرِّسَ نَعْنَتُهُ لِرعاية شؤونها حتى تُوُفِيَ عام ١٧٤٥. في الوقت نفسه تفرَّغَ لمتابعة اهتماماته الأدبية من ناحية، وللدِّفاعِ عن مصالح الشعب الإيرلندي التي كانت تفرَّغُ للاستغلال وسوء الإدارة أو الإهمال المُتعمَّد، من قِبَلِ حكومة لندن. ولهذا أصبح «سويفت» في نظر الإيرلنديين سلطاناً قومياً جديراً بالاحترام والتقدير.

زَلَّحَ مولده ولسانه وقصاه مُعظم سنوات عُمره في إيرلندا، وزَعَمَ اعتزاز الإيرلنديين به وإحسانهم بِقَدْرِهِ ومكانته، فإن «سويفت» لم يَشْكُ قَطُّ أَنَّهُ إنجليزِيٌّ الأصل، وظلَّ طَولَ حَياةِ إنجليزِيٍّ الهوى والحبِّ. كانَ حُلُمُهُ الأكبرَ وأملُهُ الأهمُّ أن يستقرَّ في إنجلترا وأن يحظى بمنصب قنصلٍ ربيعٍ فيها لِيُعِدَّ أمجادَ أسرته حيث تُوجَدُ جذورها. لكنَّ هذا الأملَ ظلَّ يَئِساً كصاحبه. لقد شاءَ له القَدَرُ أن يَظُلَّ إيرلندياً، وفَرَّضَتْ عليه الأليامُ إقامةَ شَبَةِ جبريةٍ في إيرلندا وجعلت منه سلطاناً قومياً إرلندياً زَعَمَ أَنَّهُ.

## أهم أعمال سويفت الأدبية

من اشتهرت العامة بقصص سويفت أنه لم يكن قلمَ أديبٍ مُحَرِّفٍ. لم تكن الكلمة المعقوبة بالنسبة له «جونان سويفت» بضاعةً يُناجزُ بها وَيُكسِبُ رِزْقَهُ من ترويجها. كانَ هذا شأنَ كُتَّابِ (Grub Street) الذين كان «سويفت» يحقرهم. وهو لم يَنحَظْ أَمَّاراً على مقالةٍ أو كتابٍ سوى مرةً واحدةً جِئَ قَبْلَ مائتين من الجنيهات مقابلَ كتابِ رحلات جلفر. كذلك لم تكن الكلمة زُرقاً جمالياً؛ «سويفت» لم يَحْجُجْ بِفلسفة الفنِّ من أجلِ الترفُّ. ولم تكن الكتابة بالنسبة له علاجاً يُداوي به نواجعَ نفسه بواسطة غريغز هورن وروجايس صني النورفي. ولم يكنْ يقولُ أيضاً أن «سويفت» لم يَنحَظْ الكلمة المطبوعة سُلْماً يُرقى به إلى الشهرة والمجد الأدبي.

كانت الكلمة لدى «سويفت» أداةً تُشرح زاجر أو تُحجِّج عن موقفٍ تجاه قضيةٍ سائبة، أو سلاحاً يُشهره للدِّفاعِ عن أوضحٍ سليمٍ، حسب رايه، جِئَ بِهَلْئُلِها الخَطَرُ، أو لَمُهاخِمةٍ

تَوَاضَعَتْ خَدَجُهُ أَوْ فَرَارَتْ ظَالِمَةٌ تُمَثِّلُ الْمَصَالِحَ الْعَالَمِيَّةَ، أَوْ سَمَوِيَّةَ حَقِيمٍ أَوْ خُصُوصٍ، أَوْ لِلْمُخْزِيَةِ مِنَ الْفُتَاتِ وَالْإِحْرَافَاتِ وَالْأَرْهَامِ. وَيَقْرَأُ دِيشِمِدَ وَأَرْشِدَهُ (David Ward, p.2) أَنَّ «سُويفْت» فِي كُلِّ مَوْثِقَاتِهِ يَتَّخِذُ مَوْثِقَ خَدِثٍ، مُبْهَاجٍ أَوْ يُدْفِعُ عَنْ وَجْهِهِ نَظْرَ دِيشِمِدَ أَوْ عِلَسْفَرِيَّةَ أَوْ سِيَايَوِيَّةَ، أَوْ يُعَبِّرُ عَنْ مَوْثِقِ مُحَدِّدٍ فِي الْخُصُوصِيَّاتِ الْحَزِينَةِ أَوْ تَجِدَ قَضَايَا عَمَلِيَّةَ مُبْهَاجَةٍ بِمَثَلِ قَضِيَّةِ خُفْيَةِ مُعَاهِدَةِ سَلَامٍ وَنَهَايَةِ الْحَرْبِ مَعَ فَرَسَا، أَوْ قَضِيَّةِ الْعَمَلَةِ الْمَعْلُوشَةِ الَّتِي حَازَتْ سُلُوكَ لَنْدُنَ قَرَضَهَا عَلَى الْإِرْلَنْدِيِّينَ، وَيُؤَكِّدُ دَاوَارِدَ سَعِيدَ (Edward Said, p.56) هَذِهِ السُّمَّةُ فِي أَعْمَالِ «سُويفْت» وَيَقُولُ إِنَّ مُعْظَمَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ كَانَتْ بِتَأْخِذِ قَضَايَا عَامَّةٍ طَرِيقَةٍ، جَيْشٍ تَقْهَرُ مَصْرُوعَةً أَوْ مُدْبِقَاتٍ عَامَّةٍ وَشَرَفَاتٍ، خِلَافَهَا الْأَرَاءُ وَتَعْبُودُ التَّفْسِيرَاتِ وَتَعَارُضِي الْحُلُوقِ الْمُتَخَوِّضَةِ: تَسْرِعُ «سُويفْت» قَلَمَهُ الْفَعْلَ يُحَلِّقُ وَيُفَسِّرُ وَيُؤَنِّجُ، يَزِيدُ رَأْيَا مُدْبِقًا وَخِلَافًا مُصَانِّبًا بِطَرَفَةِ مُبْهَاجَةٍ أَيْضًا أَوْ بِأَسْلُوبٍ مُلَحٍّ غَيْرِ مُبْهَاجٍ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ.

وَيُحْكِنُ الْقَوْلُ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ إِنَّ أَعْمَالَ «سُويفْت» تُوْحِي بِأَنَّهُ كَانَ دُرَّةً عَقْلِيَّةً مُحَافِظَةً تَحْتَرُّ الْإِنْسَانَ ذَا طَبِيعَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى الْعُرُودِ وَالْكَرِيَامِ الرَّثَبِ وَخِدْجِ النَّظَرِ وَالْإِنْدِيَّةِ وَالْجَنَاحِ. وَهَذَا فَالْإِنْسَانُ فِي نَظَرِ «سُويفْت» أَكْثَرُ إِبَالًا عَلَى «وَتَكْبَرِ الشَّرِّ» مِنْهُ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى «شَرَّ» وَ«فَسَادًا» فِي غَيْرِهِ لَكِنَّهُ غَاجِرٌ عَنْ رُؤْيِيهِمْ فِي ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ. وَهَذَا فَرْدُ الْجَسَدِ لِبَشَرِيٍّ يَسِيرُ فِي طَرِيقٍ يَهْطِلُ بِهِ سَحَرُ مُزِيدٍ مِنَ الْإِنْحِطَاطِ وَالْفَسَادِ وَالْعَلِيَّةِ وَالضَّلَالِ. وَمِنْ هَا فَهَذَا الْإِنْسَانِي فِي رَأْيِ «سُويفْت» يُخْرِجُ مِنَ الْحَاضِرِ، وَالْمُسْتَقْبَلِ يُنْزِلُ بِغَزِيرَةٍ مِنَ الْفَسَادِ وَالضَّلَالِ وَالْإِنْحِلَالِ. وَعَنْهُ يَصْهَرُ الْقَوْلُ إِنَّ «سُويفْت» كَانَ مُتَشَابِهًا أَكْثَرَ مِنْهُ مُتَفَانًا، كَرِهًا لِلتَّعْيِيرِ وَالتَّجَدُّبِ لِأَنَّهُمَا خُتِبَ رَأْيُهُ بِحُلَايَا مَعَهُمَا الْخُرِيدُ مِنَ الْفَسَادِ وَالْمُتَفَسِّحِ وَالْخَرَابِ. فِي مُعْظَمِ أَعْمَالِهِ الْأَدَبِيَّةِ كَانَ «سُويفْت» يُحَدِّثُ: جَدًّا وَحَدَا «حَيًّا»، وَمُخْبِرًا بِشَكْلِ نَفْسِجَةٍ أَوْ مُزَجِّجٍ أَحْيَاً أُخْرَى، ثُمَّ يُبْهِ إِلَى هَذِهِ الْحَقَائِقِ - فِي رَأْيِهِ - الَّتِي غَفَلَ عَنْهَا أَوْ تُكَرِّهَا الْكَثِيرُونَ مِنَ مُعَاَصِرِهِ.

فِي كَتَبِهِ مَعْرَكَةُ الْكُتُبِ (١٧٠٤) يُصَوِّرُ «سُويفْت» بِشَكْلٍ مُلَحٍّ وَأَسْلُوبٍ «هُومِرُوس» الْمُلْحَمِي مُتَرَكِّةً حَامِيَةً بَيْنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَالْأُخْرَى الْحَدِيدَةِ لِمَوْجُودَةٍ فِي مَكْتَبَةِ دِمَاكُ جِيمْس. لَنْتَهِيَ بِالنَّصْرِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَهَزِيمَةِ الْكُتُبِ الْحَدِيدَةِ بِمَثَلِ مَوْثِقَاتِ «دَاوِيد» وَ«بَيْتِي» وَ«تَرْجَمَا» مِنَ الْكُتُبِ الْخَدِثَةِ.

وَلِي مَقَالَتِي الْعَمَلِيَّاتِ الْمِيكَانِيكِيَّةَ لِلرُّوحِ (عام ١٧٠٤) يُسَخِّرُ «سُويفْت» مِنَ الْخَوَارِجِ (The

(Dissenters) ريدعهم الدينيّة، ويهزأ أنّ أفكارهم المذهبيّة ريدعهم الدينيّة مُستلهمّة من حرية الجنس. وسلوكياتها المُتحرّفة

وفي كتابه قصّة يرمبل (1704) يسخرُ دسويست، من كلّ أنواع الانحراف في الفكر والمفيدة والسلوك. يخترع دسويست، مُؤثّقاً من خريجي مُستشفى نهمجانين، ويجعله يرى الدُّنيا بأنّها جديرة بالاحترام والاحتقار لأنّها دنيا فوضى مُحرّرة ذات قيم سخيفة وعلوم ضالّة وفلسفات مجنونة، ويُطلق على لسانه عبارته المشهورة بأنّ أسمى سبيل يُمكن للمرء أن يسلكه في هذا العالم المجنون هو أن يكون مُعقلاً بين سبعة لُتام.

وفي فضائيه سلوك الحلفاء (1711) يُدافع دسويست، عن سياسة السلام التي انتهجها حزب المُحافظين والتي انتهت بإلهايم الحرب المُتدمّرة التي كانت قائمة بين إنجلترا وحلفائها من جهة، وفرنسا وحلفائها من جهة أخرى.

وفي مقالته نبوة ويندسور (The Windsor Prophecy) 1712 هاجم دسويست، قبايليّين إنسلايم من حزب الأحرار وذهاب استمرار الحرب أمثال دمارلوروه قائد القوّات الإنجليزيّة، وتوريد «سورفيت».

وفي مقالاته المشهورة باسم رسائل فاجر جوج (The Drapier's Letters) (1724 - 1725) هاجم دسويست، مُعاونة حكومة لندن قراض حُملَة عفشيّة على إيرلندا، وهي العملة المعروفة باسم (Wood's Penny). وكانت هذه الرُسائل من القوّة والتمصب والتأثير على القراء بحيث أنّها صارت تُعتبر من العواميل التي أُجبرت حكومة لندن على إلغاء تلك العملة.

وأخيراً هناك مقالته، المشهورة بعنوان اقتراح مُتواضع A Modest Proposal (عام 1729)، وفيها اقترح بتسليم مائة ألف طفل يُعثرُ عليهم في إيرلندا حتى يُصبح غُمر الواحد منهم سنّاً، ثمّ يُبيعه للنجارين لكي يذبحوهم ويبيعوا لحومهم الطريّة للأسيّر انقيّة في كلّ من إيرلندا وإنجلترا، وبهذا تحلّ مشاكل عديدة منها نقص عدد الفقراء، واستخلاص من مشاكل تربية ابنائهم، وإنهاء مشكلة نقص الأغذية أو توفير لاس الغذاء - كما يُقال في أهلها.

إلى جانب الكتب والمقالات المذكورة أعلاه والمكتوبة بلغة الثور، وبأسلوب ينمّ عن بالوضوح والإيجاز والدقّة والرُشادة، فإنّ دسويست، كان بعض شاعراً قديراً وإن لم يُكرّم شاعراً موهوباً مثلاً حليده «ألكسندر بوب» ومن أشهر قصائده سويست تلك التي تحمّل عنوان قصيدة

بمناسبة وفاة الدكتور سويفت (Verses on the Death of Dr. Swift) والتي نُشرت عام ١٧٣١ :  
 ويُصوِّرُ فيها «سويفت» بأسلوبه الساخر حدائق وفناء رونود فيلر الأخرى: بمن فيهم «مملكة»  
 والأعداء والأصدقاء، عند سماعهم نبأ وفاته

نكُنْ أَهْلُ خَلْقٍ مِنْ أَعْمَادِ «سويفت» وأشهرها هو كتابه رحلات جلفر الذي قضى في تأليفه  
 أكثر من خمس سنوات (١٧٢١ - ١٧٢٦)، والذي خُيِّرَ لأوَّلَ مرَّةٍ في ٢٨ أكتوبر عام ١٧٢٦، وخُيِّلَ  
 لدى القُرَّاء برونج مُبَالِغٍ وَوَاسِعٍ، وأعيدَ خُيِّلَهُ عامَ ١٧٢٧ لَمَّا ظَلَّ يُعَادُ قَلَمَهُ واستمرَّ يُعْطَى بِالرُّوَجِ  
 حتى الآن. وقد تُرْجِمَ هذا الكتابُ على الفور إلى اللُّغَةِ الفرنسيَّةِ وتُخَذَ ذلك إلى اللُّغَاتِ الأوروپيَّةِ ثُمَّ  
 إلى جميعِ لغاتِ العالَمِ المكتوبةِ ومن بينها اللُّغَةُ العربيَّةُ، التي تُرْجِمَ هذا الكتابُ إليها لأوَّلَ مرَّةٍ في  
 مَصرَ عامَ ١٩٠٩

## رحلات جلفر:

السُّفرُ والانتقالُ من بلدٍ إلى آخر من طبائعِ البشرِ، وكأنَّ روحَ الإنسانِ تأسى أنْ تَفْجُرَ  
 بالخشدِ الذي تَسْقُرُ فيه وأنبله الذي يُحِبُّ فيه جَسَدَهُ، وتفرِّغَ إلى «وسم» أفاقها لمكانيةٍ  
 ومُدارِكها المَعْرِفَةِ فتُخْشَعُ الخُجَلُ الذي يُؤوِّدها على الترحُّلِ بتدريجٍ مُتتَوِّيةٍ وأسبابٍ مُتعدِّدةٍ. دُرَّةُ  
 تكونُ الشِّوافِعُ اتِّصَالِيَّةٌ كالتَّجَرُّبِ أو السَّحْبِ عن حَديقٍ أو قَرْعٍ، وأخرى تكونُ نتيجةً لرحلاتٍ  
 الحجِّ أو زيارةِ أديانٍ مُقدَّسةٍ أو هرباً من اضطهادٍ عقائديٍّ أو شُحْبٍ بَدَنِيٍّ جَدِيدٍ، وتارةً تكونُ  
 الشِّوافِعُ سياسيَّةً وعسكريَّةً كرحلاتِ الغُزُورِ والاستِمارِ الاستيطانيِّ والفتوحاتِ، وأخرى تكونُ دوافعُ  
 استِصْلَاحِيَّةٌ ومعرفيَّةٌ كالرُّحَلَةِ في طلبِ العِلْمِ ورحلاتِ الاستِكشافِ الجغرافيِّ أو الإثنولوجيِّ  
 والأنثروبولوجيِّ، وأخيراً قد تكونُ الرُّحَلَةُ نَزعِيَّةً هي التَّحِيُّمُ أو حُبُّ اللِّقَاءِ والعُدْمَةُ وقواحيه  
 الأعطاشِ

ومع أنَّ الرُّوَجَ إلى الترحُّلِ موجودٌ لدى البشرِ جميعاً: إلَّا أنَّ القيامَ فعلياً بالرحلاتِ مَقْصُورٌ  
 على قِلَّةٍ من ذوي الهِمَمِ العاليِ والطُّوسحاتِ الكثيرةِ وغنى المعرفةِ والاعتمادِ. لكنَّ الغاعدينِ  
 عن الترحُّلِ والمُشَقِّقِ يحاولونَ في أنفسهم دَغْنَةً مُبلَّحَةً في قُبْحِ أخبارِ الترحُّلِ ومُشاهداتهمِ  
 ومُعَانَراتهمِ. وما كُتِبَ الرُّحَلَاتُ إلَّا استِجَابَةً لثَلَاثِ الرُّغْبَةِ ومن هنا كانت قُبْحُ الرُّحَلَاتِ وأجبرُ  
 الرُّحَالِيْنَ شُعْطَى بالرُّوَجِ، وخصوصاً إذا كانت تُعْطَلُ بأخبارِ الغرائبِ والعجائبِ.

وقصصُ الرُّحَلَاتِ أنواعٌ. منها ما هو مَقْصُودٌ فولكلوريَّةٌ تُروى شِماعَةً من جيلٍ إلى جيلٍ

وَنُجِدَ لدى جميع الشعوب، ومنها ما هو تراث ديني مثل قصة سيدنا نوح وقصة يوسف في بطون المحدث وقصة يوسف وأخوته وقصة موسى وصاحبه ثم موسى وقومه جبرئيل وغيروا البحر وسعوا في الصحراء. ومنها ما هو مكتوب على شكل تقارير عن رحلات قام بها أسبانيا وفنوا غيرتهم ونشأتهم في كتب مثل كتاب التواريخ للمؤرخ الرحلة الإسباني «ميردوس»، وكتاب أحسن التفاسيم في معرفة الأقاليم لعلي الله محمد أحمد لقسيس، وكتاب لركة الغشاق في اختراق الأفاق بعبادته محمد بن محمد الإدريس، وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسن الشهر بالمسعودي، وكتاب تحفة القاري في غرائب الأعمار وعجائب الأسفار الذي قوّنه محمد بن جري الكلبي نقلًا عن ابن بطوطة، وكتاب رحلات ماركو بولو، وكتب أخرى عن رحلات «فاسكو دي جاما» و«كريستوفر كولومبس»، و«دروبناند ماجلان» و«وليم دامبير». لكن أشهر كتب الرحلات تلك التي نروي قصصًا عن رحلات حياطة.

أما الرحلات الخيالية فأهمها نوعان: نوع نروي قصصًا واقعية - أي أن كل ما يحصل فيها ممكن الحدوث وليس فيها أحداث خارقة أو مستحيلة أو مخلوقات مستحيلة الوجود - وكتبها ليست بالضرورة قصصًا فعلية؛ من ذلك قصة روبنسون كروزو وقصة يوهنبا. ونوع ثان نروي قصصًا يختلط فيها الممكن والمستحيل، والمألوف وغير المألوف، والواقعي والخيالي. من هذا النوع قصة رحلات «ويليس» في ملحمة «هوميروس» المعروفة باسم الأوديسة، وقصة رحلات «ديانوس» في ملحمة «فيرجيل» المعروفة باسم الإنيادة، وقصة رحلات «السيدي» في ألف ليلة وليلة، وقصة رحلات «الناجرويل» لكتاب «الفرنسي» «فرانسوا رابليه»، وقصة تاريخ صانق للكتاب السوري «السفر» ل«نوبان»، وقصة رحلات «سيرانو دي برجر» في كتاب تاريخ مضحك للقم وتاريخ مضحك للشخص «رندرج» كتب رحلات جلفر تحت هذا النوع من كتب الرحلات الخيالية التي تجمع بين الواقعية من جهة وما ينسجى به «الماناوي» من جهة أخرى.

### العناصر الواقعية في رحلات جلفر:

عاش «سويت» في عصر يكثر فيه الخيال ولا دعة والتزييف وتبالغ في الانحراف على الصديق والنموذجية والواقعية. كما إن هذا العصر شهد أيضًا من كتب الرحلات التي زعم مؤلفوها أنها تقارير موضوعية صادقة عن رحلات وأحداث فعلية، كما شهد إقبالاً شديداً من القراء على هذه الكتب.

وقد قرأ «سويت» الكثير من هذه الكتب وأقر أنها زعم مزاعم مؤلفيها بالصدق.



والموضوعية، تنطوي على كثير من التزييف والتبليغ والكذب. كما نعرف على أساليب المؤلفين في التزييف وخداع القراء. وإذ أذكر «سويت» أن سني لقراءة قذراً كبيراً من الغلبة والسذاجة وأن لدى المؤلفين قذراً مماثلاً من الانتهازية وروح الاستغلال، فإنه يحق له أن يسخر من المؤلفين والقراء معاً بتقليد أساليب المؤلفين بشكل «سبنجر» (Parody) واستغلال القراء بشكراً بارع والفضح عليهم جميعاً وعلى نفسه أيضاً (Satire).

أول عنصر واقعي في رحلات جنفر هو «جيلدر» نفسه: الرحالة والرواية في الوقت ذاته «جيلدر» شخص وصفي اختزعه «سويت» وأعطاه جميع المواصفات التي تجعله يبدو شخصاً حقيقياً موثوقاً وجديرًا بالتصديق. نسبه إلى أسرة في مكان محدد من إنجلترا، وجعله يتردد في قصة تعاليمه حتى أصبح طليقاً، وقصة شهادته لمهنة الطب، وقصة زواجه، وقصة فشله في كسب ما يكفي من الرزق لإعالة أسرته، وقصة انتخابه بالعمل في السفن كطبيب جراح، إلى غير ذلك من التفاصيل التي تتيح القراء بأن ينشأ بهذه المواصفات لا بد أن يكون جديراً بالثقة والمسؤولية والتصديق. وهذا يسلب «سويت» القراء قذراً من عسى انتشكك والارتياح في صدق ما يرويه «جيلدر» هم.

وتدعيماً لمصداقية «جيلدر» يحرص «سويت» على جعله يورد أرقاماً وإحصائيات وتواريخ فعلية كما جعله يورد أسماء ووقائع وقاصيص حقيقية. في كل رحلة من رحلاته يجعل «جنفر» تاريخ المغادرة باليوم والشهر والسنة، ومدة الرحلة بالسنوات والأشهر والأيام، وتاريخ العودة. كما يفتح خارطة بمواقع البلدان التي مر بها ويحدد خطوطه المثلثية والغرض. كذلك يذكر أسماء السفن التي سافر فيها، وأسماء فئاتها، وسعة تلك السفن ويقدر حمولتها، وأسماء النور التي غادرت منها أو مرّت بها أو زمت فيها. وحين يصل إلى بند من البلدان يهتف بالتفصيل سكانها وحيواناتها ونباتاتها، كما ينعلم لغة أهلها، ويخلط معهم ويصف عاداتهم ومساكنهم وقيمهم، وغير ذلك من التفاصيل الواقعية التي يعجز القارئ المنتشكك أن يُنكر صحتها أو يثبت بطلانها ويضعها.

### العناصر الغريبة والخارقة أو «الفانتازي» في رحلات جيلدر:

في كل رحلة من رحلات جيلدر تبدأ «سويت» بعناصر واقعية يُختر بها الشكوك ويُعري بها القراء للاستمرار في قراءة القصة حتى ينزل بهم إلى عالم من المعجائب والخيالات دون أن يتدروا

أنهم زعموا ثبوت سيطرة المؤلف، واسلوبه الصالح في الرحلة الأولى يؤكّد «سويقت» لديهم الرغبة في معرفة ما يحدث لجلفر بعد أن ينجو دون رفاقه من الغزاة، وبخاصةً ليتخلّل الفتره مع جلفر في بلد لا يتعلّى طول الواحد من سكّانه بضع فذير وتتضاف أحجام المخلوقات فيه من نبات وحيوان وطير، وكذلك أحجام الموجودات فيه من بيوت وهرمان وبراميل وعلام، بحيث تتناسب مع صانّة حجور المسكن. وإذا جلفر، والفتره معه، في عالم عجيب غريب وكأنه فسّخ نفّس وشعب والفكره. والتفريج تحول انّهم البشرى ذات النظم الجميل السمع إلى مخلوقات شبيهة بخرق، وإذا حياة جلفر منهم تبدأ وكأنها نعمة ثمليّة وأما ثم تتحوّل بالتفريج إلى مؤامرة شبيهة خبيثة تستهدف قوّة غزاة جلفر ثم نجوّه حتى الموت.

في الرحلة الثانية يكرّر «سويقت» الاسلوب نفسه ويتدرّج بالفتره مبتدئاً بالعناصر الواقعية المعروفة ثم يمتدّ في الفتره عالمنا من لغزائب والمجائب، فإذا جلفر في بلد لا يقبل طول ونوع من سكّانه عن ٧٢ فتره، وتتضاف حجور المخلوقات والأشياء فيه تشبهت الحجم المتعارف للسكن. ندرّ فسّخ الدمي والشعب في الرحلة الأولى يجد جلفر نفسه في الرحلة الثانية في عالم من الغيلان والوحوش ذات الحجم الضخم والتي قد تدوسه وت سحقه دون أن تجس بوجوده لضالّ حجور. لكنّه مرعاً ما تتحدّد مخوفه على غير ما يتوقّع، فإذا الغيلان زعم خصمهم أناس طليين يسيطرون على الرعاية والحماية حتى ينتهي به المقام في قصر ملك ومملكة لا مثل لها في انطية والكوم والشعب الرعاية، كما يعمّ صدقة وحُب مربيته الطفلة التي تخرص عليه أكثر مما تخرص على حيائها وتخدعه كما تحنم الأم وتبذلها الغالي.

ولتابع سويقت في الرحلتين الثالثة والرابعة أسنوته ذاته في تريب العناصر الغريبة والتخاريف (Fancastic Elements) إلى الأسبق الواقعي للأحداث بحيث نلتجّم هذه بثلاث في نسج قصصي نادر البتال.

في الرحلة الثالثة نندد الأحداث الواقعية بجلفر إلى الجزيرة العنارة (لاوس) التي يقيم فيها الملك وحاشيته وعائلاتهم. من هذه الجزيرة ينفذ الملك على حكم إمبراطوريته الواسعة على الأرض. لكنّ هذا الملك ورجال حاشيته مضايوناً سريع غريب من الجنوب يتعلّق في شرودهم اللهيّ العاشم ومرحاهم في تملّات عمدة نظرية، وخاصّةً في علوم الفلك والرياضة والوسيقى. ولهذا يجدهم جلفر في دعول عمّا يدور حولهم من شؤون الحياة اليومية العادية، لتدرجوا أنّ أحدهم قد يقع في حفرة أو يصطدم بعمود فوّ أن يراء، ولدرجة أنهم ينون نساكهم

مما يندفعهم إلى مقابلة الرجال الغرباء من الذين يروون الجزيرة، وقد يرتكبن معهم المفاجئ  
أمام أعين أرواحهم وهم عما يحدث حولهم غافلون.

في هذه الرحلة يُطَارَدُ مسريفة لخبائله العنان ويَصُورُ، لصالح مانترة طارئة ومن خلال  
مُشاهدات جنفر، الاحترافات المُضجكة في فكر العلماء ومعتقداتهم، وانجذاب المُحرِّق والمُضجك  
في مشاريع المُختَرعين والمُخترعين في أكاديمية الابدود وفي مدينة ولاجانو، نُفُيها. وزُحِبَ  
مُزاعم المُختَرعين والمُخترعين بأنهم ينشؤون لتحسين البلاد وإسعاد العباد فأهم لا يُتحدثون غير  
الخرب والفساد والفساد كذلك يَصُورُ مسريفة، عن طريق مقابلة جنفر في جزيرة لشيرة  
لأرواح الفساح في العوالم والتحكم والفكر والذنب من الفُداء والمُحذرين، تتوق الفُداء على  
المُحذرين في قُوَّة الحمد ودية الطعمة يُمنح حكيم وامانة التحكم وتُزَمُ الاخلاق، كما يُوضَّح  
مُكاتب المؤرخين وروايتهم لحقائق التاريخ، وقد الاماليب التي يصبى بها المُتأيقون  
وانقاسون والسُجَّالون إلى مراتب القيادة، ونُحْشَ الوسائل التي يُحفظون بها على تلك المراكز.

كذلك لا ينسى مسريفة حادثة الطمحين في اندمج التمديد العالمين بالخاود فويسل جنفر  
إلى جزيرة لوتجناج حيث تُؤخذ مجموعة من البشر الذين حرموا نعمة الموت. ولدى مُقابلة  
جنفر بعض أفراد هذه المجموعة والتعويض عن نُحوالهم المائسة وأرضيتهم القبيسة يُقرَّر أن  
الموت خير ألف مرة من الحياة في هكذا أحوال وأوضاع.

في الرحلة الرابعة تُلَاحَظُ عنصر الخاندزي، تُروى حُجَّةً ومعنى إذ يُوسل مسريفة، يُفك  
الرحالة جافر إلى بلد يبدو لأول مرة، رُحله قائم عالم مسحور يُعكس فيه حقائق المخلوقات كما تُغلب  
العلاقات بين الجناس المخلوقات. يُجَدُّ جنفر نُفْسَ وجهها تُؤجِّد أمام جنسين من المخلوقات هما  
«بنو الهويهم» و«بنو الياهو»، الجنس الأول هو غيبي ناضجة غائقة فاضلة شُمتها عن غُضُر مسلم  
ويُفكر عمنى بناءً واحلات سلوكية فردية وجماعية فضلة. ويُفَضُّ هذه الصفات سارت هذه  
الخيار على السيادة في البدن والهيبة على الاحتماس الأخرى من المخلوقات، وعلى الانحسار  
على جنس دمنى (ياهو). أما الجنس الثاني، دمنى الياهو، فهذه مخلوقات بكمة، قدرة، شرسة،  
جشعة، أذنية وغشوة. ونظراً جشع الأول لأمهم ثلاثة مملوكة من الحيوانات ريفول: «لم  
أشاهد قط في جميع رحلاني حيواناً مُنْفَرِّد إلى هذا الحد، أو حيواناً شعرت تجاهه، والمفرقة،  
هذه الخد من الكراهية والاشماتة». (الرحلة الرابعة: الفصل الأول، قرة ١٤).

في أول الأمر يُهَيَّأُ لجنفر أن التحليل ليست سوى بشر يُعزَّز يُعاضون السحر فيُحذرون ما

يشامون من أشكال الحيوانات، وكذلك يهتأ له أن «بني اليهود حيوانات كريهة تُقرّز». لكنه لا يترك أن يدرك أن الخيل هي خيلٌ حقيقيةٌ وأن «بني اليهود هم بشرٌ مثله لكتهم هي حالة انحطاط وقرير مضيق». ويمرّ على جلفر أن يتعلّل هذه الحقائق التي لا تغرّ منها، ويُحاول جاهداً أن يخفي صيغته «اليهودية البليغة» وأن يُقنّن الخيل في اللغة وأن يتحلّى بالتعاضل التي يعتقده أن أمثاله من «بني اليهود عاجزون عن اكتسابها.

لكن الخيل تُقرّز أن جلفر ليس إلا واحداً من «بني اليهود» وفيه ما فهم من قبل فطري إلى الشر، وأنه، وإن بدا ودعاً ومسالماً لا يدّ أن يعمد يوماً لخصيصة الفطري الشرير، وذلك ثامراً منعدرة البلاد فلا يسنعه إلا أن ينصاع لهذه الأمر.

### الأساليب القصصية الفنية في رحلات جلفر:

كتاب رحلات جلفر قصةٌ خياليةٌ ونسب تقريراً عن رحلات حقيقية. والفن القصصي صانع لها، كما للقصصات الأخرى، فوجدناها أصولها وأسرارها التي قد تخفى على القراء العاديين. أمّا عيون مؤرخي الأدب والنقاد والمُفسرين والدارسين المتخصصين فقد تعرّفت على بعض تلك القواعد والأساليب، ولكن بعضها الآخر لا يزال قيد التّحقيق والتحليل.

نقد استعمل «سويت» الكثير من التقنيات والأساليب الفنية التقليدية في بناء وصياغة قصص الرحلات من هذه التقنيات اجتراع زخلةٍ وهمية، وإرساله في رحلة، وإيضاله بطريقة غير متوقعة إلى بلد غريب، وإبقاؤه في ذلك البلد الغريب فترةً تكفي لتعلّم لغة أهل ذلك البلد والتعرّف على ثقافتهم وحضارتهم، ثمّ إعادته سالم إلى وطنه حيث يروي أخبار مشاهدته ومخائراته.

كذلك تُقلّد «سويت» أساليب أدباء الساحرين (Paradists) في إيهام القراء بأن الأشياء الغريبة والمخادعة التي يذكرونها هي أشياء حقيقية. وكما فعل «لوسيد» في كتابه تاريخ صادق ودوماس موره في كتابه يوطوبيا، يزعم جلفر، ويكرّر زعمه أنه خرّص على الصّدف والموضوعية في كلّ ما يؤرّقه في كتابه. ونذعم جلفر زعمه هذا بذكر أرقام وقياسات وتواريخ وأسماء شتى وأشخاص وأماكن وبلدانٍ حقيقيةٍ فعلاً. وكما سبق أن أشرنا، فإن سويت يجعل جلفر يبدأ وصفه لكلّ رحلة بذكر التواريخ وأسماء الشّخص والقبيلة والأماكن الفنية والحقيقية ثمّ يورث الخوارق والمعجّبات تلك أن يكون قد خسر شكوك القراء وجفن حُبهم للاستطلاع ومعرفة ما

سبحدث بتغلب على ميله للإكثار وعدم التصديق.

ونحن لا نمرقه في الشخصية من الأوضاع والأحداث والشوئيات الفكرية الهدامة والشوئيات الشخصية الشاذة في عصره بعمق ومهارة إلى استخدام أساليب متنوعة لذلك بعضاً منها فيما يلي:

نصير ما يحدث في إنجلترا بطريقة رمزية (Allegorically). إن الكثير من الأحداث والأوضاع في «الليبيوت» (في الرحلة الأولى) تعكس أحداثاً وأوضاعاً مماثلة في إنجلترا بين «دسويت»: القصر الملكي في «الليبيوت» بير أيسغ فذهب طرف البيضة الكبير (Big Eudians) واتبع فذهب طرف البيضة الصغير (Small Eudians) هو رمز للقصر في إنجلترا من أنواع الكنيسة الرئيسية (الأنجليكانية) واتبع فذهب الخرج (Dissoners). كذلك فإن حزب ذوي الكيوب الهولية وحزب ذوي الكيوب الصغيرة في «الليبيوت» يرمزان لحزبي المحافظين والحرر في إنجلترا، والحزب بين «الليبيوت» و«الليبيوت» يرمز إلى الحزب بين إنجلترا وفرنسا. كذلك فإن نشاطات المساء في الكنيسة اللاحقة في الرحلة الثالثة يرمز إلى نشاطات الجمعية الملكية في إنجلترا.

الملم عن طريق المدح هو أسلوب آخر، ويتشبه هذا الأسلوب في إجابات حلقه في الرحلة الثانية، على أنه تلك «برودنتاج» عن الأحوال والأوضاع في إنجلترا. هنا يحاول حلقه كما يقول: أن يضع عضلي بلان ويكادتها تحت «فصل الأضواء» وأن يخفي عيونها ويستر على نقائصها (الفصل ١٥: فقرة ١). يكرر بذلك يستج من أقوال حلقه أن البشر في إنجلترا هم أعين سلاله من الحضرات المؤدية تفيض التي منحت لها الطبيعة بالرحمة على وجه الأرض، والرحلة الثانية، لفصل ٦، فقرة الأخيرة).

أسلوب ثالث هو وضع الأقوال شافراً مع «الليبيوت» مثلاً يبالغ في دواء الرحمة والضعف بالرافد كما أضدركت بالذات في لقوة، كما قلل من أضدركت حكمه الغلبي بقول حلقه ووافق سراً على تحويه حتى الموت. (الرحلة ١، فصل ٧، فقرة ٣ قبل الأخيرة) كذلك فإن حلقه يرمز أنه حريص على الصدق لكنه يكذب في أكثر من مناسبة فقد مارس الكذب في إجاباته على مسألة منك وبرودنتاج كما مارسه حين أخفى حقيقة تلابيه عن الخيل ليؤمنهم أنه مختلف عن «بني إنزوه».

أسلوب رابع هو جعل الأقوال تتفلسف مع المعنى المقصود. مثلاً ذلك قول حلقه للبي

زيارته لمدرسة المحترفين السياسيين في أكاديمية «لاجنده» في الرحلة الثالثة:

في مدرسة المحترفين السياسيين لم أجد ما يشرئني. فقد تخيل لي أن الأساتذة قد فقهوا عقولهم. . . كان هؤلاء المناهضون يترجون خطط الإقلاع المموز باختصار المقررين إليهم على أسامر ما يتحلون به من حكمة وفطنة وفصيلة، وتعليم الوزراء الإهتمام بالمصلحة العامة، ومكافأة ذوي السجادة والمقدرة والخدمين الجيلة، وتربية الأسراء على يدراك أن فصلتهم الحقيقية هي مصلحة شعورهم. . . وما يلى ذلك من التحريفات المجنونة المستحيلة التي لم تخطر لبد على صدر إنسان. (الرحلة الثالثة، فصل ٦، لفرة ١)

الأسلوب الخمعن يمتثل في تغير زاوية النظر إثر التشابه والاختلاف. مثال ذلك رؤية الأسير من فوق كما يفعل جلفر في «ليبوت» أو رؤيتها من تحت كما يفعل جلفر في «برودسج» أو رؤيتها من زاوية الرضا كما يفعل جلفر في الرحلة الرابعة تحت العين أو من زاوية السخط كما يفعل في الرحلة ثبها تجاه «بي الياهو» وكما يفعل في الرحلة الثانية تحت الشلب حين يرضع النديك حديثه المتملة في مسحوق البارود.

ويرتبط بالأسلوب السابق أسلوب آخر يمتثل في صغير الأدباء كما نحدث في الرحلة الأولى أو نصحبها كما نحدث في الرحلة الثانية أو تحريفها كما نحدث في أكثر من مناسبة.

الأسلوب السابع يمتثل في «المباشرة» ولا سيما في أشع النتائج الواقعية في الشرب الفصص. من الأدباء لواعية وانعيتية في حياء الشرب عاصرت تتجاعلها الأدباء بشكل علم حرصاً على الالتزام بغير الحسنة والحياء. لكن سويت لا يرتفع عن ذكر عذصر كهد، بشر النور وأبريد والأعضاء الفاسية والبرازية والمداغبات العنسية. بل هو يكثر من ذكرها وتسميتها لأغراضه الفية نارة (مثل فقه إهداء الحبيب في قصر إمبراطورة ليبوت) والهيمنة نارة أخرى.

ونذكر أخيراً: وليس أجزاء أسنوت «سويت» في جفلي النتائج متداخلة مع استوفعات، ومتداخلة القراء لهذه النتائج من ذلك مثلاً أن القراء سوفقون أن يكون جلفر آبناً ومرهول لدى «ل» و«ليبوت» طرأ تصخبه وفائده، لكنهم إفاجلوا بالتخطي لعظيم المحديق به نيحة لغتبه وسندت من حاسب، ولزومه ودهائهم من جانب آخر. ويتوقع القراء أن تدهم لأعطى المتسلطة جلفر في «برودسج»، ونقصي عليه. ولكن جلفر يحظر بالسلامة دائماً زغم ثمراته لعنيد من لا يحظر المهلكة وفي الرحة الثالثة يتفح القراء كما يرفق جلدو أن يكون الحالدون

فردى هيئة وثراء وسلطان وحكمة وتقوى، ثم يخاطبنا بأنه لحالنا من هم انفس البشر انفسهم واحقرهم.

### الموضوعات الرئيسية في رحلات جلظر:

يتألف كتاب رحلات جلظر من موضوعات عديدة ليس من التفسير، في مقدمتها كلها، ان نحيط بها عقداً وشرخاً، وسنأتي بالإشارة إلى أهمها وشرحها بوجز.

الموضوع الرئيسي الذي ينظم الرحلات الأربع هو محاولة الإجابة على السؤال: ما هو الإنسان؟ الأدباء والفلاسفة تقدم إجابات متعددة، منها أن الإنسان حيوان ناطق، أو حيوان جندعي، أو حيوان عاقل، وليس هذا مجال مناقشة هذه القضية فلسفياً، ونكتفي القول بأن هذه التعريفات لمحيو أن نجد الصفة أو الصفات التي ينفرد بها الإنسان كإنسان، والحيوانات وبعبارة أخرى: في كتابه رحلات جلظر لا يبحث أرسطو، في صفة «ناطق» أو «جندعي»، لكنه يترك صفة ذلك التعريف الذي يقول إن الإنسان حيوان عاقل، ويؤكد أن الصفة التي ينفرد بها الإنسان هي أنه قادر على التفكير، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه «عاقل». يقول أرسطو في رسالة ثلث به إلى صديقه ألكساندر بوب، في ٢٩ سبتمبر ١٧٢٥: «لدي مرآة زككي لاختلاف تربيته، حيث ألت التعريف القائل بأن الإنسان حيوان عاقل (Animal Rationality) ويترك أن فقط قادر على التفكير (Rationalis capax). وفي الفصل السابع من الوحدة الرابعة يقول أرسطو الحديث (رسالة جندري ومولاه في بلاد البحر)، ثلث أن استمع لأقوال جلظر عن إنجلترا وعن البحر الشرقي، إنه يميز أشد توفراً من الحيوانات، التي خيلاً، بحداد ضلل من العظم أو لفظة على التفكير، كلهم لا يستحسنون هذا العقل، لأن تضخم وزيادة شروبه الفهرية.

السؤال الذي نعالجه كتاب رحلات جلظر يتعلق بصفة الإنسان السطحية هل الإنسان بصفته ضريباً أو غيراً؟ معظم المصنفات التي نكتبها حلق من خبرته وملاحظاته كونه القوي بالظفر، الشرير، وفي القول بالظفر، الحزم إلا في حالات نادرة مثل حالة القبطان الإمبراني «دوب برون» في الفصل الحادي عشر من الرحلة الرابعة، ومثل ذلك برودينج في الوحدة الثامنة. إن القول بالظفر الشرير في البشر لا يخيف من ملاحظة أرسطو لمسيحي، الذي كان يسمو، من حاله المجرم، المشاعر إليه جانيه. ونحو هذه الملاحظة أن هناك قوم ذبلوا عن أيهم آدم بدلاً من إلى الوقوع في الخطيئة، وانتخاب المناسبي والأمان.

الموضوع الرئيسي الثالث الذي يُعانيه كتاب رحلات جلفر هو مفهوم التقدم والارتقاء والاكتمال الذي كان قد بدأ ينتشر في عصر سويغت «سويغت» يُذكر هذا المفهوم ويُؤيد مقولات التطور الانحطاطي والانحداري التي كانت شائعة في الآداب الكلاسيكية (مثل مغوبة انتحور نحر الأسور من عصر ذهبي إلى عصر فضي ثم برونزي ثم حديدي) أو التي تُطرح عليها العقيدة الألفية (The Idea of the Millennium) ومحوها أن البشرية ستطور نحو الأسور ونحو انتشار مزيد من التقدم والتطور والتغاي والفساد حتى يعمد المنتهى يسوع المسيح ويتم الخلاص من الفساد على يديه. لكن ينبغي أن نوضح هنا أن «سويغت» لا يُعجم الدين في كتاب رحلات جلفر كما يفعل دانيال ديفو في كتاب روبنسون كروزو، بل يكتفي، في تعامله لاختلاف المواقف، بالتنوع العقائدي والمذهبي الذي يتخذه جلفر في تقويم الأمور، والذي يقوم على أساس الملاحظة والمقابلة والتجريب والمناقشة مع الغير، إن خُفج التمييز.

إن زفنى سويغت لمفهوم التقدم والارتقاء والاكتمال وإيذاه للمفهوم المتعاقب، وهو مفهوم الشاخر والاحداد والتقصير، يرتبط بموقفه من قضية القديم والحديث وإيمانه أن لإنسان دو طبيعة مطرية شريفة. الأجناس البشرية التي يراها جلفر في رحلاته الأربع، وسواها، متنوعة، يُؤيد فوائده سويغت، طريقة زمرية. نجد نخل ورويدنجانج، أصخم الأجاس حسداً وأقربهم سريرة وأغفلهم في اختيار ما يفتح وتحت ما يصر. فإذا ما انتقل إلى جزيرة الأوتة نجد احداً بشرياً عادية (بفك وثل حلفر) أصغر حجماً وأقل صبة وحكمة، أما في (البيوت) فنجد جنساً شرياً عاياً في ضلّة. الحسد وعاية في حوت السراي والانتية والشهاب المصلي الأليم. كما في بلاد الحيل نجد جنساً شرياً من «بي البيوت» لم يعرفوا ديناً وهم يستقلو قذرائهم على التفكير إلا لخدمة نواتهم الفطرة وأهوائهم العنيفة العاصية وانحدروا إلى أقصى ما يُمكن أن يتحيز إليه البشر من بهيمة وقذرة وفساد.

إن جانب هذه التصوير الرمزي لتطور الإنسان نحو الأسور نجد في رحلات جلفر أوصافاً واحكاماً مثيرة ليقن بوصوح أفضلية القدير على الحديث وتؤيد دونها موازنة مقولة التطور الانحطاطي والانحداري. من هذه الأوصاف والأحكام ما يلي:

في الفصل السادس من الرحلة الأولى نجد وصفاً مفصلاً لتعليم «البيوت» وفرونيهم وعاداتهم وأساتيهم في تعليم الأجيال الناشئة ذريتهم، يوحى لك هذا الوصف أن محتج «البيوت» لا بد أن يكون محتجاً فاضلاً وسعيداً، ريوطوياً. وقبل أن تكون هذا الحكم بضاجتنا



«سويقت»، كما دأب، يقول جلفر إن هذا الوصف كان صحيحاً في الماضي فقط قبل أن يأتي جلد الأميراطور الحالي وينسخ للفساد بالشرب، مما أثنى على انقسامات فلخيية وحزبية، وإلى ظهور الصراعات الدامية، وانتشار التفكك والتآمر والمؤامرات المنهجية.

وفي الفصل الرابع من الرحلة الثالثة يروى جلفر مذبذبة ولاجذوه وتناول ضيقاً على اللورد «مونودي» وشاهد بتعب مظاهر اسخواب والتدمير والتملأ والشقاء التي أنجبتها جهوة التمجيد والمصباح، كما شاهد في القصر الريفي الذي يملكه لورد «مونودي»، مظاهر الجمال والبهجة التي أبدعتها أجداد اللورد القدماء والتي أضحت مهتدة بالزوال حتى تصل إليها أيدي هذه التغيير والتجديد.

وفي الفصلين السابع والثامن من الرحلة الثالثة يناقش لورخاكة جلفر أن يوروز جزيرة الشجرة وأن يقابل أرواح المشاهير من القدماء والمحدثين في ميادين الحرب والسلام والسلمية والتفكير والادب وأن يشارك في مخبرهم اسجدي لإنجازاتهم العقلية، وأن يتنهي إلى حكمه المعروف بأفضية القدماء وتقويمهم على المحدثين.

وأخيراً فإن معالجة كتاب رحلات جلفر لعلوم والعقل تسجّم مع معالجة نصوصه الأخرى التي ذكرناها أعلاه. ينهم بعض الثقاة «سويقت» بأنه يعادي العلوم والعلمانية والعقل وانتزعت العقلاني. والمصحيح، في رأينا، أن «سويقت» يجرّ بين العلوم الباصرة (كالعلم الذي ينتج مسحوق البرود ولات التدمير، الأخرى، والعلوم الباصرة (كالعلوم التي تزيد الإنتاج العدائي. أو تنتج شبلين بذل سلبية كما يقول مالك «بريدنجانج» ويصحب الثانية ويعادي الأولى. كذلك فإنه يعادي العلوم التجريبية التي لا يمكن البشر سلماً بتأجيلها والتي تنمّ على نطاق واسع كما يحدث في ولاجذوه في الرحلة الثالثة، فلا تنتج غير الحرب. كذلك فإن نرى أن «سويقت» لا يعادي العقل في حد ذاته، لكنه يسخر من الإنسان بكفاية العقل البشري وقدرته على خلّ جميع التشاكل التي تواجه البشر. ذلك أن العقل، في رأي «سويقت»، قاصر وخله عن التعرف على أسرار الكون وعنى سبل السلوك القويم، وهذا فلا بد لهذا العقل أن يستعين بالتدريس السموية وتسترش بهديها. أمّا إذا استقل العقل عن الإيمان بحكمة الآديان، وإذا احتيز هذا العقل المنفصل عن الدين كافياً وخف، فإن النتائج ستكون في معظمها ذات ضرر بالغ، ما دامت الفطرة البشرية شريفة فإنها ستستغل العقل أو القذرة على التفكير لإشباع غايتها الخطيرة

التي هيمة وتُسخرها في خدمة أهوائها الانانية وأطماعها الجشعة لإزادتها المنفعة الضالة. وتكون  
النتائج حرب للذم وفناء الشرير ونعاسة المجتمعات.

كانت رحلات جلغر يرسم لنا صنف طلاء من أولئك الذين يعتبرون العقل وحده كحيث  
تبريد وبلبل في غلة الحياة. جلغر لم يذكر الله مرة واحدة، لا في الشرع ولا في الطمأنينة  
ولم يكتفِ نفسه من حقيقة الملائكة والحيات الدينية وأماكن العبادة وفاضل العقائد الدينية وأثرها  
على سلوكه انقلب في البلاد التي زارها. وقد اتى الكثيرون من الدارسين والمثقفين ليعيد العنصر  
الديني في كتاب بأمانة رحلات جلغر وخطوبه، ومن مؤلف هو أصلاً من رجال الكنيسة  
البروتستانتية في عصره، ويخلصهم اعتبره أنه انظره دليلاً للظلم في إخلاص «سويقت» لدينه  
وعقيدته. نكتا برى أن «سويقت» هي العنصر الديني فتعبداً لكي يرسم لنا ما يمكن أن يحدث  
للإنسان مثل جلغر يتجلى العقل وحده إيماناً وتربناً قبيحاً به الأمر إلى كراهية مجنونة للتفسير  
(Mismathropy).

إلى جانب صورة جلغر، نجد في كتاب رحلات جلغر صوراً عديدة للشرير الناجمة عن  
«الاعتماد الكلي» على العقل وحده من قبل بشر مخطوئين أصلاً على الشر. وهذه «مخطوئين»  
في «ليبيوت» و«لابوت» و«لاجند» و«بلاد الحيل». بل إنها موجودة أيضاً، ولكن بشكل كامن  
وقابل للانفجار، في «مستكة» و«برويندناج» التي تعتبرها بعض النقاد بلاداً يوطوبياً ومُحتملاً مثالياً.  
ولذلك فكيف نُعثر وجود ميليشيات عسكرية في بلد ليس له أعداء من خارجيه؟

كذلك فإن صور الشرير - الناجمة عن الاكتفاء بالعقل وحده دليلاً ومُربداً - مُنتشرة في  
كتاب رحلات جلغر في معظم مبادئ الحياة، وعلى الأخص في مبادئ الحكم والسياسة  
والاقتصاد والقضاء والطب وكافة التاريخ.



ونجد، ليست هذه المقدمة سوى غيض من فيض، لأن ميدان الكتابة عن كتاب رحلات  
جلغر أوسع من أن نحيط به مقدماً، مهما كثر خبثها. لكن نرجو أن نكون قد أوضحنا أن هذا  
الكتاب ليس مجرد قصة لطيف تُسلِّم وتُشبع خيالهم وتُوسِّع مداركهم، بل هو أيضاً كتاب  
للكتاب يُمتنعهم بما فيه من حيل واسير ومكائيد رائعة وسخرية لادعة. وهو فوق ذلك كتاب جيد

عميق: الفكر بعيد التحيز، في شأه كنوز أدبية وفكرية وفلسفية مغربة بأشبه من يستمعون  
يتحدث عن كنوز من هذا النوع ولهم يعرفون كل الكسب عنها.  
والله ولي التوفيق.

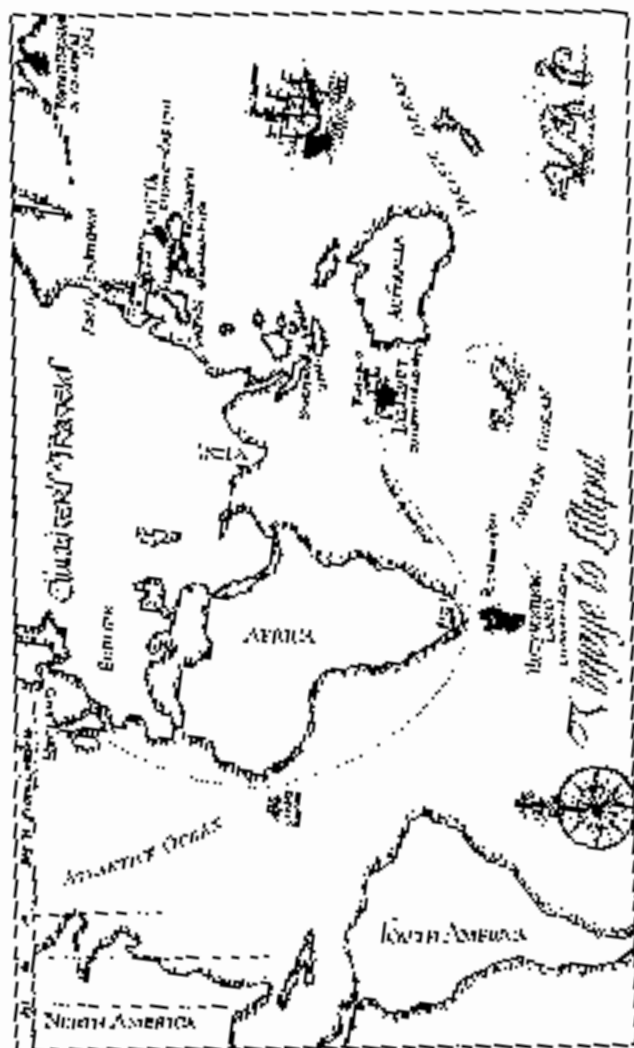
## Selected Bibliography مراجع مختارة

- \* Denham, Nigel. *Jonathan Swift: A short Character*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1965.
- \* Downie, J.A. *Jonathan Swift Political Writer*. London: Routledge & Kegan Paul, 1984.
- \* Ehrenpreis, Irvin. *Swift, The Man, His Works, And the Age*. 3 vols. London: Methuen (1962 - 1983)  
     Volume I. *Mr. Swift and His Contemporaries*. 1962.  
     Volume II. *Dr. Swift*. 1967.  
     Volume III. *Dean Swift*. 1983.
- \* Grivil, Richard (ed.) *Swift's Gulliver's Travels. A Casebook*. Boston: Twayne Publishers, 1974.
- \* Hinnant, Charles H. *Purity and Debauchery in Gulliver's Travels*. New York: St. Martin's Press, 1987.
- \* Jeffares, A. Norman. *Swift: Modern Judgements*. Macmillan, 1968.
- \* Murry, John Middleton. *Jonathan Swift: A Critical Biography*. London: Jonathan Cape, 1954.
- \* Murry, J. Middleton. *Swift*. Longman, 1966.
- \* Quintana, Ricardo. *The Mind and Art of Jonathan Swift*. London: Methuen, 1953 (Repd. from 1936).
- \* Rembert, James A.W. *Swift and the Dialectical Tradition*. London: Macmillan Press, 1988.
- \* Said, Edward. "Swift's Tory Anarchy and «Swift as Intellectual» in *The World, the Text, and the critic* (Harvard University Press, 1983), pp. 54-89.
- \* Speck, W.A. *Swift*. London: Evan's Brothers, 1969.
- \* Swift, Jonathan. *Gulliver's Travels*. Edited with Introduction and Notes by Paul Turner. University Press, 1980 (Repd. from 1971).
- \* Swift, Jonathan. *Gulliver's Travels*. Edited by Peter Dixon and John Chalker with an Introduction by Michael Foot. Penguin Books, 1982. (Repd. from 1967).
- \* Swift, Jonathan. *Gulliver's Travels*. With an Introduction, a Guide, Notes and a Glossary. Beirut, York Press. Librarie du Liban, 1988.
- \* Ward, David. *Jonathan Swift. An Introductory Essay*. London: Methuen, 1973.
- \* Williams, Kathleen. *Jonathan Swift and the Age of Compromise*. London: Constable and Co., 1959.
- \* Wood, Nigel. *Swift*. Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press International, 1986.

## رحلات جِلْفَر

الجزء الأول

«رحلة إلى ليليوت»



Map of the World showing the continents of North America, South America, Africa, Europe, Asia, and Australia.

### إعلان<sup>(١)</sup>

إن رسالة السيد سيمبسون إلى القبطان جلفر<sup>(٢)</sup> التي تصدر هذا الكتاب، تنفي الحاجة إلى إعلان طويل. تلك الإضافات<sup>(٣)</sup> التي أمتكرها القبطان، أدخلها شخص متوق الآن، وكان الناشر يعتمد على رأي ذلك الشخص وحكمه في إحداث أية تغييرات يراها ضرورية. لكن ذلك الشخص لم يفهم خطة المؤلف يومًا صحيحًا؛ كما لم يستطع أن يفهم أسلوبه الواضح البسيط، وحتى أنه من المناسب، بالإضافة إلى ما أعددته من تغييرات، وما أدخله من حشو وإضافات، أن يجهي ذكرى المرحومة صاحبة الجلالة بقوله إنها حكمت أنيلارد دون الاستعانة برئيس اللوز<sup>(٤)</sup>. نحن متأكدون أن النسخة التي أُرسلت لنا نشر في لندن كانت نسخة طبق الأصل عن المخطوط الأصلي الذي كان في حوزة سيد مروتوف جند<sup>(٥)</sup> في لندن، وكان صديقًا حميمًا للمؤلف. وبعد أن طُلع هذا السيد عن النسخة الأولى من الكتاب، وقرأه بالأصل، قام بتلك التصحيحات التي سيجدها القارئ في طبعنا هذه. لأن هذا السيد الوثوق بنفسه تكرم، وسمح لنا بنسخ تلك التصحيحات.

## رسالة من القبطان جعفر إلى قريبه سيميسون<sup>(١)</sup>

أرجو أن تكون مستعداً للاعتراف عني، حينما يُقَسَّبُ منك ذلك، أنك بالخاصك الكثير وخُفِّكَ  
لفكر، بضمي نُشرَ قديمًا عبر دفين ولا مترابط عن رحلاتي. وأُشْرِتْ عني أن أُنشَرُ واحدًا من  
لجنة اثنين تَعْمُوا في إحدى الجامعات<sup>(٢)</sup> لكي يربِّط هذه الرحلات، ويصنِّح الأسلوب، كما  
عمل غريبي داثيرون<sup>(٣)</sup> نبعًا لتصميمي، في كتابه الموسوم، رحلة حول العالم لكني لا أذكر أنني  
فُوضْتُك أن توافني على حذف أي شيء، أو إضافة أي شيء. وهذا، وبالنسبة للإضافة، فوافني مُكَبِّرُ  
كل شيء، من هذا القبيل، وعلى الأخص ادفرة الخاصة بالرحومة صاحبة الجلالة الملكة تان<sup>(٤)</sup>،  
ذات التقوى العظيمة والذكى الجيلة، مع التي كنتُ فعلاً أحترمها وأعزُّها أكثر من أي واحد في  
احسن البشري. ولكن كان عليك، أو عني من قُرْبَتِهِ بالإضافة والحلوس، أن تُقدِّر أنه ليس من  
طبعي، كما أنه ليس من اللائق، أن أُنتِخَ سيدي الحصن الهويهم<sup>(٥)</sup> حواء من جيلنا. فإني على  
هذا، أن الحقيقة التي يُعزُّ عنها سادو هي حقيقة رائعة كثيرًا. لأنني كنت في إنجلترا، خلال فترة من  
عهد جلالتها، وكانت، حسبًا لهم، تخكم عن طريق رئيس للورد<sup>(٦)</sup>، لا بل رئيس متدين،  
أولها كان اللورد غودولفريد، وثانيها اللورد أوكسفورد. وهكذا فقد خُفِّتني أقول الشيء الذي لم  
يكن<sup>(٧)</sup>. وكذلك، خُفِّتْ بعض النصوص التقرير عن كذائية المخترعين، ونصوص مدينة عن متافسدي مع  
سيدي الحصن، فحذفت بعض التفاصيل العامة أو خُفِّت بها أو خُفِّتها بطريقة جَعَلْتَنِي لا أعرف  
العمل الذي مضى<sup>(٨)</sup>. وحين الحد، في إحدى رسائل إليك إلى شيء من هذا النمط، أنجبتني  
أنك كنت غمبي أن يارب النقص، أصلي غضب البعض، وأن ذوي السلطة كانوا يراقبون المطبوعات  
مراقبة صارمة، ويميلون لا إلى التأويل فحسب، بل إلى مناقشة كل ما يبدو أنه تعريض، وغمر (كما  
وُضِعَتْها حسبًا لأدري). ولكن أرموك أن تتدبَّن معي: كيف يمكن لشيء قلته حين سنوات عديدة  
جدا، وفي مكان يبعد أكثر من مئة ألف فرسخ، وفي ظل حكم جسر آخر، أن يتطوَّر على  
واحد من بني الياهو<sup>(٩)</sup> الذي يقال الآن أنهم يحكمون القطيع، ويخوضوا نفي قلَّت ما قلته في وقت  
لا أكن فيه أفنى أو أحتي أن أُنشئ تَعْلَاة العيش تحت حكمهم؟ ليس سيدي بـ من أهم  
الأسباب للتدبر. وأنا أرى بني الياهو أنفسهم يُقَلِّدون في عرياب يجرها بني الهويهم، وكان هؤلاء



حيوانات، ورحلات، وأولئك<sup>(١)</sup> مخلوقات عاقلة؟ ولي الحقيقة، كانت رغبتي في تخب مثل هذا لشهد  
النفيع نلت هي المدفع لرتبي لازلالي هذا.

هذا ما رأيت أن نموه لك بالنسبة للعكس وبأسنة للثقة التي رضعتها فبت.

من ناحية أخرى، إنني بالفعل أشكو من الشكوى من غفلي ونقص صبري، إذ سمحت لنفسي  
أن أتأثر برجالك، ورجاء غيرك، وأن أعمل بأمركم المواقف التي كانت تعترض دائما مع رأيي،  
سمحت بنشر رسائل. أرجو أن أذكر نفسك كم مرة رجوت منك وأنت تلج على مبدأ الصفة  
العامة، أن تذاكر أن يني أياهم هو جس من الحيوانات عاجز عجز مطلقا من إصلاح نفسه مادتي  
أو العدة. وهذا ما أنت مدلا من رؤية توهم الكمال عن كل مظاهر هذه التصرف وكل مضاعف  
الفساد، على الأقل في هذه الجزئية الصغيرة كما كنت أتوقع، نظرا ما حدث: بعد ما يزيد على مهلة  
سنة الشهر، لم أعلم أن كتابي تعصى نتيجة واحدة من النتائج التي كنت أهدو إليها. لقد رغبت  
إليك أن تكرم إعلامي عن طريق الرسائل، إن كانت نرا انتحرت والاضام قد أعطيت، أو إن  
أصبح القصة ذوي عام واستغنى، أو لمفهوم ذوي أمانة ونواضع ولديهم شيء من التفكير  
الناجم، أو إن كانت كتب الفنون قد نجحت في اكتمال فضيلة كالأهمان في ساحة سيئة<sup>(٢)</sup>  
وأشرفت، أو إن كان تعليم أمة لئلا قد حُر كتابا، أو الأخطاء قد تم تفهيم، أو إن لمحت بنت  
أياهم بالفضيلة والشرف والمقدور والشهيم الجسم، أو إن كنت دون: وزراء المعظم قد لظفت  
ثامنا وكسب من التفتيدون، وأعلن البن والكفاءة والعلم يكافون، ومن يسيون بن شرف الكلمة  
في التز أو التضرع بقلوبك بأن لا يأكلوا شيئا سوى دوقهم السدي، وإن لا تزود، عمتهم إلا  
بجبرهم لقد امتدنت جازما، بناء على شجاعتكم، وعن المادى والوصية التي يعص بها كتابي،  
أن هذه الإصلاحات وإنما أخرى غيرها مستحق ولا بد من الاعتراف أن شهرة مبة تُفتر وقتا  
كافا لسلخص من أمة رديلة أو حافة يقع فيها بني أياهم، لو كان في عبايعهم أن من من نيل إلى  
الفضيلة أو الحكمة. ومع ذلك فليس في أم من رسائلك ما يعز مع ترفعاتي، بل على العكس،  
إنك لا تحفل بسوك في كل أسود سوى قصائد الفصحى والشم<sup>(٣)</sup>، ومفتاح لرموز لكتاب<sup>(٤)</sup>،  
وتفسيرات له، ومذكرات وأحوال (يُزعم أنها محدقة منه)<sup>(٥)</sup>، وأدى نفسي في هذه الأشياء كلها  
بانتعاض برجان الدولة وخمهم، وتجفر العيبة الإنسانية وما زال نسيم الثقة يؤسفها هذا  
الشم، والإمانة إلى جسر النساء. كذلك أريد أن كتاب تلك الشرائع لا يتفرون على رأي  
بعضهم لا يمدفون إلى مؤلف لرحلاتي. وآخرون يرغموني مؤلفا لكتب لا أوفقها لينة.

كذلك أريد أن مطبعيتكم قد بلغ ما الاستهتر حد لخط التوبيع<sup>(٦)</sup>، ما غطت في تحديد  
مواعد، رحلاتي وعداتي العديدة ولم تنسها إلى الساعة السابعة أو السور الصحيح أو اليوم

الصحيح. وقد سمعت أن المخطوط الأصلي قد ثبت كونه<sup>(١٤)</sup> بعد أن نُقِلَ كتابي وليس تدعى نسخة من ذلك المخطوط. وعن كل حال، ها أنذا أرسل لك بعض التصحيحات التي يثبت أن قدّخها في الكتب ثم ظهرت منه طبعة ثانية. ومع ذلك فاشتُ أثير عن ذلك وأثرتُ للمحققين والمفسرين من قرأني أن يصححوا الأمر كما يشاءون.

كذلك علمت أن بعض رجال البحريين جنسنا من بني الياهو يُحفظون اصطلاحات البحرية ويعبرون الكثير منها غير صحيح أو لم يمتصموا<sup>(١٥)</sup>. وهذا أمر خارج عن إرادتي فتم دخلاي لأدري. حيث كنت صغير السن، تعلمت لغة البحارين واصطلاحاتهم من بحارير كبير السن ولكنني اكتشفت بعد ذلك أن البحارين من بني الياهو هم كاشافهم من القبطين على البر، مولدون مجسدين من انكليات التي تغير كل عام. وأذكر أنني عاد كل عودتي إلى بلادي، كنت أجد لعنهم القديمة قد تغيرت ولا أعاد أنهم مصطلحاتهم الجديدة بل إنني لاحظت أن كثيرا حضر أحد من بني الياهو من لندن ليرورني في بيتي بدفع العضوة. لا يستطيع أي منا أن يفهم عن مفاهيمه وانكاره بلادة ونهومة للأخر.

ولو كنت أثار شك بني الياهو لثوّر لدي سبب عظيم للتعذر من أولئك الذين يتجرون عن نظري أن كذب رجلاني ليس إلا قصة غداقة من نسج خيالي، ورسال بهم الأمر إلى حدّ إطلاق التهمة. بأن بني الياهو وبني الهويهم هم مثل بني يوتوبيا<sup>(١٦)</sup> ليس لهم وجود.

وفي الحقيقة لا شيء لي أن أعترف أنه بالنسبة لأهل لينيبوت وأهل يرويندجراج (هكذا كان يجب أن يُكتب هذا الاسم، وليس يرويندجراج كما نُجِب خطأ) وأهل لاسوتا، فني لم أسمع أحد من بني الياهو يشجع بإنكار وجودهم أو بالثبوت في التناقض التي رويناها عنهم. لأن الحقيقة بتسبع بها تعارض حقا يراها<sup>(١٧)</sup> وليس هناك أحد ثبت في صدق وصفني لبني الهويهم وبني الياهو. إذ من الواضح بالنسبة هؤلاء أنه يوجد في هذه المدينة اثنتان. آلاف عديدة جدا منهم، وهم لا يخفون عن إخوانهم الموحدين في بلاد الهويهم ولا أن كونهم يستخدمون أوتغا من لوطانة. وفي كونه لا يسرون عروء. وربما تبيّن لإصلاحهم ولا لإمتاعهم. لو جمع كل أبناء هذا الجنس على صحتي وأطراي، ما عاين ذلك عددي صهيل ذبك احصائي من بني الهويهم. التدين أكتفٍ بها في إسعاري، لأنني ما رأيت أقدام منها، رغم نحصطها ونشهر اختلافها، بعض انفصائل التي لا تشوب الرذيلة.

هل تجرؤ هذه الحيوانات النعيسة<sup>(١٨)</sup> على الظن بأن اختلافي تدهورت إلى الحد الذي أدع به عن صدقي وصحة ادعائي؟ ومع أنني ياهو، فإنه معروف عني في طول بلاد الهويهم وعرضها. أسبقك ذلك خلال عامين (وأعترف أن ذلك كان طاعة في الصلوة)، بغض نوجيهات

مدي وأستلزي بعضهم ، فتأثروا به ، أو حثت من عبي نظام انظمة من كذب وتلويح  
 وخداع وتبذير ، يأتي من جمعية خذوا في بعض بي حلت . ولا سيما الأوروبي منهم  
 وهذا نوع آخر في هذا الموضوع المزعج من سمعهم . ولكن لا أريد أن أكتب لك شيء  
 من الإزعاج يذكرها لكن لا بد أن أذكره . لأن حرفة أو بعض عبيد تكلم في نفسي  
 انهوية قد دنا من جود الأحرار ، ينشئ وينشط في — تعامل مع بعض بي منكم من  
 ابيهم . ومن أخصر أعضاء أسرى الذين لا يقد في منهم . ولا شك في نورعت في محبة تعيد  
 مشروع سخط ، مشروع إصلاح من السامو في هذه المصلحة لكني كنت لأن ببلاد من سفارة  
 من هذه الفتاوى الوهمية

تتالي من أبريل ١٧٦٧

## من الناشر إلى القارئ<sup>(١)</sup>

مؤلف هذه الرحلات، السيد ليعويل جلفر صديقي الحميم منذ عهد قديم، كما أن بيبي وبينه صلة قرى من ناحية الأم. قبل ثلاث سنوات كان السيد جلفر قد تعب من مقاسمة الفضوليين الذين كانوا يزورونه في بيته في ريفريف؛ فاشترى قطعة صغيرة من لأرض عليها بيت منسب بالقرب من نيوروك في مقاطعة نوتنجهام التي هي مفضل رأسه. وهو يعيش هنا لأن مقاعدنا ومنتجع بن جيرانه بالاحترام والتسجيل.

دع ان السيد جلفر ولد في نوتنجهام التي كان يقطن والده، إلا أنني سمعته يقول إن أصل أسرته من مقاطعة أوغسפורت. وقد تأكد في سده حين لاحظت في مقبرة الكنيسة في بلدة باليري<sup>(٢)</sup> في تلك المنطقة؛ شواهد قور عديدة تحمل اسم آل جلفر.

لكن حين غادر؛ يفرط نوك بر يادي كويديت مجموعة من الأدوار؛ وفرضني أن أنصرف بها كما أرى مناسباً. وقد فرأيتها يومئذ ثلاث مرات: أسنوها واضح وبسيط، وأصيب الوحيد الذي أحدها فيها هو أن مؤنعا بهم بالتفاصيل الصغيرة، على عادة الرحالين. إن معطر الخبطة أصبح فرها، كلها وفي الحقيقة. فإن كتبها كان معروفاً لدى جيرانه، بالحرص على الصدق، سرحة أنه أصبح بينهم مضرب المثل في الصدق<sup>(٣)</sup>. فلو أراد أحدهم أن يؤكد شيئاً فإنه يقول: «إن الأمر صحيح وكأله ورد على لسان جلفر».

وبناء على نصيحة عدة أشخاص يحترمون بحسن ظنهم، بعد استئذان المؤلف، على هذه الأوراق، فقد قررت نشرها على ثلاث، راجياً أن تكون، وأو لبعض الوقت، تسية لشباب من سلائك، أفضل من الكتابات السوفية عن السياسة والحزبية.

حجم الكتاب الأصلي كان سيكون على الأقل ضعف حجم هذا الكتاب<sup>(٤)</sup>، لو لم أجد على حذف نصوص عديدة منه تتعلق بوصف الرياح وسرعاتها والذو، والجو، ومورنية أخرى حدثت خلال الرحلات المتعددة. ونصوص أخرى فيها تفاصيل دقيقة عن إدارة العمل في العوصف على طريقة رجال البحر، أو عن خطوط الطول والعرض. وأخيراً أن يؤدي حذف بعض النصوص هذا

إلى محيط أشيد جلفراً، لكنني فرحتُ أن تجملَ حجمُ الكتابِ مناسِباً قدرَ الإمكان معَ إصداراتِ  
القرءاء. وبطلَ غل حثاء، إذ كانَ جبهةُ شؤونك البعيرَ قد جعلني أنوثقُ إلى ارتكابِ بعضِ الأخطاء؛  
فلمني وحدى أعمى ورزُ فلتت. وإنَّ رغبَ لي قارئُ أن يرى الأملَ كله، كما خطتُه يد المؤلف،  
بأنني من استندت لتحقيق رغبته.

إنَّ مائدةَ لايه فمأخذٍ أخرى عن المؤلف، فقد أوردنا في الصفحات الآتية من الكتاب ما  
يرجى أن يقرأ.

ريتشارد ميبسون

# TRAVELS

INTO SEVERAL

Remote Nations

OF THE

# WORLD.

IN FOUR PARTS.

By *LEMUEL GULLIVER*,  
first a *SURGEON*, and then a *CAPTAIN*  
of several *SHIPS*.

VOL. I.

LONDON:

*Printed for BENJ. MORRE, at the Middle  
Temple-Gate in Fleet-street.*  
M, DCC, XXVI.

# رحلات إلى بلاد بعيدة ذات شعوب عديدة في العالم

في أربعة أجزاء

بقلم

يحيى جبر

الذي كان أول دأمر مؤرخاً له  
في عدة مناسبات

لندن

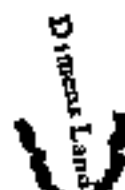
مطبعة ونشر بنيامين موند في

ميدن هيل جيت - شارع فليت عام ١٧٢٦

*Part One*



A Voyage to LILLIPUT





## الجزء الأول

### رحلة إلى ليليوت<sup>(١)</sup>

#### الفصل الأول

تؤلف، بمعنى نداء من حياته وأسرته. والأسماء الأولى التي أقرته برؤوس البحر. ثم سمى سيفته يسبح طيفاً للتحفة. يصل سائلاً إلى شاطئ بلاد ليليوت. يؤخر على الشاطئ ثم يتفر إلى داخل البلاد.

كان لأبي عمر صغير في منطقة ثوثخهام، وكانت الثالث بين خمسة أبناء. وقد أرسلني والدي وأنا في الرابعة عشرة، للدراسة في كلية هاثونيل في كامبريدج<sup>(٢)</sup>. حيث اكتسبت على دروسي خبرة ثلاثة أعوام. تكن نفقة إعلاني (رغم كونها صغيرة) كانت فوق طاقة أبي الذي كان دخله ضئيلاً؛ ولذلك تَقَلَّتْ نَافَعَتُ مع طبيب مزاج مشهور في لندن هو السيد جيمس بيش، وذلك قصصاً تحت التدريب، وبقيت معه أربعة أعوام. وكان والدي يفتخر بي، ولون والأخرا يبلغ صغيرة من النجوم، كنت أبتاع به كتباً عن علوم البحر واليابحار وغير تلك الأجزاء من علوم الرياضة التي تنفع من يغري رقبته البحر، إذ كنت أعتقد أنه سيكون من قدرتي أن أركب لحد ذات يوم. حين تركت السيد بيش عدتُ إلى والدي وحصلت هناك، بمساعدة أبي رعمي جون وبعض الأقران، على أربعين جنيهًا ووعيد بمبلغ ثلاثين جنيهًا سنويًا للاتفاق عليّ في مدينة ليدن<sup>(٣)</sup>، حيث درستُ انظم لمدة عامين ومبعة أشهر، إذ كنت أعرف أن هذا سيفيني في الترحلات الطويلة.

وبحالا عدتُ من ليدن وُلِّخِي امتدني الطبيب، السيد بيش، للعمل جراحاً في سيفته اسمها شوالو<sup>(٤)</sup> يقربها القبطان أبراهام يانز؛ فمكنتُ معه ثلاث سنوات ونصف؛ قمنا خلالها رحلة أو اثنين إلى الشرق وأجزاء أخرى من العالم. وحينها رجعتُ فوراً أن أَسْفَرَ في لندن، وشجعتني "ستاذي" السيد بيش، وأرسل إليّ العديد من المرضى لأعاجبهم. أعددْتُ جزءاً من بيت صغير في حي أولد جوري ثم عملتُ بصيحة بعضهم بأن أعبر حائلي الأجنبية، وتزوجتُ السيدة ماري

بيرون. الالة الثانية لبس إدوارد بيرنوت، وهو ناع ملابس في شارع ليونجيت، وحصلت منه على أربعة جنيه مهن<sup>(١)</sup>

ولكن حينما تَوَقَّي أمتاذي الطيب ينزل بعد ميتين. ركبنا أصدقائي قليبين، بدأ رسائي يتاقصون وذاعلي يقل. ولم يكن صميري يسمح لي بتقليد المراسلات السينة التي كان يقوم بها الكليرون جئ من زملاء المهنة. وبعد أن شاروت زوجتي وبعض معارفي قررت أن أركب البحر من جديد. رعمت مراء في سفينتين -التاني طيلة ست سنوات، فمئت خلالها برحلات عديدة إلى جزر الهند الشرقية والغربية، وبهذا جمعت بعض المال. ركئت في سماعت فراحي أفرا كتب جيرة المؤلفين من قداما وحديثين. وكنت دائما أترود بعدد كبير من هذه الكتب. وحين كئت أنزل إلى الشاهي، كنت اقضي وقتي في ملاحظة عادات الشعب وطباعه وفي تعلم لغته، ركنت دكرتي القوية تسهل نلت عبي

ولأن امر رحلة من هذه الرحلات لم تكن موفقة دائما، فمئت البحر وقررت أن استقر في بلدي مع زوجتي وأسرلي. وفتئت مسكني من أولد جوردي إلى شارع قتلون ومن هنا إلى والنج، على أمل أن يكثر زبائني من البحرة. ولكن الأمور لم تسر كما يرم. وبعد ثلاث سنوات من حبة الأمن في تحسن الأمور، فملت عرضا نجيا من القبطان ولتم بريتشارد، صاحب السفينة أليوت أنشي كان يرمع، أقام رحلة إلى بحر الجنوب. واقمتا من بريستول في الرابع من مايو ١٦٦٩، وعاتت رحلتنا في أول الأمر ناجحة جد

وقت لا يكون مناسباً، لبعض الأسباب، أن أثقل على القاري<sup>(٢)</sup> غصص مضمرة في تلك البحار. يتكفي أن أخبره أن في طريقنا من هناك إلى سائر الهند الشرقية نذفا عاصفة عيفة إلى غرب، شيك أرمس فأن يهمل<sup>(٣)</sup>. وبالملاحظة وجدنا أنفسنا على خط عرض ٣٠ درجة ودقيقتين حوتا. وقد تَوَقَّي من بعثتنا اثنا عشر رجلا بحيت مشقة العمل وموء التغذية، أما الناجون فكانوا في حالة إعياء شديد. وفي الخامس من نوفمبر، وهو بداية لصيف في تلك الأسماء، ركب الجو مكهمر<sup>(٤)</sup> والروية غير واضحة، رأى البحارة صخرة عن بعد ثلاثمائة تس<sup>(٥)</sup> من السفينة. ولكن الريح كانت عتيبة للدرجة أنها دفعتنا مباشرة نحو الصخرة وانشطرت السفينة في الحال. في هذه اللحظات كنت مع ستة من البحارة فد أترئت قارب النجاة إلى البحر وحدولنا الأبعد فيه عن السفينة والصخرة. وبيئت لتقليدي خذك مسافة تقرب من السبعة فرسخ، حتى لم يقك بإمكاننا التجذيف، خصوصا وأن فوات كانت قد شئت من مسافة بعض في السفينة قبل أن نغترعها، وهذا سلفنا لرحله الأموج. وفي حوالي نصف ساعة انقلب زورقنا على كرهة ربح مضجة فاعتت من التمال. ولست أعلم ما حدث لرفاعي أو الزورق، أو لملئ نكوا على الصخرة، أو للذين نقر في

المركب. وأظن أنهم قد هلكوا، حينئذ. أما أنا، فقد مبيتحتُ كما وجهتني الأقدار. وفعلتُ في الريح وحركة أبد إلى الأمام. وكثيراً ما ضحكْتُ لسائق أن تدليا فلم يُحبل قدامي إلى القعر. وحين أوشكتُ على الهلاك ولم يَلْنِ لديّ قدرة على مواصلة الكفاح، وجدتُ نفسي في مياه فضحلة لا تعمُر. وهنا كانت حصة المصاغة قد حُدَّت وكان الانحدار حقيقياً بحيث لقيتُ منيبتُ قرابة مئة قل ثم أحبل للسطح. وكان الوقت حب تغديري حوائي السابعة الثامنة مساءً. ثم تقدمتُ للدخول فزاة مصف ميل مليح فخرتُ على أثر لوجود بيوت أو سكان. على الأقل كُنتُ في حانة من النواصير، للشديد لعم الاضطراب شيئاً. ولما كُنتُ في غيبة (إرماني). وكان الجو حاراً، وكُنتُ قد شربْتُ نصف فارورة من استبد قبل مغادرة السفينة، فقد غلبني النعاس وغفوتُ فوق علب قصير ناعم وفُتحتُ اعتمدتُ نومة. ولا أنكر أنني فُتحتُ مثلاً في حباب. واعتدلتُ نومي. حب تغديري. أكثر من سبع ساعات. لأنني حينما استيقظتُ كان ضوء النهار قد بزغ<sup>(١١)</sup>. حاولتُ أن انهض فوجدتُ نفسي عاجزاً عن الحركة. وبما أنني كُنتُ مستغيثاً على ظهري، فقد اكتشفتُ أن ذراعي وساقِي كانت في قلا بِلَتَيْن مشدودتين بقوة إلى الأرض، كما وجدتُ شعري العويل الكثيف مربوطاً أيضاً بالأرض بنفس الملوّب. كذلك رجذتُ رُبطاً رفيعة على عرض جسمي. ابتداء من إبطي حتى مَعْدُنِي. لم أستطيع أن أرى إلا ما هو فوقِي. كانت حرارة الشمس قد بدأت تزداد، وأحسستُ بضوئها يزددي عيني. وسعيتُ أصواتاً ملوثة مرحوي، لكن الوضع الذي كُنتُ عليه لم يُنجني أن أرى شيئاً سوى السماء. وبعد فترة وجيزة شعرتُ بشيء خبيث يتحرك فوق حامي اليسرى، وراح يتقدم يرفق حتى صار فوق صدري وكلا يصل رؤي دَقِي. خففتُ بصري إلى أقصى ما أستطيع، فبُنى لي هذا الشيء غلوماً بشراً لا يزيد طوله عن ست بوصات<sup>(١٢)</sup>. بمعمل بين يديه قوساً ونشاًن وعمل ظهره كثافة بهائم. وفي الوقت نفسه، شعرتُ بما لا يقلُّ عن أربعين آخرين (حب تغديري) من جنس هذا المنحوي يسرون في أثره. وكُنتُ في دُعشة بالغة ورأيتُ بأهلي صوتي فاريدوا جميعاً مذعورين، وأصيب بعضهم بالأذى. ثم قيل لي فيما بعد، حين ففزوا عن جوانبي وأرتطموا بالأرض. لكنهم سرعان ما رنحوا. ونجراً واحد على الآخر حتى نُكِّن من رؤية وجهي كله، فرفع يديه وعييه إصحاباً، وصاح بصوت رنجع لكنه واضح. هيكته ديجل<sup>(١٣)</sup>. وكرد الآخرون هاتين الكنتين مرات عديدة، لكنني لم أفهم المعنى حينذاك. ويمكن للقارئ أن يتحلى ما عانيته في هذه الأثناء وأنا مستلقٍ طيلة الوقت على ظهري. ولحسن الحظ استعنتُ أحدهم وبعد كفاح مرير، أن تُقَطِّع بعض الخيوط وتُفَتِّح بعض الأوتاد التي كانت تلد ذراعي الأيسر إلى الأرض. وحين رفعتهما إلى وجهي اكتشفتُ الأساليب التي اتبعوها في شدِّ وثاقي. في الوقت نفسه، وبعد شدة عنفة سَيْتُ لي ألما فظيماً، استعنتُ أن يُزَيِّن لي قليلاً أخيراً المربوطة في شعري من الشاحبة اليسرى بحيث صار بإمكانني أن أدير رأسي مصافقة بوصفهم. لكن تلك المخلوقات ولَّتْ هاربة مرة ثانية قبل أن اسمتُ بها. وحتى الغور انطلقت صرخة عظيمة شدة حادة. وحين انتهت هذه الصرخة سمعتُ أحدهم يصيح بصوت

قال: **تولحو قوناق** (١٢٧). وفي الحان شعرتُ غا يزيد على مائة سهم تُثقلُ عن يدي اليسرى فتَمَرَّها وكأنها إتر. وبالإضافة إلى ذلك استقروا ريثلاً آخر من السهام في الهواء. كما نفعنا بالقدائف في أوروبا، وسقط العديد منها. كما افترض، على جسدي زرع أني قد أحس بهم، كما سقط بعضها عن وجهي الذي سارتُ شغلتيه يسي اليسرى. وثا. انتهى هذا التواليل من سهام رحد. أجازُ بالانين حرًا وثا. وحين صرحت مرة ثانية أن تلك قبودي، مضروب بوبل آخر من السهام أكبر من الأول. وحاول بعضهم أن ينخروني في جوانبي برماهم. ولكنني لحس الخط كنتُ أبس مطلقاً من الحيد. ولم نستطع حراهم أن نحتزم. وأكرتُ أنه من حسن التصرف أن أركن رؤي أسكون، ومن حسن التخطيط أن أبقى كذلك حتى نجمع الليل. وتكون يدي اليسرى قد أصبحت مقلقة لألفها بها ونقي بسهولة وسر. أما بالنسبة للسكان هناك، فإن استطاعني أن أوجه أقوى حيوش لي قد بهمني إذا كان لجد جرمًا حجم مخلوق ليدي رأيت. لكن القدر كان يرسم لي مصير آخر. ولما لاحظتُ أن تلك الناس مدوني توفوا، عن طلاق السهام غني. لكنني عرفتُ من إزبداد الضميج أن أعدادهم كبرت، وسعدتُ عن بعد حوالي أربع يارنات من أذل البيني. أصوات طرق ردف لمنة تزيد على الساعة. ولأذرتُ رأيي في ذلك الاتجاه بقدر ما سمعتُ تلك الحورود والأوتد. شاهدتُ مئة منصوبة على رناب غدم نصف عن الأرض، تسع لأربعة من نككن، وحرغا سُكُن أو ثلاثة سلال للدهود إلى المنصة. ومن فوق هذه المنصة كلمني واحد منهم كان يسر أنه شخصية مرموقة. وألقى على سامعي حصلاً طويلاً لم أجد منه شيئاً، كان يجب أن أذكر أنه قبل أن يبدأ هذا الشخص لهم خطبة، كان قد صاغ ثلاث مراب. لا تجرو ديتل ساك (١٢٨) (عدد الكلمات والتخيرات السابقة أعيدت على سامعي فيما بعد وشمختُ في) وعن انغور تقدم نحوي أربون من النكان وقطعوا الحورود التي كانت مربعة الجلب الأيسر من رأسي. وهذا أتاح لي أن أحررهم نحو التحية البيني. وألاحظُ شخصية وحركات الشخص الذي كان سخطني. بهذا لي أنه في متوسط العمر وأنه مُتون من لي من الثلاثة الذين كانوا يرفقون: أحدهم كان وصيفاً يحس به انغمسه رداً أنه أحول قليلاً من عصي الأوسط. أما الآخر، انيامان فوقاً أحدهما عن يمينه وذيها عن يساره بسند. أما هو فقد قام بشور الحظيف القوم. ولاحظتُ في خطبة ركة التهديد والوعيد نرف، ولمحة التودع والترغب ثابة أخرى. ورثة انرف، والعطف ونخبة الرقة والتلفظ. وَرُذُذْتُ عليه بعض الكلمات بلهجة التسليم والتطوع، ورفعتُ يدي اليسرى. وبميتي حور الشمس وكأني أدعوهم لتكون شاهدة على صفو قولي. ولأنني كنت في غاية الجوع. كُؤُ. لا أتناول لقمة واحدة منذ قبل أن أُنشد السقية بساعات، فقد وجدتُ معذب الظهيرة في نيلغ غلي وخاس شديدًا. لا ألقُ عليه صبراً. ورسيتُ (وربما كان ذلك فلة أوس وفلة حياء) أصح أصبعي على دموي مرزاً ونكراراً لأبيّن أنني جائع وأحتاج طعاماً. وقد نهيم الهوركو (هكذا يسمون سيد العظيد عندهم كما نسميُ فيها

بعد نصدي ومتدي فتز عن النصة وأمر بوضع السلام على جاني، فصعد عليها مائة منهم. وساروا نحو نسي وهم يحملون سلاخاً من اللحم التي كانت قد أجدت وأرست لي بأوامر الملك الذي أصدرها حالاً مع وجودي. كانت تلك اللحم من حيوانات عديدة، لكنني لم أستطع أن أسير بعضها من غير بواسطة النظم. كان بها الكبد، ونحاذ ونحوها، فما شكن أعظم، والحروب، وكانت تبهرة ومطبوخة بشكل شهيق حار، لكنني أصغر من حش الحقة. ركبت النهم النير أو لئلا من في المقدمة الواحدة، كما كنت أكل ثلاثة ثلاثة دابة واحدة، فهي لا تزيد عن حجم قذبة مدرس. وقد راحوا يزدوني بالنظام بأسره ما يستطيعون، وعلى ملاحظهم علامات التعجب والذهول من قدر حصي رفقة شهيق. ثم أشرت لهم أنني أريد شرائاً وأدركوا من أكل، أنه لم تكفي كمية صغيرة من الشراب؛ فتدركوا الموقف بطريقة تدل على براعة عظيمة. وقد رفعوا نهرة ذائقة واحداً من أكبر المراسيل عتدهم ودحرجوه نحو يدي ثم فتحوا من أعلاه، وأشرت كن ما فيه بجرعة واحدة. ولا غرابة لي ذلك لأن محنراته كلها تنال عن نصف لتر، وما طعم نبيد البيرغندي، لكنه ألق منه. وجاءني برميل ثانٍ وأشرت به بأسلوب نفسه. وأشرت هم طاك الحريد؛ لكنه لم يكن قد غني لديهم شيء منه. وحين قلت بهذه الأند، لمحبيته المحرقة، راحوا يصيحون سروراً ويرقصون على صدري طرباً، ويكرهون مرات عديدة ما قالوه في أول الأمر. هيكلية يخل، وأشاروا إلي أن أومي ليرميين الضارعين بعد أن اندروا زفافهم الواقفين على الأرض أن ينعدوا، وراحوا يصيحون: *بوراً مبولاً*!! وحسب أن الأرميين في البحر تطلق من حناجرهم جيماً صيحة واحدة: هيكلية يخل. وأعترف أنهم يمس كانوا يسرون حبله وذهاباً فوق حسني، راودني نفسي أن قبض على أول أربعين أو خمسين تطولهم يدي، وأحطهم بالأرض حتى تنكر عظامهم. ولكنني تذكرت الأمر الذي كان قد أصابني منهم والذي ربما لا يكون أسوأ ما يمكن أن يفعلوه بي. كذلك تذكرت وعد الشرف الذي قطعته لهم. هكذا سرت نفسي ضعتي لهم، فاختضت من دمي تلك المردة الشيطانية. ولا ضارة لي ذلك، اعتبرت نفسي الآن ملتزماً بقوانين الضيافة تجاه الناس أكرمونهم بخاء. ومع ذلك، كنت في أعماقي منهشاً شدة اندعشة ما يذهب هؤلاء البشر الأقزام من بسالة وقدام حير بصمدون إلى جسي، ويسرون فوقه. في حين كانت واحدة من يدي طلبية، دون أن تترك فرانسهم تدر رؤية مخلوق هائل في مصغاه مائل. وبعد فترة وجيزة، حين لاحظوا أنني لم أطلب مزيداً من اللحم، ظهر أمامي شخص ذو منة زبعة مشوياً عن جلالة الامبراطور. وبعد أن صعد سبعانه فوق الجزء الرفيع من منقبي، تقدم صاعداً نحو وجهي تبعه اثنا عشر شخصاً من حاشيته. وبعد أن قدم أرواقه مجهزة بأحاطم الملكي، وقربها كثيراً من عيني، راح يتكلم لمدة عشر دقائق، دون أن يظهر عليه علامات الحضب، بل بلهجة ساذجة صليمة. وكان يكثر من الإشارة للأمام، أي نحو العاصمة. كما همكت فيه بعد. وهي تبعد حوالي نصف ميل. وكان لا يطرود. قرر مع مجلسه أن نأكل إلى هناك. ورددت عليه بضع كلمات، لكن دون بدري. ثم عمدت إلى سريرة

بيدي انطليقة، يوسعها (من فوق رأس سماته حوضاً من يده أو إلهاء حاشيته) عن يدي انطليقة، ثم على رأسي وعن جسمي، لأني أريد في فني قيودي وكثير حربي. وبدا لي أنه فهم قصدي جيداً، لأنه هز رأسه علامة عن الفرض ورفع يده بطريقة تعني أنني سأنتقل إلى العاصمة كأمير. لكنه أعطى إشارات أخرى ليخبرني أنني سأعطي ما يكسني من الطعام والشراب وسأعتمد معاملة جيدة. وعند ذلك خطر لي مرة أخرى أن أحاول تحميم قيودي، ولكن تخطت لي «الأم» التي سبقت لي سهامهم، والأثار التي تركتها نبت السهام في كل وجهي ويدي، وبقي النصال التي انعزرت وانكسرت فيها، كما لاحظت أن صدهم قد زاد. ولهذا أعطتهم إشارات تدل على أنه يمكنهم أن يفعلوا بي ما يشاؤون. عند ذلك، انسحب الموركو وحاشيته بأرب جثم ووجوه مستبشرة. بعد ذلك سمعت صيحه جهورية تكررت فيها كلمات ييلوم ميلان<sup>(١)</sup>. وأخششت أن أعداداً كبيرة منهم عند جانبي الأيسر، يقومون بإرخاء الخيول، لدرجة أتاحت لي أن أنقلب نحو جانبي الأيمن وأريح نفسي من التوتر الذي انطلق بفزارة أعضيتهم غيرة الدمنة. وكانوا قد حرروا من حركات ما كنت سأفعل فابتعدوا لي إحدال يميناً أو شمالاً عن مجرى النهر الذي اندهب مني كالشلال الهادر الخفيف. لكنهم قبل هذا كانوا قد دنسوا وجهي ويدي بتراب زحني الرائحة، وفي بضعة دقائق أزال ذلك الطمخ كل آثار الألم والأذى الذي سببته سهامهم. هذه الأشياء كلها، بالإضافة إلى الرائحة التي أحسست بها. بعد تناول الطعام لسمم والشراب القذيف، جعلتني أشعر بالنعاس. ونمت ساعات نهاية كما أكدوا لي بها بعد، ولا غرور في ذلك، عند كان أجليأهم، وبأمر الإمبراطور، قد وضعوا مدة سبوتة في برميل الشراب.

وبعد أنه لي انماظه أنني قد فيها اكتشافاً دائماً على الأرض بعد وصولي إلى النهر، ثم إبلاغ الإمبراطور بذلك بواسطة رسول خاص، فمض اجتماعاً على النهر، وقرر أنه يجب تفقيدي وشدة وتلقي بطريقة التي ومنقتهأ اعلاء (وقد تم ذلك في الليل وأمامهم)، وأن يرسل لي الكثير من الطعام والشراب، وأن يتم تجهيز آلة لتحمني إلى العاصمة.

وربما يسو هذا القرار جريئاً وخطراً، لأن لودنق أنه لا يوجد في أوروبا حاكم يتخذ قراراً مثلاً تجاه وضع عمال. وفي رأيي أن هذا القرار كان غاية في الحكمة والتكرم. إذ لو امتزجت أن هؤلاء القوم حاربوا قتل مرأحهم وسهامهم أثناء نومي، لكنت استيقضت على أحاسيس الألم، ولأشعر ذلك غصبي وأهبط قوتي بحيث أتمكن من قطع الحبل التي كانت تقيدني، وبعد ذلك ما كنا نستطيعوا معونتي وما كنت لأرحمهم.

يشرف هؤلاء القوم في علوم الرياضة، وقد توسلوا إلى كمال عظيم في الميكانيك بواسطة الخشبة والتشجيع من الإمبراطور الذي اشتهر برعايته لتعليم. ولدى هذا الأمير آلات عديدة عن عجالات

لحمل الأشجار والأشياء ذات الأوزان الثقيلة جدًا. وكثيرًا ما بُني أكبر سفن الحرية التي يبلغ طول بعضها ثمانية أقدام في الذوات حيث ينوفر الحنط. ثم يحمى عن هذه الآلات مساهمة ثلاثية أو أربعانية يرد إلى البحر. وقد خُذ في حال خسارة حجار ومهندس لتجهيز أكبر عرب في تاريخهم، وكانت هذه العرب تتألف من هيكل من الخشب يرتفع عن الأرض مسافة ثلاث بوصات، وطوله ستة أقدام وعرضه أربعة، وتحمله اثنتان وبشرون عجلة. والمصيبة التي كنت قد سمعها كانت بسبب وصول هذه العرب الفضة التي استغرق إنجازها أربع ساعات بعد وصولي إلى النزل. وقد وضعوها بموازاة وأنا ذم الصعوبة الرئيسية كانت تتعذر في رملي ثم وضعي فيها. عقوا في الأرض ثلاثين عامودًا حذا الغرض، وكان طول كل عامود قدمًا واحدًا، وكان على كل عامود مكرة يندى منها حيط قلب منير جدًا ينهي بحطف. وقد ثبَّتْ هذه الخطاطيف سارية كان السهل قد حُرِّقوا بها منفي. يجسبي ويدي وماقي. ثم استخدموا سارية من أقوى رجايم لشد خطوط السحب لأعلى بواسطة البكرات المثبتة في الأعمدة. وهكذا استطاعوا في أقل من ثلاث ساعات أن يرفعوني ووضعوني فوق العرب، ثم تَجَنَّبُوا تفدي فيها. وقد غُبِطَ هذا فيما حد، لأنني كنت قابعهم بينه الأعمدة، كنت أظن في نوب عميل متأثر الهواء النسيم الذي تَسَّس في شراي. وقد استُخْدِم في جز العرب التي حملني زو العاصفة التي كانت، كما أَسْلَفْتُ، تبعد صف ميل، ألف وخمسة مائة من كبر شيول الأمراطور والتي كانت طول ثمانية لواحد منها يبلغ أربع بوصات ونصف.

بعد أربع ساعات من بدي رحلتنا، أيقظني حدث طريف ومجيد جدًا. كانت العرب قد توقفت فترة ريثما يتم إصلاح بعض فيه. وَزِدْتُ المتفوض في اثنين أو ثلاثة من شينهم، الرغبة في رؤية حالي وأنا نائم، فصعدوا إلى العرب وتعميرا بخنجر وهدوء لجرحي، وقَسَّ أحدهم، وكان ضابطًا في الحرس، راسي راحة داخل منجري لأسر، مدغغ ذلك أنني كما تعمل الفتنة، مما جعلني أغمض عيني، فاستلوا متعبين عني دون أن يلحظهم أحد، ولم أعلم إلا بعد أسابيع ثلاثة بسبب بنظري الفعالية. وفضض مساهمة شوية فيما تبقى من هذا النهار، وجر استرخ. خلال الليل وقف خسارة من الحرس عن يميني ومثلهم عن يساري، فصلهم بمحبرون المشاعل والنصف الآخر عن أتم الاستعداد بأمواسهم ومهاهم بطلقوه على إر حاولت الحركة. وفي الصباح التالي عند نزوع الشمس، استألفنا رحلتنا حتى وهذا عن بعد مائتي باردة من أبوت، المذنب. وخرج الأمراطور وحاشيته كلها للاقتنا، لكن كبار حياطة لم يسمحوا أبدًا لخلالته أن يصعد فوق حسمي خشية أن يتعرض لشخصه للخطر.

المكان الذي وَفَّقْتُ عنده العرب كان معبدًا قديمًا<sup>(١٧)</sup> وأكبر المعابد في المملكة كلها. لكنه كان قبل بضع سنوات قد تَدَسَّس بحدوث جريمة قتل غير طريعه فيه. وهذا أصبح في نظر أوانك القوم، وحسب معتقدهم، مكانًا مذكًا لا تصح فيه العودة، فحُصِّل للاستخدامات العامة بعد أن مُرِّد

من كل ما كان فيه من أهلك وزينات. كان قد تقرر أن أقوم في هذا المني. انتهى كانت بواته الكبيرة  
تواجه الشمال، وتبلغ أربعة أقدام ارتفاعاً وقسمين عرضاً، وكان يؤشع النخل أو الخروج منها  
زحفاً. وعند كل جانب من حائطي البوابة كانت توجد نافذة صغيرة لا يزيد ارتفاعها عن الأرض  
أكثر من ست بوصات. وكان خزانو أهلك قد نُشر في النافذة التي على اليسار، يُحذى ونسجيد  
سلسلة كنانك للسلام. لني نفاذ منها ساعات السجدة في أوروبا، ونفس حجمها تقريباً. وقد  
قُدِّرَ ما بقي اليسرى يده السلام بواسطة ستة وثلاثين قفلاً. مقابل ذلك المعد عن الحائث الآخر  
من طريق السور، وعن بُعد عشرين قدماً، كان يوجد برج لا يخل ارتفاعه عن خمسة أقدام. وقد  
عددت الأمر طور مع أكثرين من كبار الثورات من حاشيته إلى هذا البرج لتتبعهم فرصة رؤيتي،  
كما قيل لي. لأنني لم أستطع أن أراهم. وقد قُدِّرَ عند الناس الذين خرجوا من المدينة لهذه الغاية  
أكثر من مائة ألف. وزعم وجود الحراس عاني اعتقد أن عدد الذين تمكنوا على قوات من ارتقاء  
السلام والوقوف على جسدي يربو على عشرة آلاف. لكن سرعان ما صدر أمر جمع ذلك وبعده  
من يخالف الأمر بالقوت. وحينئذٍ أُعْلِنَ أني أستحيل عن أن أعظم قيودي وأعرب، قطعوا كل  
الحبال التي تربطني بالعربة، فسارعته بالنبوض والوقوف وأن في أشد حال وجهيها في حبال، لكن  
التصحيح الذي صدر عن الناس والذهول الذي خبى عليهم حين رأوني أنصر وأعشي، كان أكثر من  
المرء. كانت السلاسل التي قيد ساني اليسرى بطول ياردتين، وهذا أتاح لي أن أسير للأمام  
والخلف في نصف دائرة. وكنت هذه السلاسل ممتدة على بُعد أربع بوصات من البوابة، وهذا أتاح  
لي أن أزحف إلى داخل المعبد، وأن أستلقي دونه بعربي كُفَّه وبكامل جسدي



## الفصل الثاني

امبراطور ليبيوت يأتي، ويصفته حشد من البلاء، لشاهد المؤلف في السجن،  
وصف للشخص الامر مور وسور. تعزين على، تعليم لثلاث لنتهم طبعه اهادي  
وحسن تصرفه بكسه الحظوة. تحيل حيويه ومعارفة سبعة ومسدسه.

سين وجسني وقتا على قمني، نظرت حوي، ولا بد ان اعترى. اني لما ار قط مشوذا اكثر  
حوي واماش، بدا لي لربف وكانه حديفة مصلية. اما الحشون السورة والتي كانت مسحة الواحد.  
مها نبع شكل عام ارجين قدما مريفا، فقد بذت وكأنا مشتل عديدة للزهور. وكانت تتدخل  
بين هذه حقول عابثت تبلغ مساحتها ثمن فدان، وأصول الأشجار فيها تتبع حسب انديري سبعة  
أقدام رزهاغا. اما الفدنة عن يدري فقد بذت وكأنا مشوذا لسين موسوم في سرح

كث نضجة ساعات اعني اشد الغماسة من حنجي إلى التعرط. وبكث انقرب هذا بالامر  
المستغرب، لأن آخر مرة تخلصت فيها من سفاط كانت قبل حوني يومين. وكنت انقرب بين احاجة  
الملحة لثنية داء الطبيعة واخجل من فعل ذلك. وحطري ان اخلص حل للموقف هو ان ارحل  
إلى داخل المعد. وهذا ما فعلته، وأخفت البوية خفي وذهبت إلى بعد ما تسمح به انعلاسل  
التي تقيد. وأمرغت من جسدي كل ذلك الخجل المتعب. وكانت هذه المرة الوحيدة التي اقرفت  
فيها ذلك الفعل الفذ، وأرجو ان يغفر القارئ التوبه في هذه التوبة بعد ان يفكر في حالتي ولورطة  
التي كنت فيها. بشكل ناضج وغال، من المعصب. بعد هذه التوبة، أذهبت ضريبة واحلد نابتة.  
كنت افسر سكرًا وأقضي تلك الحاجة في العراء على بعد مسافة تسمح بها قيودي، وفي كل صباح  
كانت ثوانك تلك لمدة التوبة التكرية، ويختلف مكانها من ان يزوري أحد. كان يحصلها في عربات  
صغيرة حادمان محصنان لهذه الغاية. وما كنت لأتوقف طويلاً عند هذا الموضوع الذي قد لا يبدو  
مهمًا لأول وهلة، لو لم أجد انه من الضروري ان أذكره سامعي أمام العلم في مختص موضوع  
النظافة التي قبل لي ان بعض المثمنين من اعناني ان يتحدون من هذه حادثة وأنها نتيلاً على  
عدم حرصي على النظافة.

حين انتهيت من نلية داء الطبيعة، عدت إلى خارج المعد وأنا بحاجة إلى هواي نفسي. وكان

هذا الامر اصور قد نزل من شرج نعيم وتقدم بحري متطيا جواده، وكان هذا الامر بكافه حياته. ذلك ان اخواه، رغم تدرجه الجيد، لم يتر فط مشهده مثل، إذ بذؤت له ركانتي جبل بتحرك اسمه، ففر ووقف على رجله الخدين. لكن الامر كان فريسا متعرجا. وطن ثابت على ظهر جنوده حتى اسرع نحوه اتباعه، وامسكوا بحبال جوده حتى قيسر خللكه الى برجل. وحين سم له ذلك، راح يدور حوي ويضحصني بعينين ملوفا اندهشة ولا حجاب، لكنه ظل ابعد من أن نقوله يدعي. ثم امر المباحين والسقائين أن يندموا في ما كانوا اعذوه من طعام وشرب، فراحوا يندمون نحو في أربعة على عجالات حتى نصل الى وثاوت كن ثلث لالوعة، وفي وقت قصير افرغت عتوبها في حوفي، عشرون منها كانت مخوفة لحيا وعشرة مخوفة شرا. اما ثمانية الطعام فكان في الواحد منها بكني للقميص او ثلثا. اما قوارير الشراب، فالتشر الفخاريه فقد صبت في ما فيها في واحد واحد وشربته جرعه واحدة. وكان الامراضورة، ورفقتها صفار الأسر، والاميرات من الأسرة الملكية وبعض السيدات، نحاس مع حاشيته على الكرام، وعلى مسافة اشد. وحين أجعل جواء الأمير وحصل بعض المخرج، زلزلت هي وحاشيتها عن الكرامى واقتربوا حيفا من شخص الامبراطور الذي حاصفه فيا بي. كان أطول من أي شخص في حاشيته بقدر غرضي افترى<sup>١١</sup>. وهذا وحده كان كافيا لريادة هيبه لدى من يشهده. كذلك كان في ملاحه قوة ورجولة<sup>١٢</sup>، فثقت غاوية<sup>١٣</sup>، وانه مقوم، وشرته زبونية، ومليته منصبة بفضة، وجسده راضاه متسعة. وكان في حرقانه حفة ورشافة وفي سلوكه هيبه وجلال. كان حيداك قد تجاوز مرحلة الشباب<sup>١٤</sup> إذ كان عمره ثمان وعشرين سنة وثلاثة أرباع سنة، وكان قد جلس على العرش منذ سبع سنوات<sup>١٥</sup>، كانت عامرة بالمعانة وزخرفة عمرها بالانصارات. ولكي أراه بشكل أفضل، تحدثت في جاني بحيث صار وجهي موريا لوجهه الذي كان بعد عني ثلاث يادوات. وبعد ذلك المراقبة أتيح لي أن أقعده على راحة يدي عدة مرات، ولهذا لا يمكن أن أخرج عن حقيقة الوصفه، كانت توبه عادية وبسيطة جدا، وتظهر بين الأسوري والآروبي. ولكن كان على رأسه تلمذة خفيفة من الذهب، مزينة بالجواهر، وفي أعلاه ريشة كان قد أقر فيه مسئول أن منه يدافع به عن نفسه لو حاول أن أحطم قيودي، وكان طول نصل فيه ثلاث بوصات تقريبا. أما مقبضه ومدهه فكان من الذهب المصعق بالاناسي. وكان صوته رهيما لكنه واضح وفصيح<sup>١٦</sup>. وكان يوسعي أن اسمه بوضوح وأنا واقف. أما السيدات والافواه، فحاشية فكانوا يرتدون ملابس عذبة في الفخامة، بحيث أن المكان الذي كانوا يقعون عليه بدا وكأنه لوب نسائي معزود على الأرض، ومرحب بأشكال عديدة معززة بخيوط من ذهب وفضة. وقد أحاطني جلالة مرات عديدة ورددت عليه مرات ماثلة، لكن لم يفهم واحدا كلمة مما قلت الأخير. وكان حوله الكثيرون من الرهبان ورجال نقانون في ثياب من ملاسهم. وقد امرهم أن يحاطوني، كما في ردود عليهم لكل اللغات التي تحدثها جيدا أو بعض المعرفة، ومنها

البلدان الألمانية والبولندية واللاتينية والفرنسية والأجنبية والإيطالية، ويحافظ منهم<sup>(٤٧)</sup>، ولكن دون جدوى، ربح حوالي سبعة عشر انسحر. الامبراطور وعاشيته وبقيت معي فرقة قوية من الخوارج لكي تمنع عني وقحة الرعاع وربما خذهم<sup>(٤٨)</sup>، فقد كان هؤلاء يتزاحون حولي ويغريهم حينهم بالاقتراب مني. وقد بلغت الجهادة ببعضهم هذا جعلتهم يطلقون سهامهم عليّ وأنا مائل على الأرض عند باب مسكني، وقاد أحد سوارهم مصعب عيني اليسرى. لكن نائد الحرس أمر بالقبض عني ستة من مشيرتي النخب. ورأى أن أُنسب عقاب عم هو تسليمهم إلى مقبدين. وقد بُدّ الحواري أمره وزاحوا يدفعون هؤلاء الستة بأعقابهم حتى أصبحوا في مشوك يدي. وأمسكهم جميعاً بيدي اليمنى ووضعت خمسة منهم في جيب معصمي، أما السادس فقد تضرعت باني مأكلة حي. وقد رجح المسكين يزعمي رعباً وهماً. أما انقائه وصاحته فقد بدا عليهم الرشد، وخصوصاً عندما رأوني أشرح سلكي. نكبي سرعان ما هذأت رؤيتهم إذ نظرت إليه بعطف، وفي الحال قُطعت الجبال التي كان مفيداً بها ووصفته يرفز عني الأرض فراح يعدو مبتعداً. وعدلت بحكمة الآخرين بالأسلوب نفسه بعدما أخرجتهم من جيب واحدٍ إثر الآخر. وقد لاحظت على وجوه الناس واجود علامات السرور والابتهاج لما شاهدوه من صميمي ورحمتي، وقد قُبلت أخبار هذه الحادثة إلى القصر حيث أعطت عني انتباهاً جيداً نصحتي كثيراً.

وعندما اقترب الليل دخلت بصحبة إلى مسكني حيث بُثت على الأرض وسُويتُ أعمل ذلك طيلة حوالي سبعة عشرين. وفي هذه الأثناء أصدر الامبراطور أوامر بصنع لمخبر في. أحضروا سبعة مرتبة من مراتبهم العادية داخل هرياب بن مسكني. وحولوها إلى غرفة في مكتبة من أربع طقات. في كل طبقة مائة وخمسون مرتبة تحيط معاً عرشاً وطولاً. وكانت هذه الترتيبات لا تكاد تضيء بالفخوس، لكنها خفيت من صلابه الأضواء التي كان مكتوباً من حجرة ملابس. كذلك أغدوا بي، وبالقصص التي نكسها. ملايات وشراشف وأغطية لا بأس بها بالنسبة لإنسان مثل متعود على مشاق الحياة منذ عهد طويل.

وحيرت ذاتها أحدى وصولي في أرجاء المملكة، توافدت أعداد هائلة من الناس لرؤيتي. جاءه الأغنياء والمعلماء حيث مدقوعين بحب الاستطلاع، مما كاد يضرع القرى من أهلها ويؤدي إلى هلاك الناس تفاحتهم وزناعتهم وأهمهم القتلية. لكن جلالة الأمر طرد أخذ احتياطات عديدة، فاصبر مجموعة من الإعلانات والتقارير والمراسيم التي تحول دون وقوع هذه النتائج المؤسفة. وقد أصدر أمرًا بوجوب عودة من زائري إلى منازلهم وبكثرتهم، وأمر أن لا يقترب أحد إلى مسافة خمسين برصة من مسكني إلا بعد الحصول على رخصة بذلك من القصر، بهذا فكسب انوراء من جباية رسوم كبيرة.

في هذه الأثناء عقد الامبراطور جلسات متعددة لمناقشة فصل السبل للتعامل معي. وقد أكد

في أحد الأصدقاء في بعد، وكان هذا الصديق شخصية هامة جداً وعلى اتصال على استمرار الدولة، أن رجال القصر نزلوا صغريات عديدة تتعلق به، فقد كانوا يشعرون أن أحاول تحطيم قبوتي والفرح حربي. أو أن نكلمهم (عالي) حالاً رتب جماعة في البلاد. وفي بعض الأحيان قرروا أن يجمعوني حين الموت، أو على الأقل أن يصفروا على وجهي ويدئي سهماً مسومة تقتلني على الفور. ولكنهم عانو ودرسوا الأمر وعشروا أن تؤدي النوايا النكزية التي سبغت من جينتي للضحة إلى ظهور ضاعون في العاصمة قد ينتشر في جميع أنحاء المملكة. وفي وسط هذه المشورات والمداولات، وصل عدد من الصياد إلى باب فاعة المجلس الكبرى، وسُيخ لاثين منهم بالدخول: فقدما تقريراً بأسوأهم مع المجرمين استة كما زُعم أنه علاء مما ترك في صدره لك وصدر جميع أعضاء مجلسه انطباعاً جيداً في مسأله، ودفعهم إلى إصدار أمر أمراطوري يفرض على جميع الخرى الواقعة على مسافة تسعة ياردة حول العاصمة: أن تقدم كل صباح ستة من الثيران وأربعين من الغنم ومواد غذائية أخرى لطعامي<sup>١٠١</sup>. مع كميات مثابة من الخبز والخبث والشرابات الأخرى، على أن تنقضى مقابل ذلك سلات يصدرها خلاله وتُدفع من خزائنه. ذلك أن هذا الحاكم كان يفسر بصورة رئيسية حور عدله أملاكه، ولم يكن يفرض صرائب على رعاياه إلا في الحالات الخاصة الخطيرة، وكان على رعاياه أن يظهروا تحت لوائه أثناء حروبه على نفقتهم الخاصة. كذلك أُنشئت مؤسسة تضم سبعة أشخاص لتقديم على خدمتي، على أن يدفع مجلس الأميراطور نفقات وعائلتهم وبنات خيام مائة هم عبد جاني باب مسكني. كذلك صدر أمر يقضي بقيام ثلاثمائة من احتياطيين بصنع ملابس لي على طريقة ملاهيو، وصدر أمر آخر باستخدام ستة من أعظم غنائمهم ليغوموا ببعضهم لغتهم، وأمر غيره بضرورة تحرير حيول الأميراطور والنبلاء وبيع أحمرس أمامي لكي تُصنع شيئاً ماؤوا لدى تلك الخيول. وقد جرى تنفيذ كل هذه الأوامر في حينها. وبعد ثلاثة أسابيع أحرزنت تدفقا عظيماً لي تعلم لغتهم. وفي هذه الأثناء شرفني الفلك بزيارات عديدة وتكرمت بمساعدة العبد في نعيمي، وحسن بإمكاننا أن نتبادل حديث معه. كانت أول كلمات نعلمها هي التعبير عن رغبتي في أن يتكرم عليّ بحبي حربي، وحدث كل يوم أكثر هذه الكلمات وأنا جالس على ركعتي. وكان جوابه، كما استطعت أن أفهمه، هو أن هذا أمر لا يمح إلا بمرور الأيام، وأنه لا يمكنه البت فيه دون الرجوع إلى أعضاء مجلسه. وأن علي أولاً أن أقبل أن تكون في سلام معي ومع عائلتي. لكنه ضمني أنني سأعتقل بكل عطف، ونصحني أن أكون بالصبر وتسلوك الحكيم لكي أدرك الرضا والفور بحس انصاف من رعاياه، ورغب إلي أن لا أدخل الأمر على عملي سوء، إذا أصدر أمراً لبعض الموظفين من غربي الاختصاص لضبطي، لأنني وأنا أمر مع بعض الأسلحة التي لا بد أن تكون خطيرة إذا كان حجمها يتناسب مع حجمي الضخم. فأجبت أنه يمكن للجلالة أن يصطنع، لأنني على استعداد لحمل ملابس وقذوب جيوب ثمانية. وكان حرم من حربي يتكلم بالجزء الآخر بالإشارات. وزد أنه

طبقاً لقوانين المملكة، فلا بد أن يقوم بتفشي اثنان من موطنيه، وأنه يعرف أن هذا التفشي لن يتم إلا بموافقي ومساعد، وأنه يطمئن فلان كثيراً بكرمي وحسن المعداة حيث أنه سيأمنني عن هذين الموظفين وهو مطمئن أنني لن أسيء ما مكرهوا. وأذكر لي أن كل ما يأخذانه مني سيؤد إلي حين اعادته البلاد أو يذبحه الشن الذي أقره. بعد هذا غلثت هذين الموظفين بن بدني، ووسمتهما أولاً في جيوب معطفي، ثم في جميع جيوب الأخرى ما عدا جيبي صعيدين في بنطالي وجيب سري آخر. ثم أخذت أن يشتبه، وكان في هذه الجيوب الصغيرة أشياء صغيرة ليست ضرورية أو ذات أهمية بالنسبة لأحد سواي. كان في أحد الجيوب لصغيرين ساعة فضة، وفي الآخر كمية قليلة من الذهب في كيس عود. كان هذان الموظفان يحملان معهما ديشة وحزام ودرعاً، وكذا خنجر كل ما رآه. ونحن ننهبها طلباً مني أن أأخذها إلى الأرضي نقدمها لجنود الأميرامور. وقد نرجحت هذا الجنود من بعد إلى الانجليزية. والزرحة الخفية هي ما يلي

أولاً: في الحبيب الأيمن لمعطف الرجل: الجبل العظيم: وبعد تفشي دقيق وحادثاً قطعة واحدة ضخمها من القماش الخشن، وهي كبيرة جداً بحيث تنسج أن تكون مجلفاً لصناعة الاجتيمات الرئيسية للجلائكهم. وفي الجيب الأيسر رأينا صندوقاً صغيراً. له غطاء من المعدن نفسه، وعمرنا نحن انفتاحاً عن فتحة، فقلنا فتحه. وبينما نحن نأخذ ما في داخله وجدنا نفسه يعرض حتى مصعب ساه في نوع من الفلار الذي تظهر جزء منه إلى وجهنا ونحسنا نطير من عدة مرات. في الجيب الأيمن من صدره وأخذنا رزمة كبيرة جداً مصبوعة من مواد رقيقة يلفها ومطوية عدة طبقات فوق بعضها، وهي في حجم ثلاثة رجال، ومربوطة بحبل قوي وعليها أشكال سوداء هي في رأينا كذا. في حرف فيها يساري في حجمه نصفه، راحة يدا. وفي الجيب الأيسر كان هناك شيء، كانه آلة، غتت من طهره عشرون من لأعمدة الطويلة التي تشبه أعمدة السراج الذي أمام قصر جلائكهم، ونسب أن الرجل - الجبل يشبه هذه الآلة شعوره. فتحنا لاربعه دائراً وأخذنا إلى وحدنا أنه من الصعب جداً أن نضمت. في الجيب الكبير على الجانب الأيمن من ثوبه وهكذا نترجم كلمة برانفو - لو، ويقصدون بنطاني وجدنا عموداً مجوفاً من حديد، طوله يقارب طول الإنسان، مثبتاً على قطعة خفية من خشب أبيض من العمود نفسه، وعلى أحد جانبي العمود كانت ثمة قطع ضخمة من الحديد ذات أشكال غريبة، وتعرف ما هي. في الجيب الأيسر وجدنا آلة تسرق من النوع نفسه في الجيب الأصغر من اليمين كانت توجد قطع مسورة ومسطحة ذات أحجام مختلفة ومن معدن أبيض أو أحمر. وبعض القطع البيضاء التي تبدو أنها من الفضة كانت كبيرة وقابلة بحيث يثقلنا نعبز أنا ورفيقي عن رفعها. وفي الجيب الصغير أيسر وجدنا عشرين ضماً شكلي غير منتظم، ولم نستطع الوصول إلى لغتها إلا بصعوبة لأننا كنا في أسفل الجيب. أحد هذين العمودين كان مغطى وكان يسو قطعة واحدة، ولكن ظهر على الطرف العلوي للعمود الآخر مادة

مدوبة يخاف تسوي ضعف حجم رأسها. وكان يوجد داخل كل من هذين العمودين صفيحة ضخمة من الحديد، أبرزها أن برها لنا لأنها خشيا أن تكون آلات خطيرة. وقد أحوجها من جانبها وأخبر أنه في بلاده يُلقي نذره بالأول ويقطع اللحم ساكن. وهناك حيوان لم نستطع دخولها وهو يسمى جيبه الصغيرين، وهما عبارة عن شعبين طويلين كيرين في قمة لويه الأوسط، ولكنها عكيا الإغلاق بسبب ضعف كرشه عليها. من الجيب الصغير الأيمن تشل سلسلة فضية في نهايتها آلة عجيبه. طبت منه أن يسحب، وهو معلق في نهاية السلسلة، وتبين أنه كرة نصفها من فضة ونصفها من معدن شديد، ومن الجهة المتناقضة رأينا بعض الأشكال الغريبة مرسومة بشكل دائري، وتحمل لنا أنها نستطيع أن لمس تلك الأشكال، لكن وجدنا أصبعنا تصطدم بتلك المادة الشفافة وتوقف عندها. وقد وضع تلك الآلة على آذاننا وكانت تُصدر ضجيجا متواصلا شديدا بصوت صاحبة الماء، ونظن أنها ربما تكون حيويا ما غير معروف لدينا أو أنه الآلة الذي بعده. لكنها تزيل إلى الأبد بالرأي الأخير لأنه أكد لنا (إن ضجحه فهدأ له، فقد شرح الأمر بشكل غير دقيق) أنه لن يقوم بعمل ما دون استشارتها. وقد ساءها فضطرر زحني له وقال إنها تحدد الوقت بكل عمل في حياته. من الجيب الصغير الآخر أخرجنا شبكة كبيرة، لتدرجة تحملها تصليح لصيد سمك، ولكنها مصنوعة بطريقة تجعلها تفتح وتغلق مثل كسر القرد، وهو يستعملها لالتقاط نفسها، فقد وجدنا فيها عدة قطع فضية من معدن أصفر، وإذا كانت سحبا من الذهب، لأنها لا بد أن تكون ذات قيمة كبيرة جدا.

بعد أن قُدماء، بدأ الأمر جلالته، بنفيس كل جيبه، لاحظت حوض ومعه حزاما مصنوعا من جلد حيوان ضخم. وقد تدلى من جانب الأيسر لهذا الحزام سيف بطول خمسة من رجائنا، ومن جانب الأيمن كبري مقبوم إلى قسمين كل قسم يتسع لثلاثة من رجائنا جلالته، في أحدهما عدة كرات أو كريات من معدن ثقيل جدا، حجم الواحد مثل حجم أسن، ويتطلب رفعها بذا غوية، أما القسم الآخر فكان به كرة من الخشب السوداء ليست بالكبيرة أو المتينة، لأنها استطاعت أن تحمل في واحدتها أكثر من خمسين خبة بلس.

هذه الخردة دُفِن بما وجدناه حول جسم الرجل. طين الشيء عانت لادب عظيم وبلا احترام التلق بمديري جلالته، وعليه نوهنا وحذنا في اليوم الرابع من شهر القمري التاسع والثلاثين من عام جلالتهكم المبارك.

تُليقون قُربلوك ومازني قُربلوك

وحين لمأ هذا الخبر على الإمبراطور أمرني بتسليم كل ما ورد فيه من مفردات. طلب أولا سفي الذي أخرجته له، بعدده وكان شيء خمس. وفي هذه الأثناء أمر ثلاثة آلاف من أحسن

قوته التي كانت ترافقه بالإحاطة بي من بعيد، وأن يجعلوا أقواسهم وسهامهم معدة للإطلاق، لكي لا  
الاحظ ذلك لأن عيني كانتا مركيزين على جلالته. بعد ذلك ضرب مني أن امتل سحبي الذي كان  
قد أصابته بعض الشمس من ماء البحر، لكنه رغم ذلك كان في معظم أجزائه شديد التشنج. وحين  
نقلت أمره صدمت في الحال من جميع الجنود صيحة تخطت فيها نرجة بالدهشة. فقد كانت  
الشمس ساطعة وانعكاس صورتها على نصل السيف، وأنا أنوح به بيني وبين رايلا، تتر غيرهم. أما  
جلالته الذي كان في غاية الشهامة ورحابة الصدر، فلم يزعجه الأمر كما توقعت. وقد أمرني أن أعيد  
السيف ذو غمده، ثم أن أرميه على الأرض على بعد ستة أقدام من نهاية فيودي وبكل ما أستطيع  
من زهر. الشيء الذي فعلته كان وحداً من المعمودين الحديديين المنجوفين يعني ذلك  
المسدس الذي أحمله في جيبي. أخرجت المسدس وشرحت له، بقدر ما أستطيع، كيفية استعماله،  
ثم خشيت أنه مسحوق البارود فقط. الذي لم يكن قد انتهى بدء البحر بفضل سانه وسلاحه النحاس  
الذي كان المسحوق فيه (وإتلاط مسحوق البارود أمر سيء، يعني على كل البحارة أن يحفظوا  
لأنهم)، وبعد أن علمت من الامبراطور أن لا يتحف ضغط الزناد واضقت حلقه. وهنا كانت  
دهشتهم أكبر بكثير من دهشتهم لدى رؤية السيف، فقد سقطت مئات على الأرض وتكاثرت خراباً  
صرعاً، حتى الامبراطور الذي لم يكن مكانه واقفاً على الأرض، لم يستطع أن يصرخ كامل وعيه إلا  
بعد لأي. وقد سمعت المسدس ينشأ الصغرة التي سلمت بها السيف. ثم سلمت كيس  
مسحوق البارود وكيس المصاصات. ورجوت الامبراطور أن يحتفظ بكيس البارود بعيداً عن النار،  
لأنه إن شئت شرارة صغيرة سيشتعل وينسف القصر الامبراطوري ويفتقر في الجو. كذلك سلمت  
ساعتي التي أبدى الامبراطور رغبة قوية في رؤيتها، وأمر السير من أطول فرسان حرسه بحملها على  
عمود فوق أكتافها كما فعل سائقو عربات آخر في إنجلترا حين يحسون سريلاً منكراً بالجمعة. وقد  
تعجب كثير من الصوت المذم الذي يصدر عنها، كما تعجب من حركة عقرب الدقائق التي استطاع  
أن يراها ويعبرها بسهولة. ولا عجب في ذلك فمن بصرهم أقوى وأخذ من صبره قدر كبير. وقد  
سأل رجال إحداهم إليه عن آرائهم في الساعة، فتهنئت آرائهم وابتعدت عن التصويب كما يمكن  
تفاني أن يتوقع ذلك دون أن أدركها له. وفي حقيقة فإن لم أستطع فهم آرائهم فيها تماماً لم  
سلمت نقودي الذهبية والنحاسية، وكيس نقودي الذي كان فيه قطع ذهبية كبيرة وبعض القطع  
الصغيرة كذلك. سلمت بيكيني وموسى حلاتي ومشطتي وشبلة سعوضي، وبنديلي ودفتي مذكراتي،  
أما سيفي والسندان وكيس مسحوق البارود فقد أخذت عن عربات زني غزلان الامبراطور، أما  
نفي من أغراضي فقد أخذت إلى.

لكن كان لدي، كما لاحظت من قبل، جيب خاص سترني لم يصل إليه التبعث، وكان في  
هذا الجيب زوج من النظارات (وهذه استعمالها أحياناً بسبب ضعف بصري) ويتنظر جيب صغير

الحبيب، وأشياء أخرى من لوزمي . ولأن هذه الأشياء ليست ذات أهمية عالية للإمبراطور فقد رأيتُ أنني لست مهنياً، بدافع الشرف والأمانة، أن أكتف عن وجودها. فمضتُ إلى ذلك أنني كنت أعشى عليها من التلف أو انضباع لم عرخت من حوزتي.



## الفصل الثالث

تألف بيتي الأمير حسن وببلاء من احسن طريقة غير مألوفة. وصفك للألعاب  
والتميمات في قصر نيراضور ليليوم. المؤلف يتدل حريته على شمس بعض  
الشروط.

كانت وقتي مع الناس واكثر حلوي قد اكسبنا رضا تلك ورجال حانيه. وكذلك رضا  
رجل الجليس والناس سمونا، عاشعني ان اتخذ الامك بشر حربي بعد وقت قصير. وقد اتعت  
جميع السبل الممكنة لكسبهم من حاني والغور رضاعهم عنى وبالتدريج أصبح أهل البلاد قل  
خشية من ان يهاجم مي اذى. وكنت أحياناً أنقطع عن الأرض وأمكن حصة أربعة منهم من  
الفرنس لوز راحة يدى. ولي امر الأمر صار الأولاد والبنات يسرون عن عارسة نعمة العشيقة  
(الاستغناء) بين غصلات شعري. وكنت قد اخزئت تقدمًا مسلميًا في قهقهة لغتهم وكثفت. وقد  
خطر للأميراحور ذات يوم ان يفرحي على عدد من الاستغناء وحضت والألعاب التي يتعوقون فيها عن  
جميع الشعوب التي أعزها من حيث المهارة والروعة والضعفة. وكان أكثر ما أعجبي مهارة رقصي  
اجبال في الرقص على حيط دقيق أبيض، عليه قدمان تغربًا، وارتفاعه عن الأرض اثنى عشرة  
بوصه. وأرجو ان تكلمي القارئ بصره ريثما أسهب في وصف نعمة الرقص على الحبال.

هذه اللعبة لا يدرسها إلا الأشخاص المرشحون لئيل الخطوة والغور بمناصب عظيمة في  
القصر. وهم يُدربون عن فنون هذه اللعبة منذ حداثهم، وليسوا دائمًا من دورى النسب المرموق أو  
التمائم العالي. وحين تشرف منصب هام بسب الوفاة أو انصرافه للشدة (وهذا يحدث كثيرًا) ينضم  
حصة أو ستة من أولئك المرشحين انتماءً للأمير بطور بشيخه بجلالة والحاشية يوقعهم على الحبال،  
واسم يحج في الميام بأسمى الفترات دون ان يقع بفوز بالمنصب هام. وكثيرًا ما يؤخر اموزة النكار  
بإظهار مراعتهم لإقناع انهم لم يفقدوا لباقهم وقادرهم. وتُسبج للسيد قليلاً (١) وزهر  
الخمره بالقيام بقصره على الحبل اعى بمقدار بوصة عن الخطوة التي يقوم بها ائيل لورد آخر في الممكنة  
قالها. وقد رأيت يدي قفزة الشفلة عدة مرات معًا فوق صليحة خشبية مثبتة على الخبل الذي م  
يكن أشمك من حيط من خيط القنب المستعملة لربط الرزم في الجبل. اما صليحي يرفع

ويسال<sup>(٣١)</sup> وزير الدولة والشؤون الخاصة لمهر في رأيي، إن لم أكن متحيّزاً، الثاني في المهارة والمهارة  
بعد وزير الخزانة أما بقية الذين يعملون مناصب إدارية، فلهذه مساوون إلى حد كبير في المهارة.

كثيراً ما تؤدي هذه الألعاب إلى حوادث مميتة، وفي سجلات ذكر لعدد كبير منها. وقد رأيت  
بعض اثنين أو ثلاثة من المرشحين ينكسر فيهم سبق أو ذراع. ويزداد الخطر كثيراً عندما يُطلب من  
القوّراء أنفسهم أن يُظهروا براعتهم في «نقص» لأن هؤلاء قد تملكهم الرغبة في التصق على أنفسهم  
وعلى الآخرين، بالنفوس في جهاد أنفسهم ويصانون بالنفوس الشديد، وبالتالي ليس بينهم أحد إلا  
وأحب مهارة أو مهارة، وبهم من وفهم من بين أو ثلاثة. وقد أكد إسحق في أنه قبل وصولي بسنة  
أو اثنتين، وقع فليمناب وقمة كانت تُلقي عنده لولا وجود (خليفة) أو وسادة من وسائل الملوك،  
كنت حينذاك بمتصفه على الأرض. فوقع عليها وحُف أثر الرمي عليه.

وهذا أيضاً لعبة أخرى لا يخرج عليها أحد سوى الأمير غور والأمير غورة والوزير الأول في  
مناسبات خاصة. يضع الأمير طور على منصة ثلاثة حيوط حريرية دقيقة، طور الواحد منها مت  
بوصات<sup>(٣٢)</sup>. أحدهم أزرق والآخر أحمر والثالث مُشفر. ويُطلب هذه الحيوط جوائز للأشخاص الذين  
يرى الأمير طور في تجمع عندهم بتقديره وإعترافه. ويتم حفل في القاعة الكبرى بقصر حلاته حيث  
يُفصّل المرشحون لانتخاب في الرياضة يختار عن «المتحان السابق» وهو امتحان لم أكنه مائلاً في  
أي بلد آخر في العالم القديم أو الحديث. يجمع الأمير طور عصا في وضع اضني، ويضم المرشحون  
واحدًا واحدًا، ويفتر كل منهم فوق لعب أو يزحف تحتها من الخلف بين الأمام عدة مرات، ثم  
انقلاب لهما أو أحدها أو لرفعه أو معصها. أحياناً يمسك الأمير طور بأحد طرفي العصا ويمسك  
وزيره الأول بالطرف الآخر. وأحياناً يحمل الوزير العصا وحده. فمن يلعب بدوره في هذه اللعبة  
بسرعة وحكمة أكبر ويذهب لحوال، يكافأ بخيط حريري الأزرق. أما الآخر فيُقصّ من يده ويُعطى  
الأخضر لثالثه. وفيها حد يمس كل منهم غبطة حول وسطه. ولز ترى سوى الخيلين من كبار  
المنصبين في هذا القصر لا يترقبون بواحد من هذه الألعاب.

كانت حيوان الجمل وحيوان الأسطبلات الملكية تعداداً يومياً أعظمي، فأُبلغني ولم أكن متحيزاً، بل  
كانت تُقدّم حتى تصل إلى قدامي دون أن تحفل. وكان الفرسان يعفزون بها من فوق يدي وهي  
تسير على الأرض. بل إن أحد سيدي الأمير طور قفز بحصان سريع من فوق قدامي وهي في  
الحذاء. وكانت تلك خفة هائلة جداً. وقد شاء لي حسن الحظ أن أُمسك الأمير طور ذات يوم  
بأسلوب غير عادي وغير مألوف. زنجوئ<sup>(٣٣)</sup> أن يأمر بإحضار مجموعة من البعوض طول التروعة منها  
قدما، وخبائص ثخن العكازة، تعادبة. وعن الفور أصدر أمره لمدير خبائه أن يصدر التعليمات  
اللازمة. وفي الصباح التالي وصل ستة من حصانين في عند محال من العربات، نُحْمَرُ حُرْ عربة منها

شبهة جياد. فتأولت نسفاً من هذه العجيبة<sup>١١</sup>، وغرّزتها في الأرض على شكل مربع طول ضلعه قدمان ونصف، تقدم، ثم أحدثت أربع عصي أخرى ورعتها متوازية في كل زاوية على ارتفاع قدمين عن الأرض، ثم ربطت مندي على العصي السبعة المثبة عمودياً وشدته في كل ناحية حتى صار قائماً كأنه سطح طبر. واستخدمت العصي الأربعة المتوازية التي ترتفع عن سطح المذبل خمس بوصات كحواش مستعرضة في كل جانب، وبعد أن انتهت من عملي حرصت على الإمبراطور أن يسمع لفرقة من أحسن فرسانه، تتكون من أربعة وعشرين منهم، أن يتسروا مع جيدهم فوق هذه الساحة. وقد وافق جلالة على هذا العرض. فحملت الفرسان ومدّريهم كل فارس على حدة ويكامل عنقه، وحداً واحداً، ووضعتهم فوق المذبل. وحالما اكتمل عددهم وانظم بهمهم، انقسموا إلى فريقين، قاما بمباركة وهمية التتمت على إطلاق سهام مثلبة، واستلان للسيوف، وفرار وبطريقة، وهجوم واستحاب، واختصار أظهروا أحسن نظام عسكري رأيته في حياز. كما العصى المتوازية وقد كانت قدامهم ونحوي جيدهم من السقوط عن المسرح. وقد سُرّ الإمبراطور هذه اللعبة أيتها سرور فأمر تكرارها عدة أيام. وقد سرّ ذات مرة أن يلتمس برده إلى المسرح ليعطي أوامر الفرقة الوهمية بنفسه. بل إنه أذاع الإمبراطورة، بعد جهد، أن تسمح لي بحملها وهي في كرمها المثلث. على بعد ياردتين من المسرح، لكي تتمكن من مشاهدة اللعبة بأكملها. وكان من حسن طالعها أنه لم يحدث أي مكروه خلال هذه اللعبة مرة واحدة فقط حدث أن حصناً حاضاً لأحد الضباط راح يخرجه بحافره، وأحدث مؤقلاً في المذبل، وتزلزلت قدمه فيه فوقع ووقع عنه راكبه، ولكني أسعفتها في الحال. وبعد أن غصبت كُرُوفِي بِرُحْدِي يَدَيَّ أَرَبْتُ الفُرْقَةَ إِلَى لأَرْضٍ بِتَيْدٍ الأُخْرَى. كان إخصان الذي وقع قد أصيب بالهول في الكف الأيسر، أما لواءك فلم يُخْصَبْ بأي أذى. وقد زَفَقْتُ الشَّيْءَ أَحْسَنَ مَا اسْتَطَعْتُ، لكنني لم أستطع حد ذلك أن أطمئن إلى فوته ومثاقته في مثل هذه اللعبة الخطيرة.

قال إطلاقي سراحي ونحني حربي يومين أو ثلاثة، وبينما كنت أنزل حشية الإمبراطور هذه للعبة اباهرة، وحصل رسول ليبلغ جلالة أن بعض أبناء رعيته كانوا يهرون على جيدهم سلكاً الذي سُرَّ عليّ به أوز مرة، فزوا شيئاً صحيحاً أشود فُلُفِرَ على الأرض، له شكل عريب. ورفطلي مساحة مثالي مساحة غرفة نوم جلالة، وفي وسطه برور يبلغ ارتفاعه قمة رجلي منهم. لكنه ليس مخاوفاً حياً عما كانوا يحشون، إذ كان يذبح على المشب دون حراك. وقد قام بعضهم بالادورن سوله عدة مرات، كما تلقى بعضهم على أشد العصف الآخر حتى وصلوا إلى قمة البروز في ذلك الشيء فوجدوها قمة مسطحة ومستوية. وحين داسوا على تلك النقطة وحلدها بحوفة من الأداخ. وهم يعتقدون أن هذا الشيء يخص الرجل - الجبل، وأنهم مستعدون، إذا سمح لهم جلالة، أن يُغَيَّرُوا هذا الشيء تحره خسة حيات. وقد فكرت على الفور ما يفعلون وسررت كثير بساع هذا الخبر. إذ

يبدو أنني حين وصولي إلى الشاطئ بعد تحطم سفينة، كنت في غاية الاضطراب. وقبل أن أصل للمكان الذي بُعث فيه، كانت دجيجي التي كانت عملاً تُخديفي في البحر وخلال ساعتي متعة على رأسي بخيط، قد وقعت عنه بعد أن وصلت إلى البر. ويبدو أن الخط كان قد انقطع دون أن لاحظ ذلك. وكنت قد علمتُ أن دجيجي قد ضاعت في البحر. وقد رجوتُ حلالته أن يُعْطِر الإمبر ياحضرها في أسرع ما يمكن، بعد أن وَصَفْتُها له وشرحتُ كيفية استعمالها. وفي اليوم التالي أحضرها سائقو العربات. لكنها لم تكن بحالة جيدة، إذ كانوا قد أخذوا ثقيين في طرفها على بعد بوصة ونصف من حافتها، ووضعوا في كل ثقب سطوانة، وربطوا الحبالين بالعربات بواسطة حل طويل؛ وبعدَ خُرُوجِ القبعة لسنه نصف ميل التحيزي. لكن الأرض في تلك البلاد مساء ومستوية وكان الثقل الذي أصاب القبعة اقتراباً مما توقعتُ.

بعد يومين من هذه الخاطلة، أمر الامبراطور<sup>(١٩)</sup> ذلك الجزء من جيشه الذي يقرب في العاصمة وجولها، أن يكون على أهبة الاستعداد. كان قد خطر له أن يتولى طريقة مريدة جداً. فقد طلب مني أن ألق كاتشال<sup>(٢٠)</sup> وساقدي متفرجان بأنهم قد تمكنوا من أمر قائد الجيش (وكان جنرالاً مشهوراً واسع الخبرة واحد الملاحين عن والمتحسين في) أن يصف الفرق صموداً مترامه؛ وأن يأمرها بالسير بحشية عسكرية جن ساقتي. وكانت فرقتُ المشاة تكون من أربعة وعشرين جندياً في الصف، الواحد بمضون حياً إلى جيب؛ وفرقتُ الفرسان من ستة عشر فارساً فوق جيدهم. وسار الجميع على صوت الضبول؛ بأعلام مرلوقة ودرج مشرعه إلى الأمام. وكان مجموع الفيزي ثلاثة آلاف من المشاة، وألفاً من الفرسان. وقد أصدر جلالته أوامر مشددة بحماية من يخالفها الموت؛ بأن كل جندي أن يلتزم الأدب والخشعة بالنسبة لشخصي. لكن هذا لم يمنع بعض الضباط الصغار السن، أن يلتفتوا إلى الأهل وهم يهرون من تحني. وفي الخفيفة كان يُطأ في ذلك الوقت في حانة رقة حمزة، وقد نال ذلك بعض الفرص المعبود بأن يروا ما يضحكهم ويثير استغرابهم ونعائهم.

كنتُ قد أرسلتُ بعدد من المذكرات والطلبات أصاب فيها بحريتي، حتى أن حلالته في آخر الأمر، ذكر الموضوع للوزير. أول الأمر تم للمجلس بكنهه. ولم يحاضر أحد سوى سُكُوتِيوش يُنْغْلَام<sup>(٢١)</sup> الذي اختار دون أن أعل ما يعطيه أو يشر حقيقته، أن يكون عدوي للدولة. وقد وافق جميع أعضاء المجلس رغم معارضته. وأُيد الأمر بطرح موافقتهم. وكان يُنْغْلَام وزير البحرية، وعملَ تحتَ كبرية لدى الامبراطور. وشخصاً متحرساً بالأمور. ومع ذلك كان ذا طبع نكد وبشرية ذات لُوي خفي. نكده اضطر آخر الأمر أن يوافق، وأصر على أن يصور نفسه الموت والبهود والشروط التي نالَ حربي بموجبها، أن أقيم على الأبرام بها. وقد المرة، عملاً على حياقتها بمساعدة اثنين من وزراء الوزراء وعدد من الشخصيات الخامة. وبعد أن قرئت هذه المود علي، ظلت مني أن أقسم على العمل بها، أولاً بالطريقة المشبعة لأداء القسم في ملاذي، وبعد ذلك بالطريقة التي تُشعر منيها.

قوانينهم. وهي أن أُنسك فدمي الحيى يلبى الحيى وأن أصبح لأصعب الوسطى من رضى اليمى  
عن قبة رأسى والأيهام فيها على أعل ادى الحيى. ونكر لأن القارئ قد تحب أنخذ فكرة عن  
الاسلوب وطريقة التعبير الخاضعين لمثلك القوم. ولا اطلاع على المواد التي استعدت بموجبها حريقى،  
فقد أعددت ترجمة لتلك الوثيقة بكاملها وهي توجة سرفيه قريه من الأسفل قدر الإمكان. وهنا  
إذا أقدمها هنا لمجهوز القراء.

نص جواشوتو مومارن رقامي جوزدبلو شيعر مزلتي. تولي سو، اعظم امطرة للبيوت بأنا.  
ومصادر السرور والرعب في الكون، والذي تمتد أملاكه خمسة آلاف ثلوثشروخ (مصادرة يبلغ بعضها  
اثني عشر ميلاً) إلى أقصى أطراف الأرض، وفيلت ملوك وأطول أماء البشر، والذي تطا قدماء مركز  
الأرض وينطح رأسه فرص الشمس، والذي يرجف لإشراقه ملوك الأرض، المحبوب كثريريع،  
الريح كالصيف، المتمر كالخريف، المزهوب كالثبات، والذي يسمو جلالة على كل جلاله، نعرش  
على الرجل - الجبل اندى وحول بلادنا مزخراً المواء للبهائم، التي عليه أن يقسم بأعظم الأيمان على  
العمل بها وهي:

المادة الأولى: يجب على الرجل - الجبل أن لا يعاد أملاكنا دون رخصة من جمهورية بخاتنا  
العظيم.

المادة الثانية: يجب عليه أن لا ينحوا على دخول عناصرنا دون أمر صريح منا، وحيداً  
يجب إعطاء السكان إنذاراً قبل ساعتين من فسومه لكي يُلغوا داخل بيوتهم.

المادة الثالثة: يجب على الرجل - الجبل أن لا ينشئ إلا في شوارعنا وطرقنا الرئيسية، ولا يحق له  
أن يسير أو يستلقي في مروج أو مرمى أو خضم منوع بالذرة.

المادة الرابعة: حيث يسير في الشوارع والطرق المذكورة أعلاه، يجب عليه أن يخطأ أثناء الخيطة  
كيلا يدوس على أجساد أي من رعايانا المحبوبين، أو عبودهم أو عربائهم، كما لا يجوز له أن يحمل  
في يديه أي من رعايانا المذكورين أعلاه دون موافقتهم.

المادة الخامسة: إذا احتاج شخصُ رأساً للقيام برحلة عاجلة ومُتعبة جداً، فإن الرجل - الجبل  
منزوم أن يعمل في جيبه الرسول والجواد في رحلة تستغرق ستة أيام مره كى نهر قمري، وأن يعيد  
ثلث الرسول (إذا اقتضى الأمر ذلك) سلكاً حتى يثقل أمام حلاته.

المادة السادسة: يجب أن يكون حارسنا عندك في حرية بليفكولاً وأن يبدن قصارى  
جهده لخطيم أسطولهم الذي يستعد الآن للغزونا.

المادة السابعة: يجب على الرجل - الجبل أن يذكر أن يقوم في وقت فراغه بـ ١٠٠ عياناً وودن

العون لهم، فيساعدهم في رفع بعض المجرأة الضخمة، نستعمل في بناء أسرار منزلها الرئيسي وأسرار تينتا ملكية الأخرى

المادة الثامنة: يجب على الزوجه ايجل ،تذكور ان ،نوم خلال شهرين فمريض مع حق ومصبوط لمجد البلاد الثامنة لنا، محمول بمقد خطوته هو حول مواجلكا.

المادة الأخيرة: وعندما ينقسم تأغلط الأيمان على الالتزام بالمواد المذكورة اعلاه، يكون من حق الرجل - ايجل المذكور علينا أن يترك يومًا ما بكلمه من الطعام والشراب، وهو ما يكفي ١٧٢٨ من زواجنا، وأن يكون له حق الاتصال دون عائق، يفسخضن الملكي، وميزات أخرى مثل صفوته لنبذ. وقد سحت هذه الوثيقة في قصرنا في (بلفوراك) في اليوم الثاني عشر من الشهر الحادي والتسعين من عهدنا

وقد وافقت على هذه المواد وأصبحت على الالتزام بها بشرط رضا كبري، مع كل حضيا لم تكن شروطًا كريمة ومعبقة كما نعتبها أن تكون: وهي الشروط التي أملاها بشكل كلي جفد سكاربوش شغلهم قوند الحرية. وهي أنراء انقسم فكت قيودي في الحد ولت كلس حربي. وقد شرفني الامراطور بحضوره شخصيًا ووقفه بحاني أثناء الاحتفال كله. وقد أعربت له عن امتني واعتزاي بفضلته بانسجود عند قدمي جلالة، ولكنه أمرني أن أنفض، وبعد أن أترمني بالكثير من عبارات الاعتراف الرفيعة التي لم أعبد ذكره، حشيت أن أنهم سنعزور، امند، انه بأمر ان أثبت ثاني خادم نافذ استحق كل الأعضاء التي ألعب بها عني وذلك التي سيعم علي بها في المستقبل

وأرجو مقارئ أن يلاحظ أنه في المادة الأخيرة من الشروط التي استغللت حربي بموجبها يقرر الامبراطور أن يزود بكلمة من الطعام والشراب، تكفي لإعالة ١٧٢٨ من أساء ليليوت. وبعد بعض الوقت سالت صديقًا ي من رجال خاشية عن كيفية نوصنهم إلى ذلك اسرقم الحد فأخبرني بأن عليه، لرباضة شدي تلك قاموا ارتفاع جسمي سكة السرجية (وهي آلة الخيول الارنفاص)، ووجدوا أنه مزبد على ارتفاع قامت أهل ليليوت بسعة ١٢ إلى ١: واستمتعوا من تشابه بين جسمي وإجسامهم أو جسمي يلاوي ١٧٢٨ ضفدًا من أجسامهم، وأنه بالتالي يحتاج من الأعضاء ما يكفي لإعصام ذلك العدد من أهل ليليوت. ومن هذا المنأى يمكن تقارئ أن يكون فكره عن براعة أولئك الناس، وعن البسة الاقتصادية والحكيمة والسليمة لذلك، الأمر العظيم.

## الفصل الرابع

وصف شدة هيلينبول<sup>(١)</sup> عاصمة لبيوت، مع وصف لبعض الامبراطور حديث بين الزعماء، وأحد وكلاء الموزونات تريسيور عن شؤون تلك الامم طوبى وأصولها. المؤلف يعرض لخدمته لمساعدة الامبراطور في حروبه.

كان أول طلب لي بعد حصولي على حربي، هو أن أشتغل في مرقية هيليندو العاصمة. وقد سمح لي الامبراطور بذلك بعد أن أقرمتي بأن اتعهد ألا أكتب أي أدبي لمسكن أو لبيوتهم. وتم إبلاغ الناس بالإعلانات عن موعد زيارتي للمدينة. بين ارتداد السور المحيط بالمدينة فندس ونصف وعرضه إحدى عشرة بوصة عن الأقال. ويمكن أن تمان عربة تجرها جيد حول السور لسان. ويوجد على جنوب السور أبراج عصف، بعد أحدها عن الآخر عشرة أقدام. وقد غطيت سوق البوابة الغربية الكبيرة وسباحت موزية ورفعت شهاب في الشارع الرئيسي، وكنت أجلس صديقي دون مصطفي، خشية أن يفتك الطراد. المصطفى يعرف البيوت بأحواضها لجارزة فندسها. وكنت أصلي بأحواض شديدة كمالا أوصى أحد من المشككين الذين ربما يكون في الشارع، مع أن الأمر كانت حازمة وصارمة بأن يفتن الناس داخل بيوتهم، وألا يحرصوا أنفسهم للحضر. كانت أسطحة البيوت وموافد الحجرات العليا فيها مكتظة جدًا بالمفرحين، حتى قلتش أنني لم أشاهد في كل رحلاتي مكان أكثر اكتظاظًا بالسكان. المدينة مربعة الشكل تمامًا وطول سور في كل جانب يبلغ خمسة أقدام، أما الشوارع الرئيسية الدان بتقاطع، يبعد المدينة إلى أربعة أرباع. فبلغ عرض الواحد منها خمسة أقدام. أما الشوارع الجانبية والأزقة التي لم أستطع لدخولها، ولكني شاهدتها وأنا أقربها، فغرضها يتراوح بين اثني عشرة وثمانية عشرة بوصة. وتبلغ المدينة خمسة آلاف نسمة، والبيوت تافع من ثلاثة إلى خمسة طوابق. أما الأسواق والمحالل التجارية فهي مزودة بالفضائع بشكل جيد.

ويقع قصر الامبراطور في وسط المدينة حيث يتقاطع الشوارعان الكبيرتان. يحيط بالقصر سور ارتفاعه فندس. وبعد عن البناي عشرين فندس. كنت قد حصلت على إذن من الامبراطور بخطط هذا السور. وبما أن شدة بين السور ومبان القصر واسعة، فقد استطعت بسهولة أن أرى قصر من كل جوانبه. القصر الختاجي مربع، حول ضلعه أربعون قدمًا، ويحوي على قصرين آخرين، في الخلفي منها توجد الأجنحة الملكية، وكانت لثني رغبة شديدة في رؤيتها. لكن ذلك كان صعبًا

جداً، لأن ارتفاع البوارج الكبيرة التي تُغطي من مروج إلى آخره لم يكن يزيد عن ثمان عشرة بوصة، وعرضها سبع بوصات. أما مباني القصر الخارجي، فكان ارتفاعها لا يقل عن خمسة أقدام، وكان من المستحيل على من أسفروا من فوقها رؤية ما أشدث في دوائرها شيئاً، مع أن الخدراة كانت مبنية بناءً متيناً بحجارة مفرشة بياض سمكها أربع بوصات. في الوقت نفسه كان الإمبراطور ترقب حداً لأن أرى روعة قصره ولذاته. ولكنني لم أتمكن من فعل ذلك إلا بعد أيام ثلاثة قضيتها في قصر عديم من أعلى الأشجار كرسبي، ارتفاع الواحد منها ثلاثة أقدام، وكل منها قوي بما يكفي لتحمل وزن واحد. ثم إن تم إلحاق الناس مرة ثانية، دخلت إليه من جنب، ومرت فيها إلى القصر وأدأه الكرسيين في يدي. وحين وصلت إلى جانب القصر الخارجي، وقفت حتى تُحد الكرسيين، وحملت الثاني في يدي، ورفعت من فوق السطح، ثم وضعته برفق في الساحة التي يرب القصر لأول والثاني، وعرضها ثانية أمامي. ثم غطوت فوق المبانى برش حتى وقفت فوق الكرسي الثاني، وحررت الكرسي الأول، خلفي بواسطة عصا معشوفة. وبهذا التصدير وصلت إلى القصر خلفي. وأمر طجعت على جاسي، ووجهت وجهي نحو نافذة الطوابق الوسطى التي كانت قد تفتت مفتوحة عمداً، فاستدعت داخلها أربع أسحة تحظر على المال. رأيت عندك لأميراطور، والأمراء الصغار في سجناتهم المكددة، كما رأيت سولم المرفطين من تحميم وحش. أما الإمبراطورة فقد التفتت بإستاءة لطيفة، وأخرجتني في من تدود بها لكي ألتفت.

ثم ألقى على أقدامي ما وصفه أخرى من هذا النوع، واحتضت بها بكتاب آخر يكاد يكون الآن عاجزاً بصفاته، وهو يحوى وصفاً شاملاً لهذه الإمبراطورية، منذ نشأتها أول مرة، ومرتبطاً بملسة من الأمراء، ووصفاً خاصاً بحروبهم وسميتهم، وقوانينهم، وعوالمهم، ودينهم، ونبأهم وأخباراتهم، وعاداتهم وأدابهم، ولغاباً أخرى غريبة ومديدة. غرضي الرئيسي في الوقت، أحضر هو أن أروي فقط تلك الأحداث والأمر التي تجزئت في أو ظهور الأقرام خلال رقاصتي التي امتدت حوالي تسعة شهور في تلك الإمبراطورية.

فد صباح، بعد أسبوعين من تيم حربي، جاء ريفلديسان، وزير الدولة (كي بسمونه)، أر وزير الشؤون الخاصة، إلى مكلي، لا يرافقه سوى خادم واحد. وقد مر أن تنتظر عربة على مائة ياردة، وطلب مني أن أصحبه ساعة من بقي، ليبت طلبه سروراً، لك مكانته الاجتماعية ومزياه الشخصية والمجدهات، المديدة الجيلة التي قدمها لي في القصر أثناء مطالبي حربي. عرضت عليه أن أمتطى على الأرض لكي يتكئ دون مشقة من إسماي صونه، لكنه فضل أن أحمله في يدي خلال حديثنا. وقد بدأ حديث بهتتي بانفوز حربي، وقال إنه يمكن أن يرد نفسه بعض الفضل في ذلك، لكنه أضاف أنه لو لم تكن الأمور في القصر على ما هي، عبه في الوقت الحاضر، لما



صهنت على حريق مثل هذه البرعة، وفك: رغم أن حيتا تسو مدمرة في عيون العرباء. هذا  
 قُتلون بشؤون عظمى ما عطر الانقسام في اندامل وسط الغزو الذي يهددنا من عدد قري في  
 الخارج. وبالنسبة لنشر الأول، فلم أنه منذ أكثر من مئة قمر<sup>(١١)</sup> يوجد في هذه الإمبراطورية  
 حزان مصادرك بجلان اسمي ترايكسان وشلايكسان<sup>(١٢)</sup>، طبقا لطلون أو قصر الكعوب في  
 محذيتهم: وهو ما يميز أحدهم من الآخر.

هناك من يزعمون أن حزب ذوي الكعوب العالية أكثر اتفاقا مع دستورنا القديم لكن أيا  
 كان الأمر فقد قرّر جلالتنا أن يستخدم ذوي الكعوب القصيرة<sup>(١٣)</sup> فقط في إدارة الحكومة وكل  
 الوظائف التي هي تحت تصرف التاج. ولا يملك إلا أن تلاحظ ذلك: ولا مبرر أن نُكفّي جلالتنا  
 أنقصر بتقدير (قرور) من كُفّي أي شخص آخر في انقصر (قرور) هو وأخذ مباس الطول ونساري  
 ١/١٤ من الوصية). وقد بلغت العداوت بين أفراد هذين الحزبين حدًا يجعلهم لا يكون ولا  
 يشربون ولا يتحدثون مع خصومهم. طبقًا لحالاتنا، فإن ذوي الكعوب العالية يحوزون عددًا ولكن  
 السلطة كلها في جانبنا. ونحلي أن لدى صاحب السمو، وفي العهد، بعض ميل إلى ذوي  
 الكعوب العالية<sup>(١٤)</sup>. على الأقل من توضيح للعبان أن أحد كعبه أعلى من الآخر، مما يجعل في متبه  
 عرجاء. ولأن، ونحن في وسط هذه الاضطرابات الداخلية، يهدف غزو من جزيرة بليفسكو. التي  
 هي الإمبراطورية العظيمة الأخرى في الكون. ونكاد نضام في الانسحاب والقوة إمبراطورية جلالتنا.  
 أما بالنسبة ما سمعناك تؤكد، فإن فلاسفنا يُلحّثون في صحة ذلك، ويضربون الزعم بأنك سقطت  
 من القمر أو من أحد النجوم، لأنه من المؤكد أن مائة من البشر لهم مثل حجمك يدورون في زمر  
 قصر كل النهار والآنعام في أراضي جلالتنا. زد على ذلك أن توارث طيلة ستة آلاف قمر<sup>(١٥)</sup> لا يزد  
 فيها بذكر لما عثر على إمبراطوريتين العظمتين ليليوت ويليفسكو، وهاتان القوتان العظمتان  
 مشبكنا، كما كنت سأقول لك، في حرب عيدة طيلة ستة والثلاثين قمرًا. لاخيرة<sup>(١٦)</sup>، وقد بدأت  
 هذه الحرب للمعبب الثاني من الاعتراف به لنرى الجميع أن العظيمة البذرة تكسر البصبة قبل أن  
 ناكلها، هي كسرنا من لطرف الأكبر، لكن جدًا لإمبراطور الحدي<sup>(١٧)</sup>، حينها كان صبيًا، حدث  
 أنه أراد أن يأكل بيضة، وبما كسرها بالعظيمة القديمة جرح واحدًا من أصابعه. وعليه، أصدر  
 الإمبراطور، أبوه، مرسومًا يأمر كل رعيه أن يكسروا البيضة من طرفه الأصغر، ويعاقب من لا  
 يفعل ذلك بعقوبات جسيمة. وتجربنا نوارثنا من الشعب استنكر هذا المرسوم استنكارًا شديدًا أدى  
 إلى قيام ست ثورات فقد فيها أحد الإمبراطور حياته<sup>(١٨)</sup>، وقد اضطرر آخر عرشه<sup>(١٩)</sup>. وكان ملوك  
 بليفسكو<sup>(٢٠)</sup> يقدرون هذه الفتن الداخلية بسموم. وحتى كانت اتفقت في عهد كان المشيرون يقرّون  
 ويجنون منها في تلك الإمبراطورية. ويُقدّر عدد الذين أوتوا الموت على أن يكسروا البيضة من  
 طرفه الأصغر بأحد عشر ألف شخص. وقد كُيّت مئات النجذات الصغيرة حول هذه القضية،

وكني كُنْتُ أتباع الطُرف الأكثر حُطَرَتْ مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ<sup>(١١١)</sup>، وأصبح أتباع هذا المذهب جميعاً مسموعين فانوئاً من العمل في الوثائق<sup>(١١٢)</sup>، وسلاسل هذه الأشرطة كانت ذات أشرطة سيفسكو على الاحتجاج والمجادلة بواسطة مفرغهم، بعموماً خلقَ الحسام في الدين، بانتهاء جراً من صلب عقيدة نينا العظيم لوستروج المنصوص عليها في الفصل الرابع والخمسين من إن برونو ويكال (وهو قرأهم)<sup>(١١٣)</sup>، وعلى كل حال، يقال إن القضية لا تعدو مجرد اختلاف في تفسير النص. كنيت النص نقوداً: حل جميع المؤمنين، أن يكسروا البيض من الطرف المناسب. ويسد: في رأي التواضع، أن تحديد الطرف المناسب يعني أن يُترك لتقدير الإنسان، أو على الأقل يُترك للحاكم الأعلى. ولذا، حظي الشهبون من أتباع مذهب الطُرف، الأكبر، بلائقة والتقدير الكبير في بلاط امبراطور تليفسكو، كما يجدون المساعدة والتشجيع من قطاع مذهبهم هذا في الوطن. مما أدى إلى قيام حُزب خاصة بين الامبراطورين<sup>(١١٤)</sup> وستمرايع مؤلفة ستة وثلاثين نملاً دون أن يُجرى أي من التطويرات حاسماً. وقد فقدنا في هذه الحرب أربعين سفينة كبيرة وعدداً أكبر من القوارب الأصغر، وثلاثين ألفاً من حيرة بخارنا وجنودنا، وأُفقد خسائر انفسوا بها أكثر من خسائرها. وعلى كل حال، لقد جهزوا الآن أسطولاً ضخماً، وهم على وشك أن يغزوا ويزلوا على سواحدها. ولأن جلالة الامبراطور يثق ثقة كبيرة في قوتك، وشجاعتك، فقد أمرني أن أصبح لملك هذا التفجير عن احون امبراطورته

وقد رغبتُ إلى وزير الدولة هذا أن يقدم لامبراطوريات انولا، ولطاعة، وأن يخبره أنني اعتقد أنه لا ينبغي لشخص غريب مثلي أن يتدخل في شؤون المذاهب والأحزاب، وأنه رغم ذلك على استعداد للمحاربة بحياتي دفاعاً عن شخص حالته وعن دولته ضد جميع الغزاة.

## الفصل الخامس

المؤلف يبيع غزُرُ بواسطة نعمة غير عادية وتُعلمُ عليه بقلبٍ رفيع - مفقود امبرطور  
بثبُتُكو مصالون وبطلون السلام - شتمان حرق بالصدقة في جناح لامبراطورة  
رجوء المراء - الموفقا في إنقاذ بقية القصر .

امبراطورية بتيقُسُكو جزيرة تقع إلى الشمال الشرقي من ليليوت : ويعتصمها عنها فان  
مرصه تهاشانة باردة . لم يكن قد رايتُ هذا النقال بعد ، ولدى معرفتي بالغزو المرتقب - تجبُتُ اظهور  
عن ذلك الجانب من الساحل خشية أن تكشفني بعض سفن العدو اندي لم يكن قد سمع أخبار  
حني ، لأن الاتصالات بين الامبراطوريتين كانت معطوذة خلال احرب حظرا كاملاً : وعفريتها  
الاعداء ، ولأن امراطورنا كان قد امر بجمع السفن - ثما كان نوعها - من الإقلاع . وقد أطلعتُ  
جملته عن مشروع اعدائه لأشُرُ السفن الاعداء بكناله وهو رأس - كما أُنذرتُ ك دوريات  
الاستكشاف - في المياه ومستعد للإقلاع حالما تهب ربح مواتية . وقد امتدحتُ غوي الحيرة من  
ليبحرة حول عمق لثقال كما سيروه أكثر من مرة ، وأخبرني أن عمقه في الوسط يبلغ سبعين (جُلُم  
جُلُم) - أي حوالي مئة اقدام بوحداث القياس الأوربية ، أما بقية النقال ، فمبته لا يزيد عن  
حسين (جُلُم جُلُم) . وقد برئتُ إلى الساحل الشمالي الشرقي المواجه للجزيرة ثليقُسُكو ، واستلفتُ  
وزاء تلة صغيرة أم تُخرجُ مظهر الجب الصغير : وتخصصُ واسطته السفن الاعداء وهو رأس في  
البناء ، فوجدتُ أنه يتألف من خمسين بارجة حربية وعدد كبير من سفن الإمداد . حينذاك عدتُ إلى  
مسكي واصدرتُ أمرا (وكنيت قد حصلتُ عن تفويض بذلك) بإحضار كعبة كبيرة من أقوى  
حائهم وأعمدهم الحديدية . وكانت حبالهم في ثخن خيوط انقب وأعمدهم طوك وحجم أسرة  
أخياكة . وقد جُدتُ ثلاثة من حبلهم معا في حين واحد قوي ، كما ثبُتُ كل ثلاثة أعمدة في عمود  
واحد ، وعقفتُ أطرافها لتصبح شكل الخنطف . وبعد أن ربطتُ خمسين خطافا بعدد عائل من  
أخيلاء عدتُ إلى الساحل الشمالي الشرقي وحملتُ معي وخذائي وجورني ، وحملتُ إلى البحر وعمرُ  
سنة من اجلد ، وذلك قبل أن نصف ساعة . وقد رحلتُ أخوض بأسرع ما أستطيع ، ثم مبحث  
حين وجدتُ مصف القنار المسافة ثلاثين باردة حتى لثبُتُ فاعبائي فغر البحر ، ووصلتُ إلى  
الأسطول في أقل من نصف ساعة . وقد أصيب الأعداء بأفزع والدع حين رأوني وطفقوا يفرزون

إلى البحر ويجوزد في استطاع حيث كان هناك ما لا يقل عن ثلاثين ألف نسمة. وجيشه  
أخرجت غدر وثقت خطافا في ثقب في مقدمة كل سفينة، ثم ربطت أطراف كل الحبل في عقدة  
واحدة. وبينما كنت أقوم بهذا العمل، ألقى الأعداء على عدة آلاف من السهام التي انغرز الكثير منها  
في يدي ووجهي، فخشيت كثيرا بالإضافة إلى أنه سبت لي الكثير من الإزعاج والتأخير في عملي.  
كانت عيني أكثر ما تألم، ولما كان ذلك، فمن المؤكد أنني كنت سأفقد ما نزلتني تذكرت فجأة شيئا كنت  
قد احتفظت به بين لوري الصغيرة - وهو زوج من النظارات - في جيب جبرتي فلم تصل إليها، كما  
تذكرت من قبل. أنني مفتشي الامبراطور. ولأن أمرحت هذا الزوج من النظارات وبقوته قدر  
للمشروع فوق أضي، واستأنفت عملي بدلا رغم سهام الأعداء التي وقع الكثير منها على عدستي  
النظارة، فمما تركتني أثر أكثر من إحراجها قليلا عن مكانها. بعد أن ربهت كل الخطاطيف،  
استكثت للعقدة يدي وبدأت ألتزم، لكن لم تتحرك سفينة واحدة من مكانها، لأنها كانت مربوطة بقيد  
محكم بالمراسي. وهكذا بقي أدمي، أخطر جزء في معارفي. لهذا ألفت الحبل نازلا الخطاطيف  
مربوطة بالمراسي، ورجعت أقطع حصة وأصرد جميع الحبال التي تربط السفن بمراسيها، وتعرضت  
خلال هذا العمل لأكثر من مائتي سهم في وجهي وبنيتي. بعد ذلك استكثت للعقدة التي تنصفي فيها  
حبال الخطاطيف وجردت وراثي وبكسر سهونة حمين من أكثر حواج المدو الحرجة<sup>(١)</sup>.

لا يمكن لأي أهل بليفسكو أية فكرة عما لوي عمله، وأصابتهم المفاجأة والذهلة بالدعوى.  
بعد زلوتي أقطع حبال المراسي، وظنوا أنني لا ينبغي أن ترك السفن يطفو على غير هدى أو جعلها  
تضطرب بعضها ببعض لأحر. ولكنهم حين رأوا الأسطول تكاثفه يسم بانتظام، وزلوتي أبحر  
خلفي، انطلقت من حناجرهم صيحات الخوف والواس التي يعجز الوصف عن شرحها. وحين  
أصبحت في مائة من الخطر، توقفت رعدة ريثما أزرع السهام المنغزة في يدي ووجهي، وأمرأت أماكن  
الإصابة بالمرهم مع الذي أعطيت لي يوم رسولي إلى ليليوت كما ذكرت في حينه. ثم خلعته  
تفروق واضطرت حوالي ساعة حتى تراجع لأقليا، واستأنفت ليم عبر منتصف القنات عارًا وراثي  
حولتي، ووصلت سادا إلى البيت المأثور في ليليوت.

كان الامبراطور ورجان حاشيته كلهم يقومون على المشاطرة في انتظار ما تسمحضي عنه هذه  
المغامرة العظيمة. رأوا السفن تتحرك على شكل هلال كبير<sup>(٢)</sup>، ولم يستطيعوا رؤيتي لأن الماء كان  
يعمرني حتى أعلى صدري. وحين تقدمت إلى منتصف المجال ازداد ألهم وفرعهم، لأن الماء كان  
يعمرني حتى عنقي. واستنح الماء أنني قد حرقته، وأن السفن الأعداء كان يقترب بأسلوب  
معاذ. ولكن سرعان ما تبادلت غاروه، لأن ماء القنات كان يزداد ضخامة مع كل خطوة أخطوها،  
بحرث أصبحت بعد وقت قصير على مرأى منهم وسمع. وروعت في بنى العقدة التي تنصفي فيها  
الحبال التي تجر سفن الأسطول، وصححت بصوت عال: يعيش أقوى أباطرة ليليوت. واستقبلني هذا

الأمير العظيم لدى وصولي للدر بنكي اللون الفديح المكنة، وأهم عني عن الفور بلبت نارداك<sup>(١)</sup>، وهو أعني لقب نسيم.

وطلب مني جلالتك أن أنتهز فرصة أخرى لإحضار كل ما ينشئ من سفن الاعداد إلى مواته. وبهذا أتيت لي أن طسرح الامراء بلا حدود. ربيذو أنه لما ينكى يطمع إلى أقل من تعظيم مكانة بليمسكو، وتحول تلك الامراضورة بكاملها إلى معاطعة يحكمها نائب<sup>(٢)</sup>، وتعظيم جميع المعارض من أتباع مذهب الطرف الكثير شيشة. وزعماء أونتت الفوج على كسر ليس من طرفه الأصغر، وبهذا يصبح الملك الأوحدي في العالم كله. تكني حاولت أن أثبه عن هذه الخطة بمقتضات تستد إلى اصول النيسة وفدئ العدل وأعلت بوضوح أنني لن أكون أداة في تحوّل شعب من الأحرار الأيسة إلى شعب من العبيد. وسير نفوس هذا الموضوع في مجلس الامبراطور، كان اعتقاله من الوزراء من رأيي.

وكان هذا الإعلان الجري، التصريح متعارفاً كل التعرض مع بفظ جلاتك وسياساته، ولقد فإنه لم يستطع قد أن يعمره لي. وقد ذكره بأسلوب مذكر في مجلسه. وقد قيل لي إن بعض أعضاء في مجلسه كانوا من رأيي وظهور ذلك على الأقل في صميمهم، ولكن آخرين ممن كانوا أعدائي في اخفاء، لم يمنعو، غير انعموا ببعض العبارات التي تنطوي على التعريض والإساءة لي. ومنذ هذا الوقت بدأت يرى الملك وعصده من الثوراء الخاطلين عني وأصبرين على معادتي، مؤامرة ظهرت علامتها في أقل من شهرين وكادت تؤدي إلى القضاء على قضاء مبرماً إلى أعظم الخدمات التي تؤدّي للملك تصبح بلا قيمة رداً وضعت في الميزان مفضل لامتناع عن إرضاء أهوائهم.

بعد ثلاثة أسابيع من هذه الآثار والتميل الجليل، وصل وفد مهيب كبير من بليمسكو بحسن عروضاً لعقد معاهدة سلام. وقد تم عقد هذه المعاهدة بشروط مفيدة ومرضية لامبراطور، ولن تقلل عمل القارئ بقصصها. كان في الوفد ستة مفرد مع حاشية تضم حوالي خمسين شخص، وكان دعوتهم يتغل في رؤسنا مع نظمة لذي مولاهم وأهمية مهمهم. وبعد أن انتهوا من عقد المعاهدة، التي خدمتهم فيها عدة خدمات جليلة بفضل ما كان لي، كوستت أنه كان لي من مكانته في القصر. وقد قدموا معادتهم، وكانوا قد حاسروا بقدار مدافتي لهم، زيارة رسمية لي، بدأوا بالكلام عن شجاعتهم والذكاء من كرمي، ثم دعوا باسم مولاهم لامبراطور لزيادة عائلتهم، وزجوني إلى أريتهم بعض مظهر فوق اختياره التي كانوا قد سمعوا عنها شحبيب كثيرة. وقد أكرمهم بتلبية رجائهم، ولكنني لن أشغل عن القارئ بالتفاصيل.

وبعد أن أكرمته أصحاب السادة السواد بما أَرْضَعهم غاية انحصار رجا أكرمهم بلا حدود. طلبت منهم أن يقدموا بيانه عني آيات الاحترام لمولاهم الامبراطور التي ظفقت شهرة سابقه الأفاق

والذي استحقّ إعجاب العالم كله، وأن يبعوه أنني عازم على انصرفه بملوك يون يسي شخصه الملكي قبل أن أعود إلى بلادي. وبناه عليه، فإني حين شرعت برؤية امبراطورنا رَحَوْتُ معه أن يأذن لي بزيارة ملك بليفسكو. وقد تكلم بمنحي هذا الإذن، وكان واضحاً لي أنه فعل ذلك ببرود شديد. فكيف لم أعرف لذلك البرود سبباً حتى أمس في كُنْ شخص معيّر بأن لُصْنَاب وُلُفْلَام صرّاً له تعامل مع أولئك البغراء بأنه علامة مخطّ وعدم ولاء<sup>(١)</sup>، مع أنني متأكد أن قلبي كان يربّما من ذلك تماماً. وكانت هذه أول مرة أبدتُ فيها بتكوين فكرة بشربها النقص عن الفصير والبرور<sup>(٢)</sup>.

ومن أخير بالملاحظة أن السفر، كانوا يكتسبوني بواسطة مترجم؛ لأن لُفْنِي الامبراطورين لمعادن إحداهم من لأخرى كما تختلف أمة لعين في أوروبا. وكلّ أمة تمتاز بقدّم لغتها وجمالها وقدرها. وتحفر لغة جبر. ومع ذلك، فإن امبراطورنا استغلّ كونه في مركز قوة، لأنه أسر أسطولهم وأجر السفراء على تقديم أوزن اعتناهم وإثاء شخصهم بلغة قيليوت. ولا بد من التوضيح أن هناك بعضاً من بلغة النجوم والتجار والبحارة الذين يعيشون في المناطق الساحلية؛ يستمعون للتحدث باللغتين. وذلك بعض الاتصالات التجارية والمهنية بين المملكتين. وبسبب الترحيب الدائم الذي تلحّه كل منها للآخرين من الأخرى، ويفصل العدة الشيعة في كل منى لندي الزلاء والأثرياء، والمتشبهة في إرسان أبنائهم الغريب إلى البيت الآخر لكي يصفقوا أنفسهم برؤية الدنيا وفهم الناس والعادات. وهذا ما اكتشفته بعد بضعة أسابيع حين أسألتني في المصائب سبب حقد أعدائي، وذهبتُ إلى تقديم أبلت الاحترام لامبراطور بليفسكو. في هذه المناسبة كانت معرفة عمل بليفسكو بلغة قيليوت مصدر عون عظيم لي كما سابق في الوقت المناسب.

يذكر المغاربي أنني حين زُفْتُ عن الموليفة لني بُلْتُ عوجها حريق، كان فيها بعض أفراد اني فُرْهُهَا لا فيها من سيودية وإذلال، ونولا الضرورة المفضى لما خضعتُ لها وقدتُ بها. وسين أُنْعِم عليّ بلقب فزرك، وحررتُ انتمى إلى أعلى مرتبة وطبقة في تلك الامبراطورية؛ صار بما لا ينبي كرامتي من أؤذي تلك الخدمات التي تنص عليها الوثيقة. وللإنصاف أقول إن الامبراطور لم يُدْأَرْ قط بملك خدمات على كل حال لم يمض وقت طويل حتى أُنْجَحْتُ في فرصة نادرة لخدمة جليلة جدّاً. على لأمر هذا ما فنته حينذاك. ذات ليلة، عند منتصف الليل، أُنْزَعْتُ مرحلات ملئت من الناس عند باني؛ أيقظني ملك المرحلات فجأة وشعرتُ بشيء من الرعب. سمعتُ كلمة بيرغنوم تكرر باستمرار، وشئٌ عدد من رجال القصر طربقهم بين جمهور، وتوصلوا إلى أن أُخْضِرَ إلى القصر في الحزن، لأن جناح جلانها يعزف بسبب زهان إحدى الوصيفات التي غُفْتُ وهي اقرا قصة غرامية<sup>(٣)</sup>. غُفْتُ في الحال. ولا عُدْرتُ لأوامر الناس بخلاء الطريق أمامي وكانت الليل مغمرة فقد تدبرتُ أمر الوصول إلى القصر دون أن أدبس على أحد من الناس. وخذتهم قد وضعوا

السلام على جدران الجناح المحترق وتزودوا بسلام الله، لكن لك كذا بعين، وكانت الدلاء لا تزيد في سعتها عن الكشتن. ورغم أن لصاتين بذنوا كل ما في وسعهم لتزويدي بهذه الدلاء بأسرع ما يستطيعون، فإن النار كانت تزداد عنفاً واشتعالاً ولم تُجِدْ دلاءهم نفعاً. كان يمكن وبسهولة أن أجد النار بمعطفي، ولكنني لسوء الحظ كنت قد نسيت سبب المرحلة، ولم أخضر ولا في سترتي الجديدة. وبدأ لي الأمر كإنه عزة ميتوس من تلافوها. إن هذا القصر العظيم الزائع مبحرق لا محالة حتى يصبح دكاً على الأرض، تكن محات خضرت قدمني حاضرة بكل مناسبات. وهذا أمر غير عادي. فقد شربت في ذلك المساء كمية كبيرة من نبيذ اللذيذ المذاق اسمه جليم جريم وسميه أهل بليفسكو فلونيك، ولكن نبيذا يعتبر أفضل من سبدهم. وكانت صدقة من أعظم الصدقات في العالم، أني لم أكن قد أفرغت أو أفرغت شيئاً منه بعد. لكن حوارة النار التي كنت قريباً منها، والجيود التي بدت لها لإحراق تلك النار جعلت أشد تنحوراً في جسمي إلى يومئذٍ نُبُلَّة بكلمات كبيرة. وصوتته نصوتاً جيداً إلى الأماكن الملهية، مما أخذ الحريق كله في ثلاث دقائق. "رائحة بنية ذلك المبي العظيم، الذي استغرق تشييده أجيالاً، من الدمار

هنا كان ضوء النهار قد انبج. فعُدْتُ إلى بيتي دون أن أنظر النهائي من الأمر. طور. فرغم أني أدبْتُ خدمة حذيفة، لم أكن أعرف إلى أي مدى يبيع غفسه حين يعلم الطريقة التي تُجرَتْ بها تلك الخدمة. لأنه طبقاً للقوانين الأصولية في تلك السلطنة، يُعَفَّر النبول في فناء انقصر جنازة كبرى، إذا كان شخص النبائل وأياً كانت مكانته. ولكنني أحسست بشيء من المرح حين وصفتي رسالة من جلالتة تفوق أنه سيصدر أوامره إلى السلطة القضائية لعديا لإصدار عفو رسمي. ولكنني رغم هذا لم أحصل على هذا العفو. وقد أخذ لي مفسر خاص أن الامبراطورة اعترت ما فعلته عملاً كريهاً مقيماً، وبنيت إلى أبعد جانب عن الجناح المحترق، وقررت بإصرار أن لا يتم إصلاح تلك المبني أبداً لكي تستعماها هي، ولم تكون عن التهديد بالانتقام. وذلك بحضور أصدقائها الموثوقين.

## الفصل السادس

وصف سكان ليليبوت<sup>(١)</sup>، علومهم وقوانينهم وعاداتهم، والطريق التي يتربون بها أبناءهم. أسلوب حياة المؤلف في تلك البلاد. دفعه نبذة مبسطة عظيمة

ورغم أنني أتري أن أترك وصف الإمبراطورية لرعاة خاصة، أكتفي في هذه الأثناء بإرضاء فضول القارئ ببعض الأفكار العامة. مما أن أطول الشائع لأبناء ليليبوت الأصميين أهل قنبلاً من ست برصيات، كذلك فإن طون الحيوانات والنباتات والأشجار متناسب بدقة مع طون الشر وعلى سبيل المثال، فإن طول أكبر الجملاء والثيران يتراوح بين أربع وخمس حوصات، وطول العنم حوالي بوصة ونصف وحجم الإوزة عندهم هو كحجم هدهود الشوري عندنا، وهكذا تتدرج أحجام الأشياء هبوطاً حتى تصل إلى صغرها، وهذه بالنسبة لعيني كانت تكون غير مرئية. لكن الطبيعة غدت عيون أهل ليليبوت، حيث جعلتها متناسبة مع صغور الأشياء التي يتحسون رؤيتها. فهم يرون الأشياء بدقة، لكن بصرهم لا يصل مسافات بعيدة. ولكن أوضح جنة بصرهم تجاه الأشياء القريبة أذكر أنني كثيراً ما سمعت رؤيتهم طباخ يشف ريش قبرة لا يبلغ حجمها حجم ذبابة عادية عندنا، أو فتاة تُجبل حوطاً حريشاً لا أراه، في شبه إبرة لا أراها. وطول أشجارهم لا يزيد ارتفاعها عن سبعة أقدام. أقصد بذلك بعض تلك الأشجار الموجودة في حديقة الملك الكبيرة، والتي كنت أصِل إلى ههنا بقبضي المتعبة، وسجد الناس نفسه في حجم النباتات والمصراوات. لكنني أترك هذا الموضوع لحيات القارئ.

نر أذكر في الوقت الحاضر سوى القليل عن علومهم التي كانت مزدهرة في مختلف المروج منذ عصور عديدة. لكن علومهم في الكتابة<sup>(٢)</sup> غريب جداً، فهم لا يكتبون من اليسار اليمين كما يفعل الأوروبيون، ولا من اليمين لليسار كما يفعل العرب، ولا من الأعلى للأسفل كما يفعل الصينيون، ولا من الأسفل للأعلى كما يفعل الفاسكيون، ولكن شكل مائل من زاوية الورقة إلى الزاوية المضادة كما تفعل الهيدات في إنجلترا

وهم حين يدفعون موتاهم بضمون رأس الميت في الأسفل<sup>(٣)</sup> لأنهم يعتقدون أن جميع المور سيعثرون أجسادهم بعد أحد عشر ألف سنة، وفي هذه الفترة ستقلب الأرض، التي يعتقدون أنها



مسطحة، بحيث يصبح سافلها عاليها وهكذا فإن الذين سيجدون أنفسهم يوم البعث واقفين على قدميهم، ويعرف المستعمون منهم بسيف هذا الأعظم. ولكن من الموق بالطريقة التي ذكرناها مستمرة، محاربة لمعتقدات العامة والسوقة

وهذا بعض القوانين والعادات العربية في عهد الامبراطورية، ونولا أنها تتعارض تعارضاً مباشراً مع قوانين وعادات بلادتي الغالية، لحادث أن أقول شيئاً مما عناه عنها. وكل ما قلناه أنها كانت تُنفذ جيداً. أول قانون سادس يتعلق بالمخبرين. في آخرهم ضد انقولة تعاقب هنا بقسوة بالغة. لكن إذا استطاع الشهم اثباته المحاكمة أن ثبت برأته، فإن المخبر الواشي يُعذب على الفور ويموت مية مشية، ويخوض الشخص النجس، من أموال الواشي وعقاراته أربعة أضعاف عن خسارة وقته، وعن الحط الذي تعرض له، وعن مشاق السجن، وعن التكليف التي تكبدها لإعداد دفاعه وإثبات برأته. وإذا كانت أموال الواشي لا تكفي، يتكفل الامبراطور بالتعويض عنه. أصبف إن هذا أن الامبراطور يُعقب عن الشهم النجس، بشكل علني، ويطلق منادياً يعلن برأته في جميع أنحاء المدينة.

كذلك فإن الدجل والاحتيال جريمة أكبر في نظرهم من السرقة<sup>(١٠)</sup>، ولهذا ندر أن يعاقبوا هذه الجريمة بأقل من الموت. وهم يرون أن الحرص واليقظة، مع قدر عادي من الفهم، تحمي للإنسان أشياء من اللصوص، ولكن ليس للأمانة ما يحصل ضد المكر العقول والتلجج الذكي. وبما أنه من الضروري أن يستمر التعامل بالبيع والشراء، وعلى أساس من الثقة والأمانة، فإن السماح بالاحتيال أو التهاون فيه أو غياب انقانون اتزادع له، يؤدي دائماً إلى تدمير الشرف والأمانة وفوز لحائزين والاندجالين بالخيرات. وأذكر أنني تشفعت ذات مرة عند الملك منحرم كان قد احتال عن عبده بمبلغ ضخم من النقود استلمه منه بأمر رسمي وعرب به. وصفه أن نشت للمنت، بقصد التخفيف من خطورة الجريمة، إن الأمر لا يبدو كونه نقضاً للأمانة. ناستفزع الامبراطور هذا الدفاع، واستمر عازراً تهمج من المنت. ولكن أنه لم يكن لدي ما أذكره سوى قوة الدالوف بأن تشعوب المختلفة عادات مختلفة. وأعترف أن يومذاك حدثت من نفسي كل الحجل.

ومع أنا في العدة نعرض الثوب والعقاب المحورين للذين يقوم عبيد الحكم<sup>(١١)</sup>، فإني لم أذكر هذا ابتداءً مطبقاً لدى أي شعب سوى شعب ليليويت<sup>(١٢)</sup>. هناك، كل من يقدم ذليلاً كافياً عن التزم الكامل لخوانين بلاده طيلة ثلاثة وسعين قمراً، يصبح له الحق في حصص الامتيازات التي تناسب مع رتبة ومكانته في الحياة، وفي مبلغ مناسب من النقود من صندوق تخصص لهذه الغاية. كذلك فإنه يحصل لقب سبطال أي التزام بالقانون، وهو لقب يضاف إلى اسمه. لكن لا ترتبه شريته. ونحن أخبرت هؤلاء القوم أن القانون في بلادنا لا يُطبق إلا العقوبات فقط، وليس به ذكر

للمساكنات، اعتبروا ذلك عيباً كبيراً ونقصاً خطيراً في ميامت. وهذا السبب فإن لاحتلال العدالة في محاكمهم القضائية حيون سنة الثمان في لأمام، واتيان في الحلف واحدة في كل جانب، وذلك للدلالة على قام الحذر وكين الحيط، وفي البلد النوبي ذلك لاحتلال تيسر مقترح ملي، بالذهب، وفي يد اليسرى سيف مغبر، وذلك للدلالة على أن العدالة أميل إلى منح انتواب من إلى انزال العقاب.

وعند اختيار اشخاص تشغل الوظائف، يفضون ذوي الأخلاق الجديدة على ذوي الكهنات العظيمة. وى أن المحكم ضروري للبشر، فإنهم يؤمنون أن قدرات الناس العاديين على الفهم تتناسب مع هذه الوظيفة أو تلك، وأن العناية الإلهية لم تقصّب كذا أن تكون إدارة لشؤون العامة لغزاً لا تفهم إلا بعدة من عوي البروغ المغرّب الذين قلّ بولك منهم في العصر الواحد أكثر من ثلاثة. وهم يعتقدون كذلك أن الصدق والعزم والاعتدال وما إليها من أمور، يتدر عنها كين إنسان، وأن عبارة هذه الفضائل، بالإضافة إلى خبرة والنية الحظية، تؤهل كل إنسان خدمة بلاده، إلا حيث يتطلب الأمر قدر من الدراسة والعلم. ولكنهم يعتقدون أن غياب الفضائل الأخلاقية، لا يمكن التعويض عنه بالموجب العقلية المعوقة، وأنه لا يمكن وضع المؤاخذ في الأدبيات الشهيرة التي هذا مثل هذه الصفات. على الأقل، إن أعطاه التي يرتكبها عن جهل أو طبع فاضل، لن تكون ذات عواقب وخيمة بالنسبة للمصلحة العامة، مثل منزوات والاحب من يفوده طمعه إلى الفساد، وتتوفر لديه قدرات هائلة لأرتكاب الفساد وزيدته ولتفاج عنه.

كذلك فإن الكفر بوجود عناية إلهية يحرم المرء عبر مؤهل لشغل أية وظيفة عامة<sup>(١٢)</sup>، وبما أن الملوك يدعون أنهم نواب العناية الإلهية، فإن أهل ليليوت لا يرون شيئاً أكثر خطراً وصلالاً من أن يستخدم الملك أشخاصاً بكفرون تحت السلطة الإلهية التي يحكم هو في ظلها وبيانة عنها.

ولدى وصولي لهذه وغيرها من القوانين والمؤسسات، أرجو أن أتيه القارئ إلى أنني أحيي القوانين والمؤسسات الأولى الأصلية: ونسب الفساد والمخالفات والتجاوزات المعاصرة صفاً التي يرتكبها هؤلاء تقوم بسبب الطبيعة الفاسدة للإنسان. أما بالنسبة إلى الأسلوب المقصوح في الحصول على المناصب العالية عن طريق الترفص عن الخيال، أو على أوسعة التعمير والتقدير عن طريق التفرغ من فوق العصى أو الزحف من تحتها، فإنني أرجو القارئ أن يلاحظ أن هذه الممارسات أوحدها لأول مرة جند لامبرامور الذي يحكم حالي<sup>(١٣)</sup>، وأنها رادت إلى هذا الغدر بسبب ازدياد التحرب والانهيار.

نذكر أن الحميل عثمهم جريمة كبرى<sup>(١٤)</sup>، كما نقرأ أنها كذلك في بعض البلدان الأخرى. وهم يرددون ذلك بما في من يسيء من يحس إليه: لا بد أن يكون عدو لغية البشر الذين لا يدين لهم

بأي فصل، ولهذا فإن هذا الإنسان غير جدير بأن يعيش.

تكن أفكارهم عن واجبات الآباء تختلف اختلافاً شديداً عن أفكارنا، بما أن اقتران الذكر والأنثى يقوم على قانون الطبيعة العظيم، لكي يتاصل الجنس البشري ويكثر ويستمر، فإن أهل ليليوث يفكرون في القول بأن الرجال مجتمعون بالنساء كما تفعل الحيوانات بدوافع الشهوة، وأن حديثهم على صغارهم يصدر عن مصدر طبيعي غامض. ولهذا السبب لا يعتبرون أبداً أن الطفل مدين بالفضل لآبيه، لأنه أنجبه أو لأنه لأنها جاءت به إلى هذا العالم. ولو أخذنا بعين الاعتبار ما في هذا العالم من تعاسة شديدة، فإننا نجد أن الطفل لهذا الغموض انشقي ليس مفيداً في حد ذاته، ولم يكن مقصوداً كذلك من ناحية الوالدين اللذين كانت أفكارهما خلال لقاءهما الغرامية منصبة على أشياء أخرى. لهذه الأسباب وأماها يرى أهل ليليوث أن الوالدين هما آخر من ينبغي أن يفهم إليهما بتربية أطفالهما<sup>(١)</sup>. ولهذا فإن لديهم في كل بلدة دور حضانة يفرض على جميع الآباء، ما عد الفلاحين والعلماء، أن يرسلوا أطفالهم من الحنسن إليها حتى تنبع أعمارهم عشرين عاماً، لكي تقوم بتثقيفهم وتربيتهم، إذ يفترض أنهم في هذه السن تتوفر فيهم بداية الرغبة في التعلم. وهذه المدارس أنواع متعددة تناسب مختلف الطبقات كما تناسب الجنسين. وفي هذه المدارس معلمون مدربون تدريباً جيداً، لإعداد الأطفال لتلك المراكز والأوضاع الحياتية التي تناسب مع رتبة آبائهم وطبقتهم، كما تناسب مع قدراتهم وميولهم. وسأبدأ بذكر بعض الأمور من مدارس المذكور ثم عن مدارس الإناث.

مدارس الذكور من أصل نبيل أو رفيع، مزودة بأستاذة وقوانين راسية للعلم، ومعلمين أكثرين. ملابس الأطفال وطعامهم عادي وبسيط. وهم يؤمنون على مبادئ الشرف والاعتدال والشجاعة والتواضع، والاعتدال والرفقة، والذين وحسب الوطن. وهم دائماً يمشون معاً<sup>(٢)</sup>، ولا في أوقات الأكل والنوم التي هي قصيرة جداً، وفي الساعتين المخصصتين للتسلية التي تتكون من تمرينات جسدية. ويقوم رجال بالسهم ليأبهم حتى يبلغوا الرابعة، وبعد ذلك يفرض عليهم مهام غصنك مكانتهم وطبقتهم أن يرتدوا لباسهم بأنفسهم. أما الخادوات من النساء، فتبلغ أعمارهن ما يساوي أعمار نسائنا في من الخمسين، ولا يصح إلا بالأعمال الوضعية الشاقة. ولا يُسمح للأطفال هنا بالتحدث مع الخدم أبداً. وهم يذهبون إلى رياضاتهم وتربيتهم في جماعات صغيرة أو كبيرة ودائمي في حضور أستاذ أو كمد معلمي، وهذا يتحيزون تلك الانطباعات المبكرة عن الاحكامات والنزائل التي يتقبل بها أطفالنا. ولا يُسمح لوالديهم أن يرددهم ولا مزجون في التعلم، ولا تدوم الزيارة الواحدة أكثر من ساعة واحدة، ويُسمح لها بتفصيل الأطفال عند انتهاء وعند الدوام. ولكن الأستاذ الذي يفسر دائماً هذه اللقائات لم يسمح لها بالغمس والوشوشة أو باستخدام عبارات التذليل أو بإحضار أية هدايا كالألعاب والفنسي وأحليوات أو ما إلى ذلك<sup>(٣)</sup>.

ونُدفع كي أسرة رسوماً دورية مقابل تربية أطفالهم وتعليمهم، وإذا تأخرت أسرة عن دفع الرسوم يقوم رجال الأميرالوز حبسها منها.

أما مدرّس أطفال الملكة العاديين والشعر والحرفين فنُدّر بالأسلوب نفسه، ويمكن يتناوب مع إرباص أبائهم، فيما عدا أبناء الحرفيين الذين يتكون المدرسة وهم في سن السابعة لكي يتدربوا على حرفهم. أما أبناء الأشخاص ذوي الملكية الأخرى، فيستمر تعليمهم وتدريبهم حتى سن الخامسة عشرة، وهو يساوي عندنا سن الحادية والعشرين.

في مدارس البنات يتم تعليم البنات شكل مشدّد كثيرًا لتعليم البنين، لكن تُلبّس البنات بموضات خاصّة بنظام خاص، وذلك بحسب رتبتهن أو منتهن، وحين يفتن الحفصة يُقرّهن عليهن ثوب مرتدن ملابسهن بأنفسهن. وإذا ضيّقت هؤلاء المدرّسات وهن سهران على تربية البنات فيخصّص هيئة أو حفصة واحدة، أو على اقتراب الحفقات التي تقرّنها خدامات عرف المرسوم عندنا، فليس يُقدّر على ثلاث مرات في أنحاء المدينة، ثم يوضّح في السجن لمدة عام، ثم يُقنّن مدى الحيلة إلى أقرى جزء في البلاد. ولهذا فإن السيدات الصغيرات هناك يجعلن، كي يفعل الرجال، من أية تصرفات عد على وجه أو حقيقة، ويعتقن كل أنواع التربية الشخصية<sup>(١)</sup> خارج حدود الحشمة والظنّان. وإلا لا يجد أي اعتلاء أو فرق في تعديهن<sup>(٢)</sup> بسبب اختلاف جنسهن، سوى أن تدريبات الإناث أقلّ شأناً وصغراً، وأنهن يُخطّرن التعيينات والمواعيد الخاصة بالحياة المدنية، وأن كمية المعلومات المطلوبة منهن أقلّ فهم يرون أن عمل الزوجة في المنطقة الريفية أن تكون رفيعة ودودة وحاققة، لأنها لا تستطيع أن تعمل بمهنة. وحين تصبح البنات في الثانية عشرة، وهو سن الزواج عندهم، يأخذها والدها أو الوصي عليها إلى البيت، معترفاً بالفصل الكبير للأمانة، وقبلها يتم هذا دون غرض لغرض من السيمة الصغيرة ورفيقاتها.

وفي سن خمس الإناث من الطبقات الأدنى، تُدرّب الطفلات على جميع أنواع الأعمال المناسبة لجنسهن ومهنتهن. ومن كانت مكتوبة أن تتدرب على حرفه، تترك المدرسة في سن السابعة، أما الأخريات فيبقين حتى سن الحادية عشرة.

الاعتمادات الخاصّة التي لها الصالح في هذه المدارس، يُقرّض عليها دفع الرسوم السنوية المنخفضة إلى أقصى حد محتمل، ويُقدّم حرم صغير من إنتاجها في كل شهر إلى مدير المدرسة للانفاق عن حالة العمل. وهكذا فإن كل الابن منزول دونه بنفقات أطفالهم. ويرى أهل طليبووت أنه ليس هناك غنى أكبر من أن يستحب الناس لشهواتهم فيجبون أطفالاً تم وتكون عيه إعتهم عن الجميع. أما بالنسبة للأبناء من الطبقات الرفيعة، فإن عليهم أن يخصصوا لكل طفل من أطفالهم

مبطلًا من المذنب يناسب ضبطهم ومكثهم. وتُدبر هذه الأموال بأسلوب اقتصادي سليم ويتفق منها بالعدل والمسطرة.

أما الملاحون والعمال فإن أطقمهم يُنفقون معهم لأن عملهم في الحياة ينحصر في فلاحه الأرض واستثمارها. لأن تعليمهم في المدارس لا جدوى منه للمجتمع. كما المنون والمجزة منهم، فتعومهم المؤسسات والملاحين الأخيرة، لأن النول والشفافة حرفة غير معروفة في هذه الامبراطورية.

وهي ربما يكون من المتع بالنسبة لبعض الفضولي. أن أقدم له وصفًا لحيتي المنزلية وأسلوب معيشتي في هذه البلاد، خلال إقامة امتدت تسعة شهور وثلاثة عشر يومًا. أنا ذو عقله صلبة، وأصل إلى طبع الانشياء يذوي هذا، ويدافع الحاجة. صنعت نفسي طنونة وكريمًا متعصبين، وذلك من أكبر الأضرار في الحديقة الملكية. وقد استُخدمت مائة حيوانة لهندسة فمحصان في وملايات وعطية لغراشي وضوئي، وذلك من أقوى وأخشن الاقنسة عدهم. ولأن أسنفت قماش عدهم أرق من الشاش السفاف عندنا، فقد اصطلحت الحياضات إلى أن يصنع حياضات منه فوق بعضها، ثم يبرزها عرضًا وطولًا. عرض ثفة القماش عدهم ثلاث يوحسات، وطولها ثلاثة أقدام. كانت الحياضات بأحد من مقامي وأنا مستلقي على الأرض، تنقب واحدة منهم عن حيتي وثانية فوق وسط مقامي، وسمن حبل قوي تمت كل منها بطرف منه، بينها كانت ثلاثة تغير حول الحبل ببطء طوط بوضه واحد. ثم كن بفكر محيط إليهم الذين ويكتمون بذلك. وحسب معادلات رياضية مثل، صمدًا عوط الأهم يديهم محيط الرسخ، وهكذا بالنسبة لشعني والحصر، وبالاستعانة ببعضي القديم الذي كنت قد سيطرته على الأرض أمامهم كنموذج، فمكنت الحياضات من صنيع فمحصان على مقامي تمامًا. كذلك استُخدمت ثلاثمائة حياض لعمل ملاسي، واتبعوا أساليب مختلفة في كل شيء، ما عدا طريقة أخذ القياس، فإن طبع طريقة أخرى. كنت أركع، وبضمون سبًا يصل إلى رقبتي، ويصعد عليه واحد منهم حتى يصل إلى عاتقي. ومن هناك يُشدّ حيط عموديًا من ياقتي إلى الأرض، وكانوا يعتدون طول هذا الحيط مساويًا لطول معطفي. أما مفنس عصري وضرمي، فكنت أحاطه بتعبي. وقد تم عمل المقصان والملاسي كلها في بيتي، لأنه ليس عندهم بيت يشع لثلثه الأعداد. وحين انتهت ملاسي بليت مثل المرقعات التي تصنعهن السيدات بالحقير - الفرق الوحيد هو أن مرقعاتي كانت كلها بليت واحد.

وكان لدي ثلاثمائة طابخ لإعداد طعامي. كانوا هم وعائلاتهم يعيشون في أكوخ منسوبة يُنفق ضم حول مسكني. وكان كل طابخ منهم يُعند لي طبق. كنت أحمل عشرين من خدم المائدة في يدي وأصعبهم عن الطاوله. وكان مائة آخرون يقفون على الأرض بعضهم يحمل أطباق الناعم والبعض الآخر يحملون على أكتافهم براميل شيد أو السوائل الأخرى. وكان الذين عن تطايرة يحضرون لي

ما اطلبه بطريقة مدعة جداً، إذ كان يأبسون حبات في طرف كل حبل سدة يوضع فيها الطبق أو البرميل، فيسحبون ذلك الحبل كما يفعل في أوروبا حين يسحب دلوًا من بئر. كان طبق اللحم يسوي نقعة جيدة، وبرميل النبيذ جرة معفولة. لحم غرافيه قليل جودة من لحم خرافا، ولكن لحم عجولهم ممتاز. واحيانًا كانوا يأبون بفنعة كبيرة جدًا من لحم العجل فأضطروا تقطيعها إلى ثلاث نقعات. ولكن هذا كان نادر الحدوث. وكان خدمي يذهبون إلى يوليوس أكل نعظم مع اللحم. كما يفعل في بلادنا حين نأكل فخذ قربة. وكنت أكلُ يُوزعهم أو ديكهم الرومي في نفس راحة. ولا بد أن اعترف أن إزراءهم وديوكهم اللطيف وأنما منها عند أم، ثلاثة لصيودهم الصغرى فكانت أحلى عشرين أو الثلاثين منها على طرف سكين.

بعد أن علم جلالة الامبراطور بعضة معيشتي، ذهب ذات يوم أن يشرفني بحضوره شخص، نوافته زوجته الامبراطورة وكلاهما الامراء والأميرات لكي يسعدوا (هكذا أحب أن يعف الأمر) بضوء طعامهم معي. وقد حضروا بالتفعل، فرغتهم وأنجاسهم على كرسي ملكية فوق طائري وفي مواجني، وحيهم حراسهم. وكذلك جاء قنينات، وزير الخزانة معه عصاه الرسمية البيضاء<sup>(١١٧)</sup>. وقد لاحظت أنه كان يُكثير من النظر إلى بوجه حابس متحجم، ولكن تقاعرت بتجاهل نظراته، وأكلت أكثر من عافني نكرًا لاداعي، أكلًا وشرابًا على إشارة إعجاب الامبراطور وحاشيت. وقد تفرقت بعدئذٍ لسبب خاضع تحملي على الاعتقاد أن هذه الزيارة التي قدم بها جلالاته أعطت قنينات فرصة لإعادة إلى عند سيده. فقد كان هذا الوزير يُضطر لي التدهاء دائمًا، مع أنه كان يلاحظني في الظاهر ملاحظة لا تتفق مع أنجب طبعه. انه ممرور للامرصور سوء أحوال الخربة، وأنه اضطر لاقتراف الامور بغواند ديون عاليًا، وأن سلات ثوبه التي يصورها لا يشترج ثياب إلا بعد خصم أكثر من ١٩ من بينها. وزير جلالة الامرصور أن نفقت إعطاني زادت على مليون ونصف المليون شلورج (وهي أكبر مسكوكه ذهبية عندهم حجج حبة البرق)، ولملخص الأمر أنه يرى من انقصر أن يتجه جلالات أول فرصة مواتية للتخلص مني.

وما أشيد لرائد على أن يُرئي مدحة سيده عظيمة<sup>(١١٨)</sup> كانت صحبة بريته بسبي. فقد عيها وزير الخزانة أن يشعر بالغيرة على زوجته بسبب الألفة الشريفة خالدة التي أعبره أن صاحبة السعادة زوجة متعبة بحس، وتقيم غرورًا شخصي. وقد تداولت ألسنة الناس في انقصر هذه الفضيحة، إذ اذعنوا أنها زلني مرًا في مسكني. وأمر أكل كل حزم أن هذه قربة لثيمة، ولا بأس لها سوى أن سعدتها كانت تعاصي بلطف ومودة بريته. أعترف أنها جمدت مرارًا إلى بيتي، ولكن ذلك كان يتم عفا. وهي لم تزور قط إلا ومعها في العربة ثلاث رفيقات، هن أختها ونسها وراحدة من معارفها. ولكن هذا ما كانت تمنعه أيضًا من أن تحب من انقصر. وليأثروا خدمني المتعطفين في الذين كانوا يعرفون كل من يكون في الحركات التي تار إلى باير، وفي هذه المناسبات

تحت أنف حلة يخترق الخدم، وأذهب إلى الباب، وبعد أن أقدم كل ثياب الاحياء، وترحاب.  
 همس العربة وحسانين بين يدي بكى عذبة ورفق (وحين يكرر هناك سنة حياء كان اسائق يخلل  
 سبيل اربعة منها)، ثم انصمها فوق الطاولة التي كنت قد وضعت على حوائط حجرة سارتفاع خمس  
 بوصات متنا للحوادث. وكثيرا ما كان يجتمع عندي على الطاولة دبعة و حدة، أربع عربات يبعدها  
 وكل من في داخلها من الزوار، فأجلس على الكرسي وأقبل بوجهي نحوهم. وحين كنت أسمع  
 مع مجموعة منهم، كان سائقو العربات يسرفون عرباتهم عن فيها من المجموعات الأخرى في زهرة  
 حول الطاولة. وما أكثر الاسماء التي قصيتها في أحاديث شيقه من هذا النوع. وأتحدث وزير  
 الخزانة أو حاسوبيه (وسأفكر سميها هـ ونيفلا ما بشاذان)، وهما ثلثشترن وثلاثون<sup>١٨٨</sup>، إن بيتنا  
 أن أحد، زارن قط منخب أو مجهول الهوية<sup>١٨٩</sup>؛ غيا عدا وكيل الوزارة ريندرسال، اندي أربيل  
 إلى بامر حريج من جلالة الاميراصور، كما ذكرت من قبل. وما كنت لأتوقف طويلا عند هذه  
 الحادثة، لولا أن عمن شرف سيدة عظيمة من حضرة<sup>١٩٠</sup>، بن وكسر شرفي، -سمعتي ايضا، -رغم كبري  
 أشرف بحمل لك نازده الذي لا يحمله هو. فكل الدنيا تعرف أنه ليس سوى ثوبم ظلموم وهو  
 لقب يقى درجة عن لثبي<sup>١٩١</sup>، كما بفل لقب ماركيث عن لقب دوق في تجسرا -ورغم ذلك أعترف  
 أنه أعلى مني منصبيا. عن كل حال، كانت هذه المعلومات الكاثرة، التي عمت بها فيما بعد عن  
 طريق صدقة لا يثيق أن أذكرها، قد جعلت وزير الخزانة يدنو: وجهه متجههم لبعض ثوبت، ويطالعني  
 بعينس أكثر غمها. ومع أن الحقيقة كانت نه آخر الأمر، فتصالح مع زوجته، إلا أن معادته لي ظلت  
 مستمرة. كما وجدت أن علاقتي مع الاميرطور نفسه راحت تتدهور بسرعة، لأنه كان يكثر تناثر  
 غيرة حقا برأي ذلك الوزير الخروب يبع.

## الفصل السابع

مازنت يعلم بمؤامره لانياسه سليمانة المفسر فيهرب إلى بليفسكو. وهناك  
لاستعبته هناك.

حين أن أبدأ بشرح كيفية مغازلي هذه الممكة، قد يكون منسيب أن أبلغ انتقائي على مؤامرة  
سرية كانت محاك ضدتي منذ شهرين.

كنت طيلة حياتي وحتى الآن غريباً عن انفسور الملكية التي لم أكن مؤملاً لها بسبب وصاعة  
أصلي وطبقتي الاجتماعية. وكنت في الحفظة قد سمعتُ ونزلتُ الكثير عن حياج الأمراء والوزراء  
العظم. ولكني لم أتوقع قط أن أحد من أخصامي المروعة في بلاد تبعه كل هذا البعد<sup>(١)</sup>، وتحكمها،  
كما ظننت، مبادئ تختلف في تلك التي تحكم أوروبا.

عندما كنت أتعاب لزيارة امبراطور بليفسكو وأكون بين يديه. جهلي في الليل وبشكل برقي  
وداسي تخلفه منبقة. شخص مرموق في انفسور<sup>(٢)</sup>، وكنت قد خدمته خدمات جليلة حينما كان منصوباً  
عليه من قبل صاحب الجلالة الامبراطور، وطلب مقابلي دون أن يذكر اسمه. وبعد أن صرفنا  
خيلي المحقة، وضعت المحقة، وميادنه داخلها، في حيب معطفي. وبعد أن أصدرت الأوامر لحائيم  
مربوق أن يقول أنني مريض ونائم، أغلقت باب منزلي ووضعت الحفظة على النظارة كما كنت أفعل  
دائماً وجلست أمامها. وبعد أن انتهت من التحيات المعتادة لاحظتُ أن وجبة سيادته مُقَدَّم بهمهم  
والقنى واستغفرت عن سب ذلك، فطلب مني أن أصغي إليه في صبر، لأن الموضوع يخفى شرفي  
وحياتي. ربما يلي أنقوى ما قال، لأنني سجلتُ أهم ما قاله سائلاً انصرف.

قال: علينا أن نعلم أنه قد عُقدت في الدولة الأخيرة عدة جلسات وبشكل برقي هذا  
بسببك، ومنذ يومين فقط ووصل جلالتك إلى انقوار الأسير.

أت ندرك أن سكايريشي بُلُقلام، وهو - غالباً أو يذير الحرية - كان عدوك اللئيم منذ  
وصولك تفرياً. ونست أعرف الأسباب الأصيلة لعدائه، لكن كرمه لك ازداد كثير<sup>(٣)</sup> بعد انتصارك  
لعظيم على بليفسكو مما أنقذه هبته وحسن مجده كأمير للبحر. وقد قدم هذا التردد بالتعاون مع



فليستاب وزير المالية الذي عُرف بعدارته لك بسبب زوجته، وليفيسوك القاض، والفكرن صاحب، وناثوف رئيس المحكمة العليا<sup>(١٢)</sup>، بإعداد لائحة اتهام ضدك، يتهمونك فيها بالخيانة العظمى وجنایات كبرى أخرى.

هذه المقدمة جعلني أفقد صبري إذ كنت متأكدًا من برائي وفضلي وحسبي، وأحاول مقاضعتك لكنه نوبل وني أطمئت رأيي. وأسألت كلامه قائلاً:

واعترفًا بإفصالك غلي ومتروك صدي، لقد حصلت لك على معلومات عن جميع الإجراءات ونسخة من لائحة الاتهام، ريثما جازفت رأسي من أجلك لائحة الاتهامات<sup>(١٣)</sup> ضد كوينيس فليسترد: الرجل - الجبل.

#### مادة أولى

بصم الفنتون الصادر في عهد صاحب جلالة الامبراطور كليلن حفاظ بلوك، عن ما يلي: كل من يتبول في منطقة القصر الملكي، يعرض نفسه للامم وعقوبات اخيانة العظمى. ورغم من ذلك فإن الرجل - الجبل المذكور، قد اُعرف حرقاً صريحاً بقصود المذكور، راعياً أنه يعظم الدار المشتعلة في جناح زوجة جلالة الامبراطور الثانية. إذ قام بدوافع احدى والخيانة والعت الشيطان متفريح بونه على الدار المذكورة المشتعلة في الجناح المذكور، والواقع والكائن داخل منطقة القصر الملكي المذكور، وهذا يخالف القانون الذي ينص على هذه المعانة . . . الخ كما تختلف الواجب . . . الخ.

#### مادة ثانية

إن الرجل - الجبل المذكور: بعد أن أحضر الاسنود الامبراطوري بليفيسوكو، إلى الجناح الملكي، أمره صاحب جلالة الامبراطور بعد ذلك أن يأمر جميع سمن امبراطورية بليفيسوكو المذكورة لكي تنحوا بك لامبراطورية إلى مقاضعة بحكمها نائب - ملك من هنا، وأن يحضروا ويصوم ليس فقط جميع اثنين أشاع مدح طرف البيضة الكبير، بل وجميع رعايا تلك الامبراطورية الذين يرفضون التخلي فوزاً عن مدعة طرف البيضة الكبير. لكن الرجل - الجبل، وهو الحائن الضار صاحب جلالة الامبراطور صاحب العهد فيسوم، التمس أن يُعفى من المعانة المذكورة، ورتب أنه لا يرغب في الاعتناء على ضائر شعب روي، أو تدمير حرياته وحياته.

#### مادة ثالثة

حين وصل بعض السفراء من بلاط بليفيسوكو يشدون السلام في قصر جلالتك. قام الرجل - الجبل، وهو الحائن الضار، بمساعدة السفراء المذكورين، وغربصهم، ومواسمهم بالتزويج عنهم.

ورغم أنه كان يعلم أنهم أتباعهم، كان حتى عهد قريب، غداً، واضحاً لصاحب الجلالة الامبراطور، وفي حرب عنيفة ضد صاحب الجلالة المذكور.

#### مادة رابعة

إن الرجل - الجليل المذكور يتبع الآن، على عكس ما يتطلبه الواجب من مواطن مخلص، للسفر إلى بلاط وامبراطورية ينيشكو بعد أن حصل على ترخيص شفهي فقط ذلك من صاحب الجلالة الامبراطور. وهو بنوي، مستراً بالترخيص المذكور، أن يقوم بتلك الرحلة علناً وخبائاً، لتساعد ويؤامي ويعرض امبراطور ينيشكو، الذي كان حتى عهد قريب غداً، وفي حرب عنيفة ضد صاحب الجلالة الامبراطور.

وهناك مواد أخرى، لكن المواد التي مرثأت لك منحصرها هي أهم المواد.

ولا بد من الاعتراف أن حالته، خلال المناقشات المتعددة حول وثيقة «الانعام»، قد أعطى دلائل كثيرة على رغبته ولبته. فقد أثار مراراً إلى الخلع التي أقيمت به، وسأول أكثر من مرة أن يخفف من حدة حرائكك. وقد أثار وزيراً الحربية والبحرية على وجوب إعدامك بطريقة مؤلمة ومثنية؛ بإشعك النار أولاً في يديك، في حين يحيط به الجنرال وعشرون ألفاً مسلحون بسهام مسومة ليصفوها على وجهك ويديك. أو بإعدامك أوامر سرية إلى خدمك، لكي يرشوا سائلاً ساماً على قهضائك<sup>(١)</sup> وفرشك. مما سيحدث بعد فترة وجيزة، غرق لحمتك نفسك من الألم؛ وغوت في عذاب شديد. وقد أثار الجنرال على الزواي نفسه. ونفذة طويلة كانت الاكثية ضدك. لكن جلالتك كان قد قرر الإبقاء على حياتك. واستطاع أخيراً أن يجعل الخدب في ضقه.

وهنا أمر الامبراطور، وزير الدولة والشؤون الخاصة، ويلفريد سال، الذي كان دائماً يعد نفسه صديقك لصديق، أن يبدل براهه. وقد أطلع بغد الأمر، وكان رأيه مصداقاً لحسن ظنك به. قال إنه يعرف أن جرائمك عظيمة، ولكن ما زال هناك مجال للرحمة التي هي أعظم فضيلة يوصف بها أمير، ولتي اشتهر جلالتك عن جدارة به. وقال إن العلم كله يعرف ما بينه وبينك من صداقة، ولذلك ربما نحن، الجنس، وكثر عيش شريف، أنه متحيز في صفك. وعمل كل حدث، وتقليد الأمر الذي تنفذ، سيحرص بوقته بحراية، وهو أن يتكرم الملك، نقديراً لخدمك، وانطلاقاً من طبعه الرحيم، بالإبقاء على حياتك، والاكتفاء بإصدار حكم بقية عيبك<sup>(٢)</sup>. وفي رأيه انخاض أنه بهذه الطريقة يمكن إرضاء العدالة إلى حد ما، وسينبغي العالم براءة الامبراطور وبنه، وإثبات سلامة وكرم الاجراءات التي قام بها من تتعرفون بحملهم معه كمنشدارين. أما بالنسبة لفقد عيبك، فذلك لن يعطل قوتك الحسنية<sup>(٣)</sup> التي يمكنك بها أن تظل ذا عجب لجلالتك، لأن البعض يزيد

السياسة إذ ينبغي عند الأحقر، وإن سوفك على حينئذ كان الصعوبة الكبرى التي واجهت في اقتدار أسطول الأعداء، إنه سيكونك أن ترى بعيون خدمك، فهكذا يفهم أعظم الأمر<sup>(١٨)</sup>.

وقد قوبل هذا الاقتراح بأقصى الاستهجان والرفض من قبل أعضاء المجلس كلهم. ولم يستطع أمير البحر أن يحتفظ بهدونه، بل هض وهو يناجح غضباً وقال: «إنه يجب كيف يجوز وكل الوزارة على إعطاء رأي بالإبقاء على حياة خائس، وإن الخدمات التي قدأتها، لو نُظر إليها من زاوية أثر الدولة ومصالحها، لكانت من خطورة جسيمة، لأنك إذا استطعت أن تُخمد النار بتفريغ بؤلك على حتح جلالتها (وقد ذكر هذا برغب واشموان) فبتك تستطيع في وقت آخر وبمن السيلة أن تُخمد فيصداً يُغرق القصر كله، وإن الخطوة التي مكنتك من نشر أسطول الأعداء، تُفقد، إذا ما غضت بناً وسخط علينا، أن تعينه، وإن لديه من الأسباب ما يجعله يعتقد أنك، في قلبك، من اتباع مذهب طرف البعثة الكبرى، وإن أخية تبدأ في الظن أن أن تظهر في العمل العلني، وهذا فهو بُهتكم بالحيلة على هذا الأساس ولذلك يُبصر على إعدادك.

وكان لوزير المالية الرأي نفسه، فقد شرح انضاضات المذلة التي تتعرض لها خزينة جلالت بسبب تكاليف إعانت والإعاق عبيد، وقال إن هذه التكاليف سرعان ما ستصبح غير عميلة، لأن اقتراح وزير الدولة بقوله حينئذ ليس علاجاً لهذه المشكلة بل هو شر يزيدنا نفاقاً. فمن الواضح من المبررات الشائعة في قديم عيون بعض النصارى، أنه يؤدها ألقها سرعة على أثر ذلك، وتصبح سعية في وقت قصير، وإن جلالت المقدسة وأعضاء المجلس - الذين هم قضاك - مقتنعون تماماً في صبرهم بجريمتك، وهذا في حد ذاته حجة كافية لتحكم بمعدتك دون الحاجة إلى تقديم أدلة ومبررات أخرى لفسادك.

لكر جلالت كان مُصيراً أن الإصرار ضد العقوبة العسوى، وتكرار بقوله إنه بما أن المجلس يرى أن فقه النصارى عقوبة خفيفة جداً، فإنه يمكن إزاد عقوبة أخرى فيها بعد. والتمس صديقك وزير الدولة أن يستمعوا له مرة أخرى يُعقل، على اعتراض وزير الخزنة بالسبب للتفغات الباطلة التي يتحمها جلالت في إعانتك، وقد إن سعاده الوزير الذي يملك وحده التصرف بأموال الأمراء، يستطيع بسهولة أن يجنط ضد هذا الأذى عن طريق التخليص التدريجي لطعامك وشرايك، حتى يؤدي بنفس الطعام إلى هزاتك، ونحوك، بعقداتك لشبهة، وبالتالي تدهور صحتك وتهلك في بضعة أشهر، ولن تكون راحة جيمك خضرة جداً جيداً، لأنها ستكون قد نضت إلى النصف، وإنه حالما ثوب سيكونك في إمكان خمسة أو ستة آلاف من رعايا جلالت تقطع حملك عن عظمك وتقتله في عربات نقل، ويُلقي في أماكن بعيدة مثلًا بالأوسنة. أما هيكلت العظمى فيفضل نصاً تفرج عنه وتتجنب منه الأجيال القادمة.

وهكذا فإن صدفة وزير الدولة العظيمة لك ساعدت في انقوشك من حل وميض للمشكلة.  
لكنه تم الاتفاق على أن يفر مترواح بحريتك بالتدريج سرًا دنيًا لا يستحق ولا يتفوقه أحد، أما  
حكيم بقوله عبيك فقد تمك كديته في السجلات، ولم يضع عن الرضا بهذا الاتفاق سوى بقلام  
أمير البحر الذي هو صبيحة الامم انصبة التي كانت لخرجه عن لادوم لكي يصر عن إحداسه  
لأنها حلت لك في قبها جلاء دائرًا سب لطوبى الشاة وغير العالونية التي استحدثتها في إطفاء  
الطريق في جنسها.

وفي ثلاثة أمم سيؤثر مستهلك وزير الدولة المعجزة إلى منزلت ليعرأ تمنحك لائحة الاسم، ثم  
ليشرح لك أهمية ذلك وحسنه بك، وفضلهم عليك الممثل في أنهم حكموا عليك غرم عبيك  
قطر - وهو حكم لا يشرأ جلالته لك ستخضع له وتقبل به إيمانًا. وسيتي إليك مشرون من  
حراحيك شئت حرصًا على الفائدة من تفوز الحكم حيد. وذلك بإطلاق سراح ذات رؤوس دفعته  
وذلك في بليزني عبيك وأنت مُسلم على الأرض

ولأن أثرك لحكمتك أن تحدد الحظرات التي ستخضع. ولكي اتجنب لشكر لا بد أن اتعود  
في الحن بالامسوب السري نصه اعتر جئت به إليك

وفعل سيادته ذلك، وقوت وحدي نغزوني المذوب. والشكوك وحيرة ادهن

من بين العادات التي ابتدعتها في الامر زوررايا (وهي عادات) كما أكد في الكثير من  
الممارسات السابقة أنه بعد أن يغزور بحسبهم حكمًا ناسيًا بالإعدام، إما ليفي غضب ملك أو  
ليدعي غير أحد المقربين إليه، يُقضى الامراء على عبيده كله سلطانًا بتحدث به عن رافته  
العظيمة ورفته البالغة، داعيًا صديقين يعرفها فيه ويشهد له بها نعام كله. وقد هذا احتفال  
يُفخر عن العود في جميع أنحاء المملكة. ولم يكن يُرجب الناس شيء، فقد ما كانت أراضيهم هذه  
تدوم عن رافه جلالته ورحمته، لأنه كان معونة لهم له بغير ما يزين الإسهاب في هذه  
المدح والإصرار صبه. تكون العقوبة أشد صيرة وتصبح أكثر راحة. ومع ذلك، فإنه بالنسبة لي لا  
يُذ أن اعترف أنني غير مؤهل أشد. سأ أو تربة، لأكون من رجال تعشيه أو القصور، وقد تم  
اعرف كيف أُرث الامور وألقبها. ولم أستطع أن أرى وجه أو ضلالي في الحكم الصبر علي، بل  
تصورته (وإنما يكون محث) حكمًا غامبًا وليس حفيظًا. ففكرت لحيًا أن استألف الحكم، ليعني  
ثم أكن مُستطيع أن أكون الوقائع المذكورة في شود السعدية في لائحة الاعيان. فقد كنتُ ممن لها قائمة  
تفسير والشرح بصفة تخفف خطورة. لكني كنت قد قرأت في حياتي كثيرًا من محاميات الدولة  
ولاحظت دائمًا أنها تنهي ثم يشاء لها الضاضي. ومع أحوز على الاعيان على فرام هذه الخسرة، لي

ظرف هذا الخرج، وصد خصوم هذه القوة<sup>(١)</sup>، ونهت لي ذات مرة نفي مصمم عن انقذمة لاني، ما كنت خراً، لا تستطيع كل قوة تلك الامبراطورية أن تعلب علي، ويمكنني بسهولة أن أذك انتعاشه بزخمها بالمحاربة. ولكنني سرعان ما رفعت هذا المشروع وأن أشعر برغب من شخص نفسي، إذ تذكرت، ليجين انان، أخصمه للامبراطور، وأخصته علي، وأقب نازدك الرفيع الذي اسم به علي. ولم أكن قد تعلمت، بسرعة أسلوب رجاله الخشبة في العزفان بالجين، لأفني نفسي أن نسوة جلالته علي في الحاضر عصبي من كل عهودي والتزاماتي التي قطعها له في الماضي.

وأخيراً، استقر رأيي على قرار قد يجر علي بعض النقد واليوم، وهو نقد ليس دون وجه حق. اعترف أنني مدين بالاحتفاظ بعيني وبأنتالي بحربي لتسرعني وطيشي وقلة خبرتي، لأنني لو كنت حينذاك أعرف طابع الأمراء ولوزراء التي درستها فيما بعد في قصور أخرى كثيرة، ولو كنت أعرف طرقهم وساليبهم في معاملة المحرمين، لأنني هم ألق شرًا مني، لحضعت برضًا وابتهاج عظيمين لتلك العفوة الخفيفة جدًا. لكن قبل التسبب، ودرخص صاحب الجلالة الامبراطور لي بالتون بين بنى امبراطور بليكو، دفعني إلى اغنام هذه الفرصة قبل أن تنقضي الأيام الثلاثة، فأرسلت خطابًا إلى صديقي وزير الدولة، أخبره بعزمي على الذهاب في ذلك الصباح إلى بليكو طلبًا للتزخيم الذي كنت قد حصلت عليه. بدون أن أنتظر ردًا، ذهب إلى ذلك لطالب من الجزيرة الذي يرمو فيه أسطولنا. استيكت بزيمة حربية كبيرة، وريبطت جلا بخدمتها، ورفعت مرماتنا، ونعزيت، ووضعنا ملاسي (مع غطائي الذي كنت أحمله تحت ذراعي) في السفينة، وجررت السفينة خفي، ورحلت نحو مضيق الماء نارة. وأصبح حربي، حتى وصلت إلى الهند الملكي في بليكو حيث كان الناس يتوقعون وصول منة طويلة. وقد أعاروني مرثيذني ليقودني إلى العاصمة التي تحمل اسم البلاد نفسها. وقد حملتها في يدي حتى وصلت على بعد مائتي ياردة من الزاوية، ثم فلبت مما كنت تجرأ أحد الوزراء بوصري، وأن يعلنه نفي ساخن في مكاني في انتظار زائر الامبراطور. وقد جاءني الجواب في حوالي ساعة، أن جلالتنا، نرافقة العائلة الملكية وكبار موظفي القصر، كان قد خرج لاستقبالنا. تقدمت مائة ياردة، ونرجل الامبراطور وحاشيته عن خيوض ونزعت الامبراطورة والسيدات من عرباتهن. ولم لاحظ مهم أي شيء يدل على الخوف أو القلق. وضطجعت على الأرض لأقبل يد جلالتنا. وقد الامبراطورة. وقلت لجلالتنا إن فيمت تنفيذ نوعتي، ودرخص من مولاي الامبراطور، لأشرف تشاهدة مذبح عظيم مثله، ولأعرض عن جلالتنا أبة خدمة أستطيعها ولا تتعارض مع واجبي نحو أميري. ولم أذكر كلمة واحدة عن سقوط قناري وما حصل لي، لأنني لم أكن حتى الآن قد استلمت خبرًا رسميًا عما حصل، ويمكنني أن اعترف نفسي جاهلاً تمامًا. وقد قدزنت أنه من غير المعقول أن يكشف امبراطور ليجيوت السر وأنا خارج حدود نفوذه وسلطانه. لكن سرعان ما ظهر أنني كنت محدوغًا بهذا التصدير.

ولم أزعج القارئ بتقرير مفصل عن استقبالي في هذا المنصره وهو استنباها يتفق مع كرم أمير  
عظيم مثله كما لم أزعج القارئ بالصعوبات التي واجهتها إذ فقدت المسكن والفراش وضررت  
إلى النوم على الأرض منلقاً يخطئني .

## الفصل الثامن

يُضْفَعُ مِجْدَةُ بَعْدَ الْوُجُودِ عَلَى وَجْهَةِ يَمَانِهِ بِهَا مِلْفَةٌ وَبَعْدَ بَعْضِ الصَّعُوبَاتِ  
يَصِلُ سَائِلًا إِلَى بِلَادِهِ وَوَدَّ

بعد ثلاثة أيام من وصولي كنت أتمشى بحدائق القصور إلى الساحل الشرقي - الشباني من الجزيرة، ولاحظت على بعد نصف فرسخ في البحر، شباكاً إلى كونه قارب مقلوب. سمعت نعل وجوزاً، وبعد أن حضت في البحر مسافة مائتين أو ثلاثمائة ياردة وجدت ذلك الشيء يقترب مدفوعاً بقوة الماء، ثم رأيت برصوح أنه قارب حقيقي، وافتحصت أن حاصفه قد تكون قد دُفِئَتْ بعيداً عن سفينة. عند ذلك عدت على انعمور نحو المدينة، وطلبت من جلالة الإمبراطور أن يعين عشرين من أكثر سفنه التي يُنْجِثُ له بعد أن فقد أسطوله، وثلاثة آلاف حارب بحمل أمره نائب أمير البحر. وحين أبحر هذا الأسطول رجعت أنا من أقصر طريق إلى الساحل حيث اكتشفت القارب، ووجدت أن الماء كان قد فُزِيَ أَكْثَرُ. كلا جميع البحارة مزودين بالحبال التي كنت قد خذلتها حتى أصبحت قرية بطرحة كافية. وحين وصلت السفن، خلعت ملابسني وخضعت في البحر حتى أصبحت على بعد مائة ياردة من القارب، وبعد ذلك كان عليّ أن أَسْبَحَ حتى وصلت إليه. رومي في البحارة طرف الحبل فربطته بي ثقب في مقدمة القارب كما ربطت انطرمه الثاني ببارجة حربية. ولكنني اكتشفت أن كل جهدي لا يجدي. فقد كان البحر هنا عميقاً لا تصل قدمي قعره، ولم أستطع أن أصعد. في هذه الأورطة، اضطررت للسباحة إلى خلف القارب، ثم إلى دُفْعِهِ مرة تلو الأخرى بإحدى يدي. وقد ساعدني الماء فتقدمت حتى وصلت إلى منطقة يغمري الماء فيها حتى دُفِئْتُ. واسترحت دقيقتين أو ثلاثاً ثم دفعت القارب دفعة أخرى، وهكذا حتى لم يعد البحر يصل إلى أصل من إبطي. وهنا بدأت المرحبة الأكثر مشقة. أخرجت حبال الأخرى التي كانت موضوعة في إحدى السفن، وربطتها بالقارب أولاً، ثم بتسع من السفن التي كانت ترافقني. كانت الريح مؤاتية والبحارة يشدون وأنا أرفع حتى وصلت إلى مسافة أربعين ياردة عن التماسيح. ثم انتظرت حتى أحمر الماء، وحينئذ، وبمساعدة باقي رجال، استطعت بواسطة الحبال، واختلات أن أقلب القارب حتى استقر على قعره، ووجدت أن الشك فيه بسيط.

ولن أُنْقِلَ عَلَى الْفَزَى بِذِكْرِ الصَّعُوبَاتِ الَّتِي وَجَّهْتُهَا لِثَقُلِ قُرُونِ، بِمُحَاوَلَةِ بَعْضِ الْحَدَائِقِ

التي استغرق سُنَّتها عشرة أيام - إلى المياه المالحة في بليفسكو، حيث ظهر عند وصولي جمهور عفير من الناس وعلى وجوههم الدفعة لرؤيه هذه السفينة الحاتمة. وقلت لأميراطور أن حطفي الضرب قد أغنى هذا القارب في طريقه ليحملني إلى مكان ما، أستطيع به أن أعود إلى وطني، ورجوهُ أن يُعَيِّدَ أومره بترويدي بلنود انلازمة لإصلاحه وتجهيزه، وأن يأذن لي بعد ذلك بالمغادرة. وقد تكرم - بعد بعض الاعتراضات المؤقتة، - بمَنحني ما طلبتُ.

وقد استعرتُ كثيرًا أني عبثة هذا الوقت، لما أسمع غدوم رسولٍ من امراطورنا ليخبرني عن بلاد بليفسكو. لكن فهمتُ سرًّا فيما بعد أن صاحب الخلافة امبراطور ليلبيوت لم يخض سحايله أني علمتُ في دهره لي، واعتقد أني إذا ذهبتُ إلى بليفسكو فسيُفاد بوعدي وطبقًا لتأريضه الذي منحه لي؛ وهو أمر معروف هناك في بلاطنا، وأنني سأعود بعد بضعة أيام، حين تنتهي زيادة المجانية تلك، لكنه أزعج أخيرًا من عيدي الطويل، وبعد أن تشاور مع وزير عزائه وثقة نيك العصاية، أرسل تحضية مرموقة<sup>(١)</sup> لحمل معها نسخة من وثيقة الاتهام والإدانة، وكانت تعليلات هذا المبعوث أن يصور نيك بليفسكو الرفاة العظيمة التي يحلُ بها مولاه، مما جعله يكتفي بمعاينتي بما لا يتجاوز قطع عيني، وأن بينه وبينه أنني عارب من العدالة، وأني إن لم أرجع في خلال ساعتين سأجُرد من لقب نازداك وأُغتربَ عائلتي وأُصاف المبعوث أنه نكبي هناك السلام والثواب بين الأمير صوريين، فواله سيده ينتظر من أحبه في بليفسكو أن يتم بإخاذه إلى ليلبيوت مفيد الأيديين والقدميين، لكي اصحب كخائن.

وقد استمهم امبراطور بليفسكو ثلاثة أيام لمتساور، وردَّ بعدها برسالة زائف من المجهلات والأعذار العديدة، يقل فيها أنه مائسبة لإعاقتي مقبلاً فواله أعاد يعلم أن هذا مستحيل، وأنه رغم أني جردته من سلطونه، إلا أنه يدين لي براحيات كثيرة معاملة الخدشات الغضبية العديدة التي قدستها له خلال عقد معاهدة السلام، وأنه على كل حال سيبريح مني كلامها بعد وقت قصير، لأنني عثرتُ عند الشنخلة على مركب مخطط كئيل يتجمل في البحر، وأنه أمر بتجهيز وإعداد هذا المركب بمسند، وإشراقه، وأنه يأمل أن تتحرر الامراطور بعد بضعة أسابيع من هذا التعب الذي لا طاقة لها به.

وبعد أن عاد المبعوث إلى ليلبيوت بهذا الجواب - فضل عني ملك بليفسكو - فواله ما جرى، وعرض عني في الوقت نفسه (ولوكن بصرية قائمة) حيتي الكريمة إن رجعتُ في الاستمرار في خدمته. ومع أنني كنتُ بإخلاصه، فقد قررتُ أن لا أصعب لغيري بعد اليوم في الأمور، ولإزواجه ما أمكنني ذلك. وغداً، ومع اعترافي بسلامة نظري ورجوهُ أن يعفني، وفُتتُ. مما أن الخطأ خبير كان أم شراً، قد أغنى مركبا في طريقتي، فواله عقدتُ العزم أن أجلبه بركوب البحر على أن أكون مصدر



نزاع بين متكئين عظيمين مثلها. ولا أقل أن جوارى ساء الامبراطور، بل لقد اكتشفت بانصدقة انه  
كس سبباً جيداً. بقراري هذا<sup>١٢١</sup>، وكذلك كان معظم وزراءه

هذه الاعتبارات دعوتني لأن أعتزل برحلي بأسرع ما كنت أستوي. وقد ساهم في ذلك أهل  
القصر الذين كانوا راغبين في سرعة رحلي. استخيمت خبرته عمل في عمل شرعين لمريض جيداً  
لإرشادهم. وذلك بوضع ثلاث عشرة طعة من أقوى نايهم فوق بعضها ثم فزرها. وقد تعبت  
كثيراً في صنع الخيوط والخيال، وذلك بواسطة جندل بشرة أو عشرين أو ثلاثين حبلاً من أنخن  
وأقوى خاضهم. وبعد بحث طويل على اشتاطي عنوت على حكر صمغ ستخدمته كمسلة.  
وحدثت شحوم ثلاثية بقره واستعملتها في تشحيم قاربي ولأغراض أخرى. وتعبت تعباً لا يقدر  
في قطع بعض اكبر الاتجار وتحويل خبثها إلى عجايب مصوري، رغم أني حظيت بمساعدات بقة  
من لتأري السفن من رعب جلالة. فقدت مساعدتي هؤلاء في تعقيم هذه المحدثات والمصوري  
وجلبتها سلباً بعد أن قضت بالعمل الشاق الخاص بقطعها وتهديتها.

بعد حوالي شهر، كان كل شيء جاهزاً. وحينئذ طيبت أن يزورني جلالة بأوامره، وأن يمنحني  
إذنًا بالرحيل. وخرج الامبراطور والملكة الملكية من القصر. وابتدعت على الأرض لأقل يداه التي  
تفضل بعطائها لي، وهكذا قلمت الامبراطورة وابتدوها الامراء. وقد أعدت جلالة خبث كبد  
من الذهب في كل كيس مائتا شروبيج، كى أهداي من كلفته، فوضعتها على الفور في أحد قداري  
حنواً عليها من الخلف. وكانت محاملات الوداع والرحيل كثيرة جداً، ولا داعي لإرجاع الفاري بها في  
هذه الوقت.

وضعت في القارب مائة ثور وثلاثمائة غنمة كلها مدبوحة ومسلوحة، وكمية مناسبة من الخبز  
والشرب، وثلثي من اللحم المصبوخ الذي استطاع اربعائة طباع أن يزدوني به. وأخذت معي ست  
بضرات ثوربير، ومائتي من العجاج والتكويش، كلها حية بقصد أن أحملها جيداً إلى بلدي وأحدها  
سامل وتكتات<sup>١٢٢</sup> ووضعت في القارب حزمة كبيرة من الشر وكسباً من الذرة لإطعامها. وكان  
سوقي أن أأخذ معي ستة من الأقزام، لكن الامبراطور لم يسمح قطيلاً، وأمر بفتيش جيوبى تعيناً  
دقيقاً. ثم جعلني أتعهد شرفي أن لا أحمل معي أحداً من رعاياه، ولو كان ذلك يوضحهم ويغضبهم.

وهكذا بعد أن أعدت كل الأشياء بأفضل ما تستطيع. أبحرت في اليوم الرابع والعشرين من  
سبتمبر عام ١٧٠١، في اسباسة صيداً. بعد أن قطعنا حوالي أربعة فراسخ نحو الشمال، وكانت  
الريح شرقية جنوبية. أبحرنا في السادسة مساء جزيرة صخرية على بعد نصف فرسخ إلى الغرب  
الشمال. تقدمت إلى الأمام، والقيت مرسقي على جانب الجزيرة الذي نهب نحوه لريح. وأرسل  
الجزيرة غير مأهولة. ثم تناولت بعض الطعام والشرب وأخذت للراحة. وبقيت يوماً عتيقاً عند

حسب تقليدي، ست ساعدت عور الأمل، لأن صوته انتهى بدأ يصرح حد أن سيقطع بساعتين كانت ليلة هادئة، تدولت بطوري قبل أن تبلغ الشمس، ثم رفعت المرأة وسرت مع الريح المواتية في الاتجاه الذي سرت فيه ساعس، سرت هذا والوصلة التي في حبيبي. كان هندي اوصول، إن أمكن. إلى واحدة من تلك المحرر التي كنت كنتك أب تقع إلى الشرق - الشمالي من بلاد فان دين. ولم كنتف شيئا طيبة ذلك النهار، ولكني في اليوم التالي، حوالي الثالثة عصرا، وكنت طيفا لحساباتي قد نطعت أربعة وعشرين دريخا من بلفسكو. رأيت من بعيد شرافا مرحبا إلى الشرق اجنوب. وكانت حربيكي تنجده شرقا. وقد وجّهت الحاية، وناديك عليها ولم استطع أن أصغي حوتا. ورغم ذلك فقد وجدني أقرب منها بسبب سكون الريح. رفعت بي ما عندي من أغنعة، وبعد نصف ساعة رأيتي تلك النسبة مرفعة عليها وانلقت من مدنفه طبقة. وليس من السهل أن أصف السرور الذي ملا قلبي حين عاودني ما لم أكن اتوقه من أنل بالمعونة مرة أخرى إلى بلادتي الخفية، ورؤية إيماني الذين كنت قد تركتهم فيها. ابتدأت السفينة سيدها، فلتعت بها، ووصفت إليها بين الخامسة والسادسة من مساء السادس والعشرين من ستمبر. وقد رقص قلبي فرحا حين رأيت أعلامها الإنجليزية. وصعت بقراني وغناتي في جيب معظفي وصعدت إليها حاملا كل ما كان معي من حونة. كانت السفينة سفينة تجارية إنجليزية عاتدة من اليابان عن طريق المحيط الهندي (البراسميكي). أما القبطان فهو السيد جون بيدن من ديتفورد، وهو رجل شابة في الأدب وحذر عظيم. كن الآن عند خط عرض ٣٠ جنوبا، وقدن على متن السفينة خمسون رجلا بينهم صديق قديم لي اسمه بيتر وليامز، وقد اضرائي وأعطى عني صورة طيبة للبطان الذي علماني بطف وطيفة، وسائني من أين جئت وإلى أين قصد الذهاب، فأجبتة بإيجاز. لكنه ظن أنني كنت أهدي وأن المخاطر التي واجهتها قد أثرت على عيني. وحيداك أخرجت بغير وأنغم من جيب، فافتح بها ما ذهلتة للهيئة بصحة أفروني، ثم أزيته اللهب الذي أهداه لي ملك بلفسكو، والصورة الكريمة لجلالته، وأشياء نادرة أخرى من تلك البلاد، ثم أهديته اثنين من كيايس نذهب في كل واحد منها ماثا صروج، ووعنته أن أهديه، بعد أن نصل إلى إنجلترا، غرة وغنة حاملتين.

ولن أزعج بقدرى بوصف تفاصيل هذه الرحلة التي كانت موفقة جد في معظمها. وقد زمتنا في ميناء فاوترز في ١٣ أبريل ١٧١٧. ولم يحدث ما يحكر صفوي سوى مره واحدة، وذلك حين أقدل فتران السفينة واحدة من غناتي، وقد وجدت عظامها في أحد المقوب بعد أن زغبت الثعرون عنها كن اللحم. أما بقية الشعر والعظم فقد وصلت سالمة معي. وقد تركتها ترعى في مزرعة لئمة البوتج في جربيش حيث راق لها العشب الصغير، فأكلت منه بشهية. مع أنني كنت أظن أن بعدك انعكس. وما كان بإمكانني أن أحافظ عليها في تلك الرحلة الطويلة، لو لم يتكرم القبطان بإعطائي سبطا من أحسن إسكوت عنده. وكان هذا الإسكوت، بعد أن فكره وأحوله إلى مسحوق ثم كخلطه هناك.

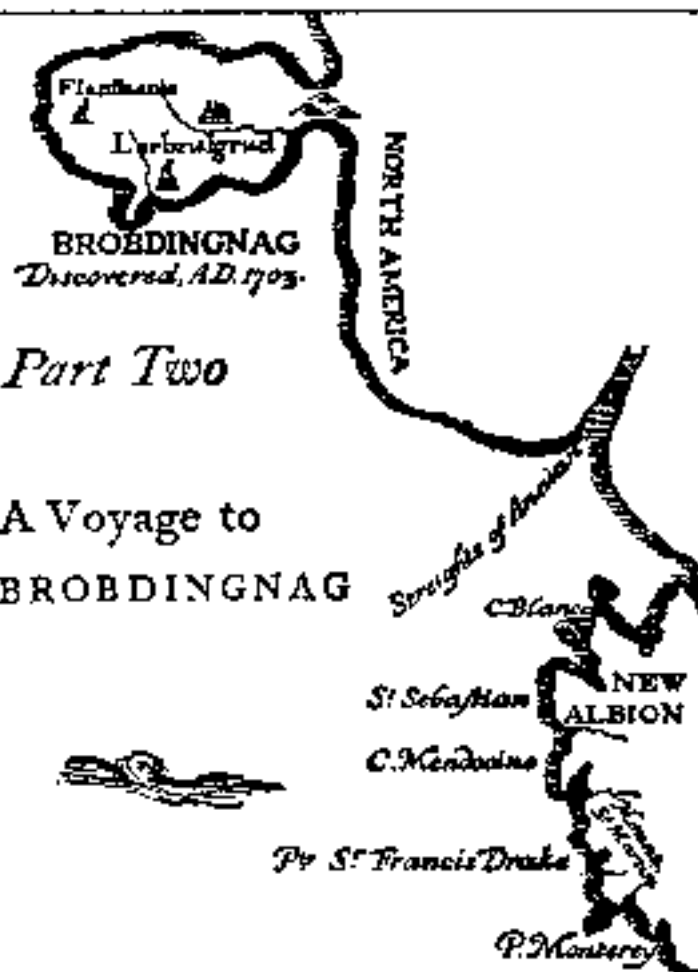
طعمها الدائم وفي لفترة القصيرة التي تقضيها في إنجلترا، كسيت أربلًا كثيرة<sup>(١٢)</sup> عن طريق عوصها على الحساس من على الفرم وغيرهم. وقبل أن أبدأ رحلتي الثانية بعثها ببيع سبعة باؤن<sup>(١٣)</sup>. وعند عودتي الأخيرة وجدت ذريتها قد زادت زيادة كبيرة، الغنم هي الاختص. وأرجو أن تكون مفيدة لصناعة الصوف، لأن صوف فروه ناعم جدًا.

لم أبق مع زوجي وعائلتي أكثر من شهرين، لأن رغبتي التي لا تنبع في رؤية لاساني<sup>(١٤)</sup>، لم تسمح لي ببقاء مدة أطول. تركت ألقا وخمسائه باؤن<sup>(١٥)</sup> مع زوجي وأكسكتها في مكان جيد في ريف، أما ما تبقى من مدخراتي، فقد حملته معي على شكل ثياب أو بضائع، على أن أكبر ثروتي كان عمي الكبير، جوك، قد أودعني قطعة من الأرض في إيشنج نغر ثلاثين باؤن<sup>(١٦)</sup> في السنة، كي كنت قد استأجرت سنوات عديدة فدفوت بلاك بيل<sup>(١٧)</sup> في شارع فيتر لين، وكان بفر بلداً مثلاً. وهكذا لم يكن هناك خطر في أن أترك عائتي تعيش على الصدقات. وكان وتدي جوني الذي عمل اسم عمه، في المدرسة المتوسطة، ويشترى الخبز. أما ابنتي (التي هي مريضة الآن وما أطفال) فكانت حينذاك تتعلم التطريز. وقد ودعت زوجي وابني وابنتي واللبدوع عملاً ماقيتا جيداً، وركبت السفينة أفتنفر<sup>(١٨)</sup>، وهي سفينة تجارية حولتها ثلاثية طراً، كانت داهية إلى سورات بقيادة القبطان جون نيقولاس من ليفربول. لكن لا بد من تأجيل وصف هذه الرحلة إلى الجزء الثاني من رحلتي.

## رحلات جلفر

الجزء الثاني

رحلة إلى يروبيد فجنانج<sup>(١)</sup>



*Part Two*

A Voyage to  
BROBDINGNAG

## الفصل الأول

وُلِدَ ناعمة عتيبة. زوال نور. في السور لإحصاء ماء. نزلت ينصب في  
لوروق لاكتشف البلاد. بركت على الشاطئ. ويغضب عليه واحد من أبناء البلاد  
وهملة إذ بين مزارع. اسنله حنك والحولت العديدة التي تروى له. ومنه  
للمسكن.

بعد حكمت الطبيعة والقدر أن تسمى سيات مليكة بالحركة وعدم الاستقرار. بعد شهرين من  
عودتي تركت مسقط رأسي مرة ثانية. وركبت البحر من ميناء داووز في العشرين من يونيو ١٧٠٢. في  
موتى يحمل اسم "دوتشتر" بقرود الضيق جون نيقولا، وهو رجل من كورنكول، وجهته  
سورات. ومنه انشأ لرياح حتى وصلنا رأس أرجو الصالح حيث رسونا لتزود بماء العذب.  
لكن اكتشفنا في البينة شقاً بسرب الله. فانزك بفسلح عن مركب وشكنا هناك أن الشيطان  
اصيب بمرض الانزبا، وه نستطيع لرحيل عن الرأس إلا عند ميناء شهر مارس. سبداك أفلت  
وحظينا برحلة طية حتى وصلنا مغلق مدقققر وجوز. وسلك شلال تلك الجزيرة، حوالي خط  
لعرش خمسة جنوك، كان الريح التي تهب في تلك البحار بسرعة تامة بين الشبان والعرب، ومن  
مداية سبتمبر إلى نهاية مايو قد بدأت في ١٩ أبريل تهب، ماثلة الغرب نصف الله كثير أكثر من هو  
مأذوف، واسموت حتى عند حال طية عشرين يوماً متواصلة. وفي هذه الأثناء سافنا الريح إلى  
مقرب من شرقي جزر مولكا، حوالي خط العرض ثلاثة شمالي الخط الاستوائي، حسبنا وجد  
لشيطان من قباصت قام بها في الثاني من مايو. في هذا الوقت سكنت الريح، وكان البحر هدوءاً  
ثامناً وفرحت جد فرحاً غير قلبي. لكن ليعهد الذي قد مشرفاً ذاتاً مشرف في تلك البحار، أمرنا  
بميتاً أن نأطب لوجهها عسيفة. وقد فئت هذه العاصفة بالمثل في اليوم التالي، لأن رياحاً جنوبية  
سماها رباح الموسون كانت قد بدأت تتحرك.

حين وجدنا أنه من المحتمل أن تصبح الريح هوجاء عاصفة، كثرنا الشراع المشدود ريثما  
لشنت الشراع الأمامي. لكن حين راحها وبعثا شديداً لثنا اندفع كلها في مكان واحد. ولما شراع  
صاري نزلخزة. وانقلب البصنة بسرعة مع الريح. ورأينا أن من الأفضل أن نركبها مطمئة مع  
الريح هل أن نغير اتجاهها لنحفظ سرعتنا أو نطوي كل أشرعتها. فزينا الشراع الأمامي جزئياً

والتقاء، وثمنا الحبل مربوط بالجهة المحمية من الريح في الشراع الأمامي. وكانت الدقة في الجانب العاصف، لكن السبعة ضمت متفقة شلت. ربطنا الحبل مربوط بالشراع الأمامي، لكن الشراع غرق فانزينا وفككت عنه كل ما كان مربوطاً به. لقد كانت عاصفة هوجاء، وكان البحر مصطرياً إما اضطراباً ووثناً تساعد الموجل التي يمسك الدفة بواسطة شد حبل مصير مربوط بها. لم نقول الشراع اثبت في قمة الصاري الرئيسي، بل تركناه على حاله لأن السفينة كانت تدفع كلسهم أمام الريح، وكنا نعلم أنه ما دام هذا الشراع مرفوعاً، يعل السفينة ثابتة في اتجاهها وفي سرعتها، إلا أنه لم يكن في البحر أمنها أية عواقب. ونحن انتهت لعاصفة شرنا الشراع الأمامي والشراع الرئيسي، وأوقفنا السفينة عن الحركة. ثم نشرنا شراع الصاري في المؤخرة، والشراع الصغير في قمة الصاري الرئيسي وقمة الصاري الأمامي. وكان خط سيرنا في الاتجاه الشرقي والشرقي الشمالي كما كانت الريح تأتي من اتجاه الجنوب الجنوبي. أيضاً في الليلة أبحرنا انفسنا بالاشراع، وأرسلنا فئلاً الجبال الوصلة بين أطراف الأشراع وزواياها من جهة، وحالب السفينة المحجوب عن الريح من جهة أخرى، ثم فطرنا مداها وشملنا للأمام، حين مربوطه في الأشراع المربعة تشكل في اجهة المواجهة للريح، ثم ربطنا حبلها بحبلنا ثم شدنا حبل مربوط شراع صاري المؤخرة بحيث يتجذب مع اتجاه الريح، ثم ألقينا السفينة ساخرة بحيث تكفي دفع الرياح ونسير باتجاهها.

أثناء هذه العاصفة لم نبقها وريح قوية عرسه زمرية جنوبية، دفعتنا الريح طبقاً لحساباتي، حولي حديقه مرسخ نحو الشرق، حتى أكبر الحدة بئ على ظهر المركب؛ لم يستطيعوا أن يجلسوا في أي مكان من العام كذا، كانت الملأ كدبة، والسفينة قوية وصاعدة، وبارتنا جيداً بصحة جيدة، لكن كان نقصنا الماء لدرجة خطيرة جداً. ففكرنا أنه من الأفضل أن تبقي على خط السير نفسه على أن نغير باتجاه الشمال أكثر، لأن هذا ربما يوصلنا إلى الأجزاء الغربية الشمالية من بلاد انتظار الساعة<sup>١١</sup> ويدخلنا في المحيط المتجمد.

وفي اليوم السادس عشر من يونيو ١٩١٣، شهد أحد القبطان اثنين من قمة الصاري الرئيسي. وفي اليوم السابع عشر رأينا بوضوح جزيرة كبيرة أو تارة (لأن لم نعرف إن كانت جزيرة أو تارة) على الجانب الجنوبي حيث كان شريط صعب من البحر داخل في البحر، كما كان يوجد خليج صغير صحل لا يمكن مرؤه حركه أكثر من مائة طن. وألقينا مرساتنا على بُعد فرسخ من هذا الخليج، وأرسلنا لعلطان في قارب طويل دشت من رجاله مسلحين جيداً، إلى الشرق ومعهم نوسية لثقتها بالله إن وجد. واستأنفنا أن يسمح لي بمرافقتهم لأرى البلاد، واكتشف ما يمكنني أن اكتشفه فيها. ونحن وصلنا إلى أن نرى غراً أو نبع ماء، كما لم نجد أثراً لوجود سكان. ولهذا راح الزوجان يمشون على الشاطئ لأنهم يجدون ماء الشرب قرب البحر. ومشت قراة ميل واحد على الجانب الآخر حيث لاحظت أن البلاد جرداء صحيرية. ثم بدأت أشعر بالتعب، وإذا لم نجد شيئاً ينير فضولي، تحدثت

أفرجني من مهن نحو الخليج . وحين صار البحر وضحا ثماني ، رأيت رجلا قد ركبا القارب ورجلا يجاذبون بسرعة نحو السفينة نجدة بحياتهم . وقد قمتُ إذ اناديهم بأعلى صوتي مع أنهم كانوا بعيدين حيث لا يُحْدِثُ النداء ، رُيتُ مخلوقا عملاقا يطاردهم في البحر<sup>(١٠)</sup> بأسرع ما يستطيع . كان ابدا وهو يحوض فيه لا يصل إلى أي رُجْية وكانت خطواته هائلة في اتساعها . لكن رجلا كانوا قد سبقوه بمسافة نصف فرسخ ، وكان البحر هناك مليئا بصخور مذبة حادة ، ولذا لم يصلح ذلك الوحش اللعين بالقرب . وقد بيل هذا في فيما بعد ، لأنني لم استر في البقاء حتى أرى نهاية تلك العاصفة ، بل رُحْتُ مُعَدو بأسرع ما أستطيع في التعريق التي مرت فيها أولا ، ثم تسبقت ثلثة شديدة الانحدار ، ومن على قممها أخذتُ لمحة من تلك الأبلال ، ورأيها مستعرة ومرروعة ، لكن الشيء الذي جذب انتباهي أول الأمر كان ارتفاع العشب الذي كان أعلى من عشرين قدما في تلك الأرض التي يبدو أنها كانت محصنة بزرع العشب .

وحدثت نفسي أسير في طريق للسفر كما يصورُ ، مع أنه لم يكن بالنسبة لنسكان أكثر من ممر شتاة عبر حقل مزروع بالشعير . برُتُ في هذا الطريق بعض الوقت ، ولكن لم أزل إلا القليل على أي من الجانبين ، فقد كان الوقت قربا من موسم احصاده وكانت سيقان الشعير ترتفع إلى ما لا يقل عن أربعين قدما . وقضيت ساعة في الوصول إلى نهاية هذا الحقل الذي كان عمقا يسور من التشنجات يبلغ ارتفاعه مائة وعشرين قدما على الأقل . وكانت لأشجار عاتية هذا بحيث لم أستطع أن أقدر مدى ارتفاعها . وكان هناك فتحة للمرور من هذا الحقل إلى الحقل المجاور ، يتكون من أربع درجات ، ويحيط عليك تناعم من فوق بها أن تصل إلى الدرجة العليا واستحدث علي أن أفسر هذا المنحدر أن ارتفاع الدرجة الواحدة كان ستة أقدام ، أما الخيزر العلوي فارتفاعه أكثر من عشرين قدما . وبينما كنتُ أحاول التعمق في فتحة في السجج لنباتي ، اكتشفتُ واحدا من السكان في الحقل المجاور يتقدم نحو المنبر ، وحجمه مثل حجم المملاق الذي رأيته في البحر يعاود زورقا كان يدار عائلا وثلاثة قذبة برج كنيسة ، وكان في الخطوة الواحدة يقطع عشر ياردات تقريبا<sup>(١١)</sup> . كما استطعتُ أن أحرر . وقد أصابني غزع شديد وفظون بالغ ، فعادوت لأخبره بين سيقان الشعير ومن هناك رأيته يقف على قمة المنبر ، وينظر خلفه إلى الحقل المجاور عن يمينه ، ويسمعه نادى بصوت أعلى بعدة درجات من يولي ياهو . وتكون صرخة السموت كان عاليا جدا . في الحول لدرجة أنني اعتقدتُ أنه صوت رعد . وعلى إثر ذلك جاء نحوه سبعة من الوحوش على شكله يجمعون في أيديهم مئاحل ، كل منجز على يدهم من مئاحل . ولم يكن ملاسهم في حوجة ملاس (الاول) ، وكان يبدو أنهم من خذيه أو قتلته ، لأنهم بعد أن نطق بعضهم بالكلمات ، انقادوا بجهدون الشعير في الحقل الذي كنت عشتا فيه . واتصدت صهي إلى أقصى مسافة استطيعها . لكنني لم أكن أستطيع التحرك إلا بهدوء بالذات ، لأن سيقان الشعير كانت أحيانا لا تبعد عن بعضها أكثر من قدم واحد ،



ولهذا قلنا كنت أستطيع أن أخذ بجسدي من بينها. رغم ذلك تدهرت أمري، وتقلعت للامام حتى وصأت إلى جزء من الحقل. كانت سبقت الشعور فيه قد مالت على بعضها بسبب انطر والريح؛ فاستحال عليّ أن أتقدم خطوة واحدة، لأن التيقان كانت متساكة فلم أستطع الزحف فيها، كما كان خضرت السابل انساقة قريبا وديا كاللائم، لدرجة أنه احترق ملاسبي وانغوز في لحمي. في الوقت نفسه سمعت الحصادين على مسافة لا تزيد عن مائة ياردة خلفي، كان التعب قد هذأ نوني. وانزعج والياس قد حطى معنواي، فاستغيت بين حافتي الحرد، وقنيت من قنبي لو تنتهي أياي هناك. ورحت أترج على روحي التي ستزمل، وإطفاي الذين يصبحون أيتفا، كي رحب أئذب حافتي وعائدي المئذين دفعاي لتتيم رحلة ثانية رغم نضج كل أمدقائي وأقاربي. ربي أستطع وأنا في هذه الحلة الضعية انصطرية، إلا أن أفكر في ليليت التي كان سكانها يحتبروني أكبر معجزة خارقة ظهرت في العالم، وحيث شككت أن أجز أسطولا امبراطوريا بيدي. وأن أفهم تلك الاعمال الأخرى التي مسجل إلى الأبد في المسجلات اناريجة لتلك الامراضورية، والتي قد لا تصدقها الأجيال اللاحقة رغم تأكيد الملايين قدا. وتاملت ضخامة انذل والموان الذي لا بد أن أعليه وأما أسو صغيرا وتافها في عيون هؤلاء القوم: كما لو أنني واحد من أهل ليليت يعيش بيننا. لكن هذا كما نصورت ليس إلا قل نصائي أهمية. وإذا كان من المعروف أن وحشية المخلوقات البشرية وقوتها تناسب طردفا مع حجمها<sup>(١٢)</sup>، فبذا أفوق غير أن كوني نعمة في فم أول من يفص عليّ من هؤلاء البرابرة ذوي الأحجام المائلة؟ لا شك أن الفلاسفة على صواب<sup>(١٣)</sup> حين يقولون لنا إنه لا شيء يكون كبيرا أو صغيرا إلا بالمقارنة. ولأنك بشر الخدز أن يتبع لأهل ليليت فرصة المعثور على قوم يكون أساو صغيرين بالنسبة لهم، كما كانوا هم صغيرين بالنسبة لي ومن بدري، ففعل عدا حتى انضمم المذلاق من أبناء انعام، يجد جنسا آخر يومه حجبا بنض انقدر في مكان ما بعيد في هذا العالم: مكان لم نكتشف وجوده بعد.

ومع أنني كنت مفزوخا ومضطرب انذهن فإني لم أستطع أن امتع عن الانسياق مع هذه التاملات، حتى رأيت واحدا من الحصادين يقترب من مسافة عشر ياردات من الحافة التي كنت مستلقيا عندها، وتحطت حينذاك أنه يخطو به انثية سيجضي تحت قدمه فأمرت، أو يشقني إلى نصعين بنيمين. ولذا، عندما كان عني ولست أن يتحرك، صرحت أهل صرحتي يمكن أن تجدها انفرج. وحينذاك تسر المحلوق الضخم مكانه، وراح ينظر إلى الأسفل في حوله حتى أبصرني وأنا مستلقي على الأرض، وفكر عليّ وراح يلتم الخذر كضرب يحاول أن نسل حيونا صرخا خططا بطريقة تجعل الحيوان عاجزا عن خذليه أو غصه. وأحيرا تجاسر وأمكنني من ظهري بين إبهامه ومنايه وروحي حتى وصل بي إلى مسافة ثلاثة ياردات من عييه. حتى يتمكن من رؤيه شكبي بوصوح أكثر. وفهست قصده. وقد مسحتي حظي الصعد هذرا كافيا من حضور الشدة، ولهذا قررت أن لا

أقاوم الية وهو يحميني في الهواء على ارتفاع مئتين قدم عن الأرض، رغم أن ضغط أصابعه على جنيبي كان مؤلماً، وذلك خشية أن أزلني من بين أصابعه. كل ما تحسرت على فعله هو أن أروم صمراً نحو الشمس، وأن أصرم بذني في وضع نوسل، وأن أطلق حضن المكبات بشغمة دليئة حزينة تناب الحافة التي كنت فيها. فقد كنت أعمى في كل لحظة، أن يقداني بعنف إلى الأرض كما تفعل عادة مع أي حيوان صغير كونه يحظر لنا أن نخطئه. لكن طائفي السيد قدّر لي أن يدار العسلاني مسروداً بصوت وحركات، وأن يبدأ النظر إلى كني، طربط، وأن يشعر بالعميق وهو يسبحني ألتلفظ بكلمات ذات معنى، رغم أنه لم يستطع أن يفهمها في هذه الأثناء لم يكن يومني إلا أن أشارة وأذرف الدموع، وأن أشير رأسي إلى جوبي، لكي أعرفه بقدر ما أستطيع، أن أضغط إبهامه وسببه يومني أنسى الألم. وبدأت أنهف فصدتي، لأن رجع طرف معطش ورضعني عليه بكل رفق، ثم راح على الفور يعدوني إلى سيد الذي كان مزارعاً غنياً، وهو انشخص نحوه الذي كان أول من رأيته في الحقل.

بعد أن استمع الزرع، كما بدأ لي من حديثهم، إلى ما قاله خذمه عني، تارون أجزاء من قشة صغيرة حجم عصا الخي عذبة، دواح يرفعها أطراف معظمي الذي طلقه كما يدار نوعاً من الغطاء، رأيتني به الطبيعة. ثم نضج على شعري وألغظه جنتا ثيري وجهي شكل أفضل. ثم نادى عربة وماسم (كما عشت فيها بعد) إن كانوا وأو من غير في الحقول مخلوقاً صغيراً يشبهني ثم وضعني برفق على الأرض على بشي ورجلي، ولكني وقفت على الفور ورحلت أمشي جيتة وذهاباً لكي أكون لأوتك الفوم أنه ليس لدي شيء في الحرب. وجلسوا حولي محلقين ليروا حركاتي بوضوح أكثر. ووجدت بعني لحف، وتحتيت احتراقاً قنمزارع. ثم دكمت على ركني ورفعت بذني أعينني ونظفت بالعديد من التخلات بأعل ما أستطيع. ثم أحرشت من حيبي كبشا من الذهب وقدمته به هدية، فوضعه في راحة يده، ورفعه قريباً من عنقه ليعرف ما هو، ثم قلّبه عدة مرات برأس دبوس محبه من ثمنه، ولكنه لم يستطع أن يعرف ما هو، عند ذلك ثمرت له أن يضع يده على الأرض، وأخذت منها الكيس وذهبت. وثلث الذهب في راحة يده. كان الذهب يثاق من سب قطع أسبانيه تساوي كل منها أربعة شتوليش، وحوالي عشرين أو ثلاثين سيكة أخرى أصغر حجماً. وزلت بكل طرفه بنصره بدسائه، ووقع به واحدة من السيالك الكبيرة ثم أخرى، ولكن بدا أنه يجهل ماهيتها كل الجهل. وأشار لي أن أعيد أسبائك إلى الكيس، والكيس إلى جبي، لكنني بعد أن حرصت عليه أنكيس عدة مرات. رأيت من الأفضل أن أعيد إلى جبي.

عند هذا تأكد المزارع أنني مخلوق عاقل كنسني عدة مرات. لكن صوتي خرق نقر وكانه صوت شلال هادئ، ومع ذلك كانت كلماته واضحة، ورددت عليه بأعلى صوتي وبعده نعت. وكثيراً ما قرب أذنيه حتى مسافة ياردين مني، ولكن دون جدوى، إذ لم يفهم أحداً لاخر. حينذاك

أمر خذمة أن يعودوا إلى أصحابهم ثم أخرج مثيله من حبه وطواه طيتين، وكَرَفَةً على يده التي بسطها على الأرض وراحتها إلى أعلى، وأشار بي أن أضعها وكوخل بها. وقد فعدت ذلك بسهولة لأن سبابة يده لم تكن تزيد على قدم. ورايت أنه لا بد لي من أطيع. وقد تمدت خطوتي كله فوق الشوبل خشية أن أقع. وشريد من الأمان أنني هو بخواف المندوب، وحسني وانعزلي بي إلى بيته. وهناك نادى زوجته وأرني لها. لكنها صرخت ورجعت عذرا كما تفعل السيدات في نجدرا حين يريهن ضعفهن أو عنكهن. وبعد أن رثت نصرغاني، ولأحفظ أنني أفهم إشارات زوجها وأمثل جيدا لها، أبحثي ورشيتني عني وبالكريج أصبحت شديدة العطف عني.

كان الوقت قد قارب الثامنة عشرة غمها حين أذخل الخادم طعام الغداء الذي لم يتعد طحنة ضخمه من اللحم (تتألف ساحة حية المزدوجين) في طبق فطره أربعة وعشرون عدداً وكانت العالقة تصم المزارع وزوجته وطفله الثلاثة وجدة عجوز. حين جلسوا حول لائحة، وضمي المزارع على مقربة منه على الطاولة التي ترتفع ثلاثين قدماً عن أرض الغرفة. وكنت في فرع شديد، وبعثت غدار ما استطع عن أخافة خشية أن أسقط. فزمت لزوجتي قطعة من اللحم، وفطخت قطعة من الجير على صينية حنية. روصعت الطعام أدمي. التحيت لها احتراماً وتقديراً ثم أخرجت سكيني وشوكتي ورحت أكل، وسرقت ذلك غايه سرور. وأمرت السيدة خدمتها بإحضار سدع صغير يسبع حوبي جالونير وملائه مائشرب. وقد تناولت هذا لوصاء بككتي بدني وبمحوبة بالغة، وشربت نخب مبادتها باحترام بالغ ويكتفب التحيرة لظفتها بأعل صوب. وقد جعلهم هذا بضحكهم وغفقهون من قنوبهم. لكن صبرت قهقهاتهم كاذ بصحي ماصم. كان النرب طعم عصير اضاح ولم يكن سيئاً. لم أشارك في الزوج أن أذهب نحو صحنه فمتيت عن الطاولة وأنا في غمر شديد. ويمكن تقديري الفهم أن تصور حالي وعذري. وبني أنا أمشي مدعوزاً تمشيت بطلعة من ثبات الخبرة فرفعت منطختي عن وجهي، نكتي لا أصب بالي نهضت رافضاً على العور، ولأحفظ أن أوزنك المقوم الغطيين قد غموا على كثير. فأمسكت قبعتي (التي كمت أهلها تحت يغطي نكتي) وكوخت بها فوق رأسي، وهفت ثلاث هتات سعيدة لأين لم أنني لم أضب سوء من سقطني. ولكن حين تقدمت نحو سيدى (هكذا سادعو، بعد الآن) أمسكتني من إبطي إلى الصغير التي كان جالك بجانبه، وهو غلام حيث يقارب عمره عشر سنوات، ورفعتي عالي في الهواء حتى ارتجف كل عضبي في رعب. لكن أباه حطاني منه وأني انوقت نعمة صمعه على حده. لاأبصر مسعدة كعدة بصرين كنية من الفرمان في أوردوا، ثم أمره أن يغامر المسألة نكتي خشيت أن ينفد الغلام علي. ونشكرت مني حيث الأطفال عدداً، وميهم العطري لإفادع الأذى بالمصغير والأزانب والمطيطات الصغيرة والجلود، فركعت على ركبتني، وأهممت سيدى بقدر ما استطع، وأنا أشر إلى الغلام، أسي أرجوه أن يصطحب عن بيته ووافق الأب وعد الصبي إلى مغفنه. وحينذاك ذهبت إليه وقبلت يده.

فتناول الأب يَدَ ولده وجعله تَوَلَّى عَلَيَّهَا فِي دَفْنِ.

أثناء تناول الغداء جاءت النقطَةُ المفضلة لَدَي سَيِّدَتِي وَقَعَزَتْ إِلَى حِفْظِهَا وَسَمِعْتُ خَلْفِي صَوْتًا شَبِيهًا بِصَوْتِ ابْنِي عَشْرَ أَلْفَ حَيَاكَةِ لِلدَّجَارِبِ، وَحِينَ أَتَيْتُ رَأْسِي اكْتَشَفْتُ أَنَّ هَذَا الصَّوْتُ صَادِرٌ عَنْ هَرْمَةٍ تَلُكُ النُّقْطَةَ الَّتِي عِنْدَ حِجْبِهَا أَكْبَرُ مِنْ حِجْبِ ثَلَاثَةِ زَبْرَانٍ، كَمَا قَدَّرْتُ مِنْ حِجْمِ رَأْسِهَا وَخَلْقِهَا أَيْضًا. قِيَامُ سَيِّدَتِي بِإِطْعَامِهَا وَتَرْبِيَتِ عِيَالِهَا. وَفَدَ أَفْرَغْتُ الشَّرْسَةَ الْبَلْبَنِيَّةَ فِي وَجْهِ تِلْكَ الْمَخْدُوقَةِ بِحُجْمِ ابْنِي كَتَبْتُ نَفْثًا عَلَى الصُّرْفِ الْبَعِيدِ مِنَ الْمَطَاوِلَةِ عَلَى بُعْدِ خَمْسِينَ قَدَمًا، وَرَعِمْتُ سَيِّدَتِي كَأَنَّهَا تَمَسَّتْ النُّقْطَةَ بِقُوَّةٍ خَشَبَةٍ أَنْ تَقْطُرَ هَذِهِ عَلَيَّ وَتَسْكَنِي بَيْنَ عِيَالِهَا. وَلَكِنِّي كَتَبْتُ فِي مَاسَمٍ مِنَ الْخَطَرِ لِأَنَّ النُّقْطَةَ لَا تَأْتِي فِي حَيْثُ وَضَعْتُ سَيِّدَتِي مِنَ الْمَطَاوِلَةِ عَلَى مَسَافَةِ ثَلَاثِ يَارَدَاتٍ مِنْهَا. وَكَمَا قِيلَ لِي دَائِمًا وَأَكْثَرُ خَبَرِي فِي رِحْلَاتِي صَبْحَةُ هَذَا الْقَوْلِ، هُنَاكَ إِنْ هَرَبْتُ أَوْ أَلْبَيْتُ خَوْفًا أَمَامَ جِهْرَانِ شَرَسٍ فَإِنَّ هَذَا يَنْفَعُهُ إِلَى مَطَارَدَتِكَ أَوْ الْمَحْرَمِ عَلَيَّ. وَلِهَذَا قَرَّرْتُ فِي هَذِهِ الْمَوْضِعَةِ لِلْخَطِيرَةِ أَنْ لَا أَتْلُوهُ لِي خَوْفٌ أَوْ تَقْوَى. وَرَحِمْتُ أَلْقَى بِسِلَاقِ خَمْسٍ أَوْ سِتِّ مَرَاتٍ أَمَامَ رَأْسِ النُّقْطَةِ، بَلْ وَصَلْتُ إِلَى مَسَافَةِ نِصْفِ يَارَدَةٍ مِنْهَا، حَتَّى جَعَلْتُهَا تَتَبَعُنِي وَكَأَنَّمَا حَافَتْ مِنِّي أَكْثَرَ مِمَّا جَعَلْتُ مِنْهَا. وَكَانَ خَوْفِي مِنَ الْكَلَابِ أَكْثَرَ. وَقَدْ دَخَلَ الْغُرْفَةَ ثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً مِنْهَا، وَهُوَ ثَمَرٌ مَلُوفٌ فِي بَيْوتِ الْفُرْزَعِينَ. وَكَانَ أَحَدُهُمْ كَلْبٌ حَرَامَةٌ بِسَاوِي فِي حِجْمِهِ أَرْبَعَةُ أَفْيَالٍ<sup>١٨</sup>، وَكَانَ آخَرُهُمْ كَلْبٌ صَعِيدٌ سَلَوَقِي أَعْلَى قَلِيلًا مِنَ كَلْبِ الْخُرْمَةِ لَكِنَّهُ لَيْسَ فِي ضِمَاتِهِ.

وَحِينَ كَادَ الْغَدَاءُ يَهْتَمُّ دَخَلْتُ الْمَرْبِيَّةَ فَحَمَلْتُ عَنْ ذِرَاعِهَا طِفْلًا عِمرُهُ سَنَةٌ. وَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الطِّفْلَ عَلَى الْفُورِ، وَبَدَأَ صَرَخًا يَصِلُ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى حَبَشٍ، وَهُوَ الْأَسَدُوبُ الْخَطَّابِيُّ الْمَالُوفُ لَدَي الْأَصْفَادِ، مَعْتَابًا بِي كَدِيمَةٍ يَنْسَبُ بِهِ. وَبَدَأَ التَّدَلِيلَ وَفَعَلْتُ الْإِمَامَ وَوَضَعْتُ فِي مَوَاسِدَةِ الطِّفْلِ، فَمَا كَانَ مِنْ إِلَّا أَنْ أَمْسَكَ بِي مِنْ وَسْطِي فِي الْخِلَافِ وَوَضَعَ رَأْسِي دَاخِلَ فَمِّهِ، فَزَارَتْ ذَنْبًا مَدُونًا أَرْهَبَ ذَلِكَ الطِّفْلَ الْمَلْعُونَ مَأْفَلَتِي وَهَوَّيْتُ، وَكَانَ مِنْ النُّحْمِ أَنْ أَتَذَقَّ عَنِّي لَوْلَا أَنَّ الْإِمَامَ مَارَعَتْ وَتَفَتَّنِي فِي مَرَاتِهَا. وَلَكِنِّي تَشَكَّيْتُ الطِّفْلَ اسْتِخْدَامَ مَرْبِيَّةٍ خَشْيَشَةٍ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ وَعْدِ الْجُوفِ فِي دَاخِلِهِ بَعْضُ الْحَجَارَةِ الْكَبِيرَةِ وَمَرْبُوطٌ إِلَى وَسْطِ الطِّفْلِ بِسَبِيلٍ. لَكِنْ ذَلِكَ كَانَ دُونَ جَدْوَى. فَاضْطَرَّتْ إِلَى الدَّخْوَةِ لِمُتَعَلِّجِ الْأَخْبَرِ وَهُوَ رِضَاعُهُ. وَلَا يَدَّ أَنْ أَعْتَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يُكُنْ شِعْثَرًا زَيْ قَطُّ شَيْءٌ بِقَدْرِ مَا يُنَظَرُ لَهَا فِيهَا الضُّخْمُ الَّذِي لَا أَعْرِفُ تِلْكَ الْفَارِيزَةَ لَكِنِّي أَعْطَيْتُ الْفَارِيزَةَ الْفَضُولَى فُكْرَةً عَنْ حِجْمِهِ وَشَكْلِهِ وَلَوِيهِ. فَقَدْ بَرَزَ ثَابِتٌ عَلَى امْتِدَادِ سَنَةِ أَقْدَامٍ وَمَا كَانَ عَمْرُوهَ بَقِيَ عَنْ سِتِّ عَشْرِ قَدَمًا. وَكَانَتْ خَلْقَتُهُ بِقَدْرِ نِصْفِ رَأْسِي، كَمَا كَانَ نَوْنُ الْحَامَةِ وَالَّذِي مَمْرُوجًا مَبْثُوعًا بِالدَّمَامِلِ وَالشَّشْرِ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْهَرَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ أَكْثَرَ وَقَدْ رَأَيْتُهَا عَنِ كَتَفِ. لِأَنَّ الْمَوْضِعَ كَانَتْ جَالِسَةً وَهِيَ تُرَضِّعُ وَكَتَبْتُ رَافِقًا عَلَى الْمَطَاوِلَةِ. وَقَدْ جِئْتُ هَذَا الْمَوْضِعَ أَفْكَرَ فِي ابْتِشَارِ الْخَصِيصَةِ لِسَيِّدَتِي الْأَنْجَلِيزِيَّاتِ السَّلَوَقِيَّاتِ لَا تَوَاهُجُ هَيَلَاتٍ إِلَّا لَأَنَّهُنَّ مِنْ حَبَشَا، وَلَئِنْ هِيَ لَيْسَ لَا تَرَى إِلَّا مِنْ خِلَالِ

عذسات مكبرة حيث نجد بانجرية ان انعم امشرات واكثرها بياضا تبدو فظة وخشنة وفيحة الالوان.

واذكر حين كنت في طيبوت، ان الوان شرة اوشك انقوم كنت تبدل لي ايجل ما في انفسنا. ولدي احديث عن هذا الموضوع مع شخص واسع العلم ولثقافة هناك. وكان صديقا حيا لي، قال لي ان وجهي كان يبدونه وهو ينظر اليه من الارض اجمل وانعم مما كان يبدو له وهو يراه عن كثب. حين كنت ارمعه ببشي واقربه من وجهي. وقد اعترف لي بان منظر وجهي عن كثب كان مشهوا مُثَمِّرا حقا، وقال انه استطاع ان يكشف ثغورا في شرتي، وان حذو شعري الحبي كانت اقوى عشر مرات من الطعر الخشن للخزير، وان لون بشري كان خليطا متعرا من عدة الوان. هذا رغم اني ارجو ان تسمحو لي بانقول ان جمال شرتي لا يقل عن جمال بشرة معظم الرجال في بلادتي، ولانه لم توحه او تميز الشمس في كل رحلتي من سحبة اخرى، ولدي الحديث معه عن السمات في قصر امپراطور تيليوت كان يقول انه في وجه احد من عشر، وان قم اخرى واسع جدا، وان الف ثانة كبير جدا، في حين اني لم اكن استطيع ان اميز شيئا من ذلك. واعترف ان هذه فكرة واضحة ومأنفة، لكن لم بمعنى ولا ان اذكرها كبلا بعض القارئ ان تلك المخلوقات المضحمة كانت مشوهة فعلا. ولكن اكون متصفا لا بش من الفول انهم شارب وسيم. وعن الالحص نصيات وجه سيادي اني بدت لي مناسفة حين رأيت على ارتفاع متين قلما رغم انه ليس سوى فلاح.

حين انتهوا من تناول الفداء، خرج سيدي الى اعلاه بعد ان اوصي زرجته بحزم، كما اكتشف من صوته وحركاته، ان محرص سي وتعتني به. كنت متبها وبحاجة لنوم. وحين لاخفت سبتي ذلك وصعني على فراشي وضعتي بمدبل ابيض نظيف، لكنه كان اكبر واخشى من التشرع لرئيسي في ساحة حربية.

كنت حوالي ساعتين، وحملت اني كنت في بيتي مع زرجتي والطفلي. وهذا زان احزان حين استيقظت ووجدت نفسي في غرفة متراصة الاطراف، ممرضا بزوج بين مائتين وثلاثمائة قدم وارتفاعها اكثر من مائتين، وعلى فراش عريض عشرين ياردة. كانت سبتي قد اغلقت على الباب وذبحت لتابع شقوب بيتها، وكان السرير على ارتفاع ثمانية ياردات عن الارض. وقد اكلت عي بعض الحاجات الطبيعية تدعون تنزول عن السرير، ولم اجز على متادة احد، ولو فعلت لكان ذلك بلا جدوى، بصوت مثل صوتي، في مكان بعد الغرفة التي انا فيها عن المطبخ الذي تملس فيه العائلة مسافة شاسعة. وبينما كنت اعاني من هذه الظروف انفسية، تسبق فاران استشارة وراحا يركضن جيرة ودهانا على السرير وهم نشين ما حوَّلها. وقد ضعد علي احدهما حتى كاد يصل رني وجهي، فنهضت مغروحا ومنهضت حسامي للدفع من نفسي. وقد بلغت جرة هذين الحيوانين

الظلمة من أظلمة هجر علي من خانيه، وأما ما وضع قديمه الاماميين على ياقني، ولكن الخطك ما عني  
 فبشرت كثرته يعني قل أن يصيني أي كثر، ونحن رأى الأخير ما حل صاحبنا ولي هاربا، لكنه  
 لم ينجح من هرج في شهره أصبته به وهو يهرب ونقطه الدم تساهل منه. بعد هذه الحركة انعطبة  
 رحت أملي هلهو جنة ودهابا على السرير، حتى استعيد أعصابي وعموديائي كان كل من هذين  
 المخلوقين يصحبه كلب حراسة كبير، لكن السرعة به حركة واضحة شراسة إلى حد بعيد. ولو كنت  
 مزعجة عني حزامي قل أن أنام، لكنك قد خلكت لا محالة، وتزقني الحاران إربا والتهاني. وقد قلت  
 حول ذلك القار الفيل فوجدته يرددون إلا بوجهه وحده. وقد كاذت معدني فقلت أنه أجزء فوق  
 السرير ودمه لا يزال ينزف. ونحن لاحظت أنه ما زال فيه حياة فقلت معنى عطفه بغيره قاتلة  
 وأجهزت عليه قاتلا.

بعد ذلك برهه رجولة فخذت سباتي الغرفة. ونحن رأيت منطلي بالدم زحفك نحوي  
 وتحتني في يدها. وكثرت إلى القار الضيق وأنا أستم وألوم بأفكار أخرى لأتقن ها أنبي لم أسمع  
 بأقوى، فمجلدك بذلك غلبة السعادة، ونادت الحادمة ترفع الحار التي تعلق وترى للخروج من  
 المسافة ثم رحتني عن الطيارة حيث أزيثها يعني منطعا بالدم، ومنجته بغير معطني وتحدثت  
 إلى عمدة. لكي كنت عاجزا جادا لأن أقوم بأشياء لا يستطيع شخص آخر أن يقوم بها لئلا عني  
 وحزنت لذلك أن أجهز مدي باني أرفع على الأرض. وبعد أن حذقت لي رغبتي، معنى  
 عجز من أن أجمع عن حدي أكثر من الإشارة إلى غياب والانداء عدة مرات. وقد كنت  
 ألوه انطية أخيرا، وبصورة شديدة، ما كنت أود أن أعمل. فعملتي مرة ثانية في يدها رسالت بي  
 إلى الحقيقة حيث أنزشتني على الأرض. فالتحيت حاد ومثيت مسافة تقارب الثاني ياردة. وكثرت  
 طأ أن لا تنظر إلى أو تنمي، ثم تحبكت بين ورتن من أروني نيت الخوض، وأمرت ضرورات  
 النجاة.

وإلى أذبح أن بعزني القاري الغيب على الوقوف عند هذه التفاصيل والمناخ. فهي وإن  
 بدت تافهة لدوي العقول الباقية الحرة، إلا أنها فظفا تساعد لحيثوف على توسيع أفكار وإثراء  
 حيلة، وتسخيرها لخدمة الحياة العامة والحياة الخاصة أيضا. وهذا هو هدفي الوحيد من نشر هذا  
 النصير وتقرير أخرى من رحلتي في «الأمم»، والتي حرصت فيها كل الحرص على ذكر الحقيقة  
 دون تصنع لعمري بالعلوم. ودون تكلف المسكنات الأسنوبية<sup>(١)</sup>. لكن مشهد هذه الرحلة كنه ترك  
 في ذهني سطحا قويا، ولست في ذاكرتي ندأ لا ينسى، حتى أنني لدى كتابة وصف له على الورق لم  
 أحذف منه أي من التفاصيل صعبة غير أني لدى مراجعته مرادة حزمه خذقت من النسخة الأولى  
 كثيرا من النصوص الغريبة الالهية حسية أن الأم على حشو المثل والاهتمام بالتفاصيل النافذة، كما  
 وجّه هذا اليوم عدة مرات، وربما يوجه حق، إلى كتاب رحلات.

## الفصل الثاني

بعثت به المخرج. المزمع يجمع إلى مدينة ويتعرض فيها ثم يؤخذ إلى العاصمة.  
عاصي رحله.

كان سيدي بنة عمرها تسع سنوات، لكن قدراتها كانت أكبر من عمرها إذ كانت عاهرة جداً في أعمال الإبرة كما في العنابة بدميتها. وقد اندمجت هي وأميها على محويز سرير اندمية ليكون سريراً انام عليه في الليل. وقد وُجِعَ المهد في قُرَجٍ صغير في الدولاب كما وُجِعَ الشُرُج على زفة معلق خوفاً من الفئران. وحظت السنة التي أقبلتها مع هؤلاء القوم كان هذا السرير سريراً لي، وقد أصبح بالتدريج مناماً ومرحاً، ولا سيما بعد أن بدأت تتعلم لغتهم وأقبح ما عن حاجز. كانت هذه الفتاة الصغيرة بارعة جداً في استخدام يديها. وبعد أن زادت مرة أو اثنتين أذبح ملاسبي أميها، صارت قادرة على القيام بالباسي والماسي أو نزعها مني<sup>(١)</sup>، رغم أني لم يكن أُرجمها بذلك حين تسمح لي بالقيام بذلك بنمسي. وقد غنغنت لي سبعة قمصان وبعض الملابس الأخرى من أنعم فمالي أمكنها الحصول عليه. ولكنه بالنسبة لي كان حشرة قهالتي نخيش. وكانت دائماً تفعل بي هذه الملابس بيديها. كذلك كانت هذه الفتاة معلمتي التي علمتني اللعبة. إذ كلما كنت أشير إلى شيء كانت تنظر لي بسمة بلقتهب، ولهذا استسلمت في بضعة أيام أن أحلب ما كان يعل في أن أطلبه. وكانت دمة الطبع ولم يكن حلها ليريد على أريعون قدم إذ كانت صغيرة الحجم بالنسبة لعمرها. وقد استمعتي جريشريع<sup>(٢)</sup> فالتفتت الأسرء هذا الاسم ثم انقطعت انمكة كلها بعد ذلك. وتدل هذه الكلمة على ما يُسمى باللاجية نانول كونوس والابطالية هومون تشفيتيتو وبالانجليزية ماليكين. وأنا مدين لها بالبقاء على قيد الحياة في تلك البلاد. ونحن لم نترق قط حين كنت هناك وكنت أتمها بجم داء فليشر<sup>(٣)</sup>، أي مرسني الصغيرة. وأكون تذكر المجمعين لو حذفنا هذا التذكر الأمين لعابتها بي وحلها بي، وأقوى من كسر قلبي لو كان بإمكانني أن أكتفها بما نستحق به، لأن من أن أكون الإنسان العيس الذي، الذي سبب هذا دون أن أحلم أو أفهم. البحر والمري.

أصبح الآن معروفاً لدى جبران سيدي المزارع أنه يؤخذ في الحقن حيواناً غريباً، وهذا هو يتغلبون اختباري، أن في حجم ال سبلاخنوك، وأن شكلي يشبه في كل شيء شكل مخلوق بشري،

وَأَمَّا أَيْضًا فَمَنْدَ الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ أَمْرَانِهِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ كَمْ يَدْرُو لُغَةً صَغِيرَةً خَاصَّةً بِأَيِّهَا، وَأَمَّا أَنْتُمْ قَدْ تَعَلَّمْتُمْ عِدَّةَ لُغَاتٍ مِنْ لُغَتِهِمْ، وَأَمَّا أَنْتُمْ مُتَعَلِّمًا عَلَى سَفِينٍ، وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيْضًا وَلُطَامًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ إِذَا بَوَيْتُمْ وَأَعْمَلْتُمْ أَوْ أَمَرْتُمْ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فِي أَجْلِ الْأَعْصَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا أَنْتُمْ بِشَرِّ أَجْلِ وَأَمَّا أَنْتُمْ مِنْ بَشَرِهِ ابْنَةُ نَبِيلٍ فِي الْكَاتِفَةِ مِنْ عَمَرِهَا. وَمَنْ قَدْ مَزَّاعَ كَانَ يَمُشِي بِجَوَارِنَا، وَكَانَ صَدِيقًا حَقِيْقًا لِنَبِيِّ، مُزَارَا خَاصَّةً غَصْدًا أَنْ يَسْتَعْمَرَ عَنِ جَنْبِ هَذِهِ الْأَنْجَارِ. وَمَنْ أَحْضَرُوهُ عَلَى النُّورِ وَوَضَعُوهُ عَلَى عَاقِلَتِهِ حَتَّى رَحَّتْ أَمْرٌ كَمَا أَبْرَزَتْ، وَنَشَتْ سَفِينِي ثُمَّ أَعْمَدْتُهُ، وَقَدِمَتْ أَيْلَاتُ الْأَحْزَامِ لَهَيْفِ سَفِينِي، وَسَائِقَتُهُ بَلَفَتْهُ عَنْ حَالِهِ وَرَحِبَتْ بِهِ، ثُمَّ مَا كُنَّا غُلْمَتُنِي مَرِيْبِي الصَّغِيرَةِ. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَحْجُورًا وَخَامِي النَّصْرِ، فَلَبَسَ غَارَتُهُ لَكِي يَرَانِي بِوُضُوحٍ، وَجَسَدُ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ الْأَمْتَنَاعَ عَنِ الضَّحِكِ الشَّدِيدِ لِأَنَّ عَيْنَهُ كَانَتْ شَبَهَانَ لَمَرًا بَضِيًّا. حَبِيرَةً مِنْ عَاقِلَتَيْنِ. وَقَدْ عَرَفْتُ الْأَسْرَةَ الَّتِي أَقَامَ بِهَا، فَجِئْتُكَ فَتَارَكُونِي فِي الضَّحِكِ، وَعِنْدَهَا بَلَقْتُ الْحَيَافَةَ بِالْمَحْجُورِ أَنَّهُ غَضِبَ وَفَقِسَ. وَقَدْ كَانَ مَعْرُوفًا عَنْهُ الْحُزْنُ الشَّدِيدُ وَحُبُّ الْمَالِ، وَسَمِعَهُ حَظِي أَثَبَتْ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ السُّعَّةَ بِالصَّحِيحَةِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي فَلَمَهَا لِسَفِينِي، وَهِيَ أَنَّ بَعْضَ سَفِينِي عَلَى لَمَسِ مَنَابِلِ أَشْرَافٍ فِي يَوْمٍ سَوِيٍّ فِي الْمُنَاسِبَةِ لِلْمَحْجُورَةِ الَّتِي كَانَتْ تَبْعَدُ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ مِيلًا عَنْ بَيْتِهَا وَتَقِمُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا عَلَى ظَهْرِ الْخَيْلِ فِي نِصْفِ سَاعَةٍ. وَقَدْ أَكْرَهْتُ أَنْ شَرًّا يُؤْثِرَ فِي حِينٍ لَا حَظَّ لِي بِمَرِيْبِي رَصِيدَتِهِ بِهَا مَاتَ وَيُؤْثِرُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ حَيَاتُهَا. وَقَدْ هَبَّتْ لِي بِمَحَاوِي أَنْتُمْ سَمِعْتُمْ وَفَهَمْتُمْ بَعْضَ كَلِمَاتِهِمْ، وَلَكِنْ لَوْ الصَّاحِبُ الْتَقَى أَتْلَفْتُنِي جُنْفُومًا خَالٍ كَلِيشْتِ مَرِيْبِي الصَّغِيرَةِ عَلَى الْمَوْضِعِ بِرُؤْيِي كَمَا التَّفَكُّفَةُ بِذَهَابٍ مِنْ أَمْرٍ، وَقَدْ وَصَفْتِي الْفَتَاةَ الْمُسْكِنَةَ عَلَى عَمَرِهَا وَرَاحَتِ تَبَكُّوِي حُزْنًا وَجَزَلًا. كَمَا أَنَّ تَحْتِي أَنَّ بَدَلْتِي أَتَى مِنْ زُؤَادِ الْمَسِيْقِ الْمَعْرُوفِينَ بِخُشُونَتِهِمْ وَفَضْلَتِهِمْ، وَأَمَّا أَنْتُمْ قَدْ يَعْصِرُونِي حَتَّى أَمُوتَ أَوْ يَكْسِرُونَ أَحَدَ أَعْضَائِي حَتَّى يَجْمَلُونِي فِي أَيْدِيهِمْ. فَقَدْ كَانَتْ تَعْرِفُ رَفَقًا حَسَمِي وَجَزَمِي عَنْ كَرَامَتِي، وَأَنَّ خُرَافَتِي مَقَابِلَ تَقْوَدَ عَلَى جِهَرٍ مِنْ سَفَلَةِ النَّاسِ وَغَوْغَائِهِمْ<sup>(١)</sup> سَيَكُونُ فِي نَظَرِي رَهَانَةً بَالِغَةً. وَقُلْتُ إِنَّ أَبَاهَا وَأُمُّهَا كَانَا قَدْ وَعَدَافَا أَنْ يَكُونَا جَرِيْدَ رِيْخٍ هَا وَهَدَاهَا، وَلَكِنْهَا رَجَعَتْ لِأَنَّ أُمِّي سَيَعْمَلَانِ مَعَهَا مَا فَعَلَا فِي السَّنَةِ الْفَاضِيَةِ حِينَ أَصْبَحَا بِحُلَا زُرْعَاهَا أَنَّهُ هَا، وَلَكِنْ هَا مَا سَمِعْتُ أَحَقَّقْتُ رَكْبًا بِأَعْدَاءِ أَحَدِ الْفَصَائِلِ. مِنْ مَاحِيِي يُمْكِنُ أَنْ تُوَكَّدَ صَادَقًا لِي كَمَا أَنَّ قَلْبِي قَطْعًا مِنْ مَرِيْبِي. كَانَ لَسْتُ أَمَلُ قَوِي لَا بِغَايَتِي بِأَنِّي لَا أَدْرِي أَنَّ حَرْبِي ذَلِكَ يَوْمَ. أَمَّا بِالنَّبِيِّ نَفَرْتُنِي عَنْ النَّاسِ بَوَسْطِي حَيَوَانًا عَجَبِيًّا فَقَدْ اعْتَبَرْتُ نَفْسِي شَخْصًا غَرِيبًا عَنْ نَشْأَةِ الْبِلَادِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ تُوَكَّدْتُمْ إِلَى اسْتِحْلَافِ فَلَمْ يَتَوَقَّعْ أَحَدٌ عَلَى حَدُوثِ هَذِهِ الْمَصِيبَةِ لِي، وَكَانَ لَوْ كَانَ مِنْكَ بَرِيطَانِيَا الْعَظْمَى نَفْسَهُ مَخَافًا<sup>(٢)</sup> وَبِي وَضْعِي لِأَسْبَابِهِ مَا سَتَلِي ر..

وَعَلِيًّا لِلصَّحِيحَةِ صَدِيقُهُ خَلْفِي سَفِينِي لِي صَدُوقِي<sup>(٣)</sup> فِي أَوَّلِ مَوْسَمِ السُّوقِ فِي الْمَدِينَةِ الْبَحْرِيَّةِ وَتَمَلَّ مَعَهُ عَنْ سُرُجٍ إِضَائِي خَلْفَهُ ثُمَّ الصَّغِيرَةِ مَرِيْبِي كَانَ الْفَضْلُوقُ مُتَقَفًا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. وَفِيهِ بَابٌ صَغِيرٌ لِأَخْرَاجِ أَوْ ادْخَالِ مَاءٍ، كَمَا كَانَ فِيهِ بَعْضُ النُّقُوبِ يَدْخُلُونَ الْمَاءَ. وَقَدْ بَلَغَ جَرْمُوسُ الْفَتَاةِ



على راحتي أنها وضعت في الصندوق لحاف ذميتها لكي استلقي عليه ومع ذلك فقد تعرضت في هذه الرحلة عزات وخضبات مزعجة جداً، رغم أن الرحلة لم تستمر أكثر من نصف ساعة. ذلك أن خطوة احسان الواحد كانت تقطع حوالي أربعين قدماً وترجعاً إلى غلّو كبير بحيث كانت حركتنا المضطربة تشبه صعود السفينة وهبوطها في عاصفة شديدة، لكن صعودنا وهبوطنا كان أكثر تكراراً وكانت رحلتنا أبعد قليلاً من عشرين ميلاً<sup>(١٧)</sup>. ونزل سبيدي في فلق كان يزوره كثيراً وبعد أن نشاور مع صاحب الفندق وأجرى معه الترتيبات اللازمة لتأجير منادى يُمكن في ثمنه المدينة<sup>(١٨)</sup> عن وجود حقوق عجيب سيُعرض في فناء المتجر الأخضر، وهو أصغر من حيوان سبلاكوتول. وهو جوف في تلك البلاد جميل التضيق وحوله حوالي ستة أقدام. لكن كمل جرد في جسمه يشبه الإنسان، ويستطيع أن ينطق ببعض الكلمات وإن يقدم ببعض الحركات الشرية المسنية

ووضعت على صخرة في أكبر قاعة بالفندق مربعة الشكل يُقدّر طول ضلعها بثلاثمائة قدم. وقفت مربيتي الصغيرة على مفعد منخفض قرب الطاولة لتنتهي بي وتُرشدني إلى ما يجب أن أفعله. ولكي يتجنب التزاحم لم يسمح سبيدي لأكثر من ثلاثين شخصاً بالدخول في المرة الواحدة. وكنت أفتي على الطاولة كما تفتي الفتاة. وكانت تسألني أمثلة فتعلم أن معرضي باللغة تنكني من فهمها فأجيب عليها بأعلى صوتي. وكنت أعود على المشاهدين عدة مرات وأقدم لهم آيات الاحترام وأرحب بهم وألقي بعض الحطب التي كنت قد لقيتها. وكنت أرفع كندنا عموداً بالشراب، وكانت جلم داءً تليش قد أعطته لي بدن كاس، وأشرب نخب صحتهم. وكنت استل سبيدي واللوح به كما يفعل المتبرزون في إنجلترا. وكانت مربيتي قد أعطتني قطة لامتصها كوقوع، وقد كنت في شدي قد تلمست من الفناء بالمرحاج. وفي ذلك اليوم عرضت عن اثني عشرة مجموعة وأنجزت على الغيام بكل ثلاث الحركات البهيفة أمام كل مجموعة، حتى بلغ بي الإرهاق والانهيار حذ اهتلك اثنين وأربعين تقووا لغيرهم تقرير مشقة حتى شوقهم لرؤيتي؛ فتدافعوا على الدخول حتى كانوا يكسرون الباب. ولكي يحافظ سبيدي عن مصالحه لم يسمح لأحد سوى مربيتي أن يلصقني. وتكفي باقي الخطر، وضع مضايق المتفرجين عن سبابة بعيدة تجعلني بعيداً عن تناول أحد، لكن تلميذاً متعوباً ضوئاً حبة يندف وقدفا على رأسي فخطائتي<sup>(١٩)</sup>، لكن جرات بسرعة عيفة بحيث أنها أو أصابني لفلقت رأسي وطويئت دماعي، لأنها كانت بحجم يقطعة صغيرة. ولكنكم أسعدني أن أرى ذلك الشاب أخيراً يُصوّب ويُقرّد من انقاعة.

وقد أذاع سبيدي أنه سيرضني في موسم السوق التالي، وفي هذه الأثناء جهّز صندوقاً مريحاً أكثر ليحملني فيه، وكان قطيعةً يُدّ فعل ذلك. لأن ما عنيته من ثقب في رحلتي الأولى. بالإضافة إلى لباسي بعروض متعة للمتفرجين طيلة ليلي ساعات متواصلة كان قد جعلني عاجزاً عن التوقف

على قدمي وعاجزاً عن مُطْلَق كلمة واحدة. ولم أَسْرَحْ فوي إلا بعد مدة لا تقل عن ثلاثة أيام. لكني لم أَسْرَحْ ي المنزل أيضاً، ذلك أن العائلات في المنطقة مُحَلَّوَةٌ وعلى مسافة مائة ميل؛ سَبَعَتْ شهرتي وراحتْ تتقاطر إلى منزل سيدي نوؤني. ولم يَخْلُ أَيْتٌ من مجموعات تَخْلُ عن ثلاثين شخصاً مع زوجاتهم وأطفالهم، ذلك أن تلك البلاد كلها استكان. وكان سيدي لا يقبل سَحْرَ أَهْلِ مَر. رسوم نَعَقٍ مليحٍ كلها عَرْضِي في مَر، حتى ولم يكن المفقرون لا يزيدون عن عائلة واحدة. هذا لم يكن مَسْر لي في أي يوم من أيام الأسبوع زسري الأربعاء وهو يوم الفرحنة عندهم (١٠) أن أَسْرَحَ كفايتي، هذا يوم أبي ز النخل أو المدينة.

وحيث وجد سيدي أنني يمكن أن أعود عليه مرسج طاشي. فررتُ أن يحلني ويعرضي في كريات مدن المسكة. وبعد أن تزودت بكل الأشياء اللازمة لرحلة طويلة، ولَبَّ شُؤُون بيتي، ودَعَ زوجته، وانطلق في يوم سبع عشر من أغسطس، ١٧٠٣، في أحد حوزي شهرتي من وادي، في رحلة طويلة إلى العاصفة التي تقع في منتصف ذلك لاسرائورية، وتبعد عن بيت قرابة ثلاثة آلاف ميل. وقد أُرْكَب سيدي حلفه بنت جُلْم دَانْ كَلِيش، وكانت هي محبتي على جُشْها في صندوق مربوط مَضْرَباً، وكانت قد بَطَّلت جميع اجنات. مدخلية لنعشوق أُنعم للفتش المتاح بعد أن كُنْتُ رَهِيقَةً، كما كانت، قد أَتَتْ بغراش الذمة وجاهوت لي اللابس واللوزم الأخرى. وجعلت كل شيء مريحاً قدر استطاعتها. ولم يوافقنا أحد سوى نتي من خادم الفراء. كان يركب حصاناً خَلَّتْ ويعمل متاعاً.

كنت عطفه سيدي أن يعرضي في كل البدان التي في طريقها. وكان يخرج من لغوي الرئيسي مسافة خمسين أو مائة ميل، لكني يعرضي في أية قرية أو أي منزل شخصية مرموقة تدفع له سُدَّ عرياً. وإذا كنت تقوم برحلات سهلة لا تزيد عن مائة وأربعين أو مائة وستين ميلاً في اليوم الواحد، لأر. جُلْم دَانْ كَلِيش كانت تدعي أب تعبت من خُذ احصان. وكانت تدعني ذلك لكي تجني الأوهام. وكثيراً ما كانت تُقَرِّبني من "الهدوق" بدلاً من طلب لي كَسَمَ اشراء ولكني قررتُ البلاد. ولكنني كانت دائماً قسكي حزم حبال كالحرب التي تدرك الأم ما طافها كي لا يتوه عنها. ومررت في رحلتها بخمسة أو ستة أنهار أعمق وأعرض كثير من نهر للين أو نهر الفساج، ولم يحدث حدولاً أو نُيُزْ أخصر من نهر البعز. واستغرقتنا ثلث مرحلة عشرة أسابيع، غرُصْتُ خلالها في ثلث عشرة مدينة كبيرة، بالإضافة إلى الكثير من القُرى وسويت بعض المدن.

وفي السادس والعشرين من أكتوبر وصلت إلى العاصمة التي تسمى بلفتهم لوز بَرول لجروفا (١١) أو مفتحة الكون. استأجر سيدي مسكناً في الشارع الرئيسي في المدينة، ليس بعيداً عن القصر الملكي، وعلى بعد ثلاثين الأسلوب السبع، فيه وصف دقيق لشخصي وأجزئي. واستأجر

فاعة صحنه غرّضها بين ثلاثيّة راسميّة قدم، روضع فيها طاولة فطرها سقونا قداما لخيّ اللعب  
 عليها دوري، وثبّت عليها حواجز عمّ بعد ثلاثة أقدام من حافتها وحل ارتفاع ثلاثة أقدام كيلا  
 أمسك من فوقها. وكان يقرضي عشر مرات في اليوم، مما أثار غضب كل الناس وحتر عن رضاهم.  
 وكنت في هذه الأونة أنكم بعتهم بطريقة لا بأس بها، وأفهم كل كلمة تُنطقه إليّ. أضف إلى هذا  
 أنّي كنت قد تعمّدت إحديتهم وأصبح يحكّون أن أقرأ وترجم جملة هنا وأخرى هناك، وذلك لأن  
 جلم دالّ فهميّن كان معني ونحن في المنزل وفي ساعات الفراغ نعلن رحلتنا. كانت محمل في  
 جيها كتابا صغيرا، نر أكثر كثير من أطلنسانسون<sup>١١</sup> عندنا. كان هذا كتابا شائعا موجّه  
 للبيات الصغيرات، ليعلمهن ديهن. ومن هذا الكتاب كانت تعلّمي حروف الهجاء وتفسّر في  
 انكيت.

### الفصل الثالث

لقد حضر يرمى في طلب المؤلف الملكة لشتره من سيده المزارع وعنده لمعك .  
يحتل جميع كبار علماء جلالة المحضر المؤلف جناح في القصر . يحظى بمكانة  
عالية لدى الملكة . يدافع عن شرف بلاده . شجاعته مع قزم ملكة

الاعمال الشاقة المتكررة التي أشبهت على القيام بها يومياً . أثرت على صحتي تأثيراً مدمراً في  
مضعة أسابيع . لكنها زادت مكسب ميلي من عرْضه لي على الناس ، زادت مقامه بلا حدود . وقد  
فقدت شعوري خضعهم ، وهزل جسمي حتى بدأت أتحول إلى هيكل عظمي . وقد لاحظ المزارع ذلك .  
وظناً منه أنني ساموت عن قريب ، قرر أن يكسب من جودي أقصى ما يستطيع من مال . وبينما كان  
يقرب الأمور في ذهنه على هذا الشكل ، جاء رسول من القصر وأمر مرسي أن يرحلني معه على  
المحور إلى القصر لتسليم الملكة ووصيفها اللواتي كان عضهن قد رأينني من قبل وتفنن أخيراً غريبة  
عن جاني وملوكي وذلك لي ، وقد سررت بجلالتهما واللوني الذي مصحبتهما سوّيني رسولتي سروراً  
ينجاز الز اوصاف . غدت ركعتي على ركبي ورجوتي أن تسخني شرف تقبل قدميها الملكية . لكن هذه  
الأميرة الجيلة مدت لي منصرها (بعد أن وضعت فوق الطاولة) فاحتضنت بين ذراعي ووضعتم طرفه  
باحترام شديد على شعبي . ووجهت لي بعض الأسئلة الحادة عن بلادي ورجلاني ، وأجبت بكل  
الوضوح الذي استطعته وبكل الكلمات المقبلة التي أعرفها . وسألتني إن كنت أرضى بالعيش في  
القصر فالتحيت حتى شرب نظاوتة وأجبت بتوضيح أنني عبد تمبدي ، وأني لو كنت أملك أمر  
ذمي لكانت أعز بكنزيس حياتي لخدمة جلالتهما ثم سألت مرسي إن كان مستعداً ليعي معاني  
معر طيب . ولأنه كان يظن أنني لن أيسر أكثر من شهر فقد كان في كمال الاستعداد للتخصص مني ،  
وطلب لي ألف قطعة ذهبية ، فأقررت بدفعها له على الفور ، وكانت كل قطعة تساوي في حجمها  
حجم شاة (موندريس) . ولكن إذا أخذنا في الحسبان نسب الأشياء في تلك البلاد إليها في  
أوروبا ، وارتفاع أسعار الذهب عندهم ، فإن الألف قطعة ذهبية التي طلبها لم تكن أكثر من ألف جنيه  
في إنجلترا . حيثما كنت للملكة إنه بد أنني قد أصبحت الآن حلامها المطيع وقابها ، المختص فلا  
بد أن أرحبها أن تسلي إلي معروفاً ، وهو أن تأمر بضج جني دال فلبش . التي كانت دائماً ترعاي  
بكل حرص وحنان ، وتعرف كيف تعمل ذلك جيداً ، إلى خدمتها ، ولما تقيتها مربية ومعلمة لي وقد

وَأَقْبَتْ حِلَالَتَهَا عَنِ التَّامِسِ هَذَا وَحَصَلَتْ بِسَعْيَةٍ عَلَى مُوَافَقَةِ الشَّرَارِعِ الَّتِي مَرَّةً أَنْ تَصِيحَ ائْتِ  
ذَاتَ حِفْظٍ فِي الْقَصْرِ. أَمَّا الْبَنَاتُ الْمُسْكِنَةُ فَلَمْ تَسْتَعِجْ أَنْ تَخْلِي سَعَادَتَهَا. وَهَكَذَا انْسَحَبَ مِنْ كَانَ  
مِيَدِي: وَتَقَى لِي التَّوْفِيقُ وَقَالَ إِنَّهُ يَدْرِكُنِي فِي أَيْدٍ أَمِيَّةٍ لَكِنِّي لَمْ أَرِدْ عَلَيْهِ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَكْنِيتُ  
بِأَنْ أَحْبَبِي لَهُ ائْتِمَادَهُ طَقِيمَةً.

وَقَدْ لَاحِظْتُ الْمَلِكَةَ بِرُوعِي. وَحِينَ خَرَجَ الْمَوَارِعَ مِنْ جَنَاحِهَا مَالَتْنِي عَنِ السَّبَبِ. وَقَدْ  
تَجَاسَرْتُ فَأَخْبَرْتُ حِلَالَتَهَا أَنَّ لِي مَلِيكًا نَسِيْدَ ذَلِكَ نَسِيْدَ مَرَى أَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ غِلْوَافًا مَكِينًا مَسَانًا  
وَحَدَهُ بِالْمَصْدَفِ فِي حَقِّهِ. وَأَنَّهُ هُوَ هُوَ عَنْ ذَلِكَ الدِّينِ سَخَاةً. عَنِ طَرِيقِ الْكَسْبِ الَّتِي رَاجِعُهَا  
مِنْ غَرَضِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي نَصَفِ الْمَلِكَةِ، وَلِنَقُودِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْآنَ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي  
عِشَّتْهَا عِنْدَهُ كَانَتْ مَابِغَةً بِتَعَمُّلِ الشَّاقِ الْكَفِيلِ بِثَمَنِ سَبْوَانٍ لَهُ عَشْرَةُ أَصْعَافٍ قَوِيٍّ، وَأَنْ صَحِيحِي  
تَضَرَّرْتُ سَبْعَ أَضْرَارٍ مِنَ الْكَدِّ وَاجْتِهَادِ الْفَرَاغِ الَّتِي كُنْتُ أَبْذَاهُ فِي نَسْلَةِ رَجَاعِ النَّاسِ فِي كُلِّ  
مَدَامَةٍ لِهَدَرٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِيَدِي يَفْضُ ثَمَّ حَيَاتِي فِي خَطَرٍ لَمَّْا حَصَلَتْ جِلَالَتُهَا عَنِّي بِمَثَلِ ذَلِكَ  
الْشَّيْنِ الْبَهِسِ. وَلَكِنْ بَعَا أَنِّي الْآنَ أَعُدُّ أَخْشَى الْمَعَامِلَةِ أَسِيَّةَ مَا دَرَسْتُ فِي حَيَاةِ امْبَرِاطُورَةٍ هِيَ  
مِثْلُ الْعِظَمَةِ وَالْحَيَاةِ، وَزِينَةِ الطَّبِيعَةِ وَدُرَّةِ الْعَالَمِ وَحُبُوبَةِ الشَّعْبِ وَادَارَةِ امْتِلَاقِ بَيْنِ الْمَحْشُوقَاتِ، فَمَنْ  
ظَنُّونَ مِنْ كَانَ مِيَدِي مَانَسَةً مَرَى الْمَوْثِيقَ مُتَصَحِّحٌ بِلَا أَسَرٍّ، لِأَنِّي أَحْبَبْتُ مَعُودَاتِي قَدْ ائْتَمَرْتُ  
بِالْفَضْلِ فَأَتَرْتُ بِحَضْرَتِهَا انْفِهَبَ

هَذِهِ حَلَاةٌ خَطَرِيَّةٌ الَّتِي أَلْقَيْتُ بِتَرَدُّدٍ وَتَعَتُّمٍ وَأَخْطَاءٍ مَعُودَةٍ كَثِيرَةٍ. وَكَانَ الْجُزْءُ الْآخِرُ مِنْ  
مَعُودَتِي بِالسَّبَبِ الْخَاصِ لِأَوَّلِ الْتَوْبِ، وَالَّتِي تَعَلَّمْتُ بِحُضْرِ عِبَارَاتِهِ مِنْ خُلُفَتِي دَائِلَ تَحْلِيصِ وَنَحْنُ  
فِي طَرِيقِنَا إِلَى الْقَصْرِ.

وَرَعِمَ ائْتَمَارِي فِي اللَّعَةِ وَالنَّهْوِ، فَضَدَّ دَهَشْتُ الْمَلِكَةَ دَهْشَةً خَالِفَةً بِدَلَالَةِ الْمَصْدَرِ الْعَظِيمِ مِنْ  
اِئْتِمَادِهِ، وَالْفَكْرِ السَّيِّئِ فِي حَيَاتِي فِي مَثَلِ خُصَائِي، وَقَدْ حَمَلْتُنِي لِي يَدَايَا وَذَعِبْتُ بِي إِلَى الْمَلِكِ الَّتِي كَانَ  
حَبِيدًا يَسْتَرْجِعُ فِي حُجْرَتِهِ الْخَاصَةِ. وَكَانَ حَلَاةُ امْبَرَاتُورَةٍ وَقَارَ عَظِيمٍ رُوحَهُ صَارِمًا<sup>(١)</sup>. وَلَمْ أَمْ كَلَامِي  
شُكِّي حَيًّا فِي النَّظَرِ الْأَوَّلِ، مَالُ الْمَلِكَةِ بِشَيْءٍ مِنَ الْبُرُودِ، مِنْذُ مَتَى صَارَتْ مَعْرِفَةُ بِحَيَوَانِ  
الْأَسْطِغَاثَةِ، لِأَنَّهُ مَرَّرَ أَنَّ كَذَلِكَ حَبِيبِ رَأَى مُنْطَهَمًا عَلَى صَدْرِي فِي أَيْدِ الْبُؤْسِ لِلْجِلَالَتِهَا. لَكِنْ  
هَذِهِ الْأَمْرَةُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى قَدْرِ عَظِيمٍ مِنَ الْبُطْطَةِ وَالظُّرْفِ<sup>(٢)</sup> رَضَعْتُنِي رَفَقًا عَلَى قُلُوبِي فَوْقَ طَائِفَةِ  
اِئْتِمَادِي وَالْمَرْثِي أَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْ خَلَالَتَهُ تَقَرُّبًا عَنْ نَفْسِي. فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِإِعْجَازٍ شَدِيدٍ. وَحِينَ سَمِعْتُ لِمَرْثِي،  
الَّتِي كَانَتْ تَقَعُ عِنْدَ بَابِ الْحُجْرَةِ وَلَا تَطْلُقُ أَنْ أَغِيْبَ عَنْ بَصَرِهَا، بِالْخَوْفِ أَكَلْتُ صَبْحَةً مَا فَكْتُ  
عَمَّا حُصِلَ مَعِي مِنْهُ وَصَوَّلِي إِلَى بَيْتِ لِيهَا.

وَرَعِمَ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَفْقَهُ بِمَثَلِي عَنْ أَيِّ شَخْصٍ فِي بِلَادِهِ. وَكَانَ خَدَّ دَرَسِ ائْتِمَادَهُ وَعِلْمِهِ

المربضة بشكك خاص. لأنه حين لمحصر شككي بدقة ورائي أقف متصفاً. وقبل أن أبدأ بالكلام،  
 نصور أي آلة شبيهة بالساعة؟ (وساعة السماعات كانت عندهم عند سنت درجة عظيمه من  
 الكائن) من صنع هات بارع. لكنه حين سمع صوتي ووجد أن ما قلته منطوق ومعقول، لم يستطع أن  
 يخفي دهشته. لكنه لم يفتح بما رأيت له عن كيفية يجني إلى ملكته، بل ظل أن ما قلته هو قصة  
 لأقننها خيلهم دالاً غريباً وإبوهما المثلون سألني مجموعة من السماعات لكثيراً بيديهم بسبع أصي. وطبقاً  
 هذا لتصور وشه إني أسئلة عديدة، ولكنه تلقى أحربة مطوية لا عيب فيها سوى السكة الأسعجية  
 وسعرة غير الكافئة بالثغرة، وبعض العبارات انقلابية التي كنت قد تعلمتها في بيت، مزارع ولا  
 تنق مع رقة أسلوب أهل القصر.

وأرسل خلافته في طلب ثلاثة من كبار العلماء الذين كانوا سبيلك يقومون بزيارتهم الأسوعية  
 (تبعاً لعادتهم في تلك البلاد)، وبعث أن تخصص هؤلاء السادة شكلي بنصن كبر، انهموا إلى آراءه  
 مختلفة بشأن. فقد أجمعوا أنني لا يمكن أن يكون من إدراج القوانين المألوفة في الطبعة<sup>(١)</sup>، لأنني مكوّن  
 طريقة لا تخفي القدرة عن المحافظة على حيالي، سواء من ناحية السرعة أو تسلسل الأشجار أو خفي  
 ثغوب في الأرض. واستنسخوا من تدوينهم لأشياء التي تخصصوها بدقة: أنني حيناً لأجمل، لكن  
 لأن معظم قوات الأربع تفوق عني فلا أقدر على اقتناصها، ولأن طرون الحفول وسيرها أسرع من  
 أن الحق بها وأمنها، فإنهم لا يستطيعون أن يتحلوا طريقة أخرى أعوذ بها نفسي. سوى أن أتناول  
 بالخرزويات والحشرات الأخرى، لكنهم حاروا أن يثبتوا بأساليب علمية عديدة أنه ليس توسعي أن  
 أفضل ذلك. ونصور أحدهم أنني قد أكون جيناً أو موهوباً ناقص التميز. لكني انما ألتزم الآخرين  
 رفضاً هذا الرأي لأنه لاحظ أن أعضائي كلها تابعة للموت، وأني أعيش منذ سواب عديده كما هو  
 واضح من تفرخ الحيتي التي رأوا بقايا شعراتها موصوح عندسات مكبرة. ولم يخلو القول بأنني قزم لأن  
 صالة حجومي لا تعادل أية صالة في حجم أي قزم عديم، ذلك لأن القزم المتفصل عند الملكة،  
 وهو أصغر من عودته ثلث المملكة، يقارب حجمه ثلاثين قدماً، وبعد جثله كثير انهموا بالإجمال إلى  
 أنني لست سوى (ربكم سمعتموها)، وهذا يعني سوطاً فلة من فلكات الطبيعة، وهذا قرار يناسب  
 أدينته الخفية في أوروبا<sup>(٢)</sup> التي يخفف فلاسفتها القصورات الفروبية التي توهم وجود أسباب خفية،  
 والتي يابحوا إليها ألباع أرسطو في محاولة غير مجدية لإعفاء جهلهم. وقد انتزع أصحاب الفلسفة  
 بخديفة هذا الخلق الرائع شكل ما يصعب فهمه، مما أجدد، فدفء رائد في جان المعرفة البشرية.

بعد هذا القرار خاسم رجوت أن يُسمع في بكلمة أو اثنين. وجهت كلامي إلى الملك  
 وكنت بخلاته أنني أت من بلاد تبعج بالثلاثين من مثلي، من المذكور والإثبات القدير. هم في مثل  
 فاني وحجومي، وفيها حيوانات وأشجار وبيوت تناسب مع أحجامنا، وحيث نستطيع تبعاً لذلك  
 أن أسمى نفسي وأجد ما أتناول به كما يفعل أي واحد من رعاياه هنا. وقلت إن هذا هو رأيي

الكامل على اقوال أولئك السادة لعلماء، لكن ردهم لم يتجاوز انسامة احتقار<sup>(١)</sup> مشدوعة بقولهم إن المزارع فنه احسن تعليمي واجاد في تلقيني دريسي. لكن المثل الذي كان احسن منهم جهلاً وأوسع إدراكاً، حرقهم وأرسل في طلب المزارع الذي لم يكره، حسن الحفظ، قد غادر المدينة. وبعد أن استجوبه وحلف، وواجهه في وادته الصغيرة، بدأ جلالته يعتقد أن ما فشا له قد يكون صحيحاً. وطلب من الملكة أن تأمر بأن يُغنى ب عداية خاصة؛ ورأى أن ينبغي أن تستمر جُلُوم دالّ كُليتش في لسان رعيي وخدمتي، لأنه لاحظ أن كُلاًّ بنا يُكره للاعترافاً عطياً. وتخصّص لها جناح مناسب في المعصر كما عُيّن مربية للقيام بتعليمها وتربيتها، وخادعة تحت خدمتها، وخادمين للقيام بالأعمال والخدمت البدوية الدنيا. أما العناية بي، فقد ثابته مسؤوليتها وحدها. وأمرت الملكة نجارها، فخاص أن يصنع عليه تصلح غرفة نوم في حطب السودج الذي نوهن عنه أنا وشوّم دالّ كُليتش. وكان هذا النجار دالّ بارح، واستطاع في ثلاثة أسابيع أن يصنع حطب معياني، غرفة خشبية مربعة الشكل طول حبلها ستة عشر قدماً وارتفاعها اثنا عشر، ومها نوازل وبناب وخزانين كما في غرفة نوم في لندن. وكان خشب السقف عابلاً لرفع رافض بوسطة زرقين، وذلك لإدخالك سرير كان نُقِدَ الخاص بجلالته قد صنعه وجهزه. وكانت جُلُوم دالّ كُليتش تُفَرّج هذا السرير كل يوم لتهويته، ثم تُؤاياه ببنها وزعماء في الليل لم تقبل السقف من فوق. كذلك أقم نهار فتان آخر مشهور بصناعة الخشب الصغيرة لعجبة بصناعة كرسية بي. لكل منها ظهر ومساند من مادة لا تختلف عن العاج، كما صنع في صونتين ودولاباً لأصع حاجاتي فيه. وكانت حديقتي مُتخذة من كل اجوانب، بما في ذلك أرضيتها وضمها، وذلك لمنع أي حادث قد يحجم عن إهمال من يحملون في تخفيف أثر الرُّجأت لدى قلبي في غرفة. وقد طلعت قفلاً ليلي لنام، الحُرذان والعترون من الدخون، فصرع الحنود، بعد محاولات عديدة، أصبح قتل راء الناس في تلك البلاد. لأنني رأيت أكبر من في جابة بين أحد السادة في إنجلترا. وقد احتفظت بالملابس في أحد جيوب لأنني كنت أخشى أن تفسده جُلُوم دالّ كُليتش. وقد أمرت الملكة أيضاً بحضور أرقى حرير يمكن العثور عليه تُصنع منه ملابس؛ ولم يكره أنصحت كثير من طائفة السجويين، وكان ثقيلاً ومزعجاً جداً، لأن تعودت عليه. وكانت ملابسني تُصنع بزيّة تلك البلاد الذي يشه في جزءه من الزي الفارسي وفي جزء آخر المزي الصيني، لكنهم كانت ملابس وقوره جداً ومعتمة جداً.

أصبحت الملكة شديدة المتخف بصحبي، حتى أنها لم تعد نظير تناون طعماها دون رجوعي. وكنت في مائدة توصح بوفى المائدة التي تأكل عليها جلالتها بالقرب من كرسية الأيسر، وكُرسى أحاس عليه. وكانت جُلُوم دالّ كُليتش تقف بوفى كُرسى متعطف على الأرض -نقرب من مائتي ساعة ونصف- بي. وكان في عقم كاس من الصحن والأطباق والأشياء الضرورية الأخرى التي هي بالنية لحظم الملكة يست أكرم من تلك التي كنت أأخذ في إحدى حوائثي القديمة في لندن.

كانت ليت دمية. وكانت مربى الصغيرة تحتط بهذا الطعام في علة نضعها في جيبيها وتؤثني عند الترحيب ما اطلبه منه. وكانت دائما تنظفه بنفسها. ولم يكن يتناول الطعام مع الملكة سوى الاميرتين الملكيتين اللتين كانت كبراهما تبلغ السادسة عشرة. وصغراهما ثلاثة عشر عمّا وشهراً واحداً. وكانت جلالتهما توضع في صحبي قطعة من اللحم تُقَطَّع منها ما يشاء لتعشى، وتُتَمَّع نفسها برؤيتي وان اكل. اما الملكة التي كانت شهيتها ضعيفة: فكانت تأكل في النصف الرخدة ما يأكله اثنا عشر فلاحاً اجليزياً في وجبة كاملة. وكان ذلك بالنسبة لي مظهراً مفرزاً لعمرة طوبى. كانت غرشي بين أسنانها جناح مُفَرَّج، بلحمه وعظمه، مع ان ذلك الجناح كان حجمه تسعة أجنحة لديك. وبني كامل النمو. كما كانت تضع في فمها كسرة من الخبز حجمها يساوي حجم التي عشر ربة كبراً. وكانت تشرب من قنح ذهبي كثر من ملء يومين عندما في الجرعة الواحدة. وكان نُعْلَمُ مكانها بطول نُصْرَتِ منجلين إداً وضعا بخط مستقيم فوق القبر. وكانت الملائكة والشرك والأصوات الأخرى كلها ضخمه بالنسبة نفسها. ولذا ان جُلُومَ دائٍ كُليش حلتني ذات يوم بدافع العصبون من مائدة في القصر، حيث كانت عشرة أو اثنا عشرة من هذه المكائين والشركات الضخمة تُزْفَعُ معاً، فُحِّلَ لي سبائك التي لم أشاهد من قبل متفراً بهذه النظافة.

جرت العادة هنا في كل أربعاء (وهو يوم عطلةهم الأسبوعية كما ذكرت من قبل)، ان يتناول الملك والملكة وفُرَّتُهما من الجنس طعام لعشاء معاً في جناح خلالة. وكنت حيث قد أصبحت مقرباً من الملك، وفي هذه المناسبات كانت ملكتي وقريني يوجهون على المائدة إلى يساره أمام الفلحة. وكان هذا الأمير يُسَلِّدُ بالحديث معي، فيسألني عن أدب السلوك، والشين، والقوانين، والنحكم وتعليم في أوروبا، فأجيبه بأفضل ما استطعت. وكان ذكاؤه واضحا ورأيه مصيباً حين كان يقوم بذكر بعض التعليقات والملاحظات على كل ما أقول. وأعترف أنني ذات يوم أسبخت كثيراً في الحديث عن ملائي الحية - عن تجارتها، وحرورت في النهر والبحر، واصاصاتنا الدينية، وأحزابنا السياسية. لكن تعصبات تشبه وتعالجه كانت تسيطر عليه، لدرجة أنه لم يمتنع عن تخريل يديه التبعي والثريت على يدي الأخرى، ومؤثراً بعد سوية من الضحك، ثم كُتِبَتْ من حزب الأحرار أو حزب المحافظين<sup>(١)</sup>. ثم التفت إلى وزيره الأول، الذي كان واقفاً خلفه ويحمل عصا بيضاء طويلة طول نصاري الرئيسي في السعنة لسياسة ملكة البحار<sup>(٢)</sup> وقال: ما احقر عظمة الشر وفحاشتهم التي يمكن ان نلقاها حشرات صغيرة مثلي. وأضاف: أراهم ثم تلك المخيلات ما انقلب وأوسمة شرف، وأما نبي اعطت وجحوراً تسبها يوماً ومدة<sup>(٣)</sup>. إنها تتبعني بما لدي من لباس ورباش رداشية، وأما نبيء وبحارب، ولخاصم، وتخاذ: ولجون. واستمر يتحدث بهذا الأسلوب، ولوي يضطروا ويختمون عنه مرات مستكثراً ما أسمع من استخفاف واحذر لبلادي النبيلة، سيده الفنون والآداب والخروب والمُوط الذي نزهه فرنسا: وصاحبة الكلمة المسوعة في أوروبا، ومفر



الفضيلة والدين والشرف والحق، ومنحرة انعام التي تجبدها ويغار منها الآخرون.

لكني لم تكن في وضع يسمح لي بؤفة الإهانة أو استنكارها. لهذا، وبعد تفكير راسد، بدأت أشك أن هذبة قد وجهت لي. ذلك انني بعد أن تعودت علة أشهر على رؤية هؤلاء النجوم والتمائم معهم، ورئت أن كل ما نفع عليه عيني يتناسب مع حجمهم، ذهب عني انزعاج الذي كان قد دكبي من حجمهم ومظهرهم، وأيقنتهم حيث لو رأيت حينذاك مجموعة من اللوردات، التحليل ونسائهم في افخر خلجيتهم واجمل ملابسهم، وكى منهم يقوم بدوره بأروع أساليب التقصير في الاحتيات والتبخر والانتباه والهدوء، لشعرت رغبة قوية في الصمكت منهم بقدر ما صمكت هذا المارد وكبار دولته مني. وفي الحقيقة، ما كنت أستطيع منع نفسي عن الصمكت من نفسي حين كانت الملكة تضعني على يدها، وتهدني امام المراة حيث كنت أرى شخصيتنا معا، وكنت بتقديرنا بها أشخف ما تكون. بل إن بدأت أتصور انني أصبحت أصغر من حجمي العادي بمقدار كبير.

لكن لم يكن يغضبي ويؤذي مشاعري شيء بدار ما كان يفعل فرم الملكة<sup>(١١)</sup> انساني كان أنصر فرم وجهي في البلاد ذمة (وأعتقد حقا أن طوله لم يبلغ الثلاثين قدما) مهدسين رأى من هو ادنى منه بكثير بلغت به الوقاحة ان صار يجتس ويتعاضم كلما رآني في غرفة انتظار الملكة أقف على طرقة وأصمكت مع اللوردات أو السيدات من الخاشية. وقلنا فته أن يومي كلمة أو اثنين يسحر بها من صغر حجمي. ولم يكن يوسعي ان تنقم نفسي منه سوى بتسميته أخي، أو بدعوته تمصاصة، وعبر ذلك من المدعات اللافضة المألوفة على ألسنة علماء القصر. وذات يوم، أثناء تناول العشاء، اعتنظ هذا اللعيب الصغير النيم من شيء قلته له، فرفع نفسه على مسند كرسني مساحبة الجلالة. وأمسك بي من وسطتي وأنا جالس ومضطرب، وأسطفي في رغبة فصية كبيرة ملائي بالحليب وفرم بأفمى سرعة وسقطت براسي لأسفل، ولو لم أكن حادًا ماهرًا، لكانت نهايتي أليمة ومؤكدة، لأن جلم دال تخليتش كانت في الطرف الآخر من القاعة، وقد سيطر الفزع على الملكة حين تعدت تعرف كيف تساعدني. لكن مرسني الصغيرة فرغت لتجدي، وتخرجتني بعد أن كنت قد بلغت قدرًا كبيرًا من الخليب. لم وصعوني في الفراش ريثم. وعلى كل حال، لم يفضي من الأذى أكثر من حصاره البذلة التي كنت البها، إذ لم تعد صالحة على الإطلاق. أم انقزم وقد ضربت سلايط ضربًا مبرحًا، ثم ألزمت به عقوبة أخرى: إذ أجبروه على شرب كل ما في المرندية التي ألوهني فيها. زيادة على ذلك فقد حططت قائم عند الملكة التي وجهت بعد فترة قصيرة إلى سيدو رفيعه المقام. فلم أشك زاء. وقد أسعدني هذا كثيرًا، لأنني لم أكن اصره لدى الذي سيتوقف عنه هذا القزم الحبيث في إيقاع لأذى ب بدافع من حقداء علي.

وكان قد سبق له ان لعبت معي لعبة حقيرة أثارت صمكت الملكة وفي الوقت نفسه أزعجتني

عياه الإزعاج لدرجة أنه كانت متطرده من وظيفته على الفور أو لم ترفع له مدافع من كرمي المعروط. ومنهخص الامانة أن صاحبة الجلالة كانت قد وضعت في سميتها عظمة نخاعية، وبعد أن أخرجت النخاع من العظمة أعدت وضعا بشكل عامودي في الصحن كما كانت من قبل. انهرز انقزم فرصة ذهب لجلب دال كمنش إلى الخزان (اليوفيه)، وصعد المقعد الذي تجلس عليه بفتن في أثناء النوبات، وأمسك بيكفي بده، وصم غممي إلى بعضها بقوة. لم دفها كما يذق الامخر داخل العظمة النخاعية حتى أخرجت منها إلى خطري، وبقيت في العظمة بعض الوقت، وكان شكلها مضطربا جدا. واعتقد أنني بقيت على هذا الوضع مدة دقيقة قبل أن يظن أحد ما حدث لي. ذلك أنني خرجت من الصباح وظلت اتجعد. ولكن بما أن الملوك قبلوا بأن يكون للمعد سائحا، فإن سقني لم تفسط. أما جواربي وبطان فقد صارت جفت في حانة برؤي ها. وباء على توسلاتي وشذاعتي لم يعاقب انقزم ساكن من غفلة سائحة.

وكثيرا ما كانت الملكة تمارسني ونهضت من حنوي تشديد، ونسالي إن كن أثناء بلدي حينها حذا مثلي. وسبب ذلك أن الملكة مبتلة بكثرة الدرب في الصيف. وكانت هذه الحشرات انكزبة التي يبلغ حجم الواحد منها حجم كثره كبيرة، قلها ترك لي فرصة لتناول طعامي بدون: إلا نطلي بهمهم وترو حول أفني. وكانت أحيانا تحط على طعامي. وتختلف وزادها برازها المرفف أو يعضها المتن الذي كان بالنسبة لي مربا وذا المير. بينما لم يكن كذلك بالنسبة لأهل تلك البلاد الذين لم تكن عيوسهم الكبيرة حادة البصر كعموني. وينتالي لا ترى الأشياء الصغيرة. وأحيانا كانت تلك الحشرات تحط على أنفي أو جيني وتلتصق به وتداغي فيه لتذغص تصل حتى العظم، وتزكم أنفي برائحها. وكانت أرى بسهولة تلك الالة المزجة التي تسعدنا، كما يجربا عنها لطيفة عذراء، أن تسير بحسبها نذلي من أرحائها على السقف. وكنت أعتن عنا كبيرا في الدوع عن نفسي صد هذه الخبيثات المنيعة. ولم يكن بوسعي إلا أن أجفل حين تآر بحر وجهي. وكان يذق لنقزم أن يسك عند من هذه الحشرات داخل بيته، كما يفعل أولاد لداوس عندما تدعجاة بفتح بيته ويطلعها تحت أنفي بقصد أن يرعي ويضجبت الملكة. وكان علاجي هذه الالة هو أن أقطعها إره بسكفي وهي هائرة في نحو، وهذا كنت أقفل على مهارتي التي تحطى بالكثير من الإعجاب.

وأذكر ذات صباح أن رصعتي لجلب دال كمنش وأنا في عشي على حافة الشافذة، وكان من عذتها أن تفعل هذا في الأيام المصافية لأشم الهواء، لأنني لم أكن أشير على تركها تملو النعة على مسيل خارج الشافذة كما تفعل بالأقاصيص في الحظرا. بعد أن فتحت رجرج الساقه وسسيت إلى الالة لأفطر على قطعة من كعك حارب، أقبل علي أكثر من عشرين دورا تجديها رائحة الطعام. ودحنت حجولي وهي بهمهم صوت أهل من صوت عاء عيش من ليزر الموسيقية، وانقض بعضها على كمنتي تدنروا بها قطعاً صغيرة: وراج بعضها الآخر بحوم حول رؤي ورجحي.

فأذهنتي فضجيجها وأزعجني الخوف من أن تخزي بامرأها. لكنني مع ذلك أضعفتي شجاعتي، فسلمتُ سبي ومحتةً عليها وهي صائرة، ففعلتُ أربعة منها ولادت البقية بالفرد. ثم أغلقتُ نافذتي على الأمور. كان كل دور منها بحجم الخجل. وقد أخرجتُ إنره فوجدتُ أن طول الموصلة يبلغ بوصة ونصف بوصة، وأن رأسها حاد كراش الإبرة. وقد استعملتُ بها جميعاً وعرضتها مع أشياء غريبة أخرى في عدة أماكن من أوروبا. ولقد عوني إلى تجلزا أهديتُ ثلاثة منها إلى كلية جريشام<sup>(١١)</sup> واحتفظتُ بالربعة نفسي.

## الفصل الرابع

وصف لابلاند. الخراج لصاحب الخرائط الجديدة. قصر الملك وبعض توصيف العاصمة. طريقة المؤلف في الترحال. وصف للعبث الرئيسي.

أنوي الآن أن أعطي القارئ وصفًا موجزًا هذه البلاد يغطي المنطق التي زرتها، وهي لا تتعدى ألفي ميل حول نورنبرغ بحروف العاصمة. لأن الملكة التي كنت أسافر في ركابها لم تكن تذهب إلى أبعد من ذلك حين ترافق الملك في رحلاته، بل كانت تتوقف عند ذلك البعد، ومنتظر الملك حتى يعود من قفلة جادوه. وعند بلاد هذا الأمير حوالي ستة آلاف ميل طولًا ومن ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف عرضًا. وقد لا بد أن أستنتج أن علماء الجغرافيا في أوروبا يخطئون خطأ فادحًا حين يترضون أنه لا يوجد سوى البحر بين اليابان وكاليفورنيا. وقد كان رأيي دائمًا أنه لا بد أن يكون هناك فخر كبير من الذي يعدل القدرة الكبيرة لبلاد الشرق، ولهذا فإن على الجغرافيين أن يصححوا غرائظهم ورسوماتهم الجغرافية عن طريق ضم هذا الشريط الذي الشاسع إلى الأجزاء الغربية الشرقية من أمريكا، وإلى على استعداد للمساعدة في هذا الضم.

المنطقة شبه جزيرة لا يمتدحها في الشرق الشمالي سلسلة من الجبال التي ترتفع ثلاثين ميلًا والتي لا يمكن عبورها أبدًا بسبب البراكين في نفسها. ولا يعرف حتى اللصوص أي جس من البشر يمكن غطف تات الجبال، أو إذا كان هناك من يمكنها في الجيوب الثلاثة الأخرى يحيط بالملكة بحر واسع يمكن لا يوجد في المملكة كلها ميناء بحري واحد، لأن تلك المناطق من الساحل التي تحبب فيها الأنهار مليئة جدًا بالنصخور المذبة. والبحر عدها هائج جدًا بحيث أنه لا ينحسر أحد على دخوله ولو بأصغر المراكب. خذنا عن هؤلاء أقوم مقطوعه المصلة كيا بية العالم. لكن الأنهار الكبيرة منبه بالراكب وتكثر فيها الأسماك المنتزة. ولهم قلمًا يحصلون على منمك بحري، لأن هجوم أسماك البحر هناك هي مثل هجومها في أوروبا، وبكثافة فهي لا تستحق عندهم عنه انصاف. ويوضح من هذا أن عمل الطبيعة في إنتاج نباتات وحيوانات ذات أحجام ضخمة خارقة لتعانة مقصور على هذه القارة. كما أسباب ذلك فأنزل البحث فيها بفلاسفة. لكن يهدف من حين لآخر أن يرمي البحر حوتًا عن صخورهم، فيمتنع ماكنه عامة الناس. وهذه الحيتان التي عرفتها

ضخمة الحجم جداً بحيث لا يستطيع أحد من العصابة أن يحميه على كفيه، وأحياناً تُحمل في سلال إلى العاصمة للفرقة. وقد رأيت أحدها مطبوخاً على مائدة الملك، باعتباره طبقاً نادرة. لكنني لم ألاحظ أن الملك يحب أكله، لأنه في الحقيقة يفرّج من الأشياء الضخمة، مع أنني رأيت حوتاً أكبر منه قبلاً في جرينلانده.

البلاد عامرة بالسكان لأنها تحتوي على إحدى وخمسين مدينة<sup>(١٢)</sup>، وحوالي مائة بلدة مُستورة وبعده كبير من القرى. ونكبي أشجع حضون القاري، وقد يكفي أن أضف له لموزابرون<sup>(١٣)</sup> جبرودا<sup>(١٤)</sup> العاصمة. تنقسم هذه المدينة إلى قسمين متساويين يتعان على ضفتي النهر الذي يعبرها، وفيها حوالي ثمانية آلاف منزل. ويبلغ طولها حوالي مائة واثنين وستين ميلاً، إنجليزيًا كما يبلغ عرضها مائة وخمسة وثلاثين ميلاً. هذا حسب قنسي لها بنفسه على الخريطة الملكية التي عملتُ بأمر الملك، وكانت قد قُرئت على الأرض خصيصاً من أجله وغطت مئة قدم. وقد قُلت خبرتها وعرضها بقدمي الحازين ثم حسبتها على أساس نسبة القياس، وجاءت نتيجة لياشي دقيقة إلى حد بعيد.

أما قصر الملك فليس بهام منتظماً، بل مجموعة من البيات في محيط سبعة أمتار. التضاريس الرئيسية هي عمومًا ارتفاع مائتين وأربعين قدمًا، وطولها وعرضها يتناسبان مع ارتفاعها. كانت هناك عربة محصنة لي ولرئيسي جُلُم دال كنيش. وكانت مربيها كثيرًا ما تخرج معها للمرح على المدينة أو لتبضع في الأسواق، وكانت دائرًا أرافقها محمولًا في علبتي. وكانت الفتاة كثيرًا ما تخرجني، بناء على رغبتني. وتعملني في يدها، كما رُى بوضوح البيوت والناس خلال سيرتي في الشوارع. وأظن أن حربنا كانت ببسطة فاعة وستتسلسل، لكن ليس بارتعاشها. لكنني لا تُعني الدقة هنا. ودارت يوم أنزمت الحربة سائق العربات أن يلف أمام عدة حرايت حيث يكثر السهلون<sup>(١٥)</sup> ويستهبون كل فرصة. وقد تجمعوا حول جوانب العربات، وكان مشاهدتهم أفضح ما داته عين أوروبية فط. كان بينهم منسوله تنشر السرطان في ثديها فتورم ودمًا هائلًا منبًا بالثقب، ومن بينها ثندان أو ثلاثة يمكن أن اغوص في الواحد منها بكامل جسدي. وكان في رقبته منسول كبير دهن أكبر من خمسة أكيامر سوب. وكان لأخر مئتان خشيستان ارتفع الواحدة منها عشرين قدمًا. لكن أشجع مشهيد كان مشهيد الفئس وهو يوحف على لياهم. وكنت أرى أعضاء هذه الحشرات بعيني المجربة أحسن من رؤيتي لأعضاء مثيلاها الأوروبية من خلال مجهر. كما رأيت موازها التي تمدها بحثًا عن الشفويات كلها أبوار الحمازير. كان هذا الضلل أول قمل أشعده في تلك البلاد، ولو كانت معي أدوات التشريح المناسبة (وكنت لسوء الحظ قد تركت أدواتي في السفينة) لأدقني المنصور إلى تشريح إحدىها. رغم أن مرأها كان مقرنًا جدًا، الدرجة فُتبت معدني.

بالإضافة إلى العلة التي كنتُ أتحل فيها، أنزمت الملكة بضلع علة مرحة أخرى لي. طول

صاحبا، أنا عشر قدماً وارتفاعها عشرة أقدام لكي نُشغّل في السحر، لأن اللعبة الأولى كانت كبيرة على حفّس جُعلّم دالّ فليتش ومزعجة في العربة، وقد قم بضعها المغان نفسه الذي كنت أشرف عليه وأوجهه سلال دمه بهنعه. كانت اللعبة السفرة مريحة ثامناً وفي ثلاثة أصلاخ منها ناعمة في وسط كل ضلع وعليها شتّك من حديد منقأ للمحادث في الرحلات الطويلة. ثما الصليح الرابع فقد كُنْتُ عبده ورتان فويتن يَدُشْن فيها حزام جندي. وحينما كنت أرغب في السفر عر ظهر حصان، كان الخدم الذي يحملني يربط حزام عبدة السفر هذه حول وسطه. وكانت هذه الوظيفة تباطئ خادم موثوق وغير أستطيع أن أطمئن إليه، سواء كنت أسافر في ركاب الملك وملكة في رحلاتها، أو أرعب في التفرج على الحدائق، أو زيارة سيده من عبدة القوم، أو زيارة أحد الوزراء في انقصر، وذلك حين تكون جُعلّم دالّ فليتش مترعكة. ذلك أنني سرعان ما أصبحت امرؤاً وغترماً لدى أصحاب المنصب الرفيع. وذلك في ظني كان شراً ولهذا منهم أكثر من حنّ لي وفي الرحلات الطويلة، حين كنت أتعب من العربة، كان أحد الخدم الرقيق على الخيل يربط اللعبة حول وسطه ويضعها فوق الحصان على وسادة أنامه، ومن هناك كان ينادي في من أرى البلاد كلها من وافي الثلاثة. وكان معي في عبدة السفر هذه فرائس سُفري، وأرجوحة معلقة في الخشب، وكرسيّ وضالّة نبتة جرمها بأرضه اللعبة، وفنية في من السقوط كلها معد الحصان أو حيط أو كفا اعتزّت العربة. لكنني لم أكن أزعج كثيراً من تلك الاهتزازات لأنني تعود منذ عهد طفولي على الرحلات البحرية.

وكلما كان يميني أن التفرج على المدينة، كنت أعمل ذلك دائماً وأنا في عبدة السفر هذه التي كانت جُعلّم دالّ فليتش تصمها في حجره وهي راتبة في محفة مفرحة كما هي عادة أهل البلاد. وكان يعمل المحفة أربعة رجال وينبعها رجلان آخران، وكلهم يلبسون اللباس الرسمية لانتاع الملكة. وكان الناس الذين سمعوا كثيراً عني يتجهضون بدافع الفضول حول المحفة. وبدافع اللطف والحياسة كانت جُعلّم دالّ فليتش زامر الرجال بالمرعب، ثم تعمي في يدهم لكي يروا الناس بوضوح.

كنت أتوق لرؤية المعد الرئيسي، وعلى الأخص البرج التابع له والذي يعتبرونه أعلى برج في المملكة. وهذا حتمي مريتي ذات يوم وثأقت بي هناك. ويتكهن أن أولي بعض إني عندك غيب الضيق، لأن ارتفاع البرج لم يكن يريد على ثلاثة آلاف قدم، وبالحسب من الأرض حتى أعلى قمة فيه. وهذا، إذ أخذنا في الاعتبار المرقع يور حينه أولئك القوم وحجبتنا في أوروبا، ليس محلوّاً جذباً بالاعجاب الشديد، وليس مدياً في نة عدوه وإذا كان تُدْغُري دقيفاً ليرج صاليزيري<sup>(١)</sup> ويسك هذا الخط من ندر أمة داخل ما حبيت أمتوف هذا الدقل العظيم والامتان الكبير. ولا بد من الاعتراف أن كل م يتفص هذا البرج الشهير من حيث الارتفاع قد عُوض عنه بسحابة من

وهكذا نرى أن «سويغته» حين جعل «جلطره» ينسب «لويازي» «سويغو» أراد أن يسها إلى أن قصة «جلطره» من أجول مناطق في قصة كاذبة على قصة «سويغو»، وكان نصديق «جلطره» يؤدي إلى تجارب والغمار انظر: 40. Winou, SR, LX-III, 1961, 32.

- (٥) فريناندو كورنيز: هو فريناندو كورنيز (١٨٨٤ - ١٩١٧)، القائد الإنسان الذي استطاع روحانيته وقسوته التي زعمت السكان أن جعل المكسيك في أقل من عامين ونصف العام: 1 مارس ١٩١٩ إلى ١٣ أغسطس ١٩٢١.
- (٦) عدالة الملوك في الخمر من الحقوق: المقصود هو هر صوفى أثناء البلاد مفتوحة مقابل حقوى الدخخين.
- (٧) مجموعة من القراصنة: أوائل المستعمرين لإسبانيا في أمريكا كانوا من الثغافيين. عددين كان هتتم الأول هو المشور عن تميز الذهب، وقد اشتهروا قسوتهم على أهل البلاد الأصليين ويشتبهون بالمقاتل التي ارتكبوها.
- (٨) يُطْلَبُ كَمَرٌ هَمَّ ذَهَبٌ: صحيح.

من أمثلة ذلك ما فعله «كورنيز» بمناك المكسيك «مونيزوما» الثاني، إذ نبذته بالسلام عام ١٩١٩ إلى أن سلمه ما لبثت حينذاك ٢٠٠ ألف جنيه من الذهب. فهاهي أكمة ضخمة من الخواصر والحجارة الكريمة.

(٩) وهدايته إلى المسيحية: في عام ١٥٣٣ قُتِلَ القائد الإسباني «بيزارو» آخر ملوك الإنكا في بيرو، باسمه «الأنغوايا»، وهو أنه أخذ من ذهباً بامقلا من الذهب والفضة. وقد سلك «بيزارو» عليه بالموت حرقاً، لكنه حين أحرق «الأنغوايا» دُفِنَ باسمه، عبر الحكم بالحرق إلى حكم بالإعدام حل حارري.

(١٠) هذا الوصف لا يتعلق... على لغة البريطانية:

فأردت بهكم «سويغته» الشديد من بهكم «نوماس» مورا لي «يوتويا» على الدبلوماسية الأوروبية. انظر: «يوتويا» ترجمة د. أنجيل بطرس سمك. ص ١٩٨ - ٢١٠.

(١١) ولذا فأنى أرجو... عدم الظهور أمامي:

لاحظ أن كتاب «رحلات جلطره» ينهي موعظة عبد ربيعة الكبرياء والفرد، وهي نسخة «مجموعة» التي نجدنا في «يوتويا» (ترجمة د. أنجيل بطرس سمك ص ٢٢٠) ضد الكبرياء.

لكن هذه الجملة الأخيرة في كتاب «رحلات جلطره» توحي أن أكثر مثال يُجسَد ربيعة الكبرياء هو «جلطره» نفسه.

حيث الجبل والقوة. فسمكة الجدران تبلغ حوالي مائة قدم، وهي مبنية من الحجارة المتحركة التي يبيع صانع الواحد منها حوالي أربعين قدماً كما أن العدد موزن في جميع جوانبه بتأثيل للأفنة والأباقرة مصنوعة من الرمر رموصوعة في ثوى مدينة، وكل كمال منها أكبر من الشخص الذي يشبه حين كان الشخص جبالاً. فقد قُدَّت بقايا أصح صغير كان قد وقع من أحد هذه التماثيل وظل بين الحفام لا يلحظه أحد، فوجدت قوله يبلغ أربعة أقدام وبوصة واحدة<sup>(١٢٠)</sup>. وقد نُقِيتْ حليم دال كليش تعديل رحمنه في جيبها إلى البيت تحتفظ به مع الحلي والاشياء النفاهة الأخرى التي كانت مفرمة بها، كما هو حال لأطفال من أنرابها.

أما مطبخ الملك فهو بناء نيل حقا نعلوه قبة يبيع ارتفاعها سبعة أقدام. أما القرن الكبير فيقل اتباعه عشر خطوات على قبة كبيرة ساحتها ١٠٠<sup>(١٢١)</sup>، لاسي تعمدت بعد مودتي أن أقبس هذه النقبة. ونو وصف مرقن انطبخ، والقدر، وغلايات الماء، وقطع اللحم التي نُقِلَب على الامياخ؛ ونعاسيل أخرى كثيرة، فقد لا يصدقني أحد<sup>(١٢٢)</sup>. وقد يطر أحد الشقاء المزمعين نبي بالفت غليلاً، كما يتهم ابرحونون كثيراً بالسلعة<sup>(١٢٣)</sup>. ونكبي انخذب هذه التهمة اطن أنني انحرقت كثيراً في الاتجاه المعاكس، وأنه لو تُرجم هذا الكتاب إلى لغة أهل بزويزد لُجُتَاج. فهذا هو الاسم المألوف لتلك العنكة، ويُقِلَّت هذه الترجمة منك، فانه سيتوفر للملك وشعبه مَبُّ للشكوى بُني أماناً إليهم إذ مسؤولتهم أصغر عما هم عليه.

ولا يحفظ الملك في استقبلاته بأقل من سبعة جواد، وطول حله الجياد يتراوح بين أربعة وخمسين قدماً وستين قدماً لكنه حين يخرج في أيلام الأعياد المقدمة يرافقه حرم من الميشية عددهم خمسمائة فارس، وكان ذلك في فني من أجل وأرواح النعاه، التي رأيتها في حياني؛ حتى تراودت جزءاً من جيشه وهو مستعد للمعركة، ونكبي سأجُدُ منسبة أخرى للحديث عن ذلك.



## الفصل الخامس

أحداث جديدة تحدث للمزلف. إعدام جرم. تولد يُلَبث بهزئه في قبضة مركب حربي.

كنتُ سامعاً حياة سعيدة حقاً في تلك البلاد لو لم يُقَرَضْني جينر حامي الحوادث مضحكة وسخيفة ومزعجة معاً. وسأروي بعضها ها. كانت جُلُمُ دالّ كُثيلاً عملياً أحياناً إلى حدائق القصر في الغلبة السُرية. وأحياناً كنتُ أُخرجني من اللعبة ونجسني في يدها أو تضغني على الأرض لأمشي. وأدتر أن أقوم قبل أن تطرده الملكة، نُبغنا ذات يوم إلى تلك الخدوش. وكانت مربيتي قد وُضِعْني على الأرض. وكنتُ وإياد قريبين معاً من شجيرات تفاح قرمزية. وأبي عليّ طويلاً لسي إلا أن أذكر لكثرة سخيفة تربطها بين قرميته وقرميته شجرات العاج. وعند ذلك انتهر ذلك الموجد الشيم مرة شري تحت إحدى تلك الشجرات وهزّه خوة فساقت من حولي دسة من الشاحلات التي يبلغ حجم الوحاة منها حجم البيريل. وقد أصابك رعداًها ظهري راب مُنْجني فطرختني على وجهي على الأرض. لكنني لم أضرب بأذى. ونجيتني عن لقوم شاء على زعيني لأنني أنا الذي استقرتُ غرضه

وفي يوم آخر تركتني جُلُمُ دالّ كُثيلاً على صفة سعة العشب لأسلي نفسي. بينما راحت هي تنعشي مع مربيتها على مسافة مني. في هذه الأثناء انسر لبرّد فجأة ويصف على الأرض فطرحتي قوته أرضاً على الخور. وراحت جبات لبرّد تضربني ضربات قاسية على كل أنحاء جسمي وكان أحداً كان يرحمني بكلمات انتفس الأرضي. وبذلكتُ جُهدني لأرحف على أربعتي وأحي نفسي بالاسطاح على وجهي على جانب الخيم. خفف شجرة زعفران. ولكنني جسمي من رأسي إلى قدمي أصرت بالرفوفوس. حتى أنني لم أتمكن بعدها من الخروج طيلة أيام عشرة. وليس في هذا ما يشي العجيب. لأن الطبيعة في تلك البلاد تعبط على مبدأ تناسب حجم الأشياء في كل مظهرها، ولذلك فإن حجم حبة البرد فيها يساوي ألفاً وثلاثمائة ضعف من حجم حبة الترد في أورويان<sup>(١)</sup>. وهذا ما فعلتُ بهزائه فعلاً إذ دفعني فاضولي إلى وزنه وقياسها

تكن حدث لي حادث آخر في الخديفة نفسها. كانت مربيتي الصغيرة تنقد لها وُضِعْني في

مكان أمين كنت كثيراً ما أروجها أن تصعني فيه، لكي أخلو لنفسي، وأعيش مع أفكارتي الخاصة، كما كنت قد تركت علي في القصر كي تسرح من عناء حلها، رغبةً إلى جزء آخر من الحديقة مع مربيته وبعض السيدات من معارفها. وبينما كانت غاثية وبعيدة عن سماع صرغي، صعدت إلى قَلْبِ تَابَعٍ لِأَسَدٍ رؤساء الستة دخل الحديقة بالصداقة وراح يتجول غرب المكان الذي كنت مضطجاً فيه. وحين التفت رائيحي جاء مباشرة إليّ وحلني في فمه وراح يمدد يدي إلى سيده وهو يُلْعَقُ بذيله، ووجهني أمامه يرفعني على الأرضي. وحسن الحظ كان هذا الكلب مدرّباً أحسن تدريب حيث أنه حلني بين أسنانه دون أن يُلْحَقَ بي أدى، بين ويون أن يحرق سلاسي. لكن أنبستاني المسكين الذي كان يعرفني جيداً ويكرهني لي مودعاً بالغاً مزعجاً شديداً وحلني بين يديه وراح يسألني عن سالي. لكنني كنت معطوط الأمانس ومذعولاً عند الذهول بحيث لم استطع أن أقفوه بكلمة واحدة. وبعد بضعة دقائق نُتِيتُ إلى رشاشي فحملني مثلاً إلى مربيته الصغيرة التي كانت في هذه الأثناء قد سمعت إلى المكان الذي تركتني فيه، وأصابت رعب شديد حين لم أظهر، ولم أجب حين نادت علي. وقد أثبت البستاني ثانياً قاسياً بسبب قلبه. وعلى كل حال، فقد تكففت، حل هذا الخوف ولم يصبح به أحد في القصر، وذلك لأن الفتاة كانت تشي غضب الملكة، أما أنا فقد رأيت أنه ليس من صالحني أن تشيع عني قصة كهذه.

هذه الحادثة جعلتني خائفاً دائماً فليفتش نفسي ثم لا تتركني قط لنفسي، وأن لا أغيب أبداً عن صرغها. ولهذا خشيتُ فوراً هذا. وهذا كنتُ أخفي عنها بعض المفامرات المشكورة العظيمة التي وقعت فيها في المرات التي تركتني فيها وحدي. ذات مرة كان لحقد هجوم حوله الحديقة فزألت ونفقت علي ولم أَسْتَلِ جسمي عن الثور راحتي تحت شجرة معزبة، لأنكحي بين غزالة وطار. ومرة أخرى كنتُ مشي فوق تلة جديدة لحيوان الحناء، فنفطتُ حتى غفني في احفرة التي دس ذلك الحيوان منها التراب. وقد لُفْتُ كذبة لا نسحق أنذكر لأعطي نفسي من التائب عن اسباخ ملاسي. وفي مرة نالته كدتُ اكسر عظم سالي الأيمن حين تقفرت بهدفة حزون بينها كنت أسير وحدي. وأفكر باجتناب المسكنة.

رأيتُ أدري إن كان سرّني أو أنني إن لاحظتُ أثناء ذلك المشوير التي كنت أسير فيها وحدي أن الطيور الصغيرة لا تظهر عليها أي خوف مني، بل كانت تُضَبِّطُ من حولي على بُعد ياردة تبعث حين يهدهدها وأصنام آخر بكل أمن دون اكتراث. كأنه لا يوجد أي مخلوق بالقرب منها. وأذكر أن طائر بلغني به الثقة جداً حينه يحفظ شفاهاً من يدي مضمة كعك كانت جُلُفُ دَالٍ فليفتش قد تُعْظِنُها لي لأفهر عليها. وحين نُكْتُ أحوال من مُسَكِّ ثِيَا من هذه الطيور، فإنها كانت تُزَيِّنُ سحابة دق، وتحاول أن تنظر أصاصي التي كنتُ لا أجزأ من مُزَيِّنُها بها، ثم تخفي عني، وهي تَنُفِّسُ دون وجل، سحابة عن التديان أو الحُزُونِيات كما كانت تفعل من قبل. لكني ذات يوم تناولتُ هزوة

خلقة، وقد أخذها بكل قوتي على طم مُغْرَب، وبقشر لحظ مُصَنِّه وطرحتُه أرضاً، وفضتُ على عنقه بكُلِّي يدي، ورحتُ أعدوه به بعرجة المنتصر إلى مربيِّي. لكن هذا القاتل كان دائماً وصعوباً أول الأمر. وحين استعاد وُجْهه صريري بجناحيه ضربات عديدة على جالبي رأسي وحسي ورغم أني كنت أحله بأبعد ما عند ذراعي، وكنت بعيداً عن غلبته، إلا أن مقارنته جميلتي أفكر عشرين مرة في إطلاق سراحه. ولكن سرعان ما جادني المخلد من أحد خدما الذي أخذني وقطع رقبة. وقد أكلته في عشاء اليوم التالي بأمر الملكة. وبغداد ما أنكر. كان هذا الضائر أكبر قليلاً من النجعة الانجليزية.

كثيراً ما كانت وصفات الشرف<sup>(٣)</sup> يُذَعِرُ حَلَمٌ دالٌّ كليلٌ إلى أنجحتهم وطين منها أن تخضري معها بفصد أن يستمعن برؤفي وتلثي. وكثيراً ما كُنْتُ يُغْرِبُنِي من ملاسبي من الرأس من انهدم ثم نظمتي بكامل طولي على صدورهن. وكان هذا يشير المشرابي، لأن الرائحة كريهة جداً كانت تصدر من بشرتهن. ونست أذكر هذا الأسى، في يثُكُّم السيدات الرقيات اللواتي أكن هن كن آيات الاحتماء. ولكني أظن أن قوة حاسة الشم الذي تتناسب عكساً مع صغر حجمي، وأن يثُكُّم السيدات العظيمات في يثُكُّن أذا مُنْغَرَّت بالنسبة لمشاقهن أو ليحضهن البعض، كما هو الحال بين الناس من نفس الطبقة في إنجلترا. وفوق هذا، فقد وجدتُ أن رائحتهن الطيبة حسنة أكثر منها حين تكون مزوجة برائحة العطور بحيث تأثر هذه الرائحة السخنة كأن تُغشى علي عن الفور. ولا أستدع أن أسى أن واحداً من أصدقائي الغربيين في ليليويت نجراً ذات يوم حار، بعد أن قُمتُ بتصريات حسنة شاقة، على اندثر من الرائحة الكريهة القوية التي تصدر عني، مع أنني نست مُنْغَرّاً من هذه الشاحية كمعظم أبناء جنسي، لكنني أظن أن حاسة الشم عندك كانت قوية بالنسبة لرائحتي كما هي عدي بالنسبة لرائحة هؤلاء القوم. ولا يمكنني، بالنسبة لهذه النقطة، إلا أن أصفك سينق الملكة، ومربيِّي يُجْطِهُ دالٌ كليلٌ، فبت جسدتها زكي الرائحة كجسد قبة ميدة راقية في إنجلترا.

لكن مُنْغَرّاً ما كان يزعمني من وصفات الشرف هؤلاء حور شخصي مربيي نزارتين، هو معاملتهن في دون أي اعتبار أو حياء، وكأنني حقوق لا أهمية له الشدة. فقد كن يتعاملن كنية ثم يلبس ليهن الفضفاضة وأنا موضوع عن التواضع أمام أجسادهن العارية مباشرة. وفي أوقات، تكلم ليهن ب تكون بالنسبة لي مشهداً مغرباً أو مثيراً لأية مشاعر سوى الشعور بالفرف والرعب. فقد كانت يرسن خشنة وغير مستوية، وذات ألوان متعددة حين رأيتها من قرب، وعليهن شامة هنا أو هناك بفراص المبرجة، وتتبدل منها شهورات أسلف من نيوقة القلب، ولا أودُّ يثُكُّ المبريد عن غية لجسادهن. وحين كنت يلهن لم يتورع عن التخلص من ما نُكِرُ من شَمِّ يته وينبؤن كمية من البول غداً بربانج في دواء رشح لأكثر من ثلاثة أطنان<sup>(٤)</sup>.

وكانت أهل هذه النواحي، وهي فئة في السادسة عشرة تحت العيث والمصحات والمزاج، مركبي أحياناً فوق حلقة شديدة، وتدعوني مداميت أخرى أوجو لغاري أن يحفني من دكو نغاملها. ولكن بلغ في الاتساع خذلاً لا يطاق حيث طلبت من مربوبي أن تهنئ الأسرار لكي لا نرى تلك البصيفة الشابة مرة أخرى.

وكانت يوم جاء شاب هو ابن تحت مربية مربوبي، رحتهم على الذهاب معه للتفرج عن رعدام مجرم. كان المجرم قد اغتال أحد الأصدقاء الخميمين لثقت، ورغم أن جلمم قد تلبس ذات قلب حنون بالقطرة ولا يقبل إلى رؤية الدماء، إلا أنه أومأ وتبكت الدهاب. أما بالنسبة لي فقد كنت أكره مثل هذا المشهد، إلا أن عضوي الغربي بالذهاب لرؤية منهج، اعتقدت أنه لا بد أن يكون خرقاً لعمادة. رُبط المجرم عن كرمي فوق منبه نصبت فيه الدية، وقطع رأسه بصرية واحدة من سيفه ضوله حوالي أربعين قدماً، فضر الشم من عروقه وفترينه بكدمات هائلة وإبر غمق كبير جداً، بفوق العلو الذي يصل إليه الماء في الشافورة الكبرى بعدائني لوماني<sup>١١</sup>. أما لرأس فقد أحدث لدى سقوطه على أرضية القفص حيلة دائرية جعلني أجفل رعباً، رغم أنني كنت أبعد عنها أكمة من مثل الجلبري.

كانت الملكة قد سبني مراراً المحدث من رجال البحر، كما كانت تنهز كل فرصة لتسري عني حين أكون مجزواً ومهموماً. سألني ذات يوم إن كنت أعرف كيف أستعمل شراش أو جداني، وإن كان شيء من ربة النجديف سيهد عيني، فأخبرتها أن أريد استعمال الشراش والمخاض، ورغم أن وظيفتي الفعلية كانت حراش أو طيب في سبعة، فبني في الحالات الطارئة، كثيراً ما أُنجمت على العمل كبخار عادي. لكني لا أرى سبباً لذلك في بلادهم حيث إن حجم أصغر قريب منهم ينوي حجم كثر الشراش الحرية عشت، وإن اغترب الذي يتسب مع حجمي لن يُكسب له النجاة في أهازيم. فعدت صاحبة الجلالة وتني بن كنت أرغب في تصميم زورق، فإن تخليها سيصنعه وستقوم هي بتأوين مكان مناسب للإبحار بزورقي فيه. وكان نجارها جرمياً بارعاً واستطاع في غضون عشرة أيام، وحسب توجيهاتي، أن يصنع زورقاً للترفة بكامل عدته، ويتسع لشكل مريح للثانية أو روبير. وحين صُنِعَ هذا الزورق فرحت به الملكة فرحاً شديداً، وحمله في سميرها وراحت تعدوه إلى الملك الذي أمر بوضعه وتنا فيه في صهريج. وفي ذلك على ميل الشجرة. لكن الصهريج لم يتسع لاستقبال المحاذين. وكانت الملكة قد أعدت من قبل مشروفاً أصغر وأثرت نجارها الخالص أن يصنع حوضاً خشبياً طوله ثلاثمائة قدم وعرضه خمسون قدماً وعمقه ثمانية أقدام. وبعد أن صعد النجار كُفِيَ الخندق فنع تسرب الماء، ووضعت نرق البلاط بمحاذاة الجدار في قاعة من القاعات الخارحية في القصر. وكانت في فخر الحوض حفية لإخراج الماء حين يصبح أشد، كما كان بإمكان خدمين أن يملأ في نصف ساعة. وبك كسب كثيراً ما أحذف بزورقي لأشرفني عن نفسي

وعن الملكة ورعيتهما الشواقي كثر يعتقدان انهن يستمتعن كثيرا بمسجدهما مهارتي وخفة حركتي. أحيانا كنت أشر شراعي ولا يفي علي سوى إدارة الدقة لأن السيدات كنن يقطنن في ربة موانية بمراوحيهن، وإذا ما شيعن قام القلمان بالنفج في شراعي في حين كنت أقهر براسي في قيادة الدقة إلى النجدة أو إلى النيرة كما شاء. وحين كنت أنهي من ذلك كانت جلم دال كريتش دائما تحمل زورقي إلى غرمتها الخاصة وتتلمع على مسماري ثم ينفث

وذلك مرة واجهت خلال ممارسة هذه الرياضة حادثا كاد يكلفني حياتي. كان أحد القلمان قد وصع زورقي في الخوض. وتطونت مربة جلم دال كريتش بحملي لكي تضعني داخل المروقي وفجأة انزلت من بين أصابعها. وكان لا بد ان تقع على البلاط من ارتفاع أربعين قدما لولا أن حذقة سعيه فنت ذلك، إذ استطعت خلال سقوطي بدوس كبير في حزام تلك السيدة الطيبة، ودخل رأس ذات الدهبوس بين قبيحي وحرام منطقي. وهكذا صرت معلقة في الهواء حتى فزعت جلم دال كريتش لإنقاذي.

وفي مرة أخرى كان أحد الخدم المكلفين بقاء الخوض من ثلاثة أيام بمد جديد، قد غفي عن رقيه لضجع كبير في سطح الماء. حدثت أثناء وضعه الضفدع في الخوض. وقفن انصمدم حتى وصفت في زورقي. حدثت تعلق الضفدع بالزورق وجعله يزل مبتلا كبيرا إلى ناحية من اضطرني إلى موازنته بالدمعاب إلى الناحية الأخرى كي لا ينقلب. ولما وصلي الضفدع إلى داخل الزورق نظ في الدال نظرة أومأته إلى متعبه. ثم راح يسط من فوق رأسي جوده دهايا داطح وجهي وملاهي برفقه ودفع الكرية. ولقد جعله ملاحه الضحكة بدر أشوء حيوان يخطر على الين. لكني طلبت من جلم دال كريتش أن تركني أصارعه وحدي. وحدثت أصعبه واسد من مجداتي حتى اضطرته في آخر الأمر أن يغادر الزورق قفرا.

نكن لخطر الأكبر الذي تعرضت له في تلك المملكة كان مصدره قوة يملكه سيد النجبة في المنطبخ. كنت جلم دال كريتش قد وضعتني في غرمتها الخاصة. وأقعدت علي، وذهبت إلى مكان ما للقيام بعمل أو زيارة. ولأن البحر كان حاراً، تركت نافذة لغرفة مصروحة. وتلك نافذة عابى النجبة وبابها. وقد كنت أفضل لعيش في هذه العلية الكبيرة لأننيها انسب. وبينما كنت جالسا إلى طاولتي أفكر في هوى، سمعت شيئا يدخل لغرفة من النافذة ويقف من حانب إلى آخر دهايا. وعند ذلك، ودهم أنني دجرت ذعرا شديدا، تجاسرت عن التصر خارج عيني دون أن أغادر مقعدي. فرائت هذه الحيوانات النعوب العابت يقمر ويك للامس والامس حتى وصل إلى عيني أنني بدا عليه أنه ينظر إليها بسوء وفضول، وراح يثب في الداخل من الباب. ومن كل نافذة وتراجعت إلى زوية في عروفي، أو عابتي. ولكن يصبه الفرد من كل جانب العرفة أربعيني

لدرجة أنني فعلتُ الفكرة على أنصرف السليم المريح واحداً نفسي تحت السرير، وهو عمل كان  
 ممكناني أن أقوم به بسهولة. وبعد أن قضى الفرد بعض الوقت في التصبية والتكبير والثرثرة وقفتُ  
 عتبةً عني في آخر الأمر، فدخلتُ أحد عتالبي من الباب، كما تفعل نقطة حين تذهب قاراً. ومع أني  
 نزلتُ من مكان لأذهب، إلا أنه أمسك أخيراً طرف معطفي (الذي كان مصنوعاً من حرير تلك  
 البلاد وكان مسبكاً رفوياً)، وجرّني خارجاً انعية. ثم همني في فدهم الأمانة التي وأمسكتُ كما  
 تمسك المصممة مثلاً تريد أن ترضعه. أو كما رأيتُ النوع نفسه من الملحقات يفعل مع قطعة صغيرة  
 في أوروبا. وحين حازتُ المقاومة، ضمتُ ذلك المقود بقوة حتى كان يهتف، فزادتُ من الحكمة أن  
 أذعن له، وتوقفتُ لندي أسباب تخلفي عن الاعتقاد بأنه طيني طفلًا من أطفال جنسه، إذ راح  
 يركبُ على وجهي برفق وتكرّر يخلطه الآخر. رغبنا هو وساعتي جميع ضحيتهما عند باب الحجرة كما  
 لو أن شخصاً كان يفتح أبواباً. وبعد ذلك قفز فجأةً خارجاً نافذة التي دخل منها وصعد من هناك  
 إلى الميزاب والمنطرح، وهو يسير على ثلاثة أرجل ويهتف بأربعة، حتى وصل إلى سطح عمار  
 السطح (١٣). وسمعتُ صرخة فزعٍ تعللها خلعٌ دائمٌ كليلش في اللحظة التي كان الفرد يخرج به.  
 كادت الفتة المسكينة تكفد عقبيها، وفزع كل من كان في تلك اللحظة من القصر، وهرع خدم  
 يحملون السلاسل، وشوهوا الفرد من قتل الملك في القصر وهو يجلس على قبة سطح تُعد الباني  
 ويحتمي وتكفي صغر في أحد عتالبي الأمامية، وبعضهم يذهب الثاني عن طريق مزبلة فهي بعض  
 الخدم الذي كان يخرج من كبر معق بطرف فكيه، ويرتد على حين امتنع عن الأكل، مما  
 أضحك الكثير من الرعاع المظفرين. وليس من الإنصاف أن نؤمنهم لأن المشهد كان ملائماً  
 مضحكاً جداً للجميع ما عداي. بعض الناس دحوا الفرد بالحجارة لعلهم يضطرونه للزول،  
 ولكنهم لم يجرؤوا بحزم من فعل ذلك خشية أن يصيبني شجر منها في رأسي ويُغير دماعي.

حين أوصفتُ السلاسل وصعد عليها علق من الرجال، ولاحظ الفرد ذلك، وأدرك أنه سيصبح  
 محاصراً، وأنه لا يستطيع الفرار بسرعة كافية على ثلاثة أرجل، فإنه استخفي على قريدة من  
 قرميزات حافة السطح ومزبلة. ووجدتُ نفسي جالساً على ارتفاع خيالة باردة من الأرض،  
 متوقفاً أن يوقمني هبوب الريح أو الدوار في رأسي فأستلقي مذكرجاً عن فمه السطح المائل إلى  
 حوافه. لكن حيناً طويلاً من شتم مربي صعد إليّ ووضعني في جيب سطله ويزل بي سلكاً.

كنتُ أعتقد أنني سأطعم الفرد الذي حطاه الفرد في حقي، لكن مربيتي الصغيرة راحتُ  
 تخرج هذا الطعم من فمي بإبرة صغيرة حتى تقرأتُ وشعرتُ بعد ذلك بالراحة. ولكني كنتُ أعاني  
 من التؤم والتؤم في الميزة في خدصري، بسبب الضغط التي تُزفها لي ذلك الحيوان الميت، مما  
 اضطرني إلى أن أترك الفرار لسبعين. وفي كل يوم كان الملك والمذكرة وكل من في القصر يسألون

عن صحتي. وأتخفشي صاحبه بالجلالة زيارتها المتكررة. بعد ذلك أتيتهم الغرة وحسب أمر بنهم  
اقتد حيوان كهذا في منطقة القصر.

وحين زرت الملك بعد شغلي لأقدم له شكر على إفضاله، سره أن يُلْكَر من عارضي  
والسخرية من سبب هذه العجالة. سالي عن أفكاري وتملاتي وأنا مسلك في حبس القرد، ومن  
مضى تلدي بالنعام الذي أعطاه القرد لي، وعن مدى استماعي بالطريقة التي أضعني بها. وعن  
مدى انتعاش شهني وأنا استمتع بأضواء النقي على مبيض البفر، كما رعبه في معرفة ما كنتُ ساعده  
في مناسبة تاتله في ملاهي. وأخبرت حالاته أنه ليس عند قود في أوروبا، سوى ملك التي يؤل  
بها من بلاد أخرى للفرجة، وهذه صفة جد، ندرحة أنني أستطيع أن اتعجب على دستة منها محتمة  
لو غُرُت عن مهاجتي. وأنا بالنسبة لذلك لوحشي نفسي أندي نوحك مع اختيارا (وكان بالفعل  
محجم الفيل)، فإني لم يُقَرِّ الوعث حركتي، وهو فكوت. استعياك سفي (وهنا نضمره)  
بالمغضب الشديد وخبطت بي على مغض سفي) حين أدخل محله إلى حجري، غرخته جرحا  
بمحله بسند يتخراج محله بأسرع ما أمكنه. وقد هذا القول مرة حارة كذل بنشي أن يملك  
أحد بشعاعه. لكن حطاي لم يُنْجِ سوى فحكة مدوية من ملك وفر حونه الذين لم تستطع هبة  
الملك أن شمعهم عن إطلاقها. وهذا جعلني أذكر نفسي بغيثة محاولة الإنسان الاستمرار بشعاعه،  
وتعظيم قدر نفسه بين قوم يوقونه قوة ومكانة مقدار عظيم لا يترك محالاً بقرانه هم. وقد عود  
إني إنجترا رأيتُ مرارا غنية مثل هذه المحاولة، حين يتجرا حقير، لا نسب أو خب أو شخصية  
أو بطلان أو غير، على اعتبار نفسه رائد مهمل وثا لأهم الشخصيات في المملكة.

وهكذا كان القصر يتروء في كل يوم بقصة مصحكة عني. ومع أن جلم دال كليلش كانت  
مهي حيا معرفا، فقد بلغ بها الملك أم. كانت غير الملكة بكل عمل سحيف ارتكبه إذ اعتقدت  
أن حلالها تُمرر بسلاحه. من ذلك مثلاً أن أمتة نوحك ذات يوم، فأصاب مربيها بخبر الغرور إلى  
مكان بعيد مسافة ساعة، أو ثلاثين ميلاً عن المدينة. ونزلنا من العربة بالقرب من طريق للمدة في  
أحد الحقول، وأترشتي جلم دال كليلش ووضعتني في عنتي السرية على الأرض. وخرجت من  
عيني لأتشي. واعترضت طريقتي كومة من روث الغرور، وأتيت إلا أن أجوبه فتدوني على الغفر  
محاولة القهر من عوى الكومة. حدوث مسافة وفرت، وسوء الحظ كانت قفري قصيرة، ووجدت  
نفسني أقع في وسط الكومة، وأحوسر في الروث حتى ركبي. وبشيء من الصعوبة نطقت في الروث  
حتى خرجت. يذبح أحد الخدم يمسح الروث عني بتداه، ويقضي قدر الإمكان لاني كنتُ علواً  
أفد نوث، ما اضطر مربي أن تجبسي في عنتي حتى نُشأ لنسزل، وأُحييت الملكة بما حدث.  
ونشر الخدم القصة في أرجاء القصر، فصحت نعل القصر على حسابي عدة أيام.

## الفصل السادس

المؤلف يفهم معلم من الاعترافات لإدخال السرور حل الملك والمملكة، ويظهر مراعاة  
في التوسيع. الملك ينشر عن أحوال أوروبا يصفها ألفريد له ملاحظات الملك  
وتعلماته.

كتب أخضر المجانين لصباحية للملك مرة أو اثنين أسبوعياً، وكثيراً ما رأيت تحت يد  
الحلاق. وكان هذا المشهد في لون الأمر مُرعباً، لأن موسى الحلاق كان يظن منجيزاً عديداً. وثيقاً  
لعادة تلك البلاد، كان يُخلق جلاله مرين فقط في الأسبوع. وقد نُقِصَ: بخلاف ذات مرة إن  
بعضهم حتى دعوة صليون الحلاقة. وأخرجت من هذه الفرقة أيعمن أو غير من بقايا شعر لحية  
الملك. ثم أُخضِرَتْ قطعة رقيقة من الخشب، وجعلتها تُظهِر مَسْطَحاً، ثم حُفِرَتْ فيها حفداً من الثقوب  
عن مسافات متساوية. وذلك بواسطة أصغر ربرة وجدته عند جُفَيْ دال غلينش. ثم كُنْتُ الشمرات  
في الثقوب بمرامة، ثم قُضِصَتْ كل شعرة بسكين بحرك جعلتها تُشَكِّل وتَبْلُ بالجماء رأسها. وبهذا  
سُتُشِمَتْ مشطاً مقبولاً. وجاء هذا المشط في رفته المناس كلبيل مُشَطِي الذي كان معظم أسنانه قد  
تَكَشَّرَتْ وأصبح غير نافع. ولم أعرف في تلك البلاد قُبَّاناً له من البراعة والدقة ما يمكنه من صنع  
مشط بديل في

وهذا يذكرني بسبب أخرى قضيت فيها الكثير من ساعات فراغي. فقد طلبت من مانتشة  
الملكة أن يجمع لي ما يسقط من شعر الملكة. وبعد فترة جمعت لدي كمية من لا بأس بها. وبعد  
أن تشاورت مع صديقي نجار الملكة الذي كان قد أبرز بعض كل ما أخليه منه من خدمات، طلبت  
منه أن يصنع لي إصارين نُكُوسِيَّوٍ بحجم الكروبيير اثنين كانا عندي في علتي، وأن يحفر ثقباً  
صغيراً بثقب صغير في تلك الأجزاء من الإطار التي أُرَدُّها أن تكون مقعدين ومُظْهِرين. وعَبْرَ هذه  
الثقوب عيناك نسيجا من أقوى الشمرات التي توفرها لدي، ثم ما يفعله صانع كراسي الخيزران  
أو العشب في إنجلترا. وحين أنهيتهما هديتهما للملكة التي احتفظت بها في حبرتها وكانت تزيها  
بالتخمين كحفنمو موسى نادرة. وقد كانتا حث موضع إعجاب كل من راجعا. وقد خلقت مني الملكة  
أن اجلس على واحد منها. ورقتني فقط مطلقاً أن أخيطها فأنزلتني لتقتل أن أكون ألف مئة  
على أن أضع جزءاً غير مُشَرَّفٍ من جسدي فوق تلك الشمرات الثغالية التي كانت تزين رأس



جلالها ولأنني اتتبع مجموعة ميكانيكية، فقد صُنعت من هذه السماعات أيضًا كيس مفود طوله خمسة أقدام وعليه سم حللتها منسوجة بحروف ذهبية، وهديتها لي جُلِّمَ دَانٌ كَلْبِيٌّ بعد مواجعة الملكة. وفي الحقيقة كان هذا الكيس نلزية أكثر منه للاستعمال، إذ لم يكن من اللطافة حيث يتحمل ثقل القطع النقدية الكثيرة؛ لهذا لم تُضَعْ فيه مربيتي شيئًا سوى بعض التحف الصغيرة التي تحبها الغيتات.

وكان الملك يحب الموسيقى، ولذلك كانت تُقام حفلات موسيقية في القصر؛ وكنت أُنشِئُ رَافِدًا أحيانًا فأوضع في عليّ على طاولة لأسمعها، لكن الصوت كان عاليًا وصاخبًا بحيث لم أكن أُنِيزُ لها من غير. وإني سأكد أنه لم فُتتْ جميع طبول الجيتار الملكي الإنجليزي وأُفُتِحَ في كل أبوابه، بحيث تكون جميعها عند أفئتك، ما عداً ضجيجها ضجيج حفلة موسيقية هذا، ما عداً أفعه ما هو إن اطلت إبعاد عليّ عن مكان جالوس العازفين إلى أقصى مسافة ممكنة. وإن أُعِينُ أبواب المدينة ونوافذها، وأدُّنُ منظر السورف، وبعد ذلك أجد أن موسيقاهم ليست مزعجة.

وكنيت لي شبابي قد تعلمت شيئًا من العزف على بيانو صغير. وكانت مربيتي تمسك بيانو صغير وحزنها، إذ كان موزون موسيقى بحصر مرتين في الأسبوع ليعنفها. وأنا أُنشِئُ منها بيانو صغيرًا لأنها تشبه بعض النكه ويُنزَفُ عليها -لاستوب نفسه. وقد سطر لي أن أمتع الملك والملكة بِعَزْفٍ. حُرِّرَ التحديري على ذلك الآن. ولكن هذا بدا في غاية الصعوبة لأن طول هذه الآلة يبلغ ستين قدمًا، وغرض كل منضاح فيها بضارب قدم واحدًا. إنو قُرُوتْ ذراعًا ما وصلت لي أكثر من خمسة مصراع. فإني لم أضغط هذه المفاتيح، يتطلب خبطة قوية جدًا بقبضتي، وهذا جهدٌ صعب لا يحاكي من ورائه. لكن الطريقة التي اختراعها كانت كما يلي: أَعْدَدْتُ عصاتين كل منهما بحجم خراوة (مادبة) واحد طرفها نُتَحَرَّ من الآخر وغطيت الطرف الآخر بقطعة من جلد مار لثمي لا أُتَحَرَّبُ رؤوس المفاتيح ولا أقطع الصوت حين أضرب به المفاتيح. ووُضِعَ كرسي أمام البيانو الصغير مسدود عن المفاتيح مسافة أربعة أقدام. ثم وُضِعَتْ صوف الكروبي. وكنت أضرب المفاتيح بالعصاتين على هذا الجانب ثم عن ذلك بأسرع ما استطعت، وبهذا فكنت من عزف لحبي راقص. مُرِّرُ به صاحبة الجلالة سرورًا كبيرًا، لكنه كان أعنف وأشقَّ حمل نعمتي به في حباتي. وزعم ذلك لم أفكر من ضرب أكثر من ستة عشر مائة، وبالتالي لم أفكر من عزف المفاتيح ذات الصوت العسير الخلفي أو ذات الأصوات من الطبقة العالية كما يفعل بعض العازفين، وكان هذا نقصًا كبيرًا في عزفي.

كان الملك، كما ذكرتُ من قبل، أميرًا ذا ذكاء رائع. وكان كثيرًا ما يأمر بحضوري في عماري ويضعني على طاولة في غرفته الخاصة؛ ثم يأمرني بالخروج كرسني من عيني والجلوس عليه على مسافة

ثلاث يادوات فوقى العلية بحيث أصبح في مسترى وجهه. وعلى هذا النحو جرت بنا محادثات عديدة. وذات يوم نجحنا وأدب بجلالته، إداما كشف عنه من احتقار لأوروبا وبغية العالم لا يبدو متدبنا مع القدرات العقلية الرائعة التي يتحلل بها، وإن العجز لا يتسع دائما لتساع الجسم. وعلى العكس فقد لاحظنا في بلدنا أن أكبر الناس حكمة هم في العلة أنفسهم عقلا، وأنه بين الحيوانات، الأخرى، يشتهر النحل وانسل سائبا أكثر مثارة وفاء وحكمة من الأجناس الأكبر منها حجما، وليس أرجو، رغم أن صغير وثاقه كما يعتبر، أن اعيش حتى أؤدي بجلاله خدمة عظيمة وأصعب في الملك ماتدا وبدأ يكون عني رأيا أحسن من ذي قبل. ودرغب إلى أن أصعبه "فق وصف استطيعه عن نظام الحكم في إنجلترا، لأنه برغم أن الملوك عامة يفتضون عاداتهم الخاصة ويعتزون بها (كما اعتز من أحديث سابقة لي)، فإنه يسره أن يسمع عن أي شيء يستحق التقدير.

ومثلك أن تصور نفسك أيها القارئ الكريم مقدر ما تقيت أن يكون لي لندن (دهموشين) أو فضاءه (شيشرون) كوي. أنفي بحدح بلادي العالية بالأسلوب لللائق بعظمتها ومزايها وما فيها من هناء وسعادة.

بدأت حديثي بإخبار بجلالته أن بلدنا تتكون من جزيرتين، وأن فيها ثلاث ممالك عظيمة<sup>(١)</sup> يحكمها حيفا حاكم واحد، بالإضافة إلى مستعمرات في أمريكا، أسهت كثيرا في احدث عن خصوبة أراضيها وجمال ماحلتها. ثم تحدثت بصورة عامة عن دستور البرلمان الإنجليزي الذي يتألف جزء منه من مجموعة مهية من الأعضاء تسمى مجلس اللوردات، وكل عضو فيها ذو أصل نبيل وازد قديم وعظيم. ووصفت العناية البالغة التي تُبدى في تعليمهم<sup>(٢)</sup> فون الحياة في السلم والحرب يصحوا مذهبهم ليعمل كمستشارين بالوراثة للملك والملكة ولساهموا في التشريع، وليصبحوا أعضاء في المحكمة العليا التي تكون أحكامها مبرمة وقاطعة<sup>(٣)</sup>، ويكونوا أبطالا مستعزين دائما لمؤيد من أسرهم وبلادهم عما لديهم من قوة وقينة وإخلاص، وأن هؤلاء الأشخاص هم زينة المملكة وحصنها الميع، وأنهم الخلفاء المصالح للملك العظيم الذين جاءت لمجدهم تسويجا لفضائلهم، والذين لم ينحرف أحفادهم قط عن المصالح<sup>(٤)</sup>. ويتضم إلى هؤلاء في عضوية مجلس اللوردات عدد من رجال الدين يحملون لقب أساقفة، وعملهم الأساسي الحرص على أنشؤن وعن من يُعلمون الذين للناس، وهؤلاء يختارهم الأمير وخيرة مستشاريه حكمة بعد أن يبحثوا عنهم في جميع أنحاء البلاد وبن رجال الدين فيها، وبقصوا أخبارهم وشؤونهم أنهم يتميزون بالنعمة والظهور في حياتهم وبسعة والعلم في علمهم، وأنهم يفعل آباء روحيون لرحمة الذين وللشعب<sup>(٥)</sup>.

أما الجزء الآخر من البرلمان فيتكون من مجلس يدعى مجلس العموم، وأعضاؤه مدة عظام يختارهم الشعب نفسه بكامن حريته عن أسامر مرأهم وقدراتهم وحبهم لبلادهم، لكي يمثلوا

جئمة الامة كلها. وهذا المجلسان مكنك من كثير التسهيلات هيب في أوروبا، وتنفذ إليها بالتعاون مع الملك في أمور التشريع كلها

ثم انحدرت إلى المحاكم التي يرأسها القضاة الذين هم المختارون المحضون والمفوضون في تفسير القانون، وذلك لتجديد الحقوق وانصرفت والأملاك التي يتنازع عليها الناس، وبمعاونة الرعية وحماية الأمير. في ذكرى الإدارة، الحكمة للشؤون المالية، ومساعدة قواتها وإنجازها في الحرب واليهجر. وحسب أن عدد السكان هناك على أساس عدد الملايين في كل طائفة دينية أو حزب سياسي هناك. ولم يس وصف العنا ووسائل اللهو عندنا، أو أي من التفاصيل التي اعتقدت أن ذكرها يساهم في رفع قدر بلادنا. وحسب أن أساطين بإعطاه وصف مرجع للشؤون والأحداث التاريخية في إنجلترا خلال المائة سنة الماضية

ولم يته حديثي هذا إلا بعد خمس جلسات، اعتدت كل منها عدة ساعات. وستمع الملك إلى كل ما قُنت بانتباه شديد، وكان كثيرا ما يدون ملاحظاته عن أقوالنا في سجل مذكرات بالأسلحة التي يري أن يرحلها في

وعندما غنمت هذه الأحاديث الطويلة روح جلالة في اجلسه السادسة برجع إلى ملاحظاته، ويشير إلى الكثير من الشكوك والاستفسارات. والاعتراضات حول كل موضوع. سأك: أي وسائل تُستخدم في تنمية عقول الشباب المصغر من أبناء البلاد، وفي تنمية اجسامهم؟ وفي أي الأعمال يفصون الجزء الأول من حياتهم حين تنوهر لديهم القابلية لتعلم؟ وأية طريقة تُستخدم في سد الفجوة في مجلس اللوردات حين تفترض عائلة نبيلة؟ وأية صفات ينبغي أن تتوفر في من يُنعم عليه بلقب نورد؟ أو إن كان مزج الأمير وهواه، أو مبلغ من المال يُقدم لإحدى السيدات في القصر أو أرباب اللوردات، أو مؤامرة نظرية حزب على حساب المصلحة العامة، نذهب دورا في هذه الإعانات والترقيات؟ وما هو مقدار معرفه هؤلاء اللوردات بمراتب بلادهم؟ وكيف حصلوا على هذه المعرفة؟ إنهم كانوا في آخر الأمر من تقرير حقوق بخرانهم من البرجوة؟ وهل هم دائر برونون من الطمع والطوى وانفاقه، حيث لا تجد الرشوة أو أمور الفساد الأخرى طريقها إليهم؟ وهل لوردات الكمية الذين تحدثت عنهم يصلون إلى مرتبتهم على أساس تقديهم في أمور الدين وطهارة حياتهم دون أن يكونوا قط من منافقي رؤسائهم يوم كانوا رجال دين عاديين، ودون أن يكونوا قط ثائلا لأحد النبلاء؟ حين غلبهم في كيسة ناعز له وأصبحوا كالعبدة له يزددون إرادة حتى بعد أن انضموا إلى مجلس اللوردات؟

ثم أراد أن يعرف القوم شيعة في اختيار من سيُنتخب أعضاء مجلس العموم، أو إن كان من غير الممكن لغريب ذي كيس متفخ أن يؤثر على اختيار من سوفة، ليحتاروه بدلًا من سيدهم

وصاحب أرضهم؛ أو مدلاً من خبرة السادة في منطقهم. وكيف يحدث أن يرغب الناس رغبة قوية إلى هذا الحد في الوصول إلى عضوية هذا المجلس<sup>(١٤)</sup>، الذي اعترفت أن الوصول إليها متعب جداً ومكلف جداً، لدرجة قد تدمر حياة أسرهم، دون أن يكون لهذه العضوية راتب أو تعويض؟ فقد يبدو جلاته نوعاً سامياً جداً من حب الظلم وحب خلعته المجتمع للدرجة أنه يشك أنه قد لا يكون دائماً حياً عضواً ومُترغماً عن الغاية. وقد رغب جلاته أن يعرف إن كان لدى هؤلاء السادة المدعيين أية خطط لتعويض أنفسهم عن الأموال والنفقات التي تكبدها، مثلاً، عن طريق التصفية بالنسبة العامة لتعويض مؤامرات تلك حفيظ ضعيف التضامن مع وزارة فاسدة. وقد ضاعب أسئلة غزيرة كأمه في كل جزء من هذا الموضوع، وذكر استثمارات وانعزاعات لا تحصى لها، ولا نطق من الحكمة أن نكرر هنا.

وبالنسبة لما قلناه عن المحاكم، رغب جلاته أن أوضح له عدة نقاط. وقد كتب قائلاً: عن الموضوع الذي كتبته فيها سبب قد أولئك على الإفلاس بسبب قضيتي في المحكمة العليا استغرقت زمناً طويلاً، وتحكم فيها لصالحني مع دفع التكاليف. سأل: ما هي إمثلة اللازمة في العودة بتفصيل بين الضوابط ونقاط؟ وما مضى: كتابة - ذلك؟ وهل ندمامير والخطباء حرية الترافع عن قضايا يعرفون بوضوح أنها غير عادلة ومزعجة وطيلة؟ وهل ينتحزب السني أو السياسي تأثر على ميزان العدالة؟ وهل ينفقه أولئك لطلب الترافع في العلوم العامة، الخاصة بمبادئ العدل والإنصاف والضمير، أم إنهم يتعلمون فقط العدات القوية والمخفية؟ وهل يلعبون هم أو القضاء دوراً في تغيير تلك القوانين التي يرمعون بهم أحرار في تسميرها والتعليق عليها كما يرغبون؟ وهل قاموا قط، في مرات مختلفة، بالتراجع عن وضع القضية نفسها، وشهدوا بدورهم قانونية أفعالهم على صحة رأيين متعارضين؟ وهل رجال القضاء والمبارين مؤسسة عينة أو فعية؟ وهل يتفاوضون مكافآت مالية مقابل ترافعهم أو مقابل إعطاء فتوى قانونية؟ وسأل بشكل خاص، هل يصبح أحد منهم عضواً في مجلس العموم؟

ثم انتقل إلى إدارة الشؤون المالية، وقال إنه بطر أن يذكرني قد خاضتني لاني قشرت، أن ضرائنا تلح خسة أو ستة ملايين في السنة؛ ونحن جشع للذكر المصروفات نجد أنها أحياناً تبلغ أكثر من الصنف. وقال، إن الملاحظات التي دونها دفقة في هذه النقطة لأنه كان مائل أن يستمد من أساليب في إدارة الشؤون المالية، وسنذكر لا يمكن أن يكون قد أعطى في حياته. وأضاف أنه إذا كان ما قلته به صحيحاً، فبه لا يفهم كيف تنفق الدولة أكثر من مرادها<sup>(١٥)</sup> مثل الأشخاص العاديين؟ وسأل: من هم دائروها؟ وأين كنا نجد النعم لعدم ديونهم؟ ونعجب لدى سماعي تحدث عن حروب منظمة التكاليف وطويلة الأمد؛ وقد لنا لا بد أن تكون شعباً محباً للخصام والقتال أو إننا نعيش بين حيران سبلين، وإن سنرانا لا بد أن نكونوا أغنى من ملوكنا<sup>(١٦)</sup>.

وسأل، أنه مصانع لنا خارج جُزْراء، اللهم! لا إذا كنا نحارب لمصلحة تجارية أو دفاعاً عن بيتنا وبينهم معدة، أو دفاعاً عن سر حشاً بأسطوت؟ وتمجيب غلاة المعجب من حديقي عن حيشر دالم من المرفقة<sup>(١١)</sup> في أيديهم المسم وفي شهب حُر. وقال إن، كنا نُحَكِّم برضانا من قبل عثينا، فوله لا يستطيع أن يتصور عن نحاف أو خذ من نحارب. ومالي عن زاي: مَنْ يدفع دفاعاً أفضل عن منزل المرء، المرء نفسه مع أئانه وعائلته أم خفته من السفلة والمحرمين يلتظهم من التوارع مقابل أجر زهيد، مع أن يؤسجهم أن يكسروا ضعفه مائة مرة بقطع عنه واعتاق أهله؟

وضحك من طريقي لغريبة في الخسب (كما نُحِبُّ أن بسبها) حين، قُذِرَتْ أعداد أُنيتا على أساس الأرقام المأخوذة من الطوائف المتعددة صمنا في اثنين وانساية. وقال إنه لا يعرف سب (أجر من يحملون آراء، صارة للناس على تغيير آرائهم، أو أنهم إجبارهم على إخفاء تلك الآراء. فكما أن إجبار الناس على تغيير معتقداتهم استبداداً وطغياناً، كذلك فإن عدم إجبارهم على إخفائها ضعف وهوان<sup>(١٢)</sup>). فإنه قد يجوز أن يُنصَح للمرء بالاحتفاظ بالثمن في منزله، لكن لا يجوز أن تُشجَع له ببيع ذلك الثمن على أنه دواء.

ولاسط أنني ذكرت المغامرة بين أَسْتَبِيب النهر ندى السلاء والسلافيتا، وزجبت أن يعرف في نيتي من نعلم هذه النسبية وممارستها؟ ومن يتم طرحها والاستفساء عنها؟ وكم من الوقت نستهلك؟ وهل نسيطر قط على الناس بحيث تؤثر على مصائرهم وشرواعهم؟ ألا يتوصل بعض السفهاء للثام عن طريق براعتهم فيها إلى جمع ثروات طائلة، وأحياناً يجعلون أسللاً، بيتاً عدله عليهم، ويعززونهم على مخالطة الأشرار، ويعرضهم كلياً عن تهذيب عقولهم، ويجبرونهم عن طريق الحائر التي يَتَوَقَّن بها إلى نعلم فنون المغامرة السبقة الذكر وممارستها ضد الآخرين؟.

كذلك أدهشه دةشة بالغة انضير التاريخي الذي قُطِعَتْ له عن مؤونة خلال القرن الأخير، واحتج أنه ليس في هذا انقراض سوى سلسلة من المؤامرات، والتمرد على السلطات، والاعتيالات، والمداح. والثورات، وأعمال النفي والشرهيد، وكلها من أسوأ النتائج التي ينتجها الخفس، والنحزب، والضيق، والخيانة، والقسوة، والغضب، والجبن، والكراهية، والخذ، والحق، والنظموح.

وفي جلسة أخرى بذل حلالة جهراً كبيراً في تلخيص كل ما كنت قد قُذِرْتُ. وقارن الأسفة التي وجهها لي بالأحوية التي قد قُذِرْتُ لها. ثم حملي في يديه ورُئْتُ علي رفق، وغر عن رايه هذه الكلمات التي إن أنساها وإن أنسى اللوحة التي قالها بها. حال. يا صديقي الصغير جرب التفرغ، لقد أُنيت مدججاً لبلادك بغير المعجب حقاً. فقد بُرِهَنْتُ بوضوح أن الجمهور والكنسل، والخصون والمزدقة هي العناصر المناسبة لتأهيل المرء لوظيفة المشرع، وأن أحسن من يشرعون القوانين ويعسروها ويطلقونها

هم الذين تمثل مصالحهم وكفالاتهم في تحريفها وتشويهها، وإزهاقها وانتهابها. إنني أُلح بين ظهرانيكم آثاراً أنظّم ما رى كان في أصله حياءً ومفردلاً، ولكن صفت هذه الآثار شبه شجرٍ، وأبقي شروحه القصد أو إزاله كنهه. ولا يظهر من كل ما وثقه أن الكثرة مطلوب لمحصول على أي مركز بينكم، ولست أرى أن الناس يتعم عليهم بلقب بيل سبب فضيلتهم؛ أو أن رجال الذين يُؤثرون نفعهم بالخير أو لغيرهم، أو الجنود بسبب شجاعتهم، أو شجاعهم، أو انقصاء بفصل استقامتهم وإمانتهم، أو أخصه مجلس الأمة بفصل حبههم للإسلام؛ أو نستشارون بفضل حكمتهم. ثم أكتفل حلالاته، أم بالصفة التي أنت الذي وضعت معظم حياتك في السفر والترحال؛ فلاني مستعد لأن أرجو أن تكون حتى الآن قد تحوّلت من كثير من رجال سلاسل. لكن ما فهمت من أحوالك ومن الأجوبة التي أختصرتها بشك بعد تعب وجهد، لا يترك لي مجالاً إلا للاحتجاج بأن معظم أبناء جلدتنا هم أخصاء سلاسل من الحشرات المؤذية البغيضة التي شذّخت لها الطبيعة بالرحم على وجه الأرض.

## الفصل السابع

حب المؤلف لبلاده. يقدم قراءته. مع كثير لشبك ويُزفص الأفرح. سهل تلك في شؤون سياسة علوم تلك البلاد عسوة وسير كلفة. قوائهم وشؤونهم العسكرية والأطراف المتضرعة في الدولة.

لا شيء سوى حبي الشابة للصفوف يعني من حجب هذا الجزء من قصتي. كان من الصعب أن أكتب اعتراضاتي واحتجاجاتي لأنها كانت دائمًا تؤدي إلى السحرة متى. وقد اضطررت أن أعمل بالصبر. بينما كانت ملاهي التنبه المحبوبة توصف بهذه الأوصاف المؤذية جدًا. وأنا متأكد من أنني لم أكن لأبذل من قرائتي أن يكون، حتى ظهور هذه الماسة الحيرة المتوجدة. لكن هذا الملك كان شديد القسور وكثير الاستسلامية للكل صغيرة، وليس دائمًا يتفق مع العرفان بالجميل أو مع آداب السلوك. إن المنع عن إرضاء فضوله والإجابة على أسئلته بأسخف ما أستطيع. ولكن أرحم أن يُسمح لي بحول ما يلي تدبيرًا استراتيجيًا وتبرئة نفسي: لقد تفتت في التعصب من كثير من أسئلة وأعصيت أكل بقعة جوانا أفضل بكثير من الجواب الذي عليه الحقيقة: ويسمح به "صدق الصبر" ذلك أنني أعمل لسلامة ذلك التحريض أو التعصب المحمود. والذي يوهي به، وبحكمة بالغة، ديونيسيوس هاليكارناسينس<sup>(١)</sup> كل مؤرخ. سأعفي عيوب آتية المسيرة وأستمر على نقائصها وأضع فضائلها ومكافئها تحت أفضل الأضواء. كانت هذه هي محاولتي المخلصة في تلك الأساليب العديدة مع ذلك الملك، ولكنها لمرة الحظ ففشل في تحقيق النجاح.

لكن علمنا أنه نسمع كثيرًا مع تلك بعين معزولة عن بقية العالم؛ ولهذا لا بد أن يكون حاشيًا أن أجهل بالأخلاق وآداب السلوك والتعارف المساندة لدى معظم الأمم. ولتقص في هذه المعرفة بنجب دائمًا أحكامًا كثيرة مبني على هوى النفس، كما ينبغي فخرًا من ضيق الأفق الفكري الذي أصبحنا نحن الانجليز والبلدان الأخرى في أوروبا، في مأساة تام منه. ولو حرصت أفكار هذا الملك البعيد ومفاهيمه عن الفضيلة والبركة لتكون قديمة ومثلاً بحذو كل بشر، لنقل ذلك على الناس.

ولاؤدد ما قلته الآن وأريد توضيح النتائج الناجمة عن التعليم المحدود، سأدعيل هنا نصًا قديمًا

يحظر بالتصديق كنت امر أن أزيد من حُشْوِي لشيء صاحب الجلجلة، فحدثت عن اختراع اكتشف قبل ثلاثمائة أو أربعمائة سنة<sup>(١)</sup> يتعلق بصناعة مسحوق، تستطيع أصغر شرارة نار إذا مشته أن تشعل النار فيه كله منها بلغت كميته، حتى لو كانت كبيرة غاميل، وأن تجعله يتطير في الهواء مصحوباً بصوت صاحب أهل من صوت الرعد. وانحرته أنه إذا حُبِثَتْ كمية مناسبة من هذا المسحوق في أنبوب مُجَوَّب من النحاس أو الحديد، وذلك نبعاً لكبر الكمية، فإنها تستطيع أن تذف بحرة من الحديد أو الرصاص بسرعة وقوة شديتين، بحيث لا يستطيع شيء أن يتحمل قوتها أو يصمد في وجهها، وأن الكرات الكبيرة التي تُذَف بهذه الطريقة، لا تحطم فقط برفق كامة في الخيش على الفور، ولكن يهدم أقوى الأسوار وتُسَوِّب بالارص، وتُفَرِّق سفن في أعماق البحر، وتؤكك على الواحدة منها ألف ركب، وإذا رُبِحت بعض هذه الكرات بسلسلة، فإنها أثناء اتصالها تُفَرِّق الأتربة والجبال، وتشتطرمت الأجسام البشرية كلها إلى شظيرين، وتدمر كل ما يكون في حوزتها، وإننا كثيراً ما زعمنا هذا المسحوق في ثمرات حديثة كبيرة بحرفة، ثم قُطِعَتْ بآلة على مدينة كنا لحاصرها فاقبلت الأرض فيها، ومُذِيت البيوت إرته حتى تطيرت شظاياها في كل اتجاه، وطُيِّرَتْ أديمها كل من قاتل فويين منها. وقلتُ له أنني أعرف العنصر المكون لهذا المسحوق، وإن رقيقة ومتوفرة، وإنني أفهم طريقة غُطْطها، وإنني أستطيع أن أشرح لثقاله كيفية صناعة تلك الآلات مع مجموع تناسب مع حُجُوم الأشياء في مملكته، وإن أكثر تلك الأنسب لم يكون أكثر من دائري قدم طويلاً، وإن عشرين أو ثلاثين من هذه الأنسب، إذا حُبِثَتْ بالكمية المناسبة من المسحوق والكرات، تكفي جُذْمُ أسوار أمتع المدن في مملكته في بضع ساعات، وأنصح العاصمة كلها لو تجرأت على إنكار سلطته لظففة عليها. وقد قدمت لجلالة هذا العرض كزمن صغير لتقديرى واحدة من خللاته واعترافاً بالنعم الكبيرة التي نلتها بفضل عطفه الملكي وحرابه.

ولما أصيب بذلك بالذهن من وصف تلك الآلات المظلمة. ومن الغرض الذي قُصِدَ به. وقد أزعجه أن تستطيع حشرة ذبيلة صغيرة مضي (كانت هذه كلماته) أن تُصَبِّر مثل هذه الأفكار اللاسانية، ويُمَثِّل هذه الطاقة بحيث يبدو وكأنها لا آثار أو أثر عجز البنية من كل مشاهد الدم واخراب التي سورتها على أنها نتائج معروفة لتلك الآلات المدمرة التي قال إن مخربها الأول لا بد أنه كان عبرة شريفاً وعدواً نُسرية. أما بالنسبة له بالذات، ورغم أنه لا يسره ويسعد شيء، بقدر ما شُيِّرَ الاكتشافات الحديثة في العلم أو في الطبيعة، إلا أنه يفضل أن يصر نصف محسنة على أن يُظَلِّع على سره كهذا. وأمرني، إذ كنت أحرص على حياتي، أن لا أعود بذكره قط.

هذه هي النتيجة الغريبة لنسبائتي الضيقة الألق والتفكير المحدود المزايل. فهذا ملك تتوفر فيه كل الصفات التي تجعله يستحق الاحترام والخب والتقدير، وتتمتع بمواهب عظيمة وحكمة بالغية



وهمس واسع وقصده في الحكم تثير الإعجاب، وحب من زعيت يكاد يبلغ العبادة، ومع ذلك فهو من أجل ومراس دقيق لا ضرورة له، ولا يوجد لدينا في أوروبا أية فكرة عنه، يترك فرصة عظيمة كهذه تُفقد منه بعد أن وُضعت في يديه، فرصة كانت ستجعله الحكم المطلق على حجة أبناء شعب وحرثهم ومبائرهم. رست أفول هذا بينه الخلق من الغزاة والفضائل العديدة لذلك امتك انعمهم، مع اني أعرف ان مكانته في رأي الصائري الاجنيزي ستظل كثيراً بسب هذه القصة. لكني أرى ان هذا الغيب فيهم نجم عن جهنيم وفشلهم حتى الآن في تحويل السياسة إلى علم<sup>(١)</sup> كما عمل المفكرون الكبار في أوروبا. وأذكر جيداً اني قلت أثناء إحدى محادثاتي مع الملك انه يوجد ثديا آلاف الكتب حول فن الحكم. فاعطاء هذا، عن عكس ما ينبغي، فكرة سيئة عن ذكاته وفكراته العظيمة وأخبرني انه يفت ويحضر الأتاعل والمعرض، والمباعدة في التطوير والتجديد، والحداد والتأخر، سوء ذات هذه في أمير أوروبا، وأنه لا يستطيع أن يفهم ما أعنيه بعبارة أسرار الدولة، إذ كانت لا تتفق بعدد أوامة متلفة. وقال إن فن الحكم يتحصر عنده في حدود ضيقة، هي العقل والتفكير السليم، والعدل والرحمة، والحسم السريع بتفصيل المذبة والجناية، وأمر أخرى مادية وواضحة ولا تستحق الذكر. وقال إن من رآه أن من يستطيع أن ينتج مئتين<sup>(٢)</sup> من الخبز أو ليتين من العشب في أرض لم تكن تنتج من قبل إلا واحدة يستحق من البشر شأن أكبر، ويقدم لبلاده خدمة الجبل<sup>(٣)</sup> بقضه حشر السياسيين كلهم بقتلهم.

علوم هؤلاء تقوم بحاي نطقاً شديداً، فهي لا تتعدى علوم الأخلاق والتاريخ والشعر وعلوم الزراعة. ولا بد من الاعتراف لهم بانسوق في هذه المجالات. لكن علومهم الرياضية مرجحة يكاملها إلى ما هو نافع في الحياة<sup>(٤)</sup>، كتحصين الزراعة وكل الفنون الميكانيكية، ولهذا فهي عندما لا تحظى إلا بالقبول من الضعيف. أما سائفة اللشون العليا<sup>(٥)</sup>، وأصول الكائنات والاشياء، والتجديدات وما فوق الطبيعة فهم لا يفقهون شيئاً منها<sup>(٦)</sup> ولم نستطيع ان أذكر إلى اذهابهم إلى ما.

ولا يجوز أن تتجاوز كليات أي نص قانون عندهم عدد حروفهم المبدأية<sup>(٧)</sup> التي تبلغ ثون وعشرين حرفاً فقط. وفي الحقيقة، فليس من قوانينهم يحصل عدد كلماتها هذا القدر. وهي مصوغة بأوضح وأبسط الاختصار، وليس لديهم ذلك التخلخل والتفكك الذي يجعدهم يحدون أكثر من تغير واحد هذا. وكما به تعليق على أي قانون نمر عندهم جناية كبيرة. وأما سائفة متحكم في القضايا المدنية أو للإجراءات الخاصة بالمجرمين، فإن النواص عندهم نادرة، وفقد فليس لديهم ما يدعو إلى الشك في براعة حاضرة في أي من هذين المجالين.

فن الطباعة مأسود عندهم، كما عند الصينيين، منذ أقدم العصور، لكن مكباتهم ليست

كبيرة جداً، ومكتبة الملك التي تعتبر أكبرها لا تحتوي على أكثر من ألف كتاب، موضوعة في قاعة طولها اثنا ومائة قدم. وقد سمح لي بأن أستمع منها أي كُتب أشاء. وكان تُشهر الملكة قد صنع لي في إحدى الغرف بجانب حُلُم دال كُليش آلة خشبية ارتفاعها خمسة وعشرون قدماً. على هيئة مُلَمّ ثياب، طول الدرجة الواحدة فيه خمسون قدماً. وقد كان في الحقيقة يتكون من فَرْجَيْن متحركين، وطرفه السفلي موضوع على بُعد عشرة أقدام من جدار الغرفة. الكتاب الذي كنت أرغب في قراءته كان يوضح مستنداً على الجدار وكانت أصفد للدرجة العليا من السلم ووجهي نحو الكتاب وأبدأ القراءة من أعلى الصفحة. وأسير إلى اليمين وإلى اليسار حوالي ثمان أو عشر خطوات حسب طول السطر حتى يصبح السطر الذي أحصل إليه أدنى من مستوى عيني، فأزول بالذريخ، وهكذا حتى أصل إلى أسفل الصفحة. بعد ذلك أضعف إلى أعلى السُلّم لأقرأ الصفحة الأخرى بالأسلوب نفسه، ثم أقلب للورقة. ركت أفعل ذلك بيديّ اليمين بسهولة لأن للورقة الواحدة كنت سمكة وجامدة مثل لوحة الإعلانات عندنا. وفي أكثر المحلات لم يكن طول الورقة الواحدة يزيد على ثمانية عشر أو عشرين قدماً.

استلهم في الكتابة واضح وقوي ونجلي، لكنه ليس متقناً أو مزخرفاً. فهم لا يتجنبون شيئاً بقدر ما يتجنبون الإكثار من التكرار غير الضرورية وسوء التعبيرات. وقد قرأت كثيراً من كتبهم، وعلى الأخص كتب التاريخ والأخلاق، ومن بين الكتب في الأخلاق اسمعتُ كثيراً برسالة قديمة صغيرة الحجم كانت دائماً موضوعة في غرفة نوم حُلُم دال كُليش وكانت تخص مريبتها؛ تلك السيدة العجوز النوقرة التي كانت تكتب بالأخلاق وتظفر. كان ذلك الكتاب يعالج موضوع ضعف الجنس البشري ولا يحظى بتقدير إلا لدى النساء والعامّة. على أية حال، دفعني الفصول إلى التعرف على ما يقوله مؤلف من تلك البلاد عن موضوع كهذا. وقد ذكر هذا الكتاب كل الميوسوجات العديدة التي يعانها فلاسفة الأخلاق الأوروبيون، وبين مدى صغر الإنسان بفطرته، ومدى حقارته وعجزه. فهو عاجز عن حياة نفسه من فتنة لأجواء والأسواء؛ ومن ضرورة الحيونات المبرجشة. كذلك فإن بعض المخاوف تنشأ على الإنسان في الغزو، وأخرى في السرعة، وثالثة في البصر وحسن التدبير، ورابعة في القدرة على العز والمثيرة. وأضاف هذا الكاتب أن العبيعة قد انحدرت نحو الأسوأ في عصر الانحطاط هذه من عُمر العالم، وأنها الآن لا تُجيب إلا مواليدها قصي السوء بالتفاس إلى من كانت تتجه في العصور القديمة. وقال إنه من الغفول أن يعتقد أن جنس البشر كان في الأصل أكبر حجماً، لا بل كان هناك عمالقة في العصور السالفة كما يؤكد التاريخ وتؤكد المعينات المتأخرة، وكما تؤكد العظام والجحجهم الضخمة التي يُعثر عليها أثناء الحفر في أجرام معددة من المملكة، والتي تفوق بكثير حجم الإنسان العادي الضئيل في أيامنا. وهو يجادل بأن قوانين الطبيعة ذاتها تنهي بشكل مضمّن أن تكون في البداية قد حُبِقَتْ بجميع أكبر وأقوى حيث

لا تعرض للهلاك من كل حدث بسيط ناله كسقوط قنبلة أو تجزء من منزل، أو حجر نرمة يد صبي، أو لغرق في جدول ماء صغير. وهذا الأسلوب في المناقشة توصل المؤلف إلى عدم من التطبيقات الأخلاقية المعينة في نصريف شؤون الحياة ولكن لا حاجة لتكرارها هنا. ومن ناحيتي لم يسعني إلا أن أتعجب من سعة انتشار آثي لإعطاء محاضرات في الأخلاق أو لئلا ينضين والتبرم لنجوم عن تنفذنا للطبيعة. واعتقد أنه لدى البحث التدقيق يمكن إثبات أن هذه الانتقادات نطبعة هي صنادنا كما هي عندهم غير قائمة على أسس صحيحة.

أما نسبة الخيولهم العسكرية، فهم يتبعون أن جيش المثل يتكون من مائة وسنة ومبشرين أنه من المشاة واثنين وثلاثين ألف من الفرسان. هذا إذا صح أن نعلق كلمة جيش على الناس من الجوفين<sup>١</sup> في المدن العسيرة، والفلاحين في الأرياف. بقوله هم رجال من النبلاء والسادة، يكون جميعاً للخدمة العسكرية دون رواتب أو مكافآت. والحقيقة أن تدريبهم كاف وانظماهم جيد جداً. لكني لا أجد هذا أمراً عجيلاً، إذ كيف لا يكونون منضين، ولتزمير بالنظام حين يكون كل فلاح تحت إمرة مالك أرضه، وكل ابن مدينة تحت إمرة أوجهاء ولؤوليين في مدينته، الذين هم اختيارهم، كما يحدث في مدينة البندقية، بل اقتراع السري<sup>٢</sup>.

وكثيراً ما رأيت غرس الوطني (البليشيا) بأعاصمه لوز برون جروث يضطفون نشتريب في حقن ضيق بالقرب من غديفة، تباع مسحة عشرين ميلاً مرصاً. وكان عددهم لا يربو على خمسة وعشرين ألفاً من المشاة وستة آلاف من الفرسان. ولكن يستحل علي أن أحصي عددهم سبب اتساع الأرض التي كانوا يقعون عليها. وارتفاع القاموس تحتها جواده قد يبلغ سوي نسمين قدمًا. وقد رأيت فرسان فرقة الحباله يتلون سيوفهم فور صدور الأمر بأشت وتوجون بها في الهواء ويحجز الخيال عن وصف شيء بهذه الصورة المفاجئة لتذهلة. لقد بدا الأمر وكأن عشرة آلاف قلمية يركي تحت في وقت واحد في كل أرجاء السماء.

ودعني الفضول يسؤال عن سبب تكرر هذا الملك بالجيش، وسبب تعليم الشعب كيفية الانحراط في النظام العسكري، ومما يه الحياة العسكرية. في حين أنه لا يمكن لشعب آخر أن يصل إلى بلادهم. ولكن سرعان ما عرفت الأسباب عن طريق الأحاديث وعن عريق قراءة توارثهم. ذلك أنه خلال عصور صيدة كانوا يعاون من التعلل ذاتي التي يعان منها الجنس البشري كله، ألا وهي نزوع للبلاء إلى الاستيلاء على السلطة، وإقامة إلى الفوز بالحياة، والمثل إلى الامداد بالسلطة المطلقة. ومع أن قوانين تلك البلاد هذاب تلك النزعات وتوفق بينها بشكل يسعياً لجميع، إلا أن الأملرف الثلاثة أحيان تحرق عند القوانين وتحتوزها مما أدى أكثر من مرة إلى نشوب حروب أهلية، كانت لأخير من عند أنيئت في عهد حد التلك الخالي بالتوصل إلى اتفاق يرضى عنه الجميع، ومنه الحوس الوطني الذي ظل، بموقعة الجسيم، يقوم واجباته في حزم منذ ذلك الحين.

## الفصل الثامن

الثالث والمائة بقومان مرحلة نحو الحدود المؤلف يذهب برغبتهم وصف مفصل لطريقة معانوته البلاد وعودته إلى أجاترا.

كان لنيّ دائي إحصاء قوي أي لا بد أن استعيد حربي يوقاً ما. لكن كان يستحيل أن اتبنا بالوسيلة التي شرح لي ذلك، وأن أرسم لذلك حطة فيها نذر ضئيل من الأمن بالنجاح فقد كنت السببة التي وصلت فيها، وأن سبعة في تاريخهم زعمت في مرض البصر من ذلك الساحر. ركن لك قد أصغر أو مر مشددة أنه إذا ظهرت سبعة أخرى في أي وقت، فلا بد من تجربتها إلى الشاطئ، وحضار كل من فيها من بحارة وركاب في عربة معلقة إلى العاصمة لوزبول تجرود فقد كان عاقداً العزم على أن يحصى في عسرة من حسي وحجمي: لعلّ العجب منها ذرية مثلي. واعتقد أنني أفضل أن أكون على أن أركب عدلاً مشاكهاً، وأخلف ذرية من صليي توضع في الأفضاض كطير الكاري المذمومة، وروء. بمرور الوقت تباع في أنحاء المملكة لأبناء النطقة الراقية كمخلوقات غريبة نافرة. صحيح أنهم كانوا يعاملوني معطف كبير، وأني كنت ذا حظوة عند ملك ومكة عظيمين، وكنت مصور سرور لكل من في القصر، ولكن ذلك كله كان مبنياً على أسس متينة لا يليق بكرامة البشر. لم أستطع قد أن أنسى أهلي وأبنائي الذين خلفتهم ودائي. وكنت أريد أن أكون بين قوم أستطيع أن ألتفت معهم بندي، وأن ألتقي في الشوارع وأخفون دون خوف من أن ألتحق تحت لأقدامهم كما ألتحق الضفادع أو لجراء الصغيرة. لكن خلاصتي جاء أسرع مما توقعت، وبطريقة ليست متوقعة. وسأروي بكم قصة ذلك بعداً مره.

كان قد مضى على وجودي في هذه البلاد عامان. وبحرك بداية السنة الثالثة ذهبت أنا وجليه دالّ شنيش في معية الملك والمملكة في رحلة إلى الساحل الجنوبي من المملكة. كنتُ عمولاً كعلاقة في عيني السفيرة التي كانت، كما وصفتها من قبل، كحجيرة مناسبة جداً، غرضها ثمة عشر عاماً. وكنت قد أتمرتُ شئت أرحمة بحدن حرورية في لزوايا الأربع المستف. لأستلقي عليه وألتفت بذلك تأثر اهزات عليّ حين يعمني حاتم أمامه على ظهر جواده، كما كنت أطلب أحياناً. كذلك كنت قد أتمرتُ المنجار أن يجعل في صف كحجيرة متحة مربعة الشكل، طول ضلعها قدم واحد حيث لا

تكون هذه الفتحة فوق منتصف الأرجوحة. وكانت هذه الفتحة تسمح للهواء بالدخول أثناء نومي حين يكون الجو حاراً. وكنت أغلق هذه الفتحة حين أتدبر بلوح خشبي ينسحب إلى الخلف وإلى الأمام في أحلود في خشب المنخفض.

وحيث وصلنا إلى نهاية رحلتنا، أدركتُ أن نقضي بضعة أيام في قصر له بالقرب من فلان فلاسبك، وهي مدينة على بعد ثمانية عشر ميلاً أنجليزياً عن شاطئ البحر. كانت جُلُمتُ دأن تلبثُ متعة جداً، وكنتُ مصداً برشيع طفيف، أما الفتحة المسكونة، فقد بلغ به انصر حدّاً جعلها تدرم غرفتها. وتنبهتُ لرؤية المحيط الذي لا بد أن يكون لكاد الوحيد لجاني إن كُنيتُ في السجاف، وزعمتُ أن مرضي أقوى مما كان بالفعل، ورجوتُ أن يؤذَن لي باستئصال هواء البحر النقي برفقة غلام كنتُ أعزّه كثيراً وكان أحياناً يُعْهَد به إليه. وإن كُنسي قط استلج أو عدم انزها الذي أهدته جُلُمتُ دأن تلبثُ قبل أن نوفي، ولا أُمَرها استدعة للعلام بأن محرص من ويرعدي، ولا بكادها أكر دمرعها الغيرة التي دفعت ذلك، وكُنْتُ مابله اندرها بما كان سيحدث. وخرج بي الغلام وأن يحمل في عني، وسار في مسافة نصف ساعة عن القصر باتجاه انصخور على الشاطئ، أمرته أن يتركني على الأرض، ورفعتُ زجاج أحادي الطرف، ورجتُ انطلع إلى البحر بنظرات الشوق الخيرة<sup>(١٧)</sup>. وشعرتُ أني أشتُ على مايرام، وأحيرتُ الغلام أني أُرغب في عتوة قصيرة في الأرجوحة لعل ذلك ينفعني. ثم دخلتُ الأرجوحة، وأحسنتُ الغلام بإفاعة بسع عني البرد. وبعد وقت قصير غطوتُ، وكل ما استطيع أن أخته هو أنه ربما كنتُ نائلاً، على العنق أني في مأمن من الخطر فذهب يبحث عن بعض التعديلات بين انصخور. وقد رأيتُه من قبل من نافذتي ينظر حواله ويلتقط بهمة أو التفتي من الشقوق. أذا كان الأمر، فقد وجدتُ نفسي أسيط فجاه عن شدة عتوة نمتحفة المشبة في أعلى انصندوق لتسهيل تحلي. وشعرتُ بالصدوق يرفع إلى علو شديد في الجو، ثم يكمل إلى تمام بسرعة هائلة. الحركة الأولى كانت قوية وكانت توقعني من أرجوحتي ولكن الحركة كانت بعد ذلك سهلة هريجة وناديتُ مستجداً عدة مرات وأهل صوتي، لكن دون جدوى. ونصرتُ بأعده نوافذتي فلم أزل شرباً سوى الغيوم والسما. وسعتُ فوق رأسي مباشرة صرناً شبيهاً بخفق الأجنحة، ثم بدأتُ أدرك الحالة المحزنة التي كنتُ فيها، وهي أن نمرًا كان يحمن حلقة انصندوق في مفارده<sup>(١٨)</sup> بقصد، أن يثبت بالصدوق على صخرة كما يفعل بالسحفا البحرية<sup>(١٩)</sup> المحبة بهتقن، وحيث يتحطم الصدوق يلتقط جسدي ولتهمه. ذلك أن ذلك هو الظاهر الخارج، وقوة حاسة السمع لديه، يسمك أنه أن يكشف عريته من مسافة بعيدة. رغم كون الفريسة محمية في غيا أحسن من عجاني الذي يتكون من نوحات حشوية سُمكها بومنان.

بعد فترة وجيزة لاحظتُ أن الصوت وُخِفَ، الأجنحة بزادت سرعة كبيرة، وكانت عليتي تتأرجح للأعلى والأسفل وكأنها لوحة إعلان في يوم عاصف. وسمعتُ عدة ضربات وخبطات، كما

فنبئت، موجهة إلى النسر (فقد كنت منككاً أن الذي يعمل حلقة صندوقي في منقاره لا بد أن يكون نسر) ثم فجأة شعرت بنفسي أعوى عذوياً لمدة تزيد على الدقيقة، ولكن بسرعة هائلة كذبت معها أفقد القدرة على التنفس. وانتهى سقوطي بصوت طرطوط طليعة يذت بأشدة لأذني أعى من صوت شلالات ثياغزاً بعد ذلك كنت في ظلام دامس مدة دقيقة أخرى، ثم بدأت عيني توضع شيئاً شيئاً كنت أرى نوراً من الجزء العلوي في الوافد. وأدركت حينئذ أنني قد سقطت في البحر<sup>(١)</sup>. كنت عبي، بسبب ثقل جسمي، وتقر الأشياء أحيي بها، وثقل الصفائح الحديدية العريضة المثبتة في الزبداء لأرج في أعلاها وأسفلها بقصد زيادة متانتها وقاسمتها: قد طفئت على الماء الذي يمر خلفه أقدامها وظل الجاني طافها. اعتصمت حيداً، ولا زلت أعتقد، أن النسر الذي طار يملتي كان يطارد نسران أو ثلاثة اخرين، فاضطر إلى إيقاظي لكي يداغم عرقه ضد النسر الأخرى التي كانت تطمع أن تشارك في الفريسة. وكانت صفائح الحديد المثبتة في أسفل العبء (وكانت أقوى الصفائح) قد حافظت على توازنها الماء، سقوطها، ونحتها من التحطم لدى رطامها بسطح الماء. كانت مفصل العلوية متداخلة جيداً في بعضها، كما كان الباب عبر مغلق برزأت بل كان يفتح رفقاً وتلفاً كزجاج النافذة، ولهذا كانت العلوية متناسكة ومحمكة التركيب، بحيث لم يتسرب إلى داخلها سوى القليل من الماء. وتولت من الأروحية بصعوبة كبيرة عند أن قمت أولاً بسحب خشية النجاة في السقوط، التي فكرتها من قبل، والتي كان الغرض منها إدخال الهواء. ونزلاً تلك لفحة لكنت قد اختلقت.

ثم شئت حيداً أو كنت مع عزيزي جلم دال كليلش التي تصلني عنها حتى الآن ساعة واحدة. ربما كنتي أن أفوت بهذو، يعني أنك في وسط عني، لم أستطيع إلا أن أولي لمريض استبكت، وأتلم للحزن الذي سلبني سبب هذو، وبسبب غضب الملكة عليها وخراب مستقبلها. وربما لم يواجه الكثيرون من الرجال. أكثر مما واجهته من صعوبات وشائت في هذه الحنة، حين كنت أتوق في كل لحظة أن يتحطم صندوقي ويتحول إلى شظايا، أو على الأقل أن يتقلب بفعل هبة ربيع عاصفة أو موجة صاعدة. وأو حين شرح في لوح واحد من ألواح الزجاج لمبب في ذلك، هلاكاً سريعاً. ولم يعمد انشباك من الانكسار سوى أسلاك لشئت القوة المثبتة حولها لحمايتها من الحوادث أثناء السبر. ورايت الماء يتزلزل داخل من حدة شقوق، لكن الماء لم يتسرب لم يكن كثيراً. وقد حاربت أن أمد تلك الشقوق مقدار ما أستطيع. ولم أستطيع أن أرفع سقف عني، ولا ألقئت ذلك وجئت على أعين العذبة، وهذا قد أحمي نفسي من لبقاء حبي جدرانها، ولكنني جيس في بطن سيفة ولو نجوت من هذه المخاطر لمدة يوم أو اثنين فماذا كنت أوقع غير الموت المتعير بزدا وحوفاً وقد بقيت في ظل هذه الظروف المنيعة أربع ساعات: أتوقع: لا بل أنني أن تكون كل لحظة مني لأخيرة.

سبق أن أخبرت القارئ أنه كان مثيراً في الجانب الخلفي من النوافذ من صدوري، ورؤيتك قريباً، يدخل فيها الخدم الذي كان يعملني على طهر جوار، حرافاً جذياً، ثم يربطه حول وسطه. وقد سمعت وأنا في هذه الحالة التباساً، أو تحيل لي أنني سمعت، صوتاً قصيوت الاحتكاك في الجانب المثبتة فيه، ورؤيتك. وبعد وقت قصير سادت انصوت أن الصوت يثقب أو يجز في البحر، لأنني شعرت من حين لأخر بحركة شديدة، مما جعل الأمواج ترتفع حتى أهل النوافذ، فخرتني في ما يشبه الغلام. وهذا منحني بخصيص أمن في النتيجة، مع أنني لم أكن أستطيع أن أنصت كيفية تحقيق ذلك. رجاءت منك واحد من الكرسيين المثبتين في أرضية لعلي، لم أستطعت بشقة أن أثبتة مرة ثانية تحت الفتحة التي في السقف. والتي كنت قد أزعجت خطاه من قبل. ثم تسفت هذا الكرسي وقزنت فمي من تلك الفتحة بفرد ما أستطيع، ورحت أصرخ طالباً الشدة بصوت عالٍ وبكسر اللغات التي أعرفها. ثم ربطت مندي حصاً كنت متفاد على حبلها، ونخرجت، المصاحني بوزن قوي الفتحة، ونوحت بها في الهواء عدة مرات، بحيث لو كان بالقرب مني غارب أو معية، لقد يترد البحارة أن أحد التعاء من بني الشر محبوس في تلك الفتحة.

ولم أجد نتيجة لكن ما فعلت. لكي أدركت بوصوح أن سلفي شطت. وبعد، مائة أو أكثر، حسنت أن الجانب الخلفي من النوافذ وثبتة عليه رؤيتك، قد رتعم شيء صلب، وغشيت أن يكون ذلك صخرة. ووجدتني أفرز أفرزاً لشف من أي وقت. وسمعت بوصوح صوتاً فوق عطاء أعليه بشبه صوت خنجر، فما سمعت صوت احتكاكه وهو يمر داخل الخلفه ثم وجدت نفسي أرفع الشدريج إلى ما لا يخل عن ثلاثة أقدام. وبعد ذلك دفعت مصدي ومنذيل خارج الفتحة، ورحت أصرخ طالباً النتيجة حتى ينج صوتي. وسمعت كزاً على صراخي، صيحة عظيمة تكفرت ثلاث مرات. جعلتني أكاد أضرب موحاً وسرور لا يمكن أن نصورهما إلا من شعر بشبه. وسمعت الآن حط أقدام فوق رأسي، ومناداة شخص بصوت عالٍ من خلال النعنه وباللغة الانجليزية. إن كان أحد موجوداً تحتنا في المصندوق فليتكلم، وأجبت أنني إنجليزي جنة سره، حط إلى أكثر مصية عرفها أي مخلوق. وتوسلت، بقدر ما تمكنت من توسل مؤثر، أن يخلصوني من الزنابة التي كنت فيها. وأجابني صاحب المصوت أنني في أمان، وأن صدوقي مرسوط سفتهم، وأن النجار سيأتي على الفور ويشر في العطاء فتحة تخفي لإخراجي. وأجبت أن ذلك ليس ضرورياً، وسنغرق وفقاً كبيراً، وأن كل ما عندهم أن يهملوه هو أن يصنع واحد من البحارة أصبعه في الخلفه ويخرج المصندوق من البحر ويضعه في السفينة، ثم يأخذني إلى كايبة الغصن. وحبر سمعوني أنكلم بهذا الشكل غير المنقول فز بعضهم أنني مجنون، وضحك الآخرون. وفي الحقيقة لم يخطر على بدي لظ أي لأن بين أناس من حشبي وقوي. وجاء النجار وبشر في بضع دقائق ثلثة مربعة، حول فسلها أربعة أقدام، ثم أنزل سكتاً صمراً صعدت عليه. ومن هناك تحركت إلى السفينة وأنا في إعياء شديد.

وذهبت البحارة حاملة أسلحتهن وسانوني ألف سؤال ثم اشعر برغبة في الإجابة عليها. فقد كنت مدعياً بالقدرة نفسه لدى رؤية هذا العبد الكبير من الأنوم. هكذا فلتتهم بعد أن كانت عيني قد تعودت منذ فترة صولة على رؤية تلك الأشياء الغامضة الحجم التي خلقتها وراثي. لكن القبطان السيد توماس ويلكوكس: وهو إنسان غريب وعظيم من شروينشاير، لاحظ أنني أكاد أغمي عليّ، فأخذني إلى كاييتيه، وسقني شرباً منعشاً وبهدوءاً، وجعلني أنام على سريرته ونصحتني بأخذ قسط من الراحة، ولكنني بحاجة شديدة لها. وقبل أن أعرف أفهمته أن قدي في صندوقي بعض الأثاث الثمين الذي لا يجوز أن يفيع، من ذلك أروحية قوية وفراش سفر أنيق، وكريمان وطاولة ودولاب، وأن خبج جوارب حجرية مغطاة، وبلاسرى منجشة باحمر ولقطن، وأنه لو أمر واحد من بحارته بإحضار حجرتي إلى كاييتيه فساندتها أمامه وأريه أغراضه. وحين سمعتي أنهم بهذه السخافات تأكد القبطان أنني أهذي لكنه، لكي يهذلي كي أنزل، رعد أن يأمر دفن ما ظلمته. ولدى خروجه إلى سطح السفينة أنزل بعض رجائه إلى داخل صندوقي، حيث أخرجوا (كما وجدت فيما بعد) من أغراضه، ونوعوا التجديد، أما الكرمان والذوالات والسرير التي كانت مثبتة في أرضه الصندوق، فقد أثقلتها جهل البحارة الذين نزعوها من مكانها بقوة، ثم فكروا بعض الألواح الخشبية لاستعمال السفينة. وعندما أحلوا كل ما رغبوا فيه، تركوا هيكل الصندوق يسقط في البحر، وسب الشقوق والمزوق التي أصابت قعره وجوانبه فقد غاص سكتة وغرق. وقد سرني أنني لم أشاهد ما حدثتوه فيه من عبث وتخريب، لأنني واثق أن ذلك كان سيحدثني كثيراً، لأنه سيذكرني بأحداث سابقة أفضل أن أنساها.

ومث بضع ساعات كانت ترعجني خلفها أحلام بلكال الذي تركته والاحتمار التي نجوت منها. على كل حال، عندما استيقظت وجدت أنني قد تحسست كثيراً. كنت السابعة الآن حوالي الساعة مساءً، وأمر القبطان على الفور بإحضار طاهم العشاء، فلما منه أنني قد جُعت طويلاً. وراح يؤنسني بلعاف عظيم، ولاحظ أنني لم أتحذّر أبدًا مذهباً ولم أتحذّر بكلام غير معقول. وعندما أصبحنا وجدت طلب مني أن أفضّل عليه ما حدث لي في رحلتي، وأردت أن أوضح له ظروف وجودي هائلاً في البحر في ذلك الصندوق الخشبي الضيق. وقال إنه في حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً، بينما كان ينفحص الأنف منظاره، شاهد الصندوق من بعيد، وحده مرتكباً، فقرر الوصول إليه. لأن ذلك لم يبعده عن طريقه المرسوم، ولأنه كان يأمل أن يشتري منه بعض البسكويت، لأن البسكويت في سفينة كان قد بدأ يقل عن المطلوب. لكنه لدى الاقتراب من الصندوق، واكتشاف خطأ فطن، أرسل ناره الصرير ليكشف ماهية الصندوق، فعد إليه رجاله مذعورين، واقسموا أنهم قد رأوا شيئاً غامضاً، نصحك من مخلف اقراض رجاء نفسه في القارب بعد أن أمر رجاله أن يحضروا معهم سيلاً منياً. ولما كان انطس هدوءاً، فقد دار بغايته حول الصندوق عدة مرات، ولاحظ ما فيه من فوائد وما حول



النفاد من شريك من الأسلاك لحياتها. ثم اكتشف اترزوين المثبتين في أحد الجوانب الذي كان يتألف كله من كواح خشبية، وليس فيه ما يسمح بحور الثور. ثم أمر رجاله بالانزلاب بالقلوب من ذلك الجانب، ويربط حبلًا بإحدى اترزوين، وأمر رجاله أن يقطروا المصندوق (كبا أسياء) نحو السفينة. وحين وصلوا السفينة أعطى أمرًا بربط حبلين آخر بالخيلفة الخبية في عطاء المصندوق، ثم برّقع المصندوق بواسطة بكرت، فلم يستطع البحارة رفعه أكثر من قدمين أو ثلاثة أقدام. وقال إنهم رأوا عصا، وعندئذ يجرّبان من الفتحة الضيقة، فاستنجوا أن إنسانًا يثبث محوس في ذلك الجحر. وسأله إن كان هو أو البحارة قد رأوا غيرًا ضخمًا في البحر حينما اكتشفني أول الأمر، فأجاب أنه ناقش هذا الموضوع مع البحارة ثمانية أيام، وإن أسدعهم قال، إنه كان قد لاحظ ثلاثة نسور طائرة باتجاه الشمال، لكنه لم يذكر شيئًا عن كونها أكثر من الحجم المألوف. وأظن أنه يمكن تعليل هذا بشكوك المشاهير أثناء طيرانهم. ولم يفض القبطان إلى سبب مؤالي هذا. ثم سألت القبطان كم يعتقد أنها بعيدون عن البر، فأجاب أنه حينئذ لأحسن تقدير توجهاتنا، فزنا تبعًا عن البر مائة فرسخ على الأقل. وأحدثت أنه لا بد قد أخطأ بتقدير انصبغ، لأنني قبل أن أسقط في البحر لم أكن قد قضيت أكثر من ساعتين بعد مغادرة البلاد التي جئت منها. وعند ذلك بدأ مرة ثانية بعن أن عقلي مشوش وتلج إلى ذلك، وصحني أن أذهب لنوم في كاتبة كان قد أعدها. وطئته أنه قد استرحى ثمًا مؤالستة ورفقتة، وإد عقلي وتفكيري على أحسن ما كانا عليه في حياتي. وحينئذ أصبح جافًا، وطلب أن سألني بكر حرجة إن كان تفكيري مضطربًا بسبب جريمة ارتكبتها، وصافيتي عليها أمير أو حاكم ما يوضعي في ذلك المصندوق وتعريضه للهلكة، ذلك أن عنة المحرمين في بلاد أخرى يؤمّنون في البحر في أوعية يتسرب إليها الماء ودون مؤونة. وقال، مع أنه يؤمّن جفا أن يكون من أنقذه وأدخله سفينة رجلًا شربًا، إلا أنه يتعهد بشره أن يترسي سألًا إلى البحر في أول ميناء تصل إليه. وأصاب أن شكوكه قد زادت كثيرًا بسبب بعض الأقوال الخفيفة التي قلتها للبحارة في أول الأمر، ثم به حد ذلك، بخصوص حربي أو صندوقي، وبسبب نظراتي وسنوكي الخرس أثناء تناول المشاء.

ورجوت أن يتكرم علي بالصبر حتى يسمع إلى قصتي التي رويتها به بتفاصيلها منذ أن غادرت (تعلنا) آخر مرة حتى اللحظة التي عثر علي فيها. وبما أن حقيقة ظروف نفسها وتلق طريقتها إلى العقول المفكرة، فإن هذا السيد الطبيب المحترم الذي يسمع بغيره من العلم والتفكير من المشاء، أفتح عن القدر بصدي وصحة كلامي. ولكن لكي أصاعف تأكيد صحة ما قلته، رجوت أن يأمر بإحضار خزانتي التي كنت أحفظ بمفتاحها في جيب (وكان قد سبق أن أخبرني كيف أفرق البعارة منها وقتي). وفتحت الخزانة في حضوره وأربته بمحموعتي المصغرة من الأشياء الطائرة التي حصلت عليها في البلاد التي نعدت منها بهذه الصورة الغريبة. كان من بينها لحظ أندي صفت من شعرت

لحية الملك، ومشط آخر من الشعر بنفسها، وتكناها من حبة في قلامة من ظفر إبهام الملكة، فأصبحت العلامة فيه هي ظهر المشط. وكان في المجموعة عدد من الإبر والدبابيس مزيج أضواها بين قديم ونصف يردة، وأربع ريدات للدبابير تشبه أسنمة لصغيرة عند التجريين، وبعض الشرات التي سقطت من شعر الملكة أثناء التسلط، وخاتم دميًا كانت الملكة قد أخذته في ذات يوم بطريقة لطيفة جدًا - إذ ختمته من بطنها وزمته فوق راسي كالطوق. وقد رجوت لفيطان أن يتكرم بقبول هذا الخاتم مقابل مكارمه وأفضاله: فرفض قبوله رفضًا مطلقًا. وأزبته مسامًا فدم كنت قد قطعته يدي من إصبع القدم الكبير لأحدى وصفات الشرف، وكان حجم فتاحة من تفاح كشت وأصبح صلبًا قاسيًا، بحيث أنني كُعدت إلى إنجلترا، خوفه حتى صار خدًا وخضبه بالفضة. وأخبرًا طلبت منه أن يتأني ابتعال الذي كان علي حذاءك، والمصنوع من جلد قار.

ولم ألتج في جعله يعمل شيئًا مني سوى سن أحد أقدام، فقد لاحظت أنه يتعامل بفضول كبير ووجدت أنه قد أعجب به. وقد أخذته مني وهو يلعب بالجزير من التلكر الذي لا يستغفه هذا الشيء، لأنه كان هذا السر قد خبئه الخطأ جراح أسنم تنصب المنهارة، من واحد من حدم جلم وال كلبتس كان يعاني من وجع الأسنان، ولكن أسن كان سليمًا كأي سن آخر في رأسه. وقد أمرت بتنظيف هذا السن لم احتفظت به في خزانتي. كان طوله قدمًا واحدًا وقطره أربع بوصات.

وقد ذهبي لفيطان كل الرضا عن هذه القصة لعادية التي رويته، وقال إنه يأمل حين يعود إلى إنجلترا أن تفضل على الدنيا بكتبتها على الورق ونشرها على أنال. وكان جوي أنني أعتمد أنه قد أصبح لدينا دفتر من كتب الرحلات، وأنه لا شيء، يحظى هذه الأيام بقبول القراء، إذ لم يكن عربيًا وخردًا، وإنما فطن أن مؤلفي هذه الكتب الرائجة لا يهتمون بالصدق والخليفة بقدر ما يهتمون بمصداقهم وشهريتهم الخاصة أو بتسليم قُرُء خفلة، وأن قصتي لا تحوي سوى أحداث عادية، وتخلو من تلك الأوصاف المذهلة عن نباتات وأشجار وطيور وحيوانات أخرى غريبة أو عن عادات وعبادات ونظية لشعوب هجيّة - وهي أوصاف يُكبرُ منها معظم الكُتّاب - على أية حال، شكرته عن حسن ظنه، ووعدت أن أفكر في الأمر.

وقد أنه يعجب عجبًا كبيرًا من شيء واحد، وهو أن يسمعي التكم بصوت عال جدًا، وسأل إذ كان منك وملكة تلك البلاد لتقولي السمع، فأخبرته أن هذا الصوت العالي هو ما تودله منذ أكثر من سنين، وأني أصعب مثل عجب من صوته هو وأصوات رجاله، إذ يجلي في أنهم همون هم فقط. ومع ذلك فإني أسمعهم بوضوح. لكنني حين كنت أتكلم في تلك البلاد، كنت كرحل في الشارع يتألف آخر يهمل عليه من قمة برج كيسة. إلا إذا كنت جالسًا فوق طوبة أو عمودًا في يد شخص. ونجبرته أخيرًا لاحظت شيء آخر أيضًا، أنني حين دخلت مغيبه لأول مرة وكان جميع

البجاية واقفين حولي، تحيل في أديم أصغر وأحضر مخلوقات شاهدتها في حياتي. وإحقيقة، أنني حين كنت في بلاد ذلك الأمير، لم أكن طيني أن أنظر في أثره بما أن تعودت عيشي على رؤية أشياء ضخمة جداً، لأن المقارنة كانت تعطيني فكرة صغيرة عن ذاتي. وقال القبطان إننا بني كنا ننزل العشاء لاحظ أي أنظر إلى كل شيء سوع من اللبشة والاسعرب، ولم يستطع أن يجد لذلك تفسيراً سوى اعتباره نتيجة لتشيء من اضطراب الفكر وتشوش الدهن. وأجبت أنه كان على صواب. فقد كنت عاجزاً عن منع نفسي من الاستغراب حين رأيت ألباق الطعام عمده بحجم قطعة نقدية فضية صغيرة. وأن تمكيد الخنزير لا تكفي لقمة واحدة، وأن قذخ الشرب أصغر من قشرة اللوز، وهذا الأسلوب تابع وصفا ما تبقي من ثناء وموجبات مزنة ومؤذية. ومع أن الملكة كنت قد أمرت بصناعة كل الأغراض التي نلزمي بحجم صغير حين كنت في خدمتها، إلا أن أفكارني كانت منعودة على ما أراه حول أيها ذهب، وكنته الخالي تذكر حجمي الصغير كي يتحاشى الإنسان تذكر عيونه. وقد قابل القبطان معاباتي هذه باستحسن، وأجاب عارحاً مثل الانحدري القديم قائلاً إنه خطر عيشي أكبر من معدتي، فهو لم يلاحظ أن شهني للأكل كانت ممنوعة، مع أنني لم أكن طينة النهار واستمر في مراحمه قائلاً إنه كان مستعداً يدفع مائة بونصة مقابل أن يرى حجرتي وهي معلقة في سقار النسر. وبعد ذلك وهي عوي من ذلك العدو الشاهق في البحر، لأنه من المؤكد أن هذه مشاهد مدهشة جداً، وإنها تستحق أن توصف للأحيد القادمة وتُقل إلى عصور المستقبل ومن الواضح أنها تشبه قصة سفوط فيثون<sup>(١٧)</sup> ولهذا لم يستطع إلا أن يفارق قصة سفوطي بها. تكفي لم تعجبي هذه الفكرة.

بعد أن مر بمدينة نوتكين<sup>(١٨)</sup> كان القبطان في طريق العودة إلى إنجلترا، مدفوعاً بريح شرقية شامية إلى خط العرض ٤٤ وخط الطول ١٤٣، ولكننا دابكنا زلجاً بحرية بعد يومين من وصولي إلى السفينة، فاستمرنا جواً لفترة طويلة. وبعد أن مرونا بسواحل نيوهولاند (هولندا الجديدة) سرنا باتجاه الغرب والغرب الجنوبي، ثم باتجاه الجنوب والجنوب الغربي حتى تجاوزنا رأس الرحلة انصباح. وكانت رحلتنا موفقة، لكنني لم أظف حل الغازي بدصينها. كان القبطان قد ألغى مرساته في مياه أو اثنين، وأرسل القارب العلوي للفرد بالزور والماء، تكفي في أعواد السفينة قد إلى أن وصلنا إلى ميناء داوونز في الثالث من يوليو عام ١٧١٦، بعد نجدي من بلاد العبالفة حوالي تسعة أشهر. عرضت على القبطان أن أغير أعصبي عنه، كرهية حتى أدفع له اجرة خنل في سفينة، لكنه أصر أن لا يأخذ مني أية اجرة على الإطلاق. ودفع كل منا الأجر بحرارة وتركته بعد أن جمعناه نجد زيارتي في بيتي في ريدريف، ثم استأجرت حصاناً ونيلاً مقابل خمسة شبات اقترضتها من القبطان.

وبينا كنت في الطريق، ولاحظت صغر حجم البيوت والأشجار والماشية والناس، بدأت أنفخ نفسي في تيليوت، وخفت أن أدرس على كل مسافر أقابله، وكثيراً ما صرخت عليهم طالباً منهم أن

يُفْتَرِ لِعَرِيقٍ لِي، وَكَأَنِّ مِنْ امْتَحَلٍ أَنْ أَصَابَ بِهَرَبَةٍ أَوْ لَتَيْنِ عَلَى رَأْسِي ثِقَاءً وَقَاسِي.

وَحِينَ وَصَلْتُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي اضْطُرْتُ أَنْ أَتَاهُ عَنْهُ، وَفَتَحَ مُعَدُّ الْخِدْمِ لِيَسْ، انْتَحَيْتُ لَكِي، اسْتَطَعْتُ الدَّخُولَ (مِثْلَ الْإِزْزَةِ حِينَ تَدْخُلُ مِنْ تَحْتِ بَوَّابَةٍ) فَكَلَّمَنِي أَنَّ رَأْسِي مِصْطَدِمٌ بِمِغْفِ الثَّابِ. وَحَدَّثَ زَوْجَتِي تَرْكُصَ نَكِي تَحْتَضِنِي وَيُقَبِّلِي، فَانْحَيْتُ عَنْ حُرْنِ رُكْبَتِهَا فَكَلَّمَنِي أَنَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ الْوُجُودَ إِذْ فَمِي. وَرَكَبْتُ ابْنَتِي مُعَامِي نَكِي أَبْرَكَهَا، فَلَمْ اسْتَطِعْ أَنْ أَرَاهَا حَتَّى نَهَضْتُ؛ ذَلِكَ أَنِّي نَعُوذُ لَعَنَةِ طَلِيَّةٍ كُنْ أَقْبَدَ رَأْسِي رَعِيَابِي شَخْصَةً؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَصْدَقْ مُكْثَرٌ مِنْ سَنِينَ قَدَمًا. وَحِينَ نَهَضْتُ ابْنَتِي، حَانَوْتُ أَنْ أَهْلَهَا بِدَ وَاحِدَةٍ مِنْ مِصْطَهَا. وَنَظَرْتُ إِلَى الْخِدْمِ وَالْصَدِيقِ كَأَنَّهُمَا فِي الْإِثْرِ مِنْ عَلَيَّ، وَقَالَتِهَا أَعْرَافُ وَأَنْ عَمَلَتِي، وَقُلْتُ لَزَوْجَتِي إِنَّهَا كَانَتْ تُفْتَرُ تَغْيِيرًا شَدِيدًا حَتَّى جُوعَتْ نَفْسُهَا وَجُوعَتْ ابْنَتُهَا حَتَّى تُخَلَّ جَسَدُهَا. وَبِالْخِصَصِ كَانَ سُلُوكِي قَرِيبًا وَعَجِيبًا لَمَرَّةٍ أَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنِّي الْقَبْضُ حِينَ رَأَى وَمَعْنَى أَوَّلِ مَرَّةٍ رَاضِقُوا ابْنَتِي فَذِدْتُ عَمَلِي إِنْ أَيْزَكَرَ هَذَا كَمَثَلٍ عَلَى قُوَّةِ تَأْثِيرِ الْعَادَةِ وَالْتَرْبِيَةِ.

بَعْدَ فِتْرَةٍ وَجِيزَةٍ تَوَصَّلْتُ لَهَا وَفَرَادَ عَائِلَتِي وَالْأَصْدِقَاءَ، إِنَّ فُهُمَ بَعْضُهُمْ سَلِيلًا وَمُصْحِيحًا وَقَالَتْ زَوْجَتِي إِنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ لِي بَعْدَ ذَلِكَ بِرُكُوبِ الْبَحْرِ. لَكِنِّ قَذَرِي الْخُرُودَ كَانَ قَدْ كَتَبَ لِي اسْفَرُومَ كَانَ لِي مَقْدُورًا أَنْ تَمْنَعُ ذَلِكَ كَمَا سَبَعَرَفَ الْقَارِئُ فَيَا بَعْدَ. وَهَذَا خَتَمُ الْجُزْءِ الثَّلَاثِي مِنَ رِمَالَتِي التَّمَعِبَةِ.

### الجزء الثالث

رحلة إلى لاہوت<sup>(١)</sup>،  
وبالنيمازي، ولوجتاج،  
وجلوب كوت درب، واليابان.



## الفصل الأول

المؤلف بشرح في رحلته الثالثة رأسه انقراضه. جفد أسد هولندي وسوله إلى حوبره. استقبله في لاوما.

قبل أن تنقضي عشرة أيام من زمني مع أسري، زارني انقضان وثيتم وبنسون، وهو من كورثوون، وقد سقى اسمها هوث ول<sup>١١</sup>. وهي سفينة قوية، حولتها ثلاثية طر. كنت سيقاً جراحاً في سفينة أخرى كان هو قائدها ومالكها يترجمها. وذلك في رحلة نمنا بها معنا إلى بلاد المشرق. وكان دنيا يعاملني كاخ له أكثر مما يعاملني كصابط تحت إمرته. حين سمع بوصولي تكرم بزيارتي بدافع الصداقة فقط كما فهمت، لأننا لم نطوف في حديثنا إلا إلى ما هو عادي بين صديقين افرقا ضوئلاً. ولكن بعد أن تكررت زيارته، وجئت عن سروره لأنه وجدني بصحة جيدة، سأل إن كنت أرمع الاستمرار الآن وحتى بقية عمري؛ وأضاف أنه ينبغي القيام برحلة إلى جزر الهند الشرقية بعد شهرين، وكشف عن هدفه بوضوح، ودعاني بتيه من الاعتدال أن أكون الجراح الرئيسي في السفينة. قال إنه سيكون تحت إمرتي جراح آخر بالإضافة إلى مساجدين، وإن رائي سيكون ضعيف الراتب العادي، وأنه بعد أن أحر معرفتي بشؤون البحر ووجد أنها لا تقل عن معرفته، يتمه أن يتبع مشورتي وفاني شريك في قيادة السفينة.

قال أسياء لطيفة كثيرة أخرى. وكنت أسمع أنه إنسان شريف وأمين، فلم استطع أن أرفض ما غرضه علي. وكانت لخفي على رؤية العالم رغم مصاتي السابقة، غيرة كما كانت دائماً<sup>١٢</sup>. المنة التوجيه التي بقيت أمامي هي أن أفتح زوجي. وقد حصلت أحر الأمر على موافقتها بعد أن صورت لها الفوائد الكبيرة التي ستعود على أبنائها.

بدأنا الرحلة في اليوم الخامس من أغسطس ١٧٠٦ ووصلنا إلى قلعة سان جورج<sup>١٣</sup> في اليوم الحادي عشر من أبريل ١٧١٧، ومكثنا فيها ثلاثة أسابيع حتى تحسن صحتنا البحارة الذين كان الدكتورون منهم قد أصيبوا بالمرض. من هناك ذهب إلى نوكون حيث قرر انقضان أن يبقى بعض الوقت، لأن كثيراً من البضائع التي كان ينوي شرائها لم تكن جاهزة، ولم يوقع أنه يحصل عليها قبل بضعة أشهر. فبدأ، وعلى أمل أن يعطي بعض نفقات إقامتنا، اشترى مركباً شراعياً صغيراً (من

نوع وحيد انحصاري)، وعلاء بتنوع عديدة من انبساط التي يتاجر بها اهل تونكو مع اهالي اجزر  
البحار، ويوصف فيه أربعة عشر بحرا، ثلاثة منهم من أبناء تلك البلاد، وغني قائدا للمركب  
وقاضي ان يتاجر كما ترى مناسباً، يب يتابع هو مصالحنا في تونكو.

لم يبحر أكثر من ثلاثة أيام حتى جيت عاصفة قوية وساقطت طيلة خمسة أيام إلى الشمال  
والشرق - الشمالي، ثم إلى الشرق بعد ذلك أصبح الجو لطيفاً، لكن كانت لا تزال هناك ريح قوية  
بعض الشيء أتت من الغرب. في اليوم العاشر هارتت سفينتان من سفن القراصنة، وسرعان ما  
طُفِتَ به أن مركبي كان قبل احمّل ويسير سيرا بهيماً، ولم تكن في وضع يسمح لنا ان ندفع عن  
انفسنا.

دامت السفينتان في وقت واحد وانقضت رجاءنا عبداً، يتقدمهم زعميهم، انفضاض العاصفة  
الموحدة. لكنهم وجدونا حينما مضحين على روحونا (وهذا ما نعتو رجائي به). فقبضونا بحبال  
سنة ورضعوا خرساً عننا وانطلقوا يفتشون المركب.

لاحق وجود رجل هولندي بينهم. كان يبدو ذاقوذاً، لكنه لم يكن قائداً لأي من السفينتين  
عرف هو من سجنائنا الهولنديين. فراح يُرَضُّ معنا بلغته، وأقسم أننا سنزفط ظهوراً بغير ثم يُنقى بنا  
في البحر. كنت أعرف اللغة الهولندية معرفة لا بأس بها، فأخبرته عن تونكو، وتوصلت إليه باسم  
الدين المسيحي البرونتانبي الذي يجمعنا الإيمان به، ويؤمنا من بسين منحازين ومصدقين،  
أن يؤمنا من لبطانين لكي يُشفق علينا ويُرَفِّقا بنا. لكن تونسلاني أخذ غضبه. فكرر عبيداته  
والفتى في رفاقه. وراح يتكلم بحصية وعنف شديد، باللغة الهولندية حسيماً اظن، وأكثر من  
استعمل كلمة «كريستوس» (أي مسيحيون).

الكبرى من سفينتي القراصنة كانت بقيادة فيضان باباني يعرف اللغة الهولندية معرفة بسيطة،  
ويتكلمها بشكل غير سليم جداً. هذا فيضان إر، وبعد أن سألني عدة أسئلة وأخذت عندها  
مواضع عظيم، قال أننا لن نُقتل. وشكرته بالحنانة الكبيرة، ثم التفت إلى الهولندي وعلت لي أناسف  
بأن أحد في شخص كافر رحة أكبر من التي وجدنا في إبح مسيحي. لكني سرعان ما تدبث على هذه  
الكلمات الخفقاء، لأن ذلك الرجل الهولندي الخفوق، بعد أن فشلت محاولاته الكثيرة لإقناع لبطانين برؤي  
في البحر (ذلك أنها رافقا أن يسما له بعد التوجه الذي أفضي لي بأننا لن نُقتل)، استطاع أن يؤثر  
عليها ويجمعها بحافتي بما هو في نهر البشر أفسى من الموت نفسه. أما رجالي فقد قُبِعُوا يئسوا  
وأزبلوا أسرى إلى السميتين، وأما المركب فقد جهزه بخاراً من عنامهم. أما بالنسبة لي فقد تفرغ  
أن أوصيحي في زورق صغير بجدافين وشرائح ومزونة أربعة الأيام. فسادفها الفيضان الهولندي من عمارته  
الخاصة كزماً به وعطفاً، ومع أي شخص من قتيشي، كما نقرر أن يتركز هكذا لراحة البحر



والرياح. وحين وضعوني في السفرب، وقف الهولندي على سطح المركب وراح يصب عليّ كل ما في  
لحيته من لبنات وشتائم بذيئة.

قل ساعة من الزمن لنقراصة كنت قد رصدت مرقعنا، فوجدت أننا في خط العرض ٢٦  
شمالاً وخط الطول ١٥٨°١٣'. وحين تبعدت عن النقراصة اكتشفت بمنظاري عند حزر في الجنوب  
الشرقي. مصبت شرعي، وكانت الريح مواتية، وعزمت أن أصل إلى أقرب تلك الجزر، وهذا ما  
استطعت تحيظه في حوالي ثلاثة ساعات. كانت الجزيرة صخرية كلها. على كل حال، عثرت على  
الكثير من بيض الطيور، فاشعلت ناراً وريمت فوقها بعض الأعشاب ليرة والأعشاب البحرية  
الرائحة وشوت فيها بعض الحشرات، وكان هذا كل عشايتي، إذ كنت قد قررت أن أوفر مؤناتي أطول  
مدة ممكنة. وفضيت الليل ملتجئاً بصخرة بعد أن وثقت لحي بعض النعلت وغطت نوماً مرهقاً  
صعباً.

في اليوم التالي أحترت إلى سريرة ثانية ومن ثم إلى ثالثة ورابعة. وكنت أستمع للشرع  
أحياناً والمجدولين أحياناً أخرى، ولكني أثبتت على التقري بقرار مفصل عن متاعبي وهوسمي، يكفي  
أن أقول أنني في اليوم الخامس وصلت إلى آخر جزيرة وقع عليها بصري، وكانت إلى الجنوب  
والجنوب الشرقي من الجزيرة السابقة.

وكانت هذه الجزيرة أبعد مما توقعت، ولم أصل إليها في أقل من خمس ساعات. وقد توثرت  
حرفاً كلها تقريباً قبل أن أمار على مكان مناسب أنرس فيه، وكان هذا خليجاً صغيراً عرضه ثلاثة  
أصناف عرض زورفي. وقد وجدت الجزيرة كلها صخرية جزءاً إلا من بعض الأعشاب ذات  
الرائحة الزكية. أخرجت مؤناتي العتيقة، وبعد أن تناولت منها ما يكفّر مقري، نجات ما تبقى في أحد  
لكهوب الموجودة بكثرة هناك. وجدت الكثير من البيض الموجود بين الصخور، وكسوتت بعض  
الأعشاب البحرية الخافتة وبعض الأعشاب الجافة. بقصد أن أشعل النار فيها في اليوم التالي وأشوي  
فيها بعض البيض بعد ما أستطيع (وقد كان ممي خضر قدح وقطعة فولاذ وكبريت وزجاجة تحذبة  
لإشعال النار). وثقت طيلة الليل في الكهف الذي وضعته فيه مؤناتي، وكان مراني كريمة الفطر  
نفسها التي جمعتها لأجس من وقوداً. ولم أتم كثيراً لأن اشتغال تفكري وقفتي النفسي تلك من  
شعوري بالتعب والإرهاق والغياب مستندة. فكرت باستحالة المحافظة على حياتي في مكان متفرق  
كهذا، وبنهاية الليلة أنني لا أجد أن أصل إليها. ووجدت نفسي أمار من قن نفسي وباتس.  
جملاني لا أرب في النهوس. وقل أن أتمكن من رفع مستوى وأزاحف خارج كهفي، كان النهار قد  
طلع منذ مدة. وبرزت غرة من الصخور، وكانت السماء صافية تماماً، والشمس حارة لدرجة أنني  
اصغررت لإدارة وجهي عنها. ثم فجأة احتضت الشمس حارقة مختلفة، كمن أحسبت، ثم يحدث

عندما تعترضها غيمة. التفتُ إلى نور، فראيتُ حسنة<sup>(١٢)</sup> ضحاً قابلاً، وقفتُا بيني وبين الشمس  
بتمركز للأمام نحو الجزيرة. وبدا أن ارتفاع الجسم يبلغ مليون تقريباً. وقد حجب عني الشمس لمدة  
ست أو سبع دقائق، لكنني لم ألاحظ أن المواء قد يترد أو أن السباه قد انقلبت أكثر ما يحصل حين  
أنت في ظل جبل. وحين انقلب هذا الجسم فوق المكان الذي كنت فيه، تبين أنه يتألف من مادة  
صلبة، وله نعر مسترٍ أليس وشديد للمكان<sup>(١٣)</sup> بسبب انكسار البحر من تحت. كنت واقفاً على  
مرتفع يبعد حوالي مائتي ياردة من الشاطئ، ورأيتُ هذا الجسم ينزل حتى كد يصبح مورباً لي على  
بعد لا يزيد عن ميل إنجليزي. أخرجتُ متفاري وتظلمتُ فيه، واكتشفتُ بوصوح حلاً من الناس  
صعدون أو يهبطون على جوانب الجسم التي اتضح أنها مائلة. لكنني لم أستطع أن أميز ما كان  
بفعله أو تلك التيم

حب الحياة الطبيعي خربك في داخلي مشاعر المرح، وبرر لديّ أمل بأن هذا الحادث الغرضي  
قد يساعد بطريقة أو بأخرى على تحييصي من المكان والوضع البائسين اللذين كنتُ فيها. لكن في  
الوقت نفسه قد لا يستطيع القارئ أن يتصور دهشتي لدى مشاهدة جزيرة في البحر، يسكنها بشر  
فأدرون، هي بسوء، على رأسها، وإنزالها وتحريكها لأمامكما بشارة<sup>(١٤)</sup>. لكنني لم أكن في ذلك الوقت  
مبالاً إلى التفكير بخصوص هذه الظاهرة، واعتبرتُ بدلاً من ذلك أن ألاحظ خط السير الذي  
مسير فيه، لأنها بدتُ لي واقعة مألوفة بعض الوقت. ومع ذلك فهنا سرعان ما تقدمتُ وأصبحتُ  
أكثر قرباً مني، واستطعتُ أن أرى جوبها محاطة ببدة طيدات من الأوراق واللالم المورقة على  
منازل ممتدة. لكنني أشتغل في النزول والصمود من طرفة لأخرى. وشاهدتُ في الرواق السهمي  
بعض الناس يصعدون "سمت بعضي ضيقاً ملوية وحري يفرجون. توحش بغلوني (ذلك أن  
قمتي كانت قد بلغت مد مد طويلة) وتميل نحو هذه الجزيرة. وعندما قربتُ أكثر ناديتُ  
وصرختُ بأعلى صوتي. ثم نظرتُ بحذر وانحراس، فشهدتُ جمهوراً يتجمع على الجهة التي كنتُ  
واضحة أمام يسري. واكتشفتُ من إشاراتهم بحري وإلى بعضهم بعضاً. أنه من الواضح أنهم  
اكتشعوني رغم أنهم لم يردوا أبداً على صراخي. لكنني رأيتُ أربعة أو خمسة منهم يصعدون السلم  
سرعة كبيرة نحو قمة الجزيرة ثم يحتفون. وقد خلتُ، وكان تخميني صائفاً أنهم أرسلوا ليطلبوا  
شخصاً مسؤولاً وإذا ساد على ما حصل، وليأخذوا تعميته بهذا الخصوص.

وتزايد اناس. ولق اقل من نصف ساعة حوكتُ الجزيرة ووقفتُ، بحيث صار الرواق السفلي  
في خط مواز لسانة تشر عن دالة ياردة عن المرتفع الذي كنتُ ألق عليه. حينذاك تحدثتُ وضحيتُ  
الستقطف، وتكلمتُ بلهجة التوسل والرجاء، ولكنني لم أثنو رؤا. الأشخاص الواقفون أقرب ما يكون  
مني بدؤا في إقترفتُ من ملايهم، أشخاصاً مهميز. كانوا يظنن أني يشكن جاد في بينهم،

وكنه تشاورهم كدوا كثيرًا ما ينظرون إليّ. وأخيرًا نادى أحدهم بلهجة واضحة مهذبة وناعمة لا يختلف الصوت فيها كثيرًا عن الإيطالية: رغذا أحببهم بتلك التفة رجيًا، على الأقل، أن يروني  
 زقاع انتظام وتنظيمه لأدهم. ومع أنه لم يفهم أي من الآخر، إلا أن مقصدي كان واضحًا، فقد  
 أدرك الفهم البعد الذي كنت فيه.

وظلوا مني بالإشارات أن أنزل عن الصخرة وأذهب إلى الشاطئ. فعدلت ما أبيت به. ثم  
 رفعت الجريدة الطائرة إلى نحو مناسب حتى أصبحت حافتها عورتي، وولبت سلسلة من الرواق  
 السفلي منسـمـفـفـة بمقعد زينت نفسي في بقعة لم تجبئ للأهل بواسطة بخرات

## الفصل الثاني

وصف الأندلس الغربية والعمرات العجبة لأهل لايبونا. تقرير عن علومهم، وعن ملك وحاشيته. امتدح نموك هناك السكان يحدون من المخاوف وحالات انقلق وصف للنساء.

عندما زلثت أحاط بي جمهور من الناس، وأقربهم مني كانوا كما يبدو أعلاهم منزلة. وكانوا ينظرون إليّ وعينهم كل علامات الدهشة والاستعجاب. وفي الحقيقة لم أكن أقل منهم ذهشة واستعجاباً، لأنني لم أر حتى تلك اللحظة جث من البشر في غرة أمكالم وملابسهم وبخنهم<sup>(١)</sup>. كانت رؤوسهم جبهة مائة إما إلى اليمين أو إلى اليسار، رخصى عيونهم موجهة للداخل وللأخرى مخصصة إلى قبة السيادة<sup>(٢)</sup>، وملابسهم الخارجية مزينة بأشكال شوس وأصفر ونجوم منسوجة ومتداخلة مع أشكال كمنجات، و«ملونات»، وفنارات، وأبواق، وحيثارات، وآلات موسيقية أخرى كثيرة غير معروفة في أوروبا. ولاحت هنا وهناك كثيرين في ملابس خدم، يحمل كل منهم في يده عصا قصيرة ذات في طرفها كرس منقوش كأنه يهزأ، وفي الكيس خيأت مخص حافة أو حصوات صغيرة (كما قيل لي فيها بعد). وكنتوا من حين آخر يحسبون أو يلمسون بهذه الأكياس أفواه وأذان أولئك الواقفين بالقرب منهم. لكني لم أستطع أن أفسر معنى هذا العمل. ويبدو أن عمول هؤلاء القوم مستغرة استغراقاً شديداً في التفكير والتأملات، لدرجة أنهم لا يستمعون أن يتكلموا أو يصغروا لأحاديث الآخرين إلا إذا تبهرت لذلك عن طريق شدة من شيء خارجي عن أعضاء النطق والسمع لديهم. ولهذا السبب، فإن المؤرخين منهم يحفظون في بيوتهم بموقف اسمه المساح أو اللباس [الاسم الأصلي هو كليمينون]، كواحد من تخدمهم، ولا يخرجون من بيوتهم أو يقومون بزياراتهم دون أن يكون معهم. وضل هذا الموقف هو أنه حوز بمنع شخصاً أو ثلاثة أشخاص، فإنه بالكيس الذي معه يسمى برفق فم من يأتي قوله في الكلام. ولأنه أيسر للنحس، الموجه إليه الكلام. كانت فإن هذا اللباس يرافق سيده في مشاويره لكني لمعه برفق عن عينيه كلما ذهبت أضمرة بذلك، لأن السيد يكون مستغرقاً دائماً في التفكير<sup>(٣)</sup> حيث يكون معرضاً لخطر السقوط في حفرة أو يضله رأسه بكل غمود، وفي الشارع يتعرض للاصطدام بالآخرين أو لاصطدام الآخرين به أو بوقوعه في البركة مجازي.

نقد كان من الضروري أن أقدم تقاربي هذه المعلومات، لأنه إذا قبلها سيعجز كما عجزت، عن فهم أسرار حلال القوم حين صنعوا معي السلام إلى لغة الجزيرة. ومن هناك إلى القصر الملكي وبين كاهن صاعدين، ثلثوا عدة مرات ما هم بضاده حتى انتهت ذكراهم بواسطة قلمهم، لأنهم نزلوا عبر مئذنين اثنين غلاسي ووجهي الغربيين، أو بصياح لعامة والسوق الذين كانت أفكارهم وعقولهم أكثر تحرراً.

وأخيراً دخلنا القصر وتقدم إلى قاعة العرش، حيث رايت الملك جالساً عن عرشه، وحواله من كل جانب أشخاص ذوو منزلة عالية. وأمام العرش كانت توجد صورة كبيرة عليها كُتبت جغرافية وكُتبت سيرة فلكية ترمز للكواكب والنجوم والمجرات، وأدوات هندسية من كل أنواع<sup>(١٠)</sup>. ولم يتب جلسته أي أصغر بنا، رغم أن دخول لم يكن دون ضجة كافية ممددة عن احتفاد كل من يعمدون في القصر. لكنه كان حينئذ مستغرقاً في مشكلة، وانتظروا ما لا يقل عن ساعة قبل أن يستطيع خلعها. كان يذم عن كل جانب من حايه حتى ياتح في شد جهاز اللعس، وعبر وأولاً أنه قد فرغ من حل مشكلته ليس أحدهما صمد برهن، وليس الثاني لأنه المعنى. وحينذاك اجلس قلم أوقف فجأة، وحين نظر بانهاهي وباعناه المجموعة التي كنت فيها، تذكرت سبب مجيئنا الذي كان قد ذكر له من قبل، ونظر بعض الكلمات، وعن الفور جاء إلى جاني شاب يحمل جهاز شمس، وسلي برفق على أذن اليمنى. لكنني أوضحته صم بالإشارة أنني كنت بحاجة إلى هذا الجهاز. وقد اكتشفت حين بعد أن ما فعلته أعطى جلسته وكل حاشيته تعجباً شديداً جداً عن ذلكالي وقد راني استغاية، وبعد ما استطعت أن أتكلم، سألني الملك عدة أسئلة وأجبت بكل اللغات التي أعرفها، وحين أوجه أنني لا أفهم ولا أفهم، اقتادوني حسب أمره إلى جناح في قصره (كان هذا الأمير متميزاً عن كل أسلافه بحكم ضيقه للثوبان)<sup>(١١)</sup>، حيث عُيِّنَ خادمان للسير عن راحتي. والخبر طعم العشاء، وجاء أربعة أشخاص ذوي منزلة رابعة، والذكر أنني رأيتهم قريبين جداً من شخص الملك، وأكرموني تناول العشاء معي. وتناولوا وجبتين، في كل واحدة منها ثلاثة أطباق. كان في الوجبة الأولى كتب حروف مقطوع على شكل مثلث معشوف الأطراف، وقطعة من لحم البقر على شكل سمكة، وفطيرة على شكل دائرة. أما الوجبة الثانية فكانت فيها مقلد مريوطان على شكل كشكشة، ونقانق وفطائر تشبه الفلوتات والمزامير، وصلب جعل على شكل قيثارة. أما الخبر فقد منعه الخدم إلى أكواب خروضية، وأسفوانات، ومتواريات أصلاخ، وعدة اشكال هندسية أخرى.

ومحراث خلال تناول العشاء سألني عن أسماء أسياد عديده بلغتهم، وسعد أولئك الأشخاص السلام بإعجابني الأجوبة، بمساعدة قلمهم، أمتحن أن يزدوا إعجابهم بقدراتهم العظيمة لو أمكن أن يتحدث معهم. بعد فترة وجيزة كنت أستطيع أن أطلب خبراً وشراء، أو أي شيء آخر احتاجه.

بعد العلم انصح صوفي. وأرسل إلى شخص بأمر الملك وبرفته كافي. احضر معه قلمًا وحينًا وورقًا وثلاثة أو أربعة كتب، وفهمني بالإشارات أنه أرسل لي علمي النغة. وجلست معه أربع ساعات كتبت خلالها عددًا كبيرًا من الكلمات عموديًا وكتبت ترانيمها أمامها. كذلك استطعت أن تتعلم عدة أجل قصيرة. فقد كنت معلمي بأمر واحدًا من الخدم أن يحضر شيئًا أو أنه يور حول نفسه أو أن ينحني أو يجلس أو يقف أو يمشي وما إلى ذلك. وكنت أدون الجمل كناية. وفتح أحد كتبه وأراني أشكال الشمس والقمر والنجوم وذاقته الفروع، والمدالين، والمداليتين المقطعتين مع أسبوع كثير من الأشكال السنوية والجمادات. ثم أعطاني أسماء وأوصاف كل الآلات الموسيقية والتعريفات الفنية للعرف على كل منها. وبعد أن توفيت. رُجئت كل الكلمات وتغيرت ترتيبًا جديدًا. وهكذا استطعت في بضعة أيام، وبمساعدة ذاكرة لا تخدني: أن أفرسل إلى بعض الفهم للغة.

الكلمة التي معنا الجزيرة الفاترة أو الطافية هي في لغتهم لا يوتا. وهي كلمة م استطع فقط أن أعرف عن أصلها واشتقاقها. فالقطع لاب في لغتهم الفندية، نباتة نعي عالي. وأوتنو تعني حاكم، ومنها ماء، ومواسعة التحريف الذي يحدث في النص اشتقت لا يوتا من لا يوتنو. لكني لم أستطيع هذا الاشتقاق الذي يبدو أن فيه شيئًا من الانواء. واقترح على المصنفين باسم اشتقاق من تخدني أنا وهو أن لا يوتا أصلها كومي لاب أو يوتا. إذ أن معنى لاب الصحيح هو ترافس اسمه الشمس في البحر، وأوتنو تعني جنح. لكني على أية حال لا أريد أن أتطعن وأعرض رأيي. وأترك الموضوع للقارئ الخفيف.

أولت الذين وضعي الملك تحت رحمتهم لاحظوا أن ملاحي غير مناسين، فأمروا بخلعهم أن يحضر في الصباح التالي لكي يأخذ مائة ساق ويخط لي بدنة. وقام هذا الخياط بعمله بطريقة تختلف عن طريقة أبناء مهنه في أوروبا، أولاً قس طولي بربعية، ثم أخذ أبعاد جسي كله وبجذاته بشرط للقدس وفرجار، وسجل هذا كله على ورق، وبعد ستة أيام احضر لي ملابس مينة التفاصيل والخياطة وغير منسبه لجسمي. لأنه الخطأ في أحد أرقام قياساته. لكن عزتي كان أنني لاحظت أن مثل هذا الخط متكرر كثيرًا وقلم يزيه له.

وخلال بقائي في المنزل لعدم وجوه ملابس. وبسبب وعكة أفتتني في المنزل ثباتًا أخرى. وسعدت قومومي كثيرًا. وفي المرة الثانية التي ذهبت فيها إلى القصر استطعت أن أفهم الكثير مما قاله الملك وأن أقوم ببعض الأجوبة. كان حلاله قد أصدر أوامر شير الجزيرة إلى الشرق الشمالي والشرق، حتى تغف في نقطة عمودية فوق لاجسوا، عاصمة الشبكة كلها على الأرض المثبتة، كانت العاصمة تبعًا حولي نسبي فوسكا، وستغرف رحلتنا أربعة أيام زحف، لكني لم أشعر

أبدًا أن الجزيرة تنحرك إلى الأمام وهي في البحر في الصباح الثاني وفي حوالي الساعة الحادية عشرة كانت الملك لحصبيًا، يرافقه ابتلاء وأحمد حاشيته وموظفوه، قد أعدوا كل آلاتهم الموسيقية<sup>(١١)</sup> وراحوا يحزمون عليها لمدة ثلاث ساعات دون انقطاع ودون فترة راحة، وقد درّجني الضجيج قنمًا ولم أستطع أن أسمع، المقصد من هذا العمل حتى أعلمني به معلمي. فإذ إن أهل الجزيرة قد هبوا أذانهم لسماع موسيقى النجوم<sup>(١٢)</sup> التي تعرف دائمًا في فترات معينة، وإن القصر قد أصبح الآن مستعدًا ليعجب كل من فيه دوره بالآلة التي ينتن العزف عليها.

أثناء رحلتنا إلى لاجادو العاشمة، امر جلالت بيقاف الجزيرة فوق بعض التلبدان واستمرى لكي يستلم من رعاياه هذه طلباتهم وانتراساتهم من أهل هذا كانت تَدُلُ خيوط عديدة من الخشب<sup>(١٣)</sup> مربوط في أسفلها أطفال صغيرة، وكان الناس يعلقون طلباتهم وانتراساتهم على هذه الخيوط، فتصعد في الخلال مثل قصاصات الورق التي يعلقها أبناء المدارس في طرف المحيط الذي يحمل صانراتهم النورية، وفي بعض الأحيان كان يضاف من الأسفل نبيذ ومأكولات فتشعب للأهل بواسطة بكرات.

معرفتي الهندسة والرياضيات ساعدتني كثيرًا في اكتساب عباراتهم التي كانت تعتمد كثيرًا على ذلك العلم وعمل الموسيقى، ولم أكن غير مدهم في الموسيقى. وهم يستعملون يعبرون عن أفكارهم بخطوط والأشكال، فإذ رغبوا مثلاً في مدح هذا امرأة، أو أي حيوان آخر، فإنهم يصفونه بالعين، أو للدائرة، أو متوازي الاضلاع، أو المثلث الخافض، أو بقبة لظفة هندسية، أو يصفونه بكلمات فنية في الموسيقى، ولا حاجة لتكرارها هنا. وقد لاحظت أن في مطبخ الملك كثر أنواع الأكلات الموسيقية والهندسية ويقوم الطهاة بتقطيع الطعام الذي يقدم على مائدة الملك حسب أشكالها.

يعتبر مية بناء ميكاء، واحتران دائمة وليس بينها زوايا قائمة في أي جناح، وهذا العيب ناجم عن اعتقادهم لهندسة التطبيقية التي يتدبرونها علمًا ميكانيكيًا سوف، وعن كون التعليلات التي يعطونها أعلى من مستوى التعليلات العقلية نوعًا، فيجمع على هذا الخطأ دائمة. ومع أن هؤلاء انغمسوا على الورق وفي استعمال المسطرة وقلم الرصاص وفرجار التقسيم، إلا أنهم في الأعمال العادية وفي تعريف شؤون الحياة، أكثر الناس بُعدًا عن الإتقان، وانغمسوا أربابهم أقلهم حيلة. كذلك فإنهم أكثر الناس بُعْدًا وحيرة في تفهم كل شؤون الحياة يستنداء علوم الرياضيات والموسيقى. وهم سيئون في الطاقش ومقارنة الحقيقة بالخطأ، وصحون للمعادسة والاختلاف في الزاوي، خصوصًا حين يصفون أن يكونوا على حق، وهذا أمر نادر الوفور. كذلك فإن الخيل والشاوق المريح والاشترج أشياء غريبة عليهم تمامًا، وليس في لغتهم كلمات تعبر عن هذه المفاهيم إلا دائرة عقولهم

وتفكيرهم مغفلة كلياً أمام أي علم أو فكر عدا العُلَمَاء المذكورين سابقاً.

معظمهم، ولا سيما الذين يتمتعون بعلم الملك، يؤمنون زوراً بالقصص<sup>(١١١)</sup>، رغم أنهم يحجبون من الاعتراف بذلك عتياً، تكن أكثر ما عجبك منه واعتبرته أمراً غير قابل للتفسير. هو منهم انشديد للأخبار والقضايا السياسية، وهم على الملوم يتحننون في الشؤون العامة ويصدرون أحكامهم في أمور الدولة، وبشدة وحس يصدون كل صعيبة في رأي الطرف الآخر. وفي الحقيقة لاحظتُ هذا الميل نفسه لدى معظم علماء الرياضيات<sup>(١١٢)</sup> الذين عرفتهم في أوروبا، مع أنني لم أستطع لظ أن أكتشف أدنى شبه بين العُلماء. إلا إذا كان أولئك انعم يعتبرون الأمر كإي: بما أن أصغر دائرة تحتوي على انعكاس نفسه من الدرجات الموجودة في أكبر دائرة، إذن فون تنظيم العالم وإدارة شؤونه لا يتطلب مقدرات أكثر من تلك التي يتطلبها التعامل مع كرة جوفية، وجعلها تدور حول نفسها. فكيف أرى أن هذا الطبع ينبع من صلب شائع جداً في الطبيعة البشرية بحيثنا فضوليين وذوي آراء متعصبية في القضايا التي لا تمس في شيء، والتي ليست مهيئين لها بالدراسة أو الفطرة.

ويعيش هؤلاء القوم في اضطرابات نفسية مستمرة، ولا يستمتعون قط بدقيقة واحدة من راحة البال وهندسة النفس واضطرابهم ناجمة عن أسباب علمي تؤثر على باقي البشر. فثقت أن شواغلهم تنجم عن التغيرات العديدة التي يخشون حدوثها في الأحكام السماوية، مثلاً: أن الأرض قد تقرب الشمس منها باستمرار لا بد مرور الزمن أن تتصفا الشمس وينجم<sup>(١١٣)</sup>؛ أو أن سطح الشمس مغطاه بالاندراج الجلب التي تفسدها مراكبها فلا تعود تنير العالم<sup>(١١٤)</sup>؛ أو أن الأرض لو لم تنج بأحجوبة من اصطدام ذيل المذنب الأخير<sup>(١١٥)</sup>؛ لأن ذلك من المؤكد أن تنحون إلى رماد؛ أو أن مجيء هذا المذنب في المرة التالية، وقد قدروا أن ذلك سيتم بعد إحدى وثلاثين سنة من الآن، قد يحيط<sup>(١١٦)</sup>؛ لأنه إذا اقترب هذا المذنب، في مرحلة حضيضه الشمسي، من الشمس حتى غطته محبة (وهذا ما كانوا يخشون حدوثه طبعاً خبيثهم)، فإنه سيُفجر سفينة أكبر من سفينة حديد منتهب متوهج بدرجة الاحترار عشرة آلاف ضعف، ولدى ابتعاده عن الشمس سيحرر رواء ذبلاً منها طولها ألف ألف وأربعة عشر ميلاً. وإذا مرت الأرض على مسافة مائة ألف ميل من قنب هذا المذنب، أو نواته، فلا بد أنها ستشتعل وتنحون إلى رماد، أو إن الشمس التي تطلق أشعتها كل يوم دون أن يكون هناك ما يعوضها عنها، تستهلك نفسها كلياً في آخر الأمر ولنحتض<sup>(١١٧)</sup>، ولا بد أن يتبع ذلك دمار هذه الكرة الأرضية وكل الكواكب التي تلتقي سورها من الشمس.

إنهم دائماً في حالة دعر بسبب هذه وعبرها من الأعطال الوشيكة الحدوث، للدرجة أنهم لا يتمتعون بالثوم في مراتهم ولا يستمتعون بتبع الحياة العادية ولذا قلنا. وكنتوا إذا انتهى احدهم بالآخر في الصباح فإن أول سؤال يسأله يكون عن صحة الشمس عند غروب وشروقها، وعن الأمل



في النجاة من ضربة المذنب القادمة . وهم يستمعون بمثل هذه الأحاديث كما يستمتع الصبيان بسماع قصص مرعبة عن الجن والانساح والغيلان التي يُصنعون لها دون شيع منها، ولا يستطيعون السوم حد ذلك خوفًا ورعبًا.

تساء الجزيرة كثيرات الفرح والحبوبية . ومن يزورين أزواجهن ويهتفن غربًا بالفرنسية الذين يوجد منهم دئمة عدد كبير من أبناء القاذ التي تحكمها جزيرة، والذين باتون إلى انقصر إما في مهيات خاصة بشؤون البلدان والمجائس البلدية لعدة، أو في مهيات تتعلق بمصالحهم الشخصية. ولكن هؤلاء الغرباء يُقتفرون كثيرًا لانقصرهم إلى القدرات العنيفة التي يتميز بها رجال الجزيرة. وتتخير السيدات عشاقهن من هؤلاء الغرباء. لكن الشيء الغريب هو أنهن يفعلن ذلك بسواسة واطمئنان كبيرين، لأن الزوج مستغرق دائمًا في أعماله ندرجة أن انسيدة وعشيقها قد يُقبعان على محارسة أقصى مظاهر قلة الأدب والخربة الجنسية أمام عينيها، وعلى الأخص إذا توجع منه الورق والأدوات الأخرى، وإذا لم يكن المخلص بجانبه.

ونشكر الزوجات وباعهن مَر الشكرى من احتجازهن في الجزيرة، مع أنني اعتقد أنها أجل وأشهر بقعة أرض في العالم، ومع أنهم يمشون هنا في رخاء عظيم وترف مانع، ويُسمح لهم بفعل كل ما ينجو لهم، لكنهم يرغشون في رؤية الدنيا والقوة يتجمع انعامهم، وهذا ما لا يُسمح لهم به إلا بعد الحصول على ترخيص خاص من الملك، وهو ترخيص ليس من السهل الحصول عليه، لأن عدية القوم يعرفون من خبراتهم المتكررة مدى صعوبة إقناع حريمهم بالعودة من تحت. وقد قيل في دن سياة مرموقة من ساء القصر، كان لها عدة أهدان، وكانت متزوجة من رئيس الوزراء الذي كان أغنى شخص بين رعايا المملكة، كما كان غاية في الرقة واللعنف معها وفي حبه لها، ويعيش في أهل قصر في الجزيرة، زلّت إلى لاجادو مندرجة بدوامي صحية، وأخذت نضها شهرًا عديدة حتى أرسل الملك مذكرة بضرورة البحث عنها، فوجدت في مطعم مغمر وفي ملابس رثة بعد أن زهنت كل ملابسها لتعمل خادما عجوزًا مشوهًا كان يضربها كل يوم، فأجندت عنه رعاها وهدد برادتها، ومع أن زوجها استقبلها بكل ما يمكن من عطف ودون أن يوحه لها أي لرم أو تأنيب، إلا أنها سرعان ما استطاعت أن تسأل إلى تحت مرة ثانية، أخذت معها كل جواهرها إلى الحبيب نفسه، ولم يُسمح عنها شيء منذ ذلك الحين.

وقد يقن انقارئ أن هذه أقرب إلى قصة أوروبية أو إنجليزية منها إلى قصة في بلد بعيد هذا البلد. لكني أرجو أن يذكر أن نارات النسبة إنجليزية ليست مفسورة على أي مناج أو لغة لغة، وأنس مشابهاة أكثر مما يتصور بكثير.

بعد حوالي شهر من الرمن قدسنا نقدًا معقولًا في نقدنا معنوي، وأصحت قادرا على الإجابة على

معظم أسئلة المثلث حين كان متاح لي شرف الشون بين يديه . ولم يتبد جلالته أي فضول أو دعة في  
الامتصاص عن موازين البلاد التي عشت فيها ، أو عن أنظمة الحكم فيها ، أو عن تاريخها أو دينها أو  
أخلاقيها وآداب لسوك فيها . ولكنه فطر أمته على إحراق عموم الرضاة ، واستقبال لتقرير الذي  
قدمته له باحتقار شديد وعدم أكثرات ، رغم وجود تماس في كل جانب ينبغي لكي يصني تكلامي .

### الفصل الثالث

ظاهرة نشرحها الفلسفة الحديثة وعلم الفلك الحديث. ما أنجزه أهل لاسون من تقدم واكتشفت في علم الفلك. طريقة الملك في إحصاء الثورات.

رغبت أن يأذن لي الملك برؤية الأشياء الغربية المتأخرة في الجزيرة، فتكرم بمنحي هذا الإذن وأمر معلمي أن يرافقني. كان أهم ما أردتُ معرفته هو الأسباب الصناعية أو الطبيعة التي تنجب الحركات العادية للجزيرة. والآن سأقدم للقارئ شرحاً فلسفياً لتلك الأسباب.

الجزيرة المطائرة أو الطاعة دائرية تماماً وقطرها ٧٨٣٧ ياردة، أو حوالي أربعة أميال ونصف<sup>(١)</sup>، وبالتالي فإنها تحتوي على عشرة آلاف فدان. وسُحَّكها ثلاثمائة ياردة الفعر، أو السطح السفلي الذي يبين كَيْفَ يُزَوِّد من تحت، هو صفحة مستوية منتظمة من الأثنت (سحج صلب يشبه اللباس)، سُحَّكها حوالي مائتي ياردة، وتوجد فوقها معدن عديدة بنفخاتها المألوف، وتوق كز شيء. توجد طبقة من التراب الخصب، سمكها عشرة أقدام عشر قدماً. احذار السطح العلوي من المحيط نحو المركز يجعل التلوي والأمطار التي تنزل على الجزيرة تجري في ثييرات صغيرة نحو الوسط حيث تصب في أربع برك كبيرة، يحيط كل واحدة منها حوالي نصف ميل. وتقع على بُعد مائتي ياردة من المركز. من هذه البرك ينحدر الماء باستمرار بسبب الشمس في النهار، وهذا في النهاية يمنع الماء من أن يقطع وينفخ. وبالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يرفع الجزيرة فوق منطقة الغيوم والأخوة، وبهذا يمنع سقوط الأمطار والندى كلها، لأن أعلى العيرم لا ترتفع أكثر من ميتين، كما يمتص عليها الطبيعة<sup>(٢)</sup>، على الأقل، لم يُقَرَّفَ عما أنها ارتفعت فوق ذلك في تلك البلاد.

يوجد في مركز الجزيرة فجوة قعرها حوالي خمسين ياردة، ومن هنا ينزل الفلكيون إلى داخل قبة كبيرة تُدعى بسبب ذلك فلاندونا جاثيوني أو كهف الفلكيين<sup>(٣)</sup> الذي يقع على عمق مئة ياردة تحت السطح العلوي لصفحة الأثنت. ويوجد في هذا الكهف عنبرون مصبحة دائمة الاشتعال، ومن المنكاسات يضاء كل جزء في الكهف نور قوي. والمكان عامر بتشكيلة كبيرة من السُّسُيوت والرُّبُعيات والتشكوبات والأسطوانات وأجهزة فلكية أخرى. لكن أحب شيء، وهو الشيء الذي يعتمد عليه مصير الجزيرة، هو حجر معنطيسي ذو حجم عالٍ يشبه في شكله مكوك الخائف<sup>(٤)</sup>.

طوله ست ياردات وأختر مكان فيه لا يغلب شغفه عن ثلاث ياردات هذا المغناطيس معلق على محور قوي من حجر الأفيثيت يمر في وسطه، فيتحرك المغناطيس عليه ويتوزن بشكل دقيق جداً بحيث نستطيع أضخف يد أن تحركه وتديره، وهو مظهر في أسطوانة مجوفة من حجر الأفيثيت، عمقها أربعة أقدام وشغفها مثل شغف من الأقدام وقطرها اثنا عشر قدماً، وهي مملوءة بشكل أفقي عن لينة أكثر من حجر الأفيثيت، ارتفاع كل ركيزة منها ست ياردات ويوجد في وسط الحذب المقعر حدود عمقه اثنا عشر إنشاً، نستقر فيه أطراف المحور وندار حسب الطلب.

ولا يمكن لأية قوة أن تنقل حجر المغناطيس هذا من مكانه لأن انطوائه الأسطواني وركنته هي جزءاً قطعة واحدة متصلة بثلاث الصبغة من حجر الأفيثيت التي يتكون منها قعر الجزيرة

وسايفة حجر المغناطيس هذا يمكن زلج الجزيرة وإنزاعها والانتقال بها من مكان لآخر، إذ بالنسبة لذلك البحر، من الأرض الذي يستقر فوقه الملك، يوجد في أحد طرفي الحجر قوة جاذبة وهي الطرف الآخر قوة طاردة. قد وضع أخير عامودين بطرفه الجذب نحو الأرض تنزل الجزيرة، ونكون إذا كان الطرف الطارد موجهاً للأسفل تصعد الجزيرة للأعلى. وحين يكون وضع الحجر دائلاً تصبح حركة الجزيرة مثابة كذلك، لأن قوى هذا المغناطيس تتحرك دائماً في عكسها موازية لاتجاهه<sup>(١)</sup>.

وهذه الحركة المائلة تحسن الجزيرة إلى تجراء مختلفة من الأراضي الخاصة للسنت. ولتوضيح طريقة سير الجزيرة نفترض أن  $AB$  يمثلان خطاً يقطع أراضي بالنيابري، وأن  $d$  يمثلان الحجر المغناطيسي بحيث يمثل  $d$  طرفه الطارد ويمثل  $e$  طرفه الجذب. إذا وضع الحجر في  $d$  بطرفه الطارد للأسفل، حينئذ توجه الجزيرة للأعلى بشكل مثل نحو  $d$ . وحين نصل إلى  $d$  ندير الحجر على محوره حتى يقع طرفه الجذب نحو  $e$ ، وحينئذ نحمل الجزيرة بشكل مثل نحو  $e$  وهنا إذا أدير الحجر مرة ثانية على محوره حتى يصح في وضع  $EF$  وطرفه الطارد للأسفل، فستصعد الجزيرة بشكل مثل نحو  $F$ ، وهنا إذا وجهنا الطرف الجذب نحو  $d$  تحسن الجزيرة إلى  $G$ ، ومن  $G$  إلى  $H$  بإدارة الحجر بحيث يصبح طرفه الطارد موجهاً للأسفل، وهكذا، بتغيير وضع الحجر حسبما نحتاجه نرفع الجزيرة ونزولها في الاتجاه المائل. وهذه الوضعيات المتتالية (التي لا يكون الميلان فيها كبيراً)، تنقل الجزيرة من جزء إلى آخر من أراضي الملك.

لكن لا بد من التوضيح بأن هذه الجزيرة لا تستطيع أن تتجاوز حدود الأراضي التي تحتها كما لا تستطيع أن تصعد إلى علو أكثر من أربعة أقدام. وينسب الفلكيون (الذين كانوا أمثالاً كثيرة حول البحر) هذا إلى السبب التالي: إن قوة المغناطيس لا تصل إلى أبعد من أربعة أميال، وإن المعدل الذي يؤثر على الحجر من باطن البحر، ومن باطن البحر إلى مسافة ست فراسخ عن الشاطئ

ليس منتشرًا في جميع أنحاء الأرض، ولكن وجوده ينتهي عند حدود الأرض الخاضعة للملك. وقد كان من الميزات العظيمة لهذا الوضع أن يستطيع الأمير أن يُخضع لحكمه كل بلد يقع ضمن مجال إيجانية لذلك الحجر المغناطيسي.

وحين يكون الحجر موازيًا لخطى الأفق تطف الجزيرة مسكة<sup>(١٢)</sup>، ففي هذه الحالة يكون الطرفان على مسافة متساوية من الأرض وعملاقان بقوة متساوية. أحدهما يجذب للأسفل والآخر يدفع للأعلى وبالتالي لا يتجسم عن ذلك أية حركة.

بحسب بالإشراف على هذا الحجر المغناطيسي بعض الفلكيين الذين يُقَوِّنون وضعه من حين لآخر كما يوجههم ذلك. وهم يقصرون جزءًا كبيرًا من حينهم في ملاحظة الأجرام السماوية، ويعتقدون ذلك بمساعدة عدسات وتطير تفوق كثيرًا في جودتها ما عندنا بها. ورسم أن أكبر مظاهرهم وتلك كواكبهم لا تترك على ثلاثة أقدام، إلا أنها تكبر الأشياء أكثر من تفعل تلك كرات ذات الملق، وتبين النجوم بوضوح أكبر<sup>(١٣)</sup>. وقد مكنتهم هذه الميزة من توسيع اكتشافاتهم أكثر بكثير من فعل الفلكيون عندنا في أوروبا. وقد جمعوا قائمة بعشرة آلاف نجم ثابتة<sup>(١٤)</sup>، في حين أن أكبر قائمة عندنا لا تحوي أكثر من ثلث ذلك العدد. كذلك فإنهم اكتشفوا نجومًا أصغر حجمًا أو قمرين يدوران حول المريخ<sup>(١٥)</sup>، اقترحوا أنه يوجد عن مركز الكوكب الرئيسي مسافة تبلغ بالضبط ثلاثة أضعاف قطر، أما أبعد ما فيبعد خسة أضعاف. ويذور الأول حول نفسه مرة كل عشر ساعات بينما يفعل الثاني ذلك في إحدى وعشرين ساعة ونصف، بحيث تكون مربعات فترتيهما اللوليتين قريبة جدًا من النسبة نفسها بين مكعبات بعديهما عن مركز المريخ، وهذا يبين بوضوح أنها يحكمون بقانون جاذبية نفسه الذي يؤثر على الأجرام السماوية الأخرى.

بعد لاحظوا ودرسوا ثلاثة وسبعين فخرًا مختلفًا<sup>(١٦)</sup> وحسبوا فتراتها ونوراني بدقة عظيمة. وإذا كان هذا صحيحًا (وهو يؤكدون ذلك ثقة كبيرة)، فإنه من المرجح أن تُقَوِّن ملاحظاتهم عن اللول، على أن يؤمى ذلك إلى تصحيح نظرية المد والجزر، التي هي الآن نظرية عرجاء ناقصة، بحيث يصبح بمسوى الكمال لتوفر في المجالات الأخرى من علم الملك.

كان يمكن للملك أن يصبح ذا سلطة مطلقة، أكثر من أي أمير آخر في العالم، أو استطاع أن يفتح ورومه بتأييده. لكن لأن هؤلاء الملوك أملاك وعقارات في القارة التي تحت الجزيرة، ولأن وظيفة القرب إلى الملك ليست مضمونة الاستمرار، فهم لم يوافقوا قط على استبداد بلاتهم.

حين تتوسط مدينة في فرد أو ثورة على السلطات، أو حين تفرقها نزاعات حزبية حادة وعظيمة، أو حين ترفض دفع الضريبة أو الإتاوة العادية، فإن لدى الملك طريقتين لإرغامها على الطاعة. الطريقة الأولى والأخف هي إبعاد الجزيرة سائرة فوق مدينة كهله وفوق الأرض التي حولها، وبذلك

يخرجها من الاستفادة من شجرة الشمس<sup>(١١)</sup> ومن الطرق وبهذا يبطل السكان بالنقطة والأمراض. وإذا كانت جريمتهم تستحق عقوبة أكبر، فإنهم في الوقت نفسه يُرحلون من فرقهم حجارة كبيرة لا يستطيعون حادفها، ولا يجنّ لديهم خيانة أنفسهم منها سوى بالسجود زحفاً إلى الأقبية والخوف، بينما تُنكس سطوح منازلهم حتى تصبح زكاًفاً. ولكن إذا سئموا في عنادهم وشرعوا في مقاربات مدسدة، فإن الملك يلجأ إلى العلاج الأخير، وهو أن يبيط بالجزيرة فوق رؤوسهم مباشرة، مما يؤدي إلى الحراب والتدمير اللذين يشلان المنازل والبشر. وعلى كل حال، هذا إجراء محمّن في انقوسة ونداء ما يضطر لذلك إليه، كي أنه في الحقيقة لا يرغب في وضعه موضع التنفيذ. كذلك لا يجوز الوزراء أن يشيروا عليه كمثل هذا العمل الذي سيجعلهم مكرهين لدى الناس، وتُلقى لدى كثيرًا بعقازيمهم الموجودة كلها تحت الجزيرة. ذلك أن الجزيرة بذلك تُعقّلك وحده.

لكن هناك سبب أكثر أهمية حقاً يجعل الملك يتبرّ داءاً من تنفيذ هذا العقاب المروع، ولا إذا كانت هناك ضرورة قصوى. ذلك أنه إذا كان في المدينة الراد تحضيمها صخور عالية، وهذا ما يحدث عموماً في المدن الكبيرة التي ربما يتم اختراق موقعها في الأصل بقصد منع كارتة كهذه، أو إذا كان فيها أبراج وأعمدة حجرية عالية، فإن نزول الجزيرة لتجني عليها قد يعرض للخطر قعر الجزيرة أو سطحها السفلي. فبرغم أنه يتكوّن، كي تُسَلِّت، من قطعة واحدة من حجر الأذمنت الصلب الذي يبلغ سُكّه مائتي ياردة، فإنه قد يتصدع أو ينشق إذا كانت صدمة الارتصام قوية جداً، أو قد يتفجر لدى اقترابه كثير من نيران المنازل تحته كما يحدث للدمارات الحديدية وأحجرية في مداخلها. ويعرف أهل المدن كل هذا معرفة جيدة، ويسرّكون الخلد الذي ينبغي أن يتوقف عندهم عنده حين يتعلق الأمر بحرياتهم أو عقازيمهم. أما الملك فهو حين يبلغ غضبه مداه ويستقرّ عزمه على تحويل مدينة إلى زكام، فإنه يأمر بأن الجزيرة يرفق بشيد زاعم أن ما يدفعه لذلك هو إشفاقه على شعبه، وحقيقة الأمر أنه يعمل ذلك خوفاً على قعر الجزيرة الأذمنت<sup>(١٢)</sup> من التصدّع. ويرى فلاسمتهم أن ذلك لو حدث فيفقد الحجر لمناطلي قدرته على رفع الجزيرة وتسقط كلها على الأرض.

وقبل وصولي بينهم بحوالي ثلاث سنوات<sup>(١٣)</sup>، وبسبب كان الملك يطير بجزيرة فوق أراضي بلاده، رفع حادث خطير جداً كما يفضح حذاً لمصم تلك المملكة. على الأقل كان مبنّي النظام القائم فيها الآن. كانت أول مدينة زارها الملك هي مدينة لينداينو<sup>(١٤)</sup>، وهي المدينة الثانية في المملكة من حيث أهميتها. وبعد مغادرته لما يتلّاه بهم، قام مكبها، الذين تلك اشكوا من مظالم خطيرة، بمغلاق بوابات المدينة وقصوا على الخاكبة، وبجهد خرق وسرعة عظيمة شيدوا أربعة أبراج ضخمة<sup>(١٥)</sup>، كل برج في زاوية (كانت المدينة على شكل مربع)، وكل واحد منها مُساوٍ في الارتفاع لصخرة قوية مدينة<sup>(١٦)</sup> تقع في مركز المدينة مباشرة. ووضعوا في قمة كل برج، كي في قمة

الصخرة، حجرًا مغناطيسيًا كبيرًا. كذلك تزودوا بكميات هائلة من الوقود الشديد الانفجار<sup>(١٧)</sup> بقصد أن يفشروا به قمر الجزيرة الأدمني إذا فشل مشروع الحجارة المغناطيسية.

نُصِّتَ ثمانية شهور قبل أن يعلم الملك أن أهل لينداينو قد أعزوا انتماءهم على السلطة. حينذاك أمر الملك بحريك الجزيرة حتى تصح فوق المدينة. كان أهل المدينة متفيعين بالإجماع على انقاومهم، محتسبين على ما خزونه من مؤن. وعن النهر الكبير الذي يمر وسط المدينة. وخوَّم الملك موقعهم عدة أيام ليمنع عنهم الشمس والظن. وأمر بأن تُذلى من الجزيرة خبوط كثيرة، لكن لم يقدم أحد بالتماس. بدلًا من ذلك بحث الأهل طقبات جريئة، برفع كل مظاهر الظلم والنصب عنهم، ريباعفادات هامة هم<sup>(١٨)</sup>، والاعتراف بحقوقهم في اختيار مساكهم<sup>(١٩)</sup>، وطلقات أخرى هامة ومطلبة. عند ذلك أمر الملك إلى سكان الجزيرة أن يقدفوا حجارة كثيرة من الرواق السفلي على داخل المدينة. لكن أبناء المدينة كانوا قد استعدوا لمواجهة هذا الأذى بالاختباء في الأبراج الأربعة، وفي شايات قوية أخرى وفي أقبية تحت الأرض.

حينذاك صمم الملك على إحضار هذا الشعب الكثير، وأمر بتزائن جزيرة برفق إلى مسافة أربعين ياردة من فم الأبراج والصخرة، ولقد الأمر لكن الموظفين المسؤولين عن هذا العمل، لاحظوا أن نزول الجزيرة يتم بأسرع مما هو مألوف، ودعى تدوير حجر الملتطيس، واجهوا صعوبة بالغة في إيقافه في مركز ثابت، ووجدوا أن الجزيرة تميل إلى العبوط. وعن الفور أرسلوا إلى الملك سبأ هذا الحادث المذهل: وزعموا جلالة أن ياذن لهم برفع الجزيرة إلى وضع أعلى، ووافق الملك، ثم دعا لاجتماع سبأ وأمر موظفي الحجر لمغناطيسي أن يحضروا الأجسام. وحصل أكثر هؤلاء سبأ وأكثرهم خبرة على إذن بإجراء تجربة. أخذ حبلًا قويًا طوله مائة ياردة، ولأن الجزيرة كانت قد رُفِضَتْ فوق المدينة حتى امتلأت من القوة الجادة التي كانوا قد احسوا بها، عند ذلك بطرف حبله حجرًا من الأعمدة المخلوط معدن الحديد وله نفس طبيعة المواد التي يتكون منها الفجر أو السطح السفلي للجزيرة، ونزل هذا الحبل ببطء من الرواق السفلي فوق جناح الأبراج. ومن أن ينزل حجر الأدمنت مسافة أربع ياردات أحس الموظف بالحجر يُجذِب بقوة إلى أسفل ويوجد صعوبة كبيرة في تجزئه في أعلى. بعد ذلك رمى قطعًا صغيرة من حجر الأدمنت ولاحظ أنه يُجذِب بهدوء نحو قمة البرج. وأعيدت التجربة فوق الأبراج الثلاثة الأخرى وفوق الصخرة، فحصلت النتيجة نفسها.

هذا الحادث لوقته كل إجراءات الملك (ولا داعي لتوقف عند الظروف والمصاحيل الأخرى)، وانحصر الملك للاستجابة لطبقات أهل المدينة.

وقد أكد لي وزير كبير أنه لو اقتربت الجزيرة في هبوطها فوق المدينة إلى وضع لا تستطيع حمله وُلِّغَ ندمها، فإن أهل المدينة كانوا مصممين على شيئاها هناك إلى الأبد، وعمل قتل الملك

رجميع موقفيه ونخدمه، وعمل تغيير نظام الحكم كلياً

وحققاً لقانون أساسي<sup>(٧٠)</sup> في هذه المملكة، لا يُسمح للملك أو لأي من ونديه الأكم سناً أن  
يشارك الجزيرة، كذلك لا يُسمح للملكة بذلك حتى همم وتصبح غير قادرة على الحمر والانتخاب.



## الفصل الرابع

المؤلف يفتخر لابودا، ويثني إن باليتي، ويصل إلى الحصنة وحف للجامعة  
والريف المحاور لها. المؤلف يحظر بكرم الوفاة عند سيد عظيم حديثه مع ذلك  
اللورد

مع أي لا أستطيع أن أقول، أنه أسبب معناني في هذه الجزيرة، فزني لا بد أن أعترف أنني  
احسنت أنني أفعلت كثيراً، وعملت بشي، من الاحتفال والازدراء. وذلك لأنه لم يظهر من ذلك أو  
السكان أي اهتمام بأى موزن من مبلدين الخرفة سوى علمي الرياضة والموسيقى، وفي هذين  
المجالتين كنت دومهم معرفة، وذلك لم أحص إلا بالقليل من لاهتمام.

من ناحية أخرى، حين شاهدت كل الأشياء الغريبة في الجزيرة، رغبت في الوحيل عنها لأنني  
ضجرت حتى أعيايتي من سكانها. لقد كانوا مسموقين حقاً في عيني أكثر لها احتراماً كبيراً، ولم تكن  
بإحداً بها، لكنهم كانوا في الوقت نفسه كثيري الشرود والاستفراق في التأمل لذبحه أنني لم أقابل  
مرّة منهم لموا منهم صبيحة. وكانت أتعلم فقط مع الشعب، والتجار وأخرفين والشمسين وغلمان  
المقصر، وذلك خلال الشهرين اللذين قضيتها هناك. ولهذا أصبحت محقراً منغابة. ولكن كان  
هؤلاء الناس هم الوحيدون الذين كنت أستطيع أن أحصل منهم على جواب معقول.

الدراسة الشاقة الجادة استطعت أن أبلغ درجة جيدة من معرفة لغتهم. لكنني مللت من  
البقاء محجوراً في جزيرة لا أجد فيها ترحيباً وتشجيعاً، ففكرت أن أرسل عنها في أول فرصة.

وكان في المقصر سيد عظيم، له شبه قرابة مع الملك، ولهذا السبب وحده كان يعامل باحترام.  
كان يُعزّر بينهم أكثر الناس شهلاً وغيبه. كان قد قدّم للعرش خدمات جليلة كثيرة، وكان فيه  
صفات عظيمة، فطرية ومكتسبة، تزكها جيباً أمانته واستقامته وشرفه. لكن لم يكن له أدن موسيقية،  
وكان أعداؤه والذين يحطون من قدره يُسمون أنه كثيراً ما كان يضرب الشفحة في غير مكانها أو  
دونها. كذلك لم يكن معلومة يستطيعون تعليمه البرهنة على أبسط الفرضيات في الرياضة إلا  
يصعبه بالغة. وقد خلا هذا الرجل أن يتكلم عن بكرمت وأفضال كثيرة، وأن بشره بأكثر من  
زهارة حيث كان يُقأب أن يحدثه عن شؤون أوروبا وعن القوانين والعادات وأداب السلوك والعلوم

في البلدان العديدة التي زرتها في رحلاتي. وكذا يصني إلى جانب الحديد ويذكر بعض الملاحظات الحكيم حول كل ما قيل. كان عنده كلامان اثنان يرافقه احتشاً لشكليات الظهر، ولكنه لم يكن يستخدمها إلا في القصر وفي زيارات الجمالات الرسمية. وكان دائماً يأمرها بالانسحاب حين نكون مفراً وحدها.

وقد رجوت هذا السيد الجنيل أن يوسط في عند صاحب الجلالة ليُرخص لي بالترحيل. فعمل ذلك ولكن، كما ستره أن يقول، هو نادم حل فراقتي. وفي الحقيقة كان قد عرض عليّ عرضاً عديدة ذات مزايا عظيمة، لكنني رغم ذلك اعتذرت عن رفضها بعبارة تنم عن الشكر الصادق، ولاعتراف المخلص بنفسه.

وفي السادس عشر من فبراير ودعت امك ورجال القصر أهداني انكك هدية بنوع قيمتها مائتي باوند انجليزي، وأهداني صديقي: قريته، هدية ذات قيمة مماثلة مع رسالة توصية إلى صديق له في لاجادو العاصمة. كانت الجزيرة حينذاك تخوم فوق جبل على بعد ميلين من العاصمة، وألصقت إلى الأرض من الترواق السمي بالخرقة نفسها التي رُفِئت بها.

العدة الخاضعة لملك الجزيرة الطائرة تُعرف عمومًا باسم بالتياري والعاصمة تدعى: كيا قنت من قبل، لاجادو، وقد أحس شيء من الغرض والسرور حين وجدت نفسي فوق أرض ثابتة، ووجدت أسير نحو المدينة دون أي فناء. ذاتي كنت ارتدي ملابس كملايس أهل البلاد، وأعرف من لغتهم ما يكفي للتحدث معهم. بعد وقت قصير اعتدبت ليبيت الرجل الذي أحصل له رسالة توصية. وقدمت له رسالة مديونة في مكانة المرموقة عن الجزيرة، فاستقبلني بتطغ وترحاب عظيمين. وأمر هذا النوود العظيم، واسمه مونودي<sup>١</sup>، بإعداد جناح لي في بيت، فاقبست فيه ليلة وجردني هناك، ونعمت بكرم وفاء عاية في الجود والسداد.

وفي الصباح التالي بعد وصولي، أخذني في عرته للتفرج على المدينة التي تبلغ مساحتها نصف مساحة لندن، ولكن بيوتها غريبة البناء، ومعظمها بحاجة إلى إصلاح وترميم. وكذا الناس في استوداع يسرون بسرعة، كان مطرهم غريباً وغيرهم جامدة وملابسهم على العنوم رثة وبالية. وخرجنا عبر إحدى بوابات المدينة ووصلنا إلى مسافة ثلاثة أميال في الترف حيث رأيت عدداً كبيرين يعملون في الأرض بأنواع عديدة من الأدوات، أكن صاصبي لم يعرف ما كانوا يصنعون. ومن ناحيتي لم ألاحظ ما سنن من فميج أو عشب، رغم أن ثرية كانت تبدو غريبة جداً. ولم أستطع إلا أن أتعجب من هذه الظواهر الغريبة في كل من المدينة والتريف، فتجرات على أن أغلب من صاصبي ومرشدني أن يتكرم فيشرح لي معنى أن تكون كل هذه الترووس والأبدني والتوجوه الكثيرة في الشوارع والحقول مشعولة جداً، مع أنني لم أكتشف لعملهم هذا أية نتائج جيدة، ولكني على

انعكس، لم أعرف في حياتي أرضاً بهذا القدر من سوء الاستغلال، أو سوءاً بهذا القدر من سوء التخطيط والحرق. ولم أر قط شعباً تعمر بيوتهم أبنائهم وثيابهم عن مثل هذا القدر من التوسيع والمعمّر<sup>١١</sup>.

هذا الذئب المونودي كان من ذوي المراكز العليا، كان حاكمي عدة منارات لخدمة لاجدود. ولكن الوزراء كانوا له وقامروا عليه حتى طرد من منصبه لعدم الكفاءة. لكن الملك عامه عطف واعتبره إنساناً حسن النية؛ لكنه قبل الملكة والنفقة للدرجة تدعو إلى الاحتقار.

حين انتقدت البلاد وأهلها بصرامة لم يرد عليّ أكثر من قوله: «لماذا لم أجتهد بينهم مثل تكمي لإمذار حكمي». ورأى شعوب العالم المختلفة عادات مختلفة، وأشباه عامة أخرى تؤدي نفس المعنى. لكن حينها عدنا إلى قصره سألتني عن رأيي في المبني، وعن الأشياء العربية السخيفة التي ألاحظها، وعن اعتقاداتني بنبأ خدمه ومظاهرهم. لكنه كان يسأل وهو في مأمن من النقد، لأن كل شيء حوله كان رائعاً ومنظماً وأيقافاً. وأجبت أن جديته وسعادته، ومكانته الاجتماعية وثروته، تحفي من تلك النقائص والعيوب التي ننجبها الحياكة والفكر لدى الآخرين. وقال: «إذا كنت أرغب في الذهاب معه إلى بيته الريفي الذي يبعد حوالي عشرين ميلاً وحيث تقع أملاكه، سيكون لدينا فرصة أفضل لهذا النوع من الحديث». وفدت لسعادته التي تحت تصرفه ورهن إشارته. وفي الصباح التالي كنا في الطريق إلى هناك.

رائدنا رحلتنا طلب مني أن ألاحظ الطرق والأساليب العديدة التي يستعملها المزارعون في إدارة أراضيهم، وقد بذلت في هذه الطرق غير معقولة وغير قابلة للتطبيق، لأنني لم أكن متسببة قبلح أو نية عشب إلا في أماكن قليلة جداً. تكن بعد ثلاث ساعات من السفر تغير المشهد تغيراً كلياً. فقد دخلنا ريفاً من أجل الأرياف، نفع بيوت الفلاحين فيه على مسافات قصيرة من بعضها. وكانت ذات بناء مرن، كمن كانت اختلج مسورة ونحوي كروم عنب وحقول قمح ومروجاً. ولا أذكر أنني رأيت مشهداً أمتع من ذلك المشهد. وقد لاحظ سعادته أن وجهي قد انشرح، ف أخبرني وهو يبتسم، أن ماء هي أملاكه. وأنا متظلل على هذا النحو حتى نصل إلى منزله؛ وأن أهل تلكه يسخرون منه ويعتفرون لأنه لا يدير شؤونهم بشكل أفضل. ولأنه يعطي قدره سيئة لأهل الملكة، لكنه قدوة لا يحسب حذرهما سوى الثغليين جداً من كبار السن العنيدير الضعفاء من أمثاله.

وأخيراً وصلنا إلى منزله الذي كان مبني نيلاً حقاً، مبنياً طيباً لأحسن الفوائد في فن البناء القديم. كانت المواقير والحدايق والممرات والطرق الملمحة والستون غطمة بفكر سليم دقيق وفوق رائع. رأيت على كل شيء رأيت بما يستحق من نقاء، لكن سعادته لم يبد اهتماماً بذلك حتى انتهت من تناول العشاء. ولينا نحن الاثنين وحدهما دون ثالث حولنا، حينذاك قرر في بومه عزون

إنه يظن أنه سيهدم بيوتهم في المدينة والريف لكي يعيد بناءها حسب الأسلوب الحديث السائد، ويخرب كل مزارعه نهد تشكيتها كما نقضي الأساليب الحديثة (الموجز)، وأنه سيقتدر التعليمات نفسها في فلاحه؛ ولأفانه بعرض نفسه لاجتماعات مثل التكتل والتعليق والتفرد والتصنع والجهل والنزواتية، ورمي يزيد ذلك استهزاء الملك منه.

كما فاء إلى التعجب والاستعجاب الذي يظهر على، سيتهي أو يغل حينها يجرى ببعض التفاصيل التي ربما لم أسمع بها قط في القصر، لأن الناس هناك مستغرقون في ذملائهم الخاصة بحيث أنهم لا يهتمون بما يجري هنا.

وكان منخص حديث ما يلي. منذ حوالي أربعين سنة<sup>(٢٧)</sup> صعد بعض الأشخاص إلى لا بونا، زما للعن أو للترفيه والتسوية، وبعد ثمانية قضا فيها خمسة شهور مستمرة، عادوا بمعرفة سطحية جداً في العلوم الرياضية، مصحوبة برح متوثبة ومعلومات مفجرة كسرها من تلك المنطقة القوية المتحرفة. ولدى عودهم بدأوا يتبرمون بإدراك كل شيء، ورحوا يعطون لتجديد وتطوير الفنون والعلوم واللغات والأموال الفنية. وتحدثت هذه الغاية حصصاً على ترجيح ملكي بإنشاء أكاديمية المختصرين<sup>(٢٨)</sup> في لا بونا. ونشرت هذه السيرة والحجاس بين الناس حتى لم نبق مذبة دون أكاديمية ماثلة. وفي هذه التكلات، بفتح الأسبنة قواعد ومذيع حديثة في الزراعة والبناء والآلات والدراسات لكل أصحاب الحرف والصناعات: زعم أن المرجح بهذه التحديدات سيقوم بعمل عشرة رجال، وأن القصر سيبنى في أسبوع ويوجد لا نين ولا تحتاج لإصلاح، وأن حيرات الأرض يمكن إنتاجها وتضاعفها في أي فصل أو موسم تريد<sup>(٢٩)</sup>، ومضاعفتها مائة مرة عما هي عليه الآن، ومزاعم أخرى متبسة لا تحصى. الشيء المزعج الوحيد أنه لم يتم حتى الآن الوصول لهذه المشاريع إلى درجة الكمال. وفي هذه الأيام أجدت البلاد جدت تيساً، وأصبحت البيوت حارات، وأصبح الناس بلا مأكل أو ملابس. وكل هذا لم يلبط عراهمهم: بل زاد حسهم وأصروهم عجزاً ضعفاً عما كان عليه للاستمرار في متابعة خططهم ومشاريعهم، بنفعهم الأمل بقدر ما يسرفهم الخوف من القتل. أما بالنسبة له، فإنه ليس ذا طبع معاصر، وقد قنع بالاستمرار - لأسباب والعرق القديمة، والعيش في البيوت التي بناها أسلافه، والعمل كما كانوا يعملون في كل شؤون الحياة دون تجديد أو ابتكار. وقد حصل الشيء نفسه لشخص قلائل من عليا العجم ومن ملاكي الأرض، فصار ينظر إليهم جميعاً بظنرات الاحتقار والظنم، والمطربوا أصداً للفقير، وجهمة، ومواضيع سيئين يفضلون الراحة والخلل على تطوير بلادهم وتحسين أحوالها.

وأصاف سيادته أنه لا يريد، يذكر المزيد من التفاصيل، أن يُقْبَل على متعة مشاهدة الأكاديمية الضعيفة التي كان مصمماً أن أذهب إليها. وقد طلب مني فقط أن ألا حظ مني مدمراً على سطح

حبل يمتد ثلاثة أميال، وأصعدي وحفظاً له. بعد كانت نه طاحونة حيدة يوماً عن بُعد نصف ميل من بيته، يديرها نيدر مائي من نهر كبير، وكانت تكفي لتمد حاجات أهله وقسم كبير من فلاحيه. وقبل حوالي سبع سنوات، جادته عصبية من كونك الشحططين والمخترعين يحملون افتراضات بهم هذه الطاحونة وبناء أخرى على سطح ذلك الجبل. حيث يجب أن تُشرف قناة طويلة ليم تخزيناً من الماء الذي متفله الشيب والآلات لإدارة الطاحونة، لأن الرياح والهواء على مرتفع ينزله الماء ويجعله أصبح للحركة، ولأن الماء المتحضر من هوية مدير الطاحونة بنصف نيل النهر الذي يكون فعل من مستواه. ووافق على الاقتراح لأنه لم يكن حينذاك مُرضى عنه في القصر، ولأن كثيرين من أصدقائه ألقوا عليه أن يوافق. وبعد تلخيص مائق شخصي لمدة عامين، فشل المشروع، وانصرف المخترعون عنه وهم ينفون انهم كله عنه، ورجوا يجرؤونه ويستولون إنه منذ ذلك الحين. ونفياً آخرى بتقديم بالتجربة نفسها، سوغت معسولة مثله بالتجارب نتائج مثقلة في الفضل

وبعد بضعة أيام عدنا إلى المدينة لكن سببته لم يذهب نفسه معي إلى الأكاديمية، لأنه مكرره حاك، وأرجى صديقاً له أن يرافقي، وقدمي له باعتباري شاييد الإعجاب بالمخترعات والمفيد له ضبون حول كل جديد، وسريع المصنف لا يُقال. ولم يكر هذا في الحديقة دون أساس من لصديق، إذ كنت في أدم شبر غترفا إلى حد ما.

## الفصل الخامس

يُمنح للمؤلف عشرة أكاديمية عطية في واحد. وفي معقل الأكاديمية،  
التي هي المراسم التي يُستغل الأستاذ أنفسهم بها.

ليست هذه الأكاديمية هي كمالاً واحداً، ولكنها سلسلة متصلة من بيوت عديدة على حثي  
شارع، كانت قد حلت من الملاك فاشترت واستعبدت لأغراض الأكاديمية.

استقبلني القميص بلفظ بالغ ودهيت إلى الأكاديمية أياماً كثيرة، كان في كل غرفة عترة أو أكثر،  
وتسند التي زرت ما لا يقر عن عترة غرفة<sup>(١)</sup>.

كان أول شخص قابلته ذا مظهر نحيل، ورجل ويدين مبلونتين بالسقم، وشعر رأسه ونيت  
طريق أشعث مبلوط بشعر في أماكن عديدة، وملايسه وقصبة وحلده كلها تلوّن الشحام. كان قد  
قضى ثلثي سنوات في مشروع لاستخراج السعة الشمس من الخمار<sup>(٢)</sup>، ثم نعتنها في قوادر مختومة  
محكمة الغلق، من حيث يمكن إخراجها واستخدامها بتدنية الهواء في أيام الصيف العاصفة الجافة.  
وقال إنه لا يشك أنه خلال ثلثي سنوات أخرى، سيصبح بإمكانه أن يُزوّد حدائق احتكام بأشعة  
الشمس سحر معقول. لكنه تشكى أن مخصصاته قليلة، ونوى إلى أن أمتعه شيئاً تشجيعاً  
للإبداع، ولا سيما أن سعر الخبز في هذا الموسم عالى جداً. وقد نعتنه مبلغاً بسيطاً، لأن مصيبي  
استود كان قد زوّدت بعض استود هذه الغاية، لأنه كان يعرف حريقتهم في الاستجداء<sup>(٣)</sup> من كل  
من يذهب لشارعهم.

وبعد عره عموماً وكذبت شارع بالعودة إلى ذهني رائحة كرية نظيفة<sup>(٤)</sup>، نكن مُرشدي  
دفعني إلى الاسم يحذرنى هذا أن لا أفعل شيئاً يجرح مشاعر أحد، لأن ذلك سيقابل بامتهجان  
وستنكار شديدتين. ولهذا لم أحرز حتى عن إغلاق النبي. كان المخترع في هذا الجحر أقدم طالب  
في الأكاديمية. كان لون وجهه ولحيته أصفر لسحابة، كما كانت يده وملايسه مبلونتين بالقاروت. حين  
قدّموني له ضمني ضمة العائش الوطن (وهذه تحية كنت أعتده لو أغفلها). كان عمته وتد أن دخل  
الأكاديمية يتحضر في عملية تحويل الفراز البشري إلى الأعذية التي نكوت منها في الأسفل، وذلك من  
طريق فصل عناصره العنيدة، وإزالة اللون الذي جاءه من الحرارة. واتخلص من رائحته بإطلاقها

في الهواء، وتُضبط ما خلق به من لعب. وكانت الجمعية تمنحه حصصاً أسبوعية تتكون من وراء عمود بانغاط بشري، بغتة كسعة برمن من برستول.

ورأيت غمرغا آخر يعمل في تكوير الثلج ولحويله إلى مسحوق بارود. هو أيضاً أراي بحثاً ألفه حول قابلية النار للطلاق وللمعدية<sup>١٤</sup>، ويتوي أن ينشره.

وكان هناك مهتاس معادي عبقري اخترع طريقة جديدة لثناء البيوت، تبدأ من السقف وتنتهي حتى تصل للأرض. وقد برز ذلك بما نرسمه نلكها الخمرانك الخكيتن، النحة والعمكوبت.

وكان هناك أستاذ كلفك منذ ولادته<sup>١٥</sup> وغب إمرته صبيان مقربون؛ في مثل حياته، يعملون في خلط الألوان للرسم. وكان أستاذهم يعلمهم تمييز الألوان عن طريق النمى والنم. وكان من مرمه حظي حقاً أن أجدهم في ذلك الوقت غير متفوقين جداً في دروسهم. وأن أجدهم أستاذهم نفسه يخطئ بشكل عام. وهذا الفنان يعطى ماتشيج البالغ والتفكير انهم لدى لجة الجمعية كلها.

وفي جناح آخر سرتي أن أراي غمرغا كان عاد اكتشف طريقة خورث الأرض بالحذرير<sup>١٦</sup> ليوفر بذلك تكاليف المحارث واجواميس والعمال. وطريقته هي ما يلي: ادق في فدان من الأرض ثلث البلوط والتمور والكسنة، أو خضراوات التي يحبها الحناوير، وذلك في حفر عمقها ثلثي بوصات وبعدها عن بعضها ست بوصات. ثم أذبل ستالة أو أكثر من هذه الخيرات إلى هذا الفدان، وفي ضمة أيام ستعب لك الأرض بأحداً من غذائها، وتعملها صالحة ليدور الذور، وفي الوقت نفسه تسقى برؤتها. وعندما وضعوا هذه التجربة موضع التنفيذ وجعلوها باهظة التكاليف والمشتقات ولم ينجحوا منها عموماً. لكنهم لا يشكون أن هذا الاختراع واثق للتحسين.

ومشيتُ خوفة أخرى. وجدتُ بذلك ابتكاف يعطي رندى من السقف وجميع الحدرات، وليس فيها سون ثم ضيق للذخول المخرج الفدان<sup>١٧</sup> وخروجه. وبدى دخولي صباحاً في هذا المكان في لا أعرفه بشك. وراح يشكو مرَّ الشكوى من الخلل الذي وقع فيه العالم منذ زمن طويل باستعمال دبدان الفز، في حين أن لديها هذه لوفرة فضلة من الحشرات المتزيلة التي تصفوق على حيدان الفز تفوقاً لا حدود له لأنها تعرف كيف تنسج وكيف تغزل أيضاً. وقد زعم زيادة عن ذلك أننا باستخدام العنكب سترقى تكاليف صنع المسوحات الحورية. وقد اقتنعتُ كل الاقتناع حين رأيت مجموعة هائلة من العنكب المفلون بأهل الألوان، والتي ينفذ به العنكب، مؤكداً لنا أن العنكب ستأخذ لون العنكب. وزعم أنه حين يتور لديه دباب من كل الألوان، سيتبع ما يرضي جميع الألوان حيث يجد لصعاب الثابت للذباب، أي طمعاً يحتوي على مواد صمغية، رريوت ومواد نرجه أخرى لبعضها الخروط مثالة وألواناً ثابتة

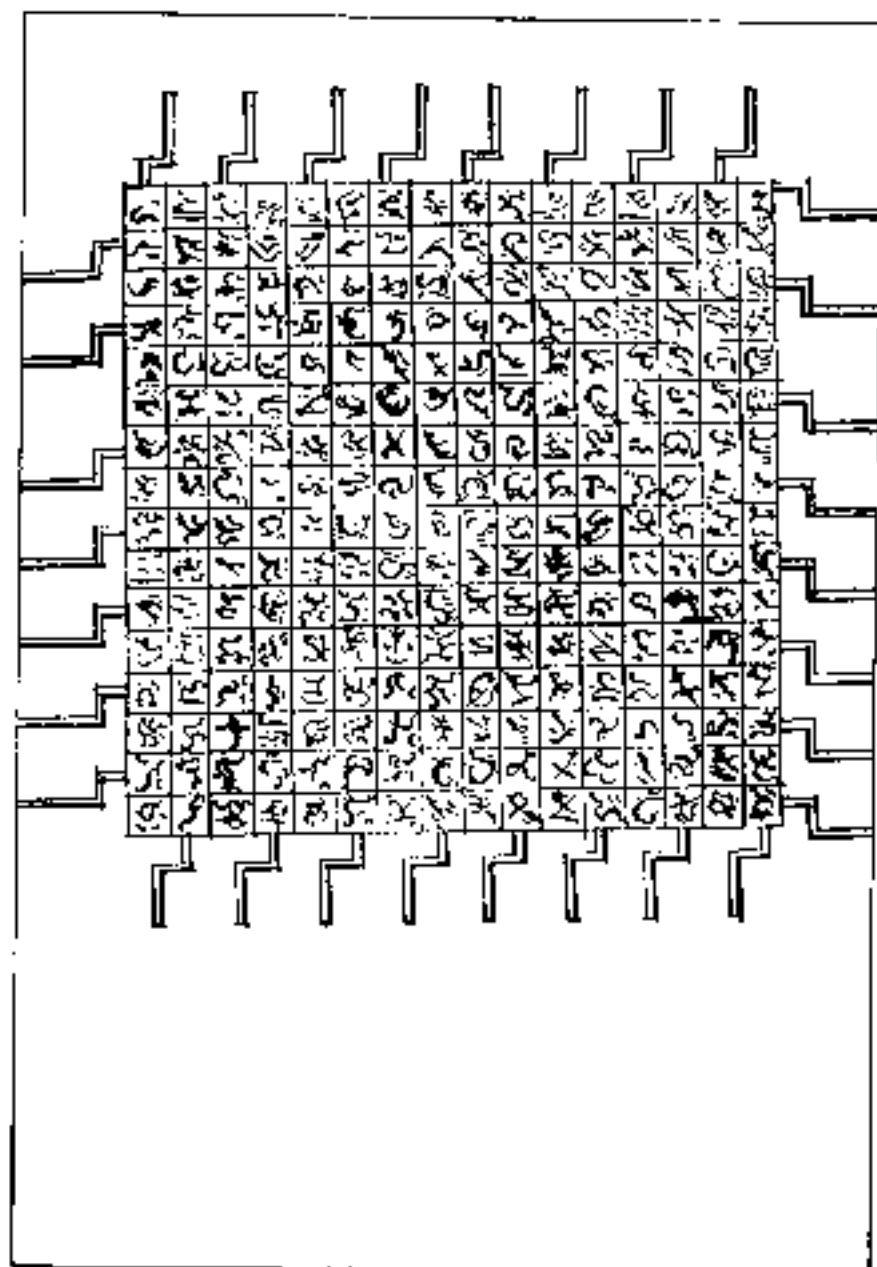
وكان هناك فلكي تخطه في وضع ساعة شمسية على ديك الرياح<sup>(١٠٠)</sup> (مؤشر اتجاه الرياح) فوق مبنى الجلبدة بواسطة تعديل حركات الشمس والأرض السنوية وضوئية لكي تنهتج مع كل التغيرات الفرضية والمتاجفة في اتجاه الريح

كنت أشكر من نوبة غميمة من أنفاس الغولابي. عند ذلك انحنى مؤيدي إلى غرفة يقيم فيها طبيب عظيم مشهور بعلاج ذلك المرض بعصيات مصادرة من الأداة نفسها كان عنده مفتاحان كبيران<sup>(١٠١)</sup> لها فوهة رفيعة طويلة من العاج. كان يَدْخُل هذه الفوهة مسافة ثمانية بوصات داخل الشرج ويسحب الهواء، وبذلك كان يستطيع كبح كدك؛ أن يجعل الأمعاء هزيلة وسبيلة (أي غير جفت) كالثاني المسجلة. ولكنه إذا كان المرض سيئاً وسيفاً، فإنه كان يَدْخُل الفوهة والمفتاحان مليئان بغوارة، وينفخ الهواء إلى داخل جسم المريض، ثم يسحب الفوهة ليعيد مليء بالمغذيات. وسد فوهة الشرج بإبهامه. وحين يخرج هذه العملية ثلاث أو أربع مرات يندفع الهواء خارج الجسم ويضع المونة المؤدية للمصحة (كثاء حين يوضع في مضخة) وهذا يشفي المريض. وقد رأيت يجري العمليتين على كلب، ولكني لم ألاحظ أي تأثير للعملية الأولى. بعد العملية الثانية، كان الكلب على وشك أن ينفجر حين انطلقت منه بعض أشياء كريهة جداً بالنسبة لي ولرفاقني. ودانت الكلب في مكانه، وركبنا الطبيب وهو يحاول أن يبعده إلى الحية بالعمليتين نفسها.

كنت حتى الآن قد رأيت، جاك وإحداً من الأكاديمية، أو الجانب الآخر فهو مخصص لأنصار العلوم النظرية التامة الذين سادوا عنهم شيء بعد أن أذكر شخصاً آخر فها هو يُخزف بينهم باسم الفتان العلامة العائلي<sup>(١٠٢)</sup>. قال لنا هذا الفتان إنه قضى ثلاثين سنة، سكر تحلافاً فكره تحسين الحياة البشرية. وكان لديه غرفتان مليئتان بالأشياء الغريبة، وخسرون موطّأين بمشراصة. بعضهم كانوا يجرون الهواء إلى مادة صلبة جافة باستخلاص نوات الصوديوم منه؛ وتقطير الجزيئات انشائية أو المائية. وآخرون كانوا يجمعون الرمر والرخم لتحويله إلى وساك وقصع سفنجية يُغرز الإبر فيها، وآخرون يملكون حوامل حضانة حتى إلى مادة صخرية لكي لا تصب بالفروج. أما الفتان نفسه فكان في ذلك الوقت مشغولاً بمشروعين عظيمين: الأول، أن يندب الفتى (سد البثور) في الأرض<sup>(١٠٣)</sup> مؤكداً أن القدوة على السكان والاسميين موجودة في القشر وليس في البذور، كما أثبت ذلك في عدة محارب. لكني لم أستطع فهم هذه التجارب القصيرة في ذلكاني. أما المشروع الثاني فهو العمل بواسطة خلعة من الأصباغ والمعدن واختراعات توضع على جلد خنزير (أي خروفين صغيرين) من الخارج لتتبع نمو النسوف عليه. وكان يأمل أنه يستطيع بعد مدة معقولة أن ينتج سلالة من الخروف عارية من النسوف<sup>(١٠٤)</sup> وينشرها في جميع أنحاء المملكة.

غزينا الطريق إلى الجزء الآخر من الأكاديمية حيث بينهم، كما استعدت، أنصار العلوم النظرية التامة.





أول استاذ رأته كان في قاعة واسعة جدًا وحوله أربعون تلميذًا. بعد استحية لاحظت أنني أنظر بأعينهم إلى إطار حمل الطور الأكبر من عرض القاعة وطوله<sup>١١١</sup>. فقال لي قد أتعجب إذا أراد يستخدم أشياء عملية وميكانيكية في مشروع لتحويل المعرفة النظرية، ولكن أتعلم سيدرك فوائد هذا المشروع بعد وقت قصير، وأنه يستطيع أن يبين نفسه بالقول أن هذه الفكرة السامية البسيطة لم تولد قط في رأس أي إنسان آخر. فأنكل يعرف، أن الطريقة العادية في كتاب الفنون والآداب والعلوم تتطلب مشقة كبيرة ومعادة عظيمة في حين أن اختراعه هذا سيتبع لأكثر الناس جهلًا، وبكتاتيف معقولة، وبعبء حسي بسيط، أن يؤلف كتابًا في الهندسة والشعر والبسة والفلسف وعلوم والرياضة وعلم الدين، دون أن يحتاج إلى أدنى مساعدة من العفوية أو الدراسة<sup>١١٢</sup>. ثم قادني إلى الإطار الذي كان طلابه يقرءون على جوانبه في صفوف. كان هذا الإطار مربعًا؛ طول ضلعه عشرون قدمًا، وموضوعًا في وسط القاعة. وكان مضطرب يتألف من قطع عديدة من الخشب، كل قطعة بحجم ستة أقدام، لكن بعضها أكثر من البعض الآخر، وكلها موصولة بعضها بواسطة أسلاك زخمية. وكان كل رجه من التوجيه الستة المربعة في كل حبة معطى بزرقة ملصوقة عليه. وعلى هذه لورقات كتبت كل كلمات لغتهم حسب ترتيبها. ثم صلبت في الأستاذ أن ألاحظ ما يحدث لأنه سيقتل الله. ألقى أمرًا لتلاميذه فأمسك كل واحد منهم بيدًا حديدية، وكانت هناك أربعون يدًا على جوانب الإطار، حين أدار الطلاب هذه الأيدي فجاءت تغير ترتيب الكلمات منه. ثم أمر ستة وثلاثين من الطلاب أن يقرءوا صوت السطور كما تظهر على سطح الإطار، وحينها يجرون ثلاث، أو أربع كلمات معًا يمكن أن تكون جزءًا من جملة، ثم يكتبونها على لاصقات الأربعة السابقين الذين كانوا يكتبون وكنتة. وكررت هذه العملية ثلاث أو أربع مرات، وفي كل دورة كانت الآلة مصممة بطريقة تحمل الكلمات. تنتقل إلى أماكن جديدة نتيجة تحريك القطع الخشبية بحيث يصبح عليها اسمها.

كان الطلاب يتعلمون في هذا العمل ست ساعات يوميًا، وأراني الأستاذ عدة مجذات ذات ورق بحجم كبير مبنية بأجزاء متشابة من الجمل جمعفت بهذه الطريقة حتى الآن. وقال إنه يدري أن يضم أجزاء الجمل إلى بعضها، ومن هذه المواد الفنية يسمح العالم بمجذات كاملة تحتوي على الفنون والآداب والعلوم. وأضاف أن هذه العملية ما تزال قابلة للتحسين، ويتكبر أن تصبح أسرع كثيرًا إذا تبرع الجمهور بأموال تكفي لصنع واستخدام خمسة إطار كهذا الإطار في لاجادو، وإذا تجبر السراء أن يساهموا بمجموعين.

وأخذ لي الأستاذ أن هذا الاختراع غفل فكره منذ شبيهه، وأنه فرغ كل مفردات اللغة في هذا الإطار. وعمل أدق الإحصاءات بالنسبة العامة في الكتب بين أعداد الحروف والألفب والأسماء وأجزاء الكلام الأخرى.

وقد تمت هذا الشخص للامع اعتراف المتواضع بأهمية اختراعه وشكري عن شرحه لعظيم  
روعه إذ ساعدني اعط بالعودة إلى بلادي التي سأنتهي وأعلمه حقه بأنه المخترع الوحيد لهذه  
الألة الرائعة التي أخذت منه وقتنا بنقل شكلها وتصميمها عن الورق كما هو موضح في الشكل  
الملحق هذا. وذلك له، رغم أن العودة إلى الشرق عبروا الاختراعت بنفسهم من بعض<sup>١٢٦</sup>، مما  
أدى على الأقل إلى الفائقة التالية. وهي قيام جدل حول أهم المثلث الحقيقي. لكني سأترك الأمر  
بحذر وحيلة بحيث يبقى شرف الاختراع كله له وحده ودون منافس.

بعد ذلك ذهبت إلى مدرسة الهندسة<sup>١٢٧</sup> حيث كان يجلس ثلاثة أساتذة يتشاركون في كيفية قيم  
كل واحد منهم بحسن لغة بلاده.

كان المشروع يقول هو احتصار الكلام<sup>١٢٨</sup> عن الطوبى المتعارف مقطوع الكلمة ذات المقاطع  
المتعددة إلى مقطع واحد، ويختلف الأعمال ومشقها، لأن كل الأشياء التي يمكن تحويلها ليست في  
الحقيقة سوى أسماء.

فما المشروع الثاني فهو خطة لإنشاء الكلمات كلها. وقيل، تشجيعاً لانتاج هذه الخطة، إن لها  
فائدة عظيمة من حيث الصحة والإيجاز، لأنه من الواضح أن كل كلمة تنطقها هي إلى حد ما  
تصغير للربطين عن طريق الاحتكاك واختصار<sup>١٢٩</sup>. وتؤدي بالتالي إلى تعسير فهمها. ولهذا لم يكن أحد  
التالي: بما أن الكلمات ليست سوى أسماء، لأشياء<sup>١٣٠</sup>، فمن المناسب أكثر لكل الناس أن يحملوا  
معهم الأشياء الضرورية للتعلم عن الحجابات، وخاصة التي يرون المتحدث بشأنها. وكان من المؤكد  
أن يوضح هذا الاختراع موضع التنفيذ، مما كان مبرح الناس ويحفظ لهم صحتهم، نولاً أن الشرة  
ومعهم الشفلة والجملة حدود بالقيام شدة إن لم يُفسح لهم سحرية استعمال ألسنتهم، حل طريقة  
استلزامهم. وهكذا يحل العامة من الناس أعداد تدوين دائمين للعلم. على أية حال، فإن الكثيرين  
من أكثر الناس عجزاً وحكمة يتزعمون بهذه الخطة الجديدة في التعبير عن أنفسهم بالأشياء رغم العيب  
الوحيد الموجود فيها<sup>١٣١</sup>؛ وهو أنه إذا كنت حاجات المرء مهمة ومتعددة الأنواع فإن عليه أن يحمل  
على ظهره رزمة أكبر بنسبة أهمية حاجاته وتعددتها، إلا إذا كان لديه قدرة على استبدال خادماً أو  
اثنين ليرافقه ويحمل الرزمة عنه. وكثيراً ما شاهدت اثنين من أولئك الحكماء يكونون يقعون تحت  
ثقل حملهم: كثيافة المتجولين عندنا. وكان هذان الاثنان عندما يفتيان في الشارع يضعان حملهما  
عن أذرعهم، ويستحان كسبيهما، وينحدثان طيبة ساعة معاً، ثم يعيدان الأشياء إلى أكرمين. ثم  
يساعد أحدهما الآخر في وضع الكيس على ظهره؛ ويبدعان أحدهما الآخر.

لكن يمكن للمرء، في المحادثات القصيرة، أن يحمل من الأدوات في جيبه وتحت إبطه ما  
يؤدي غرضي. أما حين يكون لي بيته فلن يُغلب، وهذا فإن الغرفة التي يتلاقى فيها الناس لأدنى

يُدرسون الكلام بهذه الطريقة تكون مبنية بالأشبه- التي تكون في تناول اليد وتكون أساسية  
لنموضوح الذي يتم الحديث عنه بهذا الأسلوب المتكرر.

وعن لعوان: العزيمة التي تشب هذا الاحتياج هو أنه يمكن استعماله كنقطة عادية<sup>(١١)</sup> تفهمها  
كل الشعوب المتحضرة التي تكون أشباهها وأصولها من النوع نفسه عمومًا، أو قرية أشبه ببعضها  
بحيث تكون من السهل فهم استعمالها. وبهذا يصبح الأفراد مؤهلين للتعامل مع الملوك ووزراء  
الدولة الأجانب رغم كونهم غريب عن لغة أولئك الملوك والوزراء.

وقد ذهب أيضًا إلى مدرسة العلوم الرياضية حيث كان الامتداد يعلم تلازمه بطريقة لا يمكن  
لنا في أوروبا أن نتصورها فقد كانت الفرضية والإثبات تكتسبان على رقاقة بسكويت بحجر مصنوع  
من دواء الرأس. وكان على الطالب أن يبتلع هذه الرقاقة على معدة فارغة، ويبقى بعد ذلك دون خبز  
وما، طيلة ثلاثة أيام. وحين تُهضم الرقاقة، يصعد دواء الرأس إلى الدماغ حائلًا معه الفرضية  
والإثبات. تكن نجاح هذه الطريقة لم يتم حتى الآن، ومزاد ذلك قد يكون خطأ في كمية الدواء أو  
تركيبه، كما قد يكون عناد الأوداد ومشاكتهم؛ إذ أنهم يكرهون هذه المصفة ويشتمون منها  
بحيث ينتحون حاربًا خفيًا ويصيحون قبل أن تفعل فعلها. ولم يتم إقناعهم بعد بالامتداد طويلًا عن  
الآن والشرب كي نطلب المصفة.

## الفصل السادس

استكمالاً لوصف الأكاديمية، المؤلف يفتح بعض الحسابات ويلاقي اقتراحه قبولاً حياً.

في مدرسة المخترعين السياسيين لم تجد ما يشدني فقد عُيِّن إليّ في الأستاذة قد قدود عقوقها، وهذا مشهد يجزئي من الدوام. كان هؤلاء الشاعرين يترجون عطفاً لإفدع لتلك باختيار الفريين إنيهم على أساس ما يتحنون به من حكمة ومقدرة وفضيلة، وتمنيم السوراء الاهتم بالمصلحة العامة، ومكافأة ذوي الجدارة والمقدرة والخدمات الجليلة، وتربية الأمراء على إدراك أن مصلحتهم الحقيقية هي مصلحة شعوبهم وقيام وإيادهم على الأساس نفسه، ورضع الرجل المناسب في الوظيفة المناسبة، وما إلى ذلك من انخريعات المصونة المسجحة التي لم تخطر ببال إنسان. وهذا أكد في ما لاحظته من قبل، وهو أنه لا يوجد شيء مثل هذا التهور والشطرف واللامعقولة إلا ويرجع بعض الفلاسفة أنه حق وحيواس.

لكنني لا بد أن أضيف هذا الجزء من الأيديمة واعترف أن فلاسفته ليسوا جديراً، حاملين وغير عديمين بهذا القدور. فقد كان هناك دكتور متميز براعته وصلاحه، كما ظهر لي، في طليعة الحكيم وأنظمت. وقد كرّس هذا الشخص مشهور دراساته لأموه مفيدة، كإيجاد علاجات ناجعة لكل أنواع المرض والفساد التي تصيب الإدارات العامة نتيجة لتفردات واللون الوهر والنقص فيمن يتحكمون، وأنواع الانحلال والمسئمة يطعمون. ذلك أن كل المفكرين والكُتّاب يتفقون أن هناك موازبات شاملاً بين الجسد الطبيعي والجسد السياسي<sup>(١٢)</sup>. وقد عليه أنه يجب الحفاظ على صحتها وفقاً كما يمكن شفاؤها بالعلاجات نفسها. فمن المسلم به أن البيانات والمجلس العامة، كثيراً ما تعاني من ضار العناصر التي تخلق في تكوينها أو عدم نجاعتها<sup>(١٣)</sup>، كان يتكرر عنصر أكثر من الحاجة إليه. أو تكثر العناصر القلبية أو العناصر الكلبية السقيمة، أو التي تعاني من بطل كثيرة في الرأس أو بطل أكثر في القلب، أو من تشنجات حادة أو بوزات حاضرة في الأعصاب وعضلات اليدين، وهي الأخص اليد اليمنى، أو من علة في المضطرب وما ينجم عنها من تكدر وكآبه، أو من كثرة الريح، أو من الذوخان وحالات الغليان، أو من الأورام الملتهبة مواد جديدة كربة الرنحة، أو من محشونات تخرج منها مادة

خامسة رابعة، أو من جومات مسورة، أو من هضم عير، أو من جلال أخرى كثيرة لا حاجة لذكرها. وهذا يفتح هذا الدكتور أنه عندما يجمع مجلس ثمة، فإنه يجب أن يحضر أعضاء معينون حسب الأيام الثلاثة الأولى. وبعد انتهاء النقاشات والمجذلات في كل يوم، يقسمون بعض كل عضو، وبعد ذلك يجتمع الأطباء معاً ويشرحون طبيعة الأمراض ويشيرون في وسائل شفاها، ثم يعودون في اليوم الرابع إلى مبنى مجلس الأمة يحملون معهم الأدوية المناسبة. وقبل أن يأخذ أعضاء المجلس مقاعدهم يُعطى لكل واحد منهم ما ينطبقه حاله من عقاقير مهدئة للأعصاب أو ملينات أو مضهرات أو مواد كاوية، أو مهدئة للأعضاء، أو مسكنات أو مُسهلات أو مضادة للتشنج أو مضادة للهضم والحموضة أو شافية من الصدغ. فإذا أعطت هذه الأدوية النتائج المرجوة تكرر في الجلسات التالية، وإلا فإنها تُستكمل بدواء آخر أو تُلغى.

ولا اعتقد أن هذا المشروع سيكون للشعب كثيراً، ستكون له، في رأيي، ثلوصع، فائدة عظيمة في إنجاز الأعمال في تلك البلدان التي يشارك فيها المجلس في السلطة التشريعية، إذ أنه سيحب اتفاق الأراء، ويُقصر المناقشات ويضع أفرادها في الآن معلقة، ويقلل تكرار من الأقواء التي هي لأن مفتوحة، ويحد من غرور الشباب ومن تسلب الشيوخ، وينشط الكسبي والأغبياء ويهدئ للصغيرين بالنشاط والذكاء.

ولأن القريب من ملوك والأمراء يعانون من ضعف الذاكرة أو قسرها، يقترح هذا الدكتور نفسه على من كانت له حاجة عند رئيس الوزراء، أولاً أن يذكر حاجته له بإيجاز ووضوح، ثم لدى انصرافه بقرص ألف هذا الوزير، أو برص في خزينة. أو يدوس على يمشط إصبعه. أو يشد أذنيه، أو يغز دبوفا في عجزته (أليته)، أو يفرص ذراعها حتى يترزق ريشة، وذلك، كما لا ينسى الوزير حاجته عنه. وفي كل استقبالات هذا الوزير للوزير يجد أعمال نفسه، حتى تقضى حاجته أو تُرفض.

كذلك يقترح هذا الدكتور أن يقوم كل عضو في مجلس الأمة، بعد أن يمرض رايه ويدافع عنه، بالتصويت بعده، لأنه لو فعل كل عضو ذلك لكانت النتيجة النهائية حتماً في صالح الشعب.

وحيث يكون في الدولة حزبان معارضان بعض، فإن هذا الدكتور يعرض اعتراضاً خطيباً للتوفيق بينهما: وفيما هي الطريقة: حد مثلاً من رؤساء كل حزب وتكون أرواباً من الحزبين بحيث يكون أرباباً في كل زوج متعارضين بأكثر قدر ممكن في حجم الراس، ثم يجعل عاملين يقومان بنشر أجزاء الخلفي من الرأسين بحيث تُقسم الدماغ في كل رأس إلى قسمين متساويين، ويجعل شخصين المتعارضين يبنيان هذا الجزء الخلفي من رأسيهما. ويبدو أن هذا العمل يتطلب مفاً بعض الدقة، ولكن الأستاذ الدكتور أكد لنا أنه لو نُجزت هذه العملية بمهارة وبراعة، فإن الشفاء

من الخلافات الحزبية سيكون أمراً محتوماً. فهو ينشئ الأمر كما يلي: إننا نقضي الدماغين إذا ما قرنا مناقشة الأمر مع بعضهما داخل مجموعة واحدة، فإنها سيتوصلان سرعة إلى التفاهم وما يتجمل منه من عتدات في الرأي والنظام في التفكير. وهذا أمر تمنى لو يحصل في الناس فربما يتصورون أنهم ما جاءوا إلى الدنيا إلا ليرقوا حركتها ويتحكموا في خط سيرها. أما بالنسبة إلى اختلاف الأدعة كذا أو كذا لدى من يدبرون التعصب الحزبي، فقد أكد لنا الدكتور، شاذلي معرفته الخاصة بالتصويح، أن ليس إلا أمراً بسيطاً.

وقد سمعت نقاشاً جاداً بين استاذين حول احسن الوسائل وتجميع الطرق لجميع اهل الدولة دون إلهيق الرعية. وقد اصرَّ الاول على أن أعدل طريقة هي فرض ضريبة محددة على المردقات واحترافات. وأن المبالغ التي تُفرض على كل إنسان يتم تحديده بطريقة منتظمة من قبل هيئة من جيرانه. لكن الاستاذ الثاني كان رأي معارض تماماً، وهو فرض ضريبة على تلك المزايا الجنسية أو العقبية التي يُقيمها الناس أنفسهم على أنفسهم، على أن يكون مبلغ الضريبة متعاقب مع درجة معرفتهم في تلك المزايا، وعزَّ أن يترك تقدير درجة التعاقب للأشخاص المعنيين وحدهم. ويجب أن تكون هذه ضريبة على أولئك الذين يخلون حطوط كبرى عند الجنس الآخر وينتقدونها حسب عدد وصيغة الخدمات والمجاني التي يتسولونها كما يقررونها هم. كذلك فإن الشكليات، والأعيان، والشجاعة، والتهذيب تُحصى عليها ضرائب كبيرة تُقدَّر قيمتها بأسلوب نفسه وحسب الكمية التي يزعمها كل شخص لنفسه من هذه الصفات. أما بالنسبة لشرف والعدل والحكمة والعلم فلا تُفرض عليها أية ضريبة، لأنها صفات من نوع خاص لا يعرف احد بوجودها في جيرانه، ولا يجهل أن تكون متوفرة فيه.

أما النساء فتُفرض عليهن الضرائب تبعاً لجمالهن وأثافة ملابسهن، ومن هنا ما للرجال من امتياز، وهو أن تكون المرأة هي التي تحدد مقدار هاتين الصفتين فيها. أما الإخلاص والظهر والتفكير السليم والطبيعة الخيرة، فهذه تُعفى من الضرائب لأنها لن تغطي نفقات جيانيها.

ولكنني بغنى أعضاء مجلس الأمة خلصت النتائج فأخرج أن يُفرضوا قرعة على الوظائف؛ على أن يُقسم كل منهم، ويقدم كفالته على أن يصوب شعره سواء فاز أم لم يفز. حدد ذلك يكون متعاضدين حرية الدخول في القرعة على الوظيفة المتدورة التالية. وبهذا يبقى الأمل بالمرز حياً، وس يتدمر أحد من يعود لم تُنفذ. ولكنني ينبغي غريبتهم أنهم إلى الخط الذي هو ذو متكئين أعرض وأقوى من متكبي الوزراء.

وإني لست أتردد كثيراً في محتوى على تعليمات حول كيفية اكتشاف المكائد والمؤامرات ضد الحكومة، فهو يصح كبار رجال الدولة أن يقتصروا أنواع الطعام الذي يأكله المشبهون، والأوقات

التي يأتون بها، والجانب الذي ينمون عليه، والتي التي يسحون بها قفاههم، وأن يخصصوا كذلك برازهم فحفظاً دقيقاً؛ ثوبه، ورائحته، وطعمه، ودرجة قساوته، ودرجة عظمته، ومن ذلك كله يتوصلون إلى حكم خاص بأفكارهم وبخصائصهم، لأن الناس قلما يكونون جاذبين وبذوي تفكير صميم ومركز يقدر ما يفعلون ذلك وهم على كرسى مراحض. وادعى الأستاذ أنه اكتشف ذلك بعد تجارب متكررة، إذ أنه اكتشف أنه حين يفكر، على سبيل المتحررة، باغتيال ملك، يكون لون برازه اسعمر، ولكن اللون يختلف حين يفكر فقط في خلق تمرد على السلطات أو في حرق المعصية.

كان البحث مكتوباً بذلك، بالغ ويتوي على ملاحظات عديدة غريبة (منيفة شبيب سبيح)، ولكنه، كما نرى، لم يكن كمالاً. وقلنا هذا لتعريف وعرضه عليه أن أؤدبه، إن رغب، بعض الإضافات. مستقبل غرضي يرضى لم نعوده من الكتاب، لا سيما لمتحررين منهم، وقال إنه يسعده أن يحصى معلومات أخرى.

وأخبرته أن الشعب في «نكة طبرستان»<sup>(١)</sup> التي يشهد عنها الوثائق، والتي أتمت فيها طويلاً، يتألف في معظمه من مكشفيين، وخمسين، وسبعين، ووثقلا، نبابة، وشهود زور، وقابعهم ومن لف لفهم، وكلهم تحت إمرة روجنه وثوبيل وزرارة (نوابهم) المتأمرات في تلك المملكة فكانت<sup>(٢)</sup> من بين من يريدون أن يبنوا لأنفسهم شهرة بأنهم سياسيون كفاة، أو أن ينفخوا قوة جديدة في إدارة عهدة، أو أن ينجقوا أصوات أصحاب الفضائل، أو أن ينهوا الناس عن ظلماتهم، أو أن يملؤوا خزائهم بالأموال الصاعدة من أنفسهم، أو أن يرفعوا أو يخفضوا فرمة السدات الحكومية حسبما يقدم ذلك مصالحهم الخاصة. فهم أولاً يرفعون وينفقون على أسماء المشهورين الذين سيلبسونهم بعمدة التآمر، ثم يتخذون كل الإجراءات الكفيلة بإحراز رشايتهم وأوراقهم. لأخرى، ثم يضعونهم في السلاسل. ثم تعطى تلك الأوراق إلى مجموعة من المساكين المتحصنين في المشافد ادعائي العاطفة واخفية الكلمات والمقاصع والحروف. وعلى سبيل المثال، فإن عبارة «مراحض مغلق» تعني عند هؤلاء الأشخاص «مجلس الشورى»، و«سرب من الإزرا» تعني «مجلس الأمة»، و«كلب أصرج» تعني «العدو المخزى»، و«الصفر الخوام»<sup>(٣)</sup> تعني «وزير»، و«مرض الفوم» تعني «رجل دين ذا مرتبة عالية»<sup>(٤)</sup>، و«القرود» تعني «وزير دولة»، و«بؤنة عرفة النوم» تعني «لحمة من الكبد»، و«الغربال»<sup>(٥)</sup> تعني «سيارة من سادات القصر»، و«مكسة» تعني «ثورة»، و«مبيضة» تعني «مبيضة»<sup>(٦)</sup>، و«خضرة» تعني «وزيرة الخزانة»، و«بالوعة» تعني «القصر»، و«قبة وأجراس» تعني «أحد المقربين» أو «أحد أصحاب الحظوة»، و«عص مكد» تعني «الملك»، و«برميل حمرة» تعني «جنرال»، و«عامة مستديرة» تعني «الإدارة».

وإذا شئت هذه الطريقة، فإن لديهم طريقتين غيرها أكثر فعالية رجوى. الأولى، أن يحسوا



للحروف الأولى في الكلمات معاني سياسية. فمثلاً حرف «ن» يعني «مؤامرة»، وحرف «ب» يعني فرقة فرسان، وحرف «ن» يعني «مُسطوراً في البحر». مثالية أن يثيروا مواقع الحروف في أية ورقة مشبّهة، وبهذا يكشفون خفايا خطط الحزب المعادي. وعلى سبيل المثال، لو كتب شخص نصديقه: «الخطبة امرأة متاور ناومت»، فإن شخصاً ماهراً في هذا الفن سيكتشف أن حروف هذه الجملة يمكن تغيير مواقعها أو توليف اجملها لتأليف «توردا». وهذه هي طريقة تغيير مواقع الحروف.

وشكروا الاستاذ كثيراً على ترويجه هذه الملاحظات، وبعد أن بدئنا ذكرًا جليلاً في بحثه. ولم نُز في هذه البلاد ما يدعوني لإضافة إقاضي فيها، فبدأت أفكر بالعودة إلى إنجلترا.

## الفصل السابع

مؤلف يغادر لأجادو ويصل إلى مالديف<sup>(١)</sup> لا يجد سفينة جديرة للسفر فيقوم  
برحلة قصيرة إلى خليوت ذوات قريبات<sup>(٢)</sup> استقبار الخاتم له.

الغارة التي تحمل هذه المملكة جزء منها، تمتد، كما اعتقد، شرقاً إلى ذلك الجزء المجهول من  
أمريكا الذي يقع غربي كاليفورنيا، وشمالاً بحر المحيط الهندي، والذي لا يبعد أكثر من مائة  
وخمسين ميلاً عن لأجادو، ويوجد فيه ميناء عامر وتجارة نشطة مع جزيرة لوجتاج<sup>(٣)</sup> لكثرة القيمة  
إلى الشمال الغربي عند خط العرض ٢٩ شمالاً وخط الطول ١٤١. وجزيرة لوجتاج هذه تقع إلى  
الشرق الجنوبي من اليابان وعلى بعد مائة فرسخ منها. وثمة تحافة قوي بين الامبراطور الياباني  
وملك لوجتاج، إذ أصبح الفرصة للسفر المتكرر بحرًا من إحدى الجزيرتين إلى الأخرى. ولهذا قررت  
انسبر في هذا الطريق كي أعود إلى أوروبا. استأجرت بخليوت ومرشدًا لتدلي علي الغرور ويحسن  
امتعي الغفيلة. وودعت مضيقي النيل الذي كان قد أكرمني غاية الإكرام وأهداني عند سفري هدية  
سبعة.

ولم يحدث في رحلتي أية حوادث أو مخاطر نستحق التذكر. وعين وصلت إلى ميناء مالديف<sup>(٤)</sup>  
(هكذا يسمونه) لم يكن فيه سفينة متجهة إلى لوجتاج، وكان من غير المحتمل أن تتوفر سفينة كهذه  
إلا بعد بعض الوقت. حجج هذه المدينة كحجم بورتسموث في إنجلترا وسرعان ما انقلب بيحس  
المعارف الذين استقبلوني استقبالا كريماً. وكان لي شخص مرموق بما أن السفن المتوجهة إلى  
لوجتاج لن تنوّر قبل أول من شهر، فقد يكون من الممتع أن أقوم بزيارة إلى جزيرة جكلوب<sup>(٥)</sup> ذوات  
قرب الصغيرة التي تقع على بعد خمسة فراسخ إلى الغرب الجنوبي، ونفترض أن يذهب معي برفقة  
صديق آخر وأن يزودني بحارب صغير مناسب هذه الرحلة.

جكلوب ذوات قرب، مفرد ما استطع أن أفكر للكلمة، تعني جزيرة السحرة والمفعوعة  
بسياحتها تملأ تحف تلك مساحة جزيرة وايت في إنجلترا، وهي حصية جدًا ويحكمها رئيس قبيلة  
من السحرة. إناء هذه القبيلة لا يتزوجون إلا من الغفيلة، وكثيرهم ما هو الأمير أو الحاكم، وله  
قصر عظيم وحديقة من ثلاثة آلاف فدان تحاطة بسور من الخيزر المنقوش ارتفاعه عشرون قدمًا.

وفي الخدمة مناطق مُسَوَّرة مُخصصة للأنعام، وأخرى لزراعة الحبوب، وثالثة للسكن.

يقوم بخدمة الحاكم وأسرته خُدمٌ غير محليين، فهو يأتى من مهارة في السحر يستطيع أن يُخضِر من بلاد من الأموات ويأمرهم بخدمته أربعمائة وعشرين سنة، ولكن ليس أطول من ذلك، كما لا يستطيع أن يُخضِر الأشخاص أنفسهم مرة ثانية قبل مرور ثلاثة أشهر إلا في مناسبات غير عادية.

حين وصل إلى الجزيرة في حوالي الحادية عشرة صباحاً، ذهب إلى الحاكم راسداً من السيدين المرافقين لي طلب الإذن بالكون جن يدي سموه لشخص غريب جاء خصيصاً ليل هذا الشرف. وبث انزعاجاً على هذا الطلب. مرز قدحك نحن الثلاثة من بوابة القصر دبراً بين صفيين من الحرس يلبسون زياً غريباً، وكان في بينهم شيء اقتنع منه من خوفنا ورعباً يهللنا عن الوصف. ومرزنا بأجحة عذبة في القصر وبين خدام من النوح نعمة مصطفى على الجانيين حتى وصلنا إلى قاعة الاستقبال. وبعد ساعات احتزم ثلاثة. وبعض الأسئلة العامة سُبح لنا بالجنوس على ثلاثة كراتى بلا فهم عند السريحة السفى من الفرج المؤدى لغرض سموه. وكان يحرم لغة بالفيزيو مع أنها تختلف عن لغة جوريه. وطلب مني أن أحدثه عن رحلاتي. ولكني فهمت أنه سيحتملي دون تكلف أو رسميات حرف الخدم والمُرافقين بإشارة من رُصبعه. وأصابني الدهول حين رأيهم يتخفون في لجة. وكأنهم حُور من حلم تخفى فجأة حالك سيقط. وفي فترة لا أشكك نفسي حتى طلعاني الحاكم أنني لن أصدق. أي أذى. وحس لاحظت أن دوتهم الذين كان قد استقبلا عدة مرات بالأسنوب نعمة مطمئنان، بدأت تُصاحب وسرودت سُنبغة تزيئاً موجراً عن رحلاتي العذبة، ولكن بشيء من الزد. وكثير ما نظرت خلفي في المكان الذي رأيت فيه أولئك الخدم الأسباح. وتشرقت بتأول. لعمري مع الحاكم وكان يقدم لنا الطعام ويُخدم على المائدة بمجموعة جديدة من الأسباح. ولاحظت أنني لأن أفل دُنتاً عما كنت عليه في الصباح. ومكنت حتى غروب الشمس ولكني دُجوتُ سموه أن بعيني من قبول دعوته للإقامة في القصر. وأتمت مع صديقي في بيت خاص في المدينة المجاورة التي هي عاصمة هذه الجزيرة الصغيرة، وحلنا في الصباح التالي نادرة لواحد نحر الحاكم، كما أمرنا

ورغب في الجزيرة عشرة أيام قضيناها بالأسلوب نفسه: تقضي النهار مع الحاكم ونعود في الليل إلى عملنا المعتاد في المدينة. وسرعان ما أُلُت مشهد الأرواح والأسباح في المرة الثالثة أو الرابعة ثم اندم بانى خوف منها، أو تعلت فضولي عني ما تبقي من مخاوفي. ذلك أن سمو الحاكم أمرني أن استدعي من شاء من الأموات، أي كان عددهم، ومن يشاءه العالم حتى عصرنا. وكان يأمرهم أن يجيبوا عن أية أسئلة أوجهها لهم، شرطه أن تقتصر الأسئلة على العصور التي عاشوا فيها. وكان

الحاكم إنني يمكن أن اطمئن إلى أنهم لا بد أن يغيروني شخصيتي، لأن الخديب أمر لا يجدي في العالم السفلي.

وقد كنت أبات الشكر بسموه على هذه المكرمة العظيمة. كذا في قاعة نخل على مكان واسع من خديفة. ولأن كون رغبة في كانت أن أضع نفسي بمشاهدة تحلى فيها مظاهر العظمة والنفذية، وقد طلبت أن أشاهد الاسكندر العظيم على رأس جيشه يُعقد معركة أرييل<sup>(١٤)</sup>. وحركة من اصبع اعانكم ظهر هذا المشهد في ميدان واسع تحت الشافذة التي كنا نقف عندها. ودعني الاسكندر لدخول القاعة وبصعوبة شديدة فهمت لغته اليونانية، فانا لم اكن اعرف منها إلا القليل. وأكد لي بشرفه انه لم يثبت مسموما، ولكنه مات من شدة ونسبة الإفراط في حياء الجمود<sup>(١٥)</sup>.

بعد ذلك رأيت هاتيل بمر جبال الألب واعترف أنه لم يكن ندى حيثه نقطة واحدة من الخلق<sup>(١٦)</sup>.

ورأيت قيصر ويومي على رأس جيشهم فيبر اشتباه<sup>(١٧)</sup>. ورأيت ثوما في انتصاره العظيم الأخير<sup>(١٨)</sup>. وطلبت أن أرى مجلس الشيوخ في روما في إحدى القاعات، ومثيلا له معاصرا في قاعة مقاسة. بدا في الأول مجلس بطرس وأصناف آله، بينما نيت أن الثاني لا يضم سوى عصابة من الباعة والسحالي وقطاع الطرق ونجاة العاهرات.

وبعد على رأيي طلب اعانكم من قيصر و بروتوس<sup>(١٩)</sup> أن يتقدما سخونا. وعمرني إحساس بالإجلال المبين لدى رؤية بروتوس، إذ كنت قد برصيح في كل منع من ملامح وجهه أمارات التفصيل الكاملة، وانسانة العظيمة، والرأي الشديد الخازم، وحب البلاد الصادق، وحب الخير للبشر فاضية. وقد مررت أن أرى هاتين الشخصيتين على وفاق تام مع بعضهما. وقد اعترف لي قيصر بخصي برادته أن أعظم أعمى حياته أدنى في أهميتها وعظمتها بكثير من لعمري لمجيد الذي قام به بروتوس حين أنهى حياة قيصر. وشرفت بحديث طويل مع بروتوس، انتهى به أنه بما حل اندام في مجموعة تضم ستة من أعظم أعضاء التاريخ: نفسه هو، وحنه يونيوس، وسفراط<sup>(٢٠)</sup>، وإيباميلوناس<sup>(٢١)</sup>، وكاتو الأكبر<sup>(٢٢)</sup>، والسير توماس مور<sup>(٢٣)</sup>، ولا استطاع كل العصور في العالم أن تضيق لهم مثل عظمتهم.

وبعد قلل انقضى ثم أزعجته بملك الأعداء المسخمة من الشخصيات الشهيرة التي أوزعت بالظهور، لإرضاء هوى الذي لا يشبع لرؤية العالم في العصور القديمة وهو يمر أمام نافذتي. ولقد تفتت بصري بمشاهدة من حطمتها الطغاة وقصوا على الغتصين، ومن أعادوا للأسم المصطنعة حقوقها وبشعوب المظلومة حريتها. لكن من المستحيل أن أعبر للقراء عن سعادة نفسي ورضا نفسي بذلك، بأسلوب يتمتعهم ويثاب رضاهم.

## الفصل الثامن

تكملة اوسيد خوبوب فوب ثوب. تصحيح لتاريخ القسم: الاحيث.

تحدثت بحبيص يوم لشهدة القدماء الذين حذروا على شهرة عظيمة بعصل دكائهم وقطنتهم وعلمهم. رصيت أن ترى هوميروس<sup>(١)</sup> وأرسطو طاليس عي رأس من قدموا بتقديم وتعيروهم ولتسبب عيها، وكان هؤلاء من الكثرة بحيث شهر منهم الثالث وملاها جميع حشرات القصر. نكبي شتمت من أول نظرة أن أمين الإطبار من جمهور النقاد، وأحداهم من الآخر كاد هوميروس الأسوف والأوسم. إذ كان يمرر منتصف لقاعة رقم كبر سنة، وكانت عيده من أنه العيون التي راجت سرعة وقوة وفلاذ<sup>(٢)</sup>، أما أرسطو فكثر مقوس الظهر ويتوك على عصا، كما كان وجهه نحيلًا، وشده مبطل وخفيف وصوته أخوف. وسرعان ما اكتشفت أنهم غريب عالمًا عي قية المجموعة ولم يري أحدا منهم، أو يسمع به. وقد همس لي أحد الأشياء<sup>(٣)</sup>، الذي سوف لا أذكر اسمه: أن هؤلاء الفطير والتفسيرين يرمزون دائمًا على البقاء بعيدًا عن هذين المؤلفين العظيمين في العالم السفلي، يحدث بالذنب والتميل لأنهم أساموا فهمهم وفنروهم للأجيال اللاحقة تفسيرات حاسلة هذا. وقدمت إلى هوميروس الصنكرير دايدجوس<sup>(٤)</sup> ويوستانيوس<sup>(٥)</sup> وأقمتهم أن يعانفها بأحسن مما يستحقن. لأنه مرغن ما كتشفت أنني تكفها العشرة اللازمة لفهم شاعر<sup>(٦)</sup>، أما أرسطو فقد صاب فرحًا لما حدث من مكوتس<sup>(٧)</sup> وراموس<sup>(٨)</sup> وأنا أقدمي له. وسأها إن كانت قبة اشراج وتفسيرين كلها أعياء ومغفلين مثلها

ثم طينت من الحكيم أن يستعي ديكرات<sup>(٩)</sup> وغابيلدي<sup>(١٠)</sup> اللذين أفتها أو يشرحا فلسفتها لأرسطو. واعترف هذا الفيلسوف العظيم دون تردد بأخطائه في الفلسفة الطبيعية. لأن كاد في أمور كثيرة يحكم عيها كما لا بد أن يعمل كل الناس. ويوجد أن فلسفه حاسدي، التي أؤخت لفلسفه أبيقور في الطبيعة، وفلسفه ديكرات قد كت هتلاها. ونبدأ بالتصور غسه نظرية الجلاوية<sup>(١١)</sup>، التي يتحس لها يؤكد صحتها المفكرون الحديثون. وقال إن النظريات الحديثة حول الطبيعة ليست سوى أفكار جديدة تتغير في كل عصر، ونه حتى أولئك الذين يزعمون أنهم أقاموا

نظريتهم عن المبدأ الرياضي<sup>(١١٦)</sup> سيزدهرون لفترة قصيرة من الزمن ثم يختفون بعد أن تنتهي فترة ردها عنهم.

ونضيف خمسة أيام في الحديث مع الكثيرين الآخرين من المعكرين لقدماء ورايت معظم الأباطرة الرومانيين الأوائل. وأنتجت الحافكم أن يسدعي طسخي إيليوغابالوس<sup>(١١٧)</sup> ليطلبوا لنا عشاء. لكنهم لم يستضيئوا أن يرونا مهنهم في الطبخ لعدم توفر المواد. وقد أخذ لنا أحد خدم اجيسيلوس مبقاً من لرق لاسارطي<sup>(١١٨)</sup>، لكي لم استطع أن أبتلع شفقة ثانية منه.

كان السيدان اللذان جاء معي إلى الجزيرة مضطربين للعودة بعد ثلاثة أيام ثانية مصاحبتهم، فكرمت هذه الأيام مشاعلة بعض الأموات حديثين من الذين غاغ لهم ميت في الثاني سنة أو لثلاثة سنة الماضية في بندا وفي البلدان الأوروبية الأخرى. ولأنني معجب بهم أصحاب العلاقات المشهورة العريقة، فقد صنعت من الحكيم أن يستدعي دنة أو اثنين من الملوك، مع أسلافهم حتى اجين الثامن أو التاسع. لكن خيبة لملي كانت عجزه وعجز متوقعة. ذلك أنني لم أجد صديقاً طويلاً من الروموس، المترجة شاح كملك في مثل عائلة. ففي إحدى العائلات رأيت اثنين من عازقي الكمان المعروفين لجمهورهم وعيبتهم، وثلاثة من رجال المشية مشهورين بأنفسهم، ومُضْرَك إيطالي. وفي عائلة أخرى زارت حلاًفاً ورئيس دير الرهبان واثين من الكرامة<sup>(١١٩)</sup>. لكن احتياجي الشديد للروموس المترجة يمنعني من التوقف طويلاً عند هذه المجموعة الحسناء، أما بالنسبة لشوى الألقاب من يملكون لقب كونفد، أو ماركيث أو دوق أو إيرل فالامر مختلف. واعترف أنني شعرت شيء من الشروع حين وجدت نفسي قادراً على معرفة أصول الفلاح الخاصة التي تتميز بها بعض العائلات فقد اكتشفت بوضوح المصدر الذي أخذت منه إحدى العائلات دفناً طويلاً، ولماذا كثر الأوعية والمنسوجات في عائلة أخرى لأنه جيلين كما كثر فيها الحمقى والفضلون جيلين آخرين، وماذا يكثر الفخولون في عائلة ثالثة، والمغامرون والاضايون في رابعة، كذلك عرفت مصدر ما فانه يوليودور فبرجيل في إحدى العائلات الشهيرة: ويرس فيها رجل شجاع ولا امرأة فاضلة<sup>(١٢٠)</sup>، وعرفت كيف أصبح الملوك أو القناصل أو الذين صفت تعرف بها بعض العائلات، كما تُعرف بشعارها في الحروب وعرفت من دخل أول مرة مرضي الزهري في إحدى العائلات الثنية، فتحول في النهاية والحظ إلى أورام خبيثة. ورأيت عني لعجب حين رأيت الأنساب تصبح مزيفة، فيحافظ دم العائلات بدم الغنيان والخدم، والحياطين وسائقي العربات، والقمارين والموسيقين العاشين، والمعلمين والمضط وانشالين.

نكرر أشد ما نكر أشد تروزي هو التاريخ الحديث. ذلك أنني حين تفحصت ودفنت في الأشخاص ذوي الأسماء اللاحقة في قصور الأمراء خلال ثلاثة عام بالصرمة، اكتشفت مدى التضليل الذي يدرسه المؤرخون المتجرون على الناس، حين يسبون الأعمال البطولية في الحروب إلى جينته.

والأراء المتباينة إلى مجازين، والإخلاص إلى منْ حوّل متافق، والتدين وانضغ إلى متحدين، والتظهير والعفة إلى بني مدوم، وانصغ إلى المخبرين انكاديين، وكم من نساء عظم برية حكيم عليه بالإعدام أو انقص، بسبب استهلاك الوزراء الكبار انقودهم، وفقد انفضاض ومكر الأحزاب؛ وكم من مجرم ساعل يرتقى إلى أعلى مراكز الثقة والسلطة والاحتياز وانكسب. كذلك اكتشفت التأثير الكبير الذي يمارسه أصحاب المواخير والموسسات والمعارض، والخوادون والمظفيون ونهرجون على تهركت وقرارات الحكام، وجلس الأمة وجلس الشيوخ. ولذكم شعرت بالاحتضار لنحكمة والكرامة البشرية، حين عرفت المصادر والذوابع الحقيقية للأعمال الكمية والثورات المعنوية في العالم، وعرفت المصطف النافذة الحقة التي أدت إلى نجاح تلك الأعمال والثورات<sup>(١٣)</sup>

وهنا أيضاً اكتشفت مدى حب وجهي لولدت الذين سرعتمون أنهم إذا يكتبون قصصاً وطرقاً، أو تزيحاً مزيحاً<sup>(١٤)</sup>، يرسلون موثقاً كثيرين إلى قلوبهم بكأس سموم، وسجلون حديثاً دار بين أمير ووزير دون أن يكون معها ثالث، ويكتشفون انقلاب عن افكر وأمرار السفراء ووزراء الخارسية، وداني يغمر في الخطأ. وهذا اكتشفت الأسباب الحقيقية لأحداث عظيمة كثيرة اذهلت العالم: كيف أن مدهرة ماهرة في الأسباب اللطيفة دارت نفوذاً على مجلس الأمة، وهذا مدوره على مجلس لشيوخ. وقد اعترف أحد القواد أممي أنه كتب نصراً بسبب الخجين وسوء القيادة، كما عترف أحد أمراء البحر أنه هزم العدو الذي كان ينوي أن يسلم أممونه له (أي لعدو)، لأن معلومات العدو كانت نقصاً<sup>(١٥)</sup>. وأكاد في ثلاثة من الملوك<sup>(١٦)</sup> أنهم طبعوا حكيمهم لم يغمرهم قط بطريقة شخص يستحق الترقية، إلا إذا حدث ذلك خطأ أو بسبب خيانة وزير غولوق، وأهم أن يفعلوا ذلك لوجهين إلى الحياة مرة أخرى، وأثبتوا إلى بالخطبة القوية أنه لا يذغبر المروض سوى القواد، لأن ذلك انقطع العمي الرأوي المعبد الذي يحبه لفضية في الإنسان، بسبب سوى عفة دائمة في تسيير مصالح العامة.

وعني الفضول أن أسأله شكلي خاص عن الطرق التي حصل بها الكثيرون عن انقلاب ربيعة وأملات واسعة، وفصرت شلتي على عصم حديث جداً، دون أن أكر الزمان الخالي، لأنني لا أوجب أبداً أن أسبي، حتى للأجانب (وأرجو أن لا يكون أذنين بحاجة لأن أؤكد أنه لني بما أقوله حول هذا الموضوع لا أقصد ملائي). وقد استدعي عدد من الأشخاص المعنيين، ولذي توجه بعض الأسئلة لهم، كسعت أموراً غريبة وشائعة جداً ندرجة أي حين أفكر فيها أفسر بقتي بالغ. كان خائف الأيمان الكاذبة، والظلم، والتحرير عن النشر، والنصب والتدليس، والفرقة، وأمثالها من النقائص من بين ما اضطرروا إلى ذكره. وهي أمور قد يمكن أن ألخصها العذر لكن بعضهم اعترفوا أنهم قالوا مراتهم والقائم ونروا عنهم عن طريق الشواهد أو الزناد، وآخرون عن طريق تعبير وجانبهم وبدهم، وآخرون عن طريق

خيانة بلادهم "أميرهم"، وبعضهم بواسطة نمر السم لأخريين، وأكثر منهم عن طريق تفصيل العذاة أو تحريضه للفضاء على الأبرياء. وآمل أن أكون معذورًا إذا جعنتي هذه الاكتشافات أمين إلى تفصيل الاحترام النحيل الذي أكنه فطري لأصحاب الألقاب الرفيعة والمرتبة العالية الذين ينبغي أن يتأثروا أعظم الاحترام الثلاث بخدمةهم السامي فت نحن الآن منهم.

وكثيرًا ما سمعت عن بعض الخدمات الجليلة التي تؤدي للامراء والمؤول، ورغبت أن أرى الأشخاص الذين قدموا هذه الخدمات. ولدى الاستفسار عنهم قيل لي إن أسماهم نسبت موجودة في أي سجل، فيما عدا الفيليين الذين صورهم الترخيع على أنهم أحقر لحونة وأعلى المجرمين أو الأخرى فلم اسمع قط لهم ذكرًا. وقد طهروا حينًا أسامي بنظرات كثيرة وملابس رثة حقيرة، ومعظمهم قالوا لي إنهم ماتوا في فقر وبؤس، أو لبافون حياتوا على حفلة أو مشقة.

ومن بين هؤلاء شخص بدا لي أن قصته غريبة<sup>(١٢١)</sup>؛ وكان يعف إلى حاله ابن له في الثامنة عشرة. قال لي إنه كان وثقًا سفينة عدة سنوات، وأنه في معركة "كجيو"<sup>(١٢٢)</sup> البحرية ساعده حسن الحظ، فتمتدح عطرط الأعداء. وأغرق ثلاث من سفنهم الرئيسية وأسر المراكمة، فكان ذلك هو السبب لوصفه غرب الفنون<sup>(١٢٣)</sup> وإحراق النصر. وقال إن أشد الخوف بجانبه هو ابنة الوحيد الذي قُتل في المعركة. وأضاف أنه لدى انتهاء الحرب، ذهب إلى روما، وشاء عن إحازاته في أيدل، لنفس في بلاط الامبراطور أغسطس أن يُزقي لفيانة سمينة أكبر، كان فائدها قد بُس. شكر خدمته أهدت؛ وأعطيت قبلة هذه السفينة إلى صبي لم ير البحر في حياته، وهو ابن امرأة اسمها ليبريما<sup>(١٢٤)</sup> كانت خادمة لراعيه من حيللات الامبراطور. وحين عاد هذا الشخص إلى مفيته، أنهم بهمال داج، وأعطيت مفيته لأحد العلماء القريين من بيليولا<sup>(١٢٥)</sup>، نائب أمير البحر انهودوم. عند ذلك ترك الخدمة في البحرية وعاش في مزرعة صغيرة على مسافة بعيدة عن روما وأنهى حياته هناك. ودفعني الفصول لتأكد من صدق قصته؛ فطُيئت أسدله الجرب<sup>(١٢٦)</sup> الذي كان أمير البحر في ننت المعركة. وخبر صهر هذا أكد صدق القصة كلها؛ وأضاف أشياء أخرى لصالح القائد الذي دفعه تواضعه لإخفاء جزء كبير من جدارته وعظيم إنجازاته.

وقد أفهنتي أن أحد الفساد يستشري وينشر في تلك الامبراطورية بسبب ما خزا عليها من ثراء ورفاه. وهذا قلل استنوا من ظهور حالات مشابهة كثيرة في بلدان أخرى حيث ملات لمرذائل من كل نوع لمدة أطول؛ وحيث احتكر الفضل والندج وانغاش فيها القائد الرئيسي القوي، ربما كان أقل اساس استحقاقًا لأي منها<sup>(١٢٧)</sup>.

وبما أن كل من طهروا أسامي كانوا بنفسى لأشكال والمحرم التي كانت لهم في حياتهم، فقد حزني أن لاحظ مقدار تدهور اجنس البشري وانحطاطه في المئة سنة الأخيرة امراض الجسد.



ولعمري وما يحرم عبدا من علل متعددة الأعراض والأسباب، غيبت كل ملامح الشخص الانجليزية، وقصرت حول الأجسام، وصغرت سمعتها، وانضمت الأعصاب، وأزاحت الأوتار والعفلات، وعلقت نون الشرة شاحبا، كما جعلت اللحم منهكاً وزنج لمرلحة.

وقد انهمرت في المستوى الاستعراضي للأصوات الذين هفتت مشاهدتهم، إذ ظنبت بعض الفلاحين الاجنيز من صفار تلك من الحط القنهم. الذين كانوا معروفين، بباطة أساليبهم وغذائهم ولايتهم، وبانعدك والإنصاف في تعاملهم، وبروحهم المتولدة للحربة، وديستاتهم وجهم للادهم. وقد توثرت كثيرا حين قارت الأمور بالاحياء، ووجدت الاحياء قد ضحوا بفصائل أسلافهم مفضل حصر القطع من شقوق، راعوا أصواتهم، وكنسبو بالرشوة والفاق كل انواع الرديلة والفساد التي يمكن تلعبها في القصور

## الفصل التاسع

عزمه المؤنة، إلى مالدوناد، ليُنجز إلى ملكة نرجاج، خنزير المؤلف، يُغلب حصوره  
للفرس طريقة سنوله بين يدي الملك. رافة تلك برعبته.

سور جيد موهب رحيلنا، اخذت، إلا أن بالرحيل من صاحب، أسمعوا حاكم، بخلوث ذوب  
قرب، وعلقت مع ريفي إلى مالدوناد، وبعد أسبوعين من الانتظار كانت هناك سبعة على وشك  
الإقلاع إلى نوجتاج. وذكّرهم العبدان وآخرون بنرويدي المثلث ونوديهم. واستعزب الرحلة شيرا.  
واشبهنا عصية هالجة فاضفرونا إلى لتوجه غربا حتى وصلنا إلى منطقة الرياح التجارية التي تمتد إلى  
ما يزيد عن ستين فرسخا. وفي الخادي والعشرين من أبريل ١٧١٨ انحرنا في بحر كلوميجنيج.  
وهذا اسم المدينة التي الواقعة في الجهة الشرقية الجنوبية من لوجتاج. ألفيا مرساتنا على حد فرسخ  
من المدينة وأعطينا إشارة لطالب مرشد بحري. بعد أقل من نصف ساعة جاء مرشدان بحريان  
وقادا، ببر المياه المتضحلة وانصخور الحفوة في ذلك الممر، إذالي حتى وصلنا إلى حوص كبير يتبع  
لأسطول، يقع على بُعد حوالي مئتي متر من سور المدينة.

بعثي بشارتنا أخبروا المرشدين، عن خطا أو بدفع الخيانة، أنني شخص غريب كثير  
الأسفار، وقام هذان برأى صابط اجسرك بالأمر، فقام هذا باستجوابي استجوابا دقيقا. كذلك  
يكنمني بركة بالنيابري التي يهتمها أهل تلك المدينة، ولا سيما البحارة وموقعو الجيزرك، سبب  
تحريرهم لكثرة دج بالنيابري. أخبرته ببعض التفاصيل وجعلت قصتي معفونة ومقبولة بقدر ما  
استطيع، نكتي اعتذرت له من الضرر الذي أني أخفي. اسم ملاذي وأن أزعجني أنني هولندي لأنني كنت  
أنوي الذهاب إلى اليابان، وكنت أعلم أن الهولنديين هم الأوروبيون الناجحون المسموح لهم  
دخول تلك المملكة. لهذا أخبرتك القضاة أن سفرتي لمحضت على ساحل بالنيابري؛ وأني  
بحررت عند صخرة المتقلتي عندها الجزيرة الطائرة لابوتا (وكان قد سمع عنها عرازا). وأني أحاول  
أن أن اصيل إلى اليابان حيث يمكن أن أجد طريقة مناسبة للعودة إلى بلادي. وقابل القبط أنه لا  
يد من حجزي، حتى نمته أو مر بشاني من انقصر مئتي سبكت له على الفور، وبأمل أن يصنه الرد  
في أسبوعين. ثم رُفِعت في مسكن حيث كان يقف حارس عن الباب، لكن كان لي حرية التجول

في حديقة كبيرة، وعمدتُ معاملة لا بأس بها، وكانت نفقات إقامتي وإحضاري على حساب الملك. زوني عدة أشخاص بدافع الفضول، لأن أذيع أنني جئت من بلاد بعيدة جداً لم يسمروا عنها قط. استأجرت شابة كان معنا في السفينة نفسها ليكون نرجساً، وكان من أبناء لوجانج، لكنه عاش عدة سنوات في مالدونادا وسار مسكناً دائماً في اللتين. وهكذا استطعتُ مساعدته أن يجري حديثاً مع من كانوا قرويين، ولكن الحديث كان يقتصر على أسئلة منهم وأجوبة مني.

وجه رة القصر في الوقت لتوقع، وكان يجري عن أمر بنقل مع حاشيتي إلى قوالب دُراج كُوب أو ثريل دُروج قريباً (رُدة كانت تُلحق بالطريقتين حسب أذكر) سرفقة عشرة من القرويين. كانت كل حاشيتي ذلك الشاب المنكسر الزجهن الذي أقعته بالعمل في حديقتي. رشتُ في نواضع أن يُسبح لكل من يركوب بعجل وسيفه وسرور بمسافة نصف يوم تبين الملك بوصولي، ويوجد أن يكرم بتعيين اليوم والساعة التي سيغفل جلسته نحو الطرف بالنسب القربان<sup>١٣</sup> من أمام كرمي قديم. هذا هو أسلوب القصر. وقد اكتشفتُ أن الأمر ليس مجرد تعبير رسمي شكلي، إذ عندما أسمع في بعد يومين من وصولي، بالثول بين يدي الملك، أيرتُ أن أوقف على بطني، والنسب البلاط في طريقي. لكن لأنني من الغرباء، فقد نُفِيتُ بالبلاط بحيث لم يكن المغار مؤثراً. وعلى كل حال كان هذا تكريم خاص لا يُسمع به إلا من هم في أعلى المراتب حين يُقبلون الثول بين يدي جلالتهم. أحياناً يُرشد القربان على البلاط عن عهد إذا صدف أن كان للنسب الشخص السجوح له بالثول أعداء أُنوياء في القصر. وقد دُيئتُ فم أحد اللوردات بمنزلة بالزب بدرجة أنه حين وصل نرحقه إلى ليعد أساسه عن لعرش عمر عن أن ينفق كلمة واحدة. ولم يكن هناك علاج أو خروج من هذه المروطة لأن نطق القربان أو مسحه عن لضم في حضرة جلالتهم كان يعتبر جريمة كبرى. والخليفة أنه كان هناك عادة أخرى لا يستطيع أن أخبئها أبداً. حين كان الملك يرغب في إعدام أي من بجلاته بالسوابق، فإن مناصح، كان يأمر برمي مسحوق نبي في تركبة قاتلة حل البلاط، فإذا ما حلح السيل، فإنه يموت لا محالة خلال أربع وعشرين ساعة. ولكن بدلاً من نرافة الخليفة التي يتحلل بها هذا الملك، وحرصه على حياة رعاياه، (وإن أيت منوك أوروبا بقلدونه في هذا) لا بد أن تذكر جلالتهم أنه يصدر أوامر صارمة بعد كل إعدام من هذا النوع، بغض كل جزء من البلاط وحل إلى لسم غسلاً جيداً. وإذا أُعس خدمه هذا الأمر فإنهم يتعرضون لسيطفه الملكي. وقد سمعته بنفسه يعطي تعليمات بضرورة قتل واحد من غلمانه كان مطلوباً منه أن يجر الحدم بضرورة غسل اسلاط بعد حالة إعدام، لكنه غفل عن فعل ذلك بدافع حيث، وبسبب هذا الإهمال، لقي شاب طروح من اللوردات، حين أصبح أنه يتكون بين يدي جلالتهم، مصرعه مسموماً، مع أن الملك في ذلك الوقت لم يكن ينوي انتخض منه. لكن هذا الأمر الطيب تطف وأعسر الغلام من الجهد بعد أن أخذ عليه عهداً أن لا يفعل ما فعل دون أوامر خاصة بذلك.

ونكتعي بهذا لاستعراذ ونعود إلى قصتنا. بعد أن زحفْتُ إلى مسافة أربع ياردات من العرش، رمعت نفسي برمي على ذبتي، ثم ضربتُ الأرض بجسدي سبع مرات، ثم نطقت الكلمات التالية كما علموني إياها في الليلة السابقة. إليك بلنتج جلوف ثروب شخوون سيرودم ثيوبوت فلاشئالت وأمين ثنور بالكججوف شبيوقاد جوجوؤلوت آمش. هذه هي التحية التي تنص عليها قوانين تلك البلاد والتي يفوقها كل شخص كسيفج به بالفلول يون، يدي الملك. ويمكن ترجمتها إلى ما يلي: أرحموا أن تعيش يا صاحب الجلالة السهاوية أكثر من الشمس بأحد عشر قمراً ونصف. وقد أجاب الملك على هذه التحية بكلام لم أفهمه، ولكني أجبت، كما علموني به بلي: قللوت ذريش باليريك ذو ثودوم يواشتراد ميوللوش. وهي كلمته تعني: إن لاني في فهم صديقي. وهذه العبارة تعني أنني أطلب الإذن لإحصار ترجمي. عند ذلك أحصروا انساب المنى ذكرته من قبل، وعن طريقه أحببت عبر كل الأسئلة التي طرحها علي الملك في أكثر من ساعة. كنت أتكلم باللسان اليوناني، فبشرح ترجمي المعاني إلى لغة لوجناج.

وقد طرأ الملك كثيراً برفعتي، وأمر كبير الخجائب أدبه أن يهيئ مسكناً في القصر لي ولترجمائي، وأن يقدم لنا عشاءات يومية لطعمنا، وأن يصرف لي كلاً كبيراً من الذهب لتفاني العادية.

وبقيت في هذه البلاد ثلاثة أشهر مصابيحاً لأوامر الملك الذي أسعده كثيراً أن يكرمني ويعرض علي عروضاً مغرية. لكني رأيت من العدن والحكمة والخصافة أن أخفي بقره أباسي مع زوجتي وعائلتي.

## الفصل العاشر

مَنْعَ هَلْ لَوْجَنَاج. وصف خاص للمخالدين رُشَرُولْدَ زِرُونْجَنُ، وأحاديث عديدة بين مؤلفه وبعض الشخصيات المرموقة حول موضوع المخالدين

سكان لوجناج أناس يستمتعون بالكرم والتهدب، رغم أنهم لا يخلون من شيء من الكبرياء الذي تميز به البلاد الشرقية، ومع ذلك فهم ذوي أدب حتم مع العرب ولا سيما أولئك الذين يرضى عنهم القصر. وقد كان لي معارف كثيرة من شخصيات الطبقة الراقية. وإذا كان ترجماني يرافني عن أقوام، فمن الحديث معهم لم يكن مرعباً

ذات يوم كنت مع مجموعة طليعة من هؤلاء الأقوام، وسألني شخص مرموق إن كنت قد رأيت أحداً من المخالدين، فأجبت بأنني وطلعت منه أن يوضح لي ما يقصده بهذه التسمية حين يطلقها على بشر من أبناء الفناء، فأخبرني أنه يهدف أحياناً، ولكن نادراً جداً، أن تنجب عائلة ما طفلاً له بقعة حمراء مستديرة في جبينه، وفوق حاجبه الأيسر مباشرة. وأن هذه البقعة علامة أكيدة أن الطفل لم يمت. وحسب وهدفه، لا يريد مساحة هذه البقعة عن مساحة قطعة نقد فضية يبلغ ثلاثة سنتات، لكنها تكرر بمرور الأيام وتتغير نوعها. ففي الثانية عشرة تصبح حمراء وتستمر كذلك حتى سن الخامسة والعشرين حين تتحول إلى اللون الأزرق الغامق. وفي الخامسة والأربعين تصبح سردياء بلون الفحم وبمساحة لشئ الانجليزي، وبعد ذلك لا يحدث فيها أي تغير. وقال إن هذه الولادة نادرة الحدوث، وأنه يعتقد أنه لا يوجد في المملكة كلها أكثر من ألف ومائة من هؤلاء من الجنسين، عُدهم حوالي خمسين في العاصمة، ومنهم طفلة وُلدت منذ ثلاث سنوات. كما قال إن هذه الإنجابات ليست مقصورة على عائلات دون غيرها، ولكنها تحدث بمحض الصدفة. كما أن أبناء المخالدين أنفسهم يمتنون كغيرهم من الناس.

وأعترف أنني حين سمعت حديثه هذا أحسْتُ بضرورة لا يتكلم التعبير عنه. وكان الشخص الذي أسمعني هذا الحديث يفهم لغة بالتياربي التي كنت أكتبها شاماً. وقد سمعني أطلق عبارات ردي كانت تعطي على شيء من التهور، إذ صيحتُ بنشوة غامرة: ما أسعد الأمة التي قد يتأمل كل طفل يولد فيها فرصة الخلود، وما أسعد الشعب الذي يتمتع بهذه الأمثلة الأخية الكثيرة للفضائل

القديم، والذي يحظر بوجود حكماء يعاينونه حكمة التصديق إنسانته كلها. لكن ليس ثمة سعادة  
تعاين أولئك الخالدين الزائعين الذين يولدون وقد أغفلوا من تلك نصيحة العامة التي تقضي  
ها الطبيعة البشرية، وقد تحررت عيونهم من المخاوف، وتحررت أرواحهم من عبء الغموم التي  
تجلبها المخوف انفسهم من الموت. وأينك استغريب لأنني لم ألاحظ رجوع أي من هؤلاء الأشخاص  
التهيرين في العصر، ونصرتهم أن البقاء الدوام في جباههم. وهي علامة مميزة، تجعل من عبر  
السجل على أن اغفل عن وجودهم، كما أنه من المستحيل أن يغفل حلالته، وهو الأمير المعروف  
بحكمته الميامنة، عن خاصة نفسه بعدد من هؤلاء المستشارين الحكمة. لكن بما كان فضيلة هؤلاء  
التيولوج الأجل، تجعلهم يشارون أنفسهم عن النساء والانحلال في حياة نقصور. وكما كشفت لك  
الخبر أن تفضل الشباب في شرأي. وحلوه من الغموم، وسرعة تفكيرهم، تحول بينهم وبين  
الاسترشاد بما قبله حكمة التيولوج الرصبة على أية حال، ما دام، المثل قد تمزجني بالسراج لي  
بجسور مجنسة الملك، فقد صمدت على أن أتهز قول فرصة لأعترله عن رأي حول هذا الموضوع  
بمسألة ترجاب، وسواء تكزم بقبول نصيحتي أو رفضي فقد كنت مصمم على أمر واحد: ما دام  
حلالته قد عرصر عني مراراً الفاء في بلاده، فسأفقد هذه الفرصة مع الشكر الخليل، وأنصلي حرق  
من أن يحدث إلى هؤلاء الخالدين الرفيعي العصر، إذا تكزمو بالسراج في بدلك

السيد الذي رجعت له حديثي قال كنت، كما أسلفك، يفهم لغة بالنيابرة، قال لي باب...  
من يتحقق على جاهل، أنه سيكره أن تبرز في فرصة لبقاء معهم، وطباً إلى أن يشرح  
للحاضرين ما قلته. ففعل ذلك. وراحوا يتحدثون مدة بلغتهم لبعض الوقت، لكنني لم أفهم كلمة  
واحدة من حديثهم ولم أعرف من ملامح وجوههم زفج حديثي عليهم. بعد صمت قصير أحس  
السيد نفسه أن أصدقائه وأصدقائي (هكذا عبر عن نفسه) مبررون جداً من الملاحظات الحكيمة  
التي أبدتها بخصوص فوائد حياة الخالدين، وأنهم يوقعون أن يعرفوا بشكل خاص طريقة الحياة التي  
أرسمها لنفسني لو قدر لي أن أولد كواحد من الخالدين

أجبت أنه من السهل أن يتحدث المرء بحماس وذهاب حول موضوع مُعبد كهذا، ولا سيما  
بالنسبة لشخص مثل لأنني كنت ما أملك نفسي بالأحلام عما كنت سأفعله لو كنت مثلاً أو فناناً أو  
سياسياً ذا تصور كبير. وبالنسبة لهذا الموضوع بالذات، فإني كثيراً ما رسمت نظاماً كاملاً لطريقة  
استغلال قدراتي ومواهبتي، وفي لو كنت سأعيش إلى الأبد.

قلت: لو كان من حسن حظي أن آتي إلى الدنيا كشخص خائف، فإني حالك أدرك مدى  
مغائرتي بعد إدراك الفرق بين الحياة والموت. أسمع في تقدم الأول، وبكل الوسائل والطرق، إلى  
اكتساب ثروة وتتميتها حتى أصبح في منة مقبولة، وفي حواشي مالي عام، أعني إنسان في المنفعة.

وإنما، سأتحدث من أول شبلي في دراسة الأدب والفنون والعلوم بحيث أقوف مع الأيام على الجميع في مدن المعرفة. وأخيراً، سأسجل بكل دقة، كل حدث هام في حياة الأمة والمجتمع، وأرسم موضوعية ويزن تحيز أو تحاس. نتائج الأبحاث وثمار البحوث في مراكز البحوث، وأدون ملاحظات الخاصة حول كل موضوع، وأستجيب بدقة التغيرات الحديثة في العلوم واللغة، وأزيد اللاتس وطرق التقنية، وأساليب الترميز، وهذا كله سيكون كنزاً حياً للمعرفة وسبباً للحكمة، وهذا لا بد أن أصبح مصدر الأمانة ومصدر الوحي فيها

ولن أزوج بعد من السنين. وسأكون مضيافاً دون تمييز، وسأكون تليفي هي تعفيف وتوجيه عقول الشباب الطموحين، وسأقدمهم بوسيلة ذكرياتي وخبرتي، وملاحظات المدعمة بالأمانة الحديثة تجريباً للفنية وفوائدها في الحياة العامة والخاصة. ولكن رفاقي المفضلين الدائمون سيكونون بجمعة من إخوان الخالدين، وسأختار من بينهم ثلث عشر شخصاً بعضهم من أطول الخالدين عمراً وبعضهم من المصيرين في. وإذا كان بعض هؤلاء فقراء فأسألكم في مساكن فانية حولهم قصري وأساكني. وأتلقى بعضهم رفاقي مثلاً دائمين. أما الناس العاديون القلائد، فسأحتلط ببعض أفضلهم وأحسنهم، لكن فقلهم لن يجرني كثيراً، وقد لا يجزني البتة، إذ سيكون حول العمر قد جعلني قاصداً، وسيكون موقفهم كموقف المرء من وروء القرفص والرهار التوليد في حديثه، إذ لا بأس. على هذه البنية التي دلت في السنة الماضية.

ومع الأيام ستبدل لنا والخالدون الذكريات والملاحظات والسجلات، ونلاحظ كمية نسلنا انفسنا ندرجها إلى العالم، ونقاوم في كل خطوة عن طريق تحفيز الناس وتعظيمهم. وقد أضيف هذا إلى تأثير القدرة الصالحة المتمثلة فيها، فزنا ندع ذلك لتدهور المستمر في الطبيعة البشرية الذي يشكو منه الناس، ويحذر في كل العصور.

بالإضافة إلى كل هذا، هناك متعة مشاعلة التحولات المتنوعة في الدول والأمبراطوريات، والتغيرات في الأرض والنساء، والمدن العامرة وهي تصبح خراباً، والقرى المغمورة وهي تتحول إلى عواصم وغمرات ملوك، والأنهار العظيمة وهي تتحول إلى جداول ضحلة، والمحيط وهو يجف على ساحل، وبقيس على بحر، واكتشاف قطار كثيرة مجهولة حم الآن، ورؤية شعوب بربرية هجيرة نهزم وتتحكم شعوباً راقية متحضرة، والبرابرة يتحصرون، وحينذاك سأرى اكتشاف خطوط الطول<sup>(١)</sup>، والحركة الأبدية<sup>(٢)</sup>، والاندواء الكوني الكامل<sup>(٣)</sup>، واخرعات أخرى كثيرة وهي نصل إلى أعلى درجات الكمال والارتفاع.

وستوصل إلى اكتشافات عظيمة في الفنتا، ونرى نبؤاتنا تتحقق ونعيش بعد تحققها، ونرى ظهور المذنبات وانفجارها وعودتها، كي نرى التغيرات في حركات الشمس والقمر والنجوم.

واسهت في الحديث عن مواضيع أخرى عديدة أُوخْتُ في بها الرغبة الفطرية في حياة أبدية ومساعدة دينية. وحين انتهت من حديثي تُرجمت موجز من محاضرتين، كما حدث من قبل، وتبع ذلك كلام كثير فيما بينهم بلغة تشد البلاد، وبعض الضحك عني، واختياراً قال السيد نفسه الذي كان يترجم لي ولهم، إنهم ظنوا أنه قد يصحح لي بعض الأخطاء التي وقعت فيها بسبب التواء فطري في الطبيعة البشرية، ولذلك فهم يتجاوزون عنها ولا يلوموني عليها. أولاً: إن هذه الدورية من الخالدين (شترودف يروج) لا توجد إلا في بلادهم، ولا يوجد مثلاً في بالتياري أو في اليابان حيث كان ميادته سفرًا لصاحب اجلالة، ووجد أن الناس فيها لا يصدقون أن وجود أناس خالدين أمر ممكن. وقد ظهر من هذاشي لذي سباني هذا الأمر أول مرة. أن مدعوه وجود خالدين حديد كل الجدة، وغير قابل للتصديق. كذلك فانه لاحظ أنه إقامة كسبر في الملكين: ومن خلال لقاءاته وأحاديثه الكثيرة مع الناس، أن طول العمر أعنة يقتضاها كل البشر. وإن كان من كانت إحدى رحبه في القر، يحرص بكل قوته على إبقاء الثانية خارج القبر، وأن أكبر الناس سناً يأمرون أن يغوا أحياء ونولدة يوم واحد، وتطرون إلى الموت كأنه شر مستطير يتحاشونه دائماً بانتظاره، وإن أهل هذه الجزيرة لاحتاج إحداهم بتميزون بأن شهوة الحياة لديهم نسبت بهذه القوة، وذلك بسبب وجود الخالدين أمام أعينهم باستمرار.

ثانياً: إن نظام الحياة الذي رسمته غير ممكن وغير معقول، لأنه مبني على افتراض دوام الشباب والصحة والقوة، وهو افتراض لا يمكن لأي عاقل مهما بلغ طوره أن يأمل في حدوثه. ولهذا فإن الفضية ليست في أنها يختار الإنسان دوام الشباب والازدهار والصحة بل هي في كيفية الاستثمار في حياة أبدية دعم كل ما يحميه العمر الطويل معه من جمال وكرم وعجز ونقص، ومع أن انقلابين حدثا برغبون في الخلود في ظل هذه الظروف النفسية، إلا أنه لاحظ خلال وجوده في بالتياري واليابان أن كل إنسان يرغب في تأجيل الموت بعض الوقت مهما جاء متأخراً، وقلما سمع بإنسان مات بإرادته إلا إذا دفعه لذلك حزن شديد أو ألم فظيع. وبما أنني إن كنت لاحظت هذه الأمور نفسها في بلدي وفي البلدان التي زرتها.

بعد هذه المقدمة، أعطاني تقريراً مفصلاً عن أوضاع حياة الخالدين بينهم. قال إنهم عمومًا يتصرفون كما يتصرف الناس العاديين حتى سن الثلاثين، بعد ذلك يسيطر عليهم بالندرج العم والكافة، وتزداد آفاتهم وهمومهم حتى تبلغ أوجها في سن الثلاثين. وقد تحرف هذا من اعترافهم، لأنه لا يولد منهم في الجيل الواحد أكثر من اثنين أو ثلاثة، كما أنهم قليلون جداً بحيث لا يمكن من ملاحظة سلوكهم إصدار أحكام عامة بشأنهم. وحين يصلون من الشباب، وهو أكبر سن يصل إليه الناس العاديين في هذه البلاد، لا نجد فيهم فقط كل مظاهر الضعف والتخريف التي تصيب الناس العاديين، بل نجد أيضاً صفات كريمة أخرى تنجم عن إدراكهم لتقديرهم لظنهم المتفعل في كونهم لا



يموتون. فهم لا يصيرون عبيدين ومساكينين وحسودين وكثيرين ومغرورين وثرلازين محسب: بل يعقدون أيضًا المقبرة على الإحسان بطاهر الوء والصداقة، وتوت فيهم عواصف النجبة النظرية للأهل، إذ لا تجاوز هذه العواطف أحقادهم. ونسبهم عاصفتان دون غيرهما، وهما الحسد والشهوات العاجزة. وترجى حسدهم بشكل رئيسي إلى شينين، هما رذائل الصغار وموت الكبار. حين يفكرون في الأولى يجدون أنفسهم عاجزين كثيرًا عن الاستمتاع بهرستها. وكلما يرون جدوة يجسدون من يصلون إلى ميناء يستريحون فيه من عواصف الحياة، ويتبدون حفيظهم الذي يحرمهم من الوصول إلى ميناء مثله. رهم لا يذكر من أمهم ولا ما تعلموه ولا حظوه في شينهم ومتنصف عمرهم. حتى هذه الذكريات تصبح مضطربة وناقصة، أما بالنسبة للفواصل أية واقعة أو حادثة، فمن الأصح الاعتدال عن المصادر التقليدية للمعلومات، بدلاً من الاعتماد على ذكرياتهم هم. ويبدو أن أقل هؤلاء الخالدين نجاسة هم أولئك الذين يصيهم الحرف ويفقدون الذاكرة كائنًا. هؤلاء يحظون بانحطاط واسع لأهم يفقدون سمات كريمة كثيرة تنور في الخائدين الآخرين.

رئة تزوج أحد الخالدين تربية من جنسه، فإن هذا الزواج يصبح بطبيعة الحال وحسب قوانين الملكية لأغيا حين يصر أصلهم الزوجين من شينين. ويعتبر القانون هذا الإلتهام تساهلاً عمومًا ومعتقلاً، لأن من يثنون، دون ذنب اقترافه، بالحياة الأبدية في هذا العالم، يجب أن لا تُزاد تعاستهم بحبيلهم صعب، زوجة.

وحال يصل هؤلاء من الثرائز، يصبحون في نظر القانون أموات. وعن الفور يرث الموارثون ما لهم من أموال وعقارات، ولا يبقى لهم إلا ما يكفي لإعالتهم. أما الفقراء منهم، فتكون إعالتهم على نفقة الدولة. بعد هذه السن أيضًا يُعتبر الخالدون غير صالحين للوظائف التي تتطلب قدرات عقلية مبرقة، أو تنطوي على ربح وخسارة، ولا يُسمح لهم بشراء أراض أو تأجير عقارات، ولا تُقبل شهادتهم في أية قضية، مدنية كانت أو جنائية، أو حتى عقارية يختص برسم الحدود التي تفصل عقارًا عن آخر.

في سن التسعين<sup>١٢٦</sup> يفقد الخالدون أستاذهم وشعرهم، كما يفقدون القدرة على التدقيق وتمييز طعم من آخر، رباتون وشربون كل ما يحصلون عليه دون اشتها، أو استمتاع. كذلك هك الأمراض التي كانوا يعدون منها، تستمر فيهم دون زيادة أو نقصان. وحين يتحدثون ينون الأسماء المعادية للولفة للأشياء، كما ينون أسماء الأشخاص من فيهم أقرب أقربائهم وأهم أصدقائهم. والسبب فيه لا يستطيعون أن يتصوا أنفسهم بالاعتناء، لأن ضعف ذاكرتهم يجعلهم يسون بداية الجملة قبل أن يصلوا إلى نهايتها. وبهذا الضعف يجزؤون من السلية الوحيدة التي كان يمكن أن يخشروا عنها.

ويُراد أن لغة أهل هذه البلاد في حالة تطور مستمر وصيرورة دائمة، فإن الخالدين من جبل م. لا يسمون لغة أمثامهم من جبل م. وحين يصبح عمرهم مائتي عام، يصبحون عاجزين عن التحدث، إلا بكتات عمدة قليلة، مع جيرانهم من الناس العاديين، وهكذا تصاف إلى نواحيهم جماعة النحس غريبة في بلدتهم.

هذا هو ما أذكره من التقدير الذي سمعته عن الخالدين، وقد رأيت بعد ذلك خمسة أو ستة منهم، ذوي أعمار متنوعة، لكن أعمارهم لم يكن يقل عن مائتي سنة، وكان بعض أصدقائي قد احتسبهم وهم في في مرات متعددة. ومع أنه قيل لهم أنني رجالة عظيم، وإنني رأيت كل الذي، فإن ذلك لم يزل مضروباً لهم. وهم لم يوجهوا في أية أسئلة. كل ما طلبوه مني هو أن أعطيهم شئ من كوداشلف، أو رمزاً للذكرى، وهي طريقة ملتوية في الاستعداد لتجنب مخالفة القانون الذي يحظر عليهم الاستعداد. لأن الدولة تقدم لهم ما يحتاجون، رغم أن ما يُعطى لهم ضئيل جداً.

كل الناس هنا يكرهون الخالدين ويحتقرونهم، ويُعتبر ولادة الواحد منهم علامة شؤم، وتُسجل بدقة مذهبة بحيث يمكن معرفة عمرهم بالرجوع إلى السجل العام، لكن عمر هذا السجل لا يزيد عن الألف سنة، الماضية، أو أنه كان قد انقضى الزمن في الانهيارات العامة. والطريقة المألوفة لحساب عمرهم هو سؤالهم عن الملوك أو العظماء الذين يستعملون ذكرهم. ودائماً لا يكون آخر أمير يذكرونه قد بدأ حكمه بعد موتهم من السنين.

وكان مظهرهم أشبه بمنظر رأيت في حياتي، ومصر النساء كان أشبه من منظر الرجال. بالإضافة إلى التشوهات المألوفة في ذوي الأعمار الكبيرة جداً، يكتبوا اختدوا بشابات وتشوهات تزيد مع تقدمهم في السن، وهي تشوهات تحجز الكلمات عن تصويرها. وحين رأيت نصف دمنة منهم، استطعت أن أميز عمرهم سناً. مع أن فرق العمر بين الواحد والآخر لم يكن يزيد عن قرنين أو شين.

وهكذا يمكن تقاري أن يصدلي بسهولة إذا قلت، إن ما سمعته رأيته أنصف كثيراً شهوتي اقنونة إلى حياة مدسة. ووجدت حتى أعماقي من تلك الأوهام السعيدة في صورتها لتعني. وليس يوسع أي طائفة أن يخرج منة لا هرب إليها سرور من عيشة كعيشة الخالدين. وقد سمع المثل بكل ما دار بيني وبين أصدقائي حول هذا موضوع، ودائمي شأنه مدحات نطيفة. وتجنباً لـ أوجيل اثنين من هؤلاء الخالدين إلى بلادي لكي أحضن نومي من الخوف من الموت. لكن هذا عمل يحظر حسب القوانين الأساسية في المنطقة. ولولا ذلك لرضيت بتحمل كل الأعباء والتفقات عملها إلى بلادي.

ولم يكن محكماً إلا أن أوافق على أن قوانين تلك المملكة الخاصة بالخالدين مبنية على أقوى

الأمسب والمبررات التي تمكن لأي بلد أن يأخذ بها وتطبقها في أرضه عتائلة. وبما أن المجتمع ضيقه ملازمة بطول العمر، فإن أولئك المختلفين قد يملكون مع الأيام كل شيء في البلاد، وبالتالي يحتكرون السلطة الفعالة فيها. وبما أنه ليس لديهم القدرة لإدارة الأمور إدارة حكيمة، فإن "ساح ملكهم وريثة سلطتهم سيؤذين في خراب البلاد.

## الفصل الحادي عشر

المؤلة . يعاد لوجاج ويبحر إلى بيكك ، ومن هناك يعود في سفينة هولندية إلى  
أمستردام ، ومنها إلى الجدة .

أخبره أن هذا التقرير عن الحوادث قد يكون مختلفاً للقارئ لأنه يبدو غريباً وجبر عادى . هل  
الأقل لا تذكر أنني صادفت شيئاً له في أي من كتب الرحلات<sup>(١)</sup> التي وقعت في يدي . وإذا كنت  
مخطئاً ، فعذري لا بد أن يكون أن الرحالة الذين يصفون بلدنا واحداً قد يتفقون في الاهتمام  
بالتفاصيل نفسها ، والوقوف عليها في تقاريرهم دون أن يستحقوا جملة الاستدرة أو الغل نحن كتبوا  
قبلهم .

ثمة تجارة مستمرة بين هذه المملكة وإمبراطورية اليابان العظيمة ، وإنه لأمر كبير الاحتمال أن  
يكون المؤلفون اليابانيون قد كتبوا بعض التقارير عن الحوادث . لكن إقامتي في اليابان كانت قصيرة  
حداً ، كما كنت أجهل لغتها جيداً مطلقاً بحيث لم تكن مؤهلاً لتأليف بأي بحوث أو استفسارات .  
لكن أرجو حين يعلم المؤلفون بهذا الأمر<sup>(٢)</sup> ، أن يكون لديهم الفضول والقدرة الكافية لعمل ما  
لم أستطع عمله .

بعد أن خلني جلالة الملك إلى أقبل وظيفة في ديوانه الملكي ، ووجدني مصححاً تسميماً قاطعاً على  
«مودة إلى بلادتي ، تكوّن ومناجى الأذن بالرحيل ، وشرفني رسالة توصية بخط يده إلى إمبراطور  
اليابان ، وأعداني أربعة وأربعين قطعة ذهبية (هذه الأربعة الأرقام الزوجية) وقطعة من  
الأناس الأحمر<sup>(٣)</sup> بحشها في إنعلاق بالثب وثقة بوثوق

في اليوم السادس من مايو ١٧٩٩ ودعت جلالت وأصدقائي وداعاً رسمياً ، وتفضل هذا الأمير  
بأمر فرقة من الحرس أن ترافقني إلى (جلائجئ متالذم) ، وهي ميناء مئكي في الجزء الغربي - الجنوبي  
من الجزيرة . بعد ستة أيام وجدت مركباً محلياً إلى اليابان في رحمة استغرقت خمسة عشر يوماً .  
وربما مركباً في ميناء بالغة ضخمة اسمها زاموشي . وقعة على الجزء الشرقي الغربي من اليابان ، أما  
البلد واقع إلى الغرب من أيتام حيث يوجد مضيق ضيق يتجه نحو الشمال في ذراع بحري ضيق ،  
تقع على جزئه الغرب ، تشبه مدينة بيدوا<sup>(٤)</sup> العاصمة . ولدى نزولك إلى البحر أطلعت ضباط البحرية

عن رسالة ملك لوجناتج إلى صاحب الجلالة الامبراطور. وكانوا يعرفون الختم جيدًا إذ كان بحجم المكث. كان رد فعلهم. ملك يرفع مقام شحاذ أخرج من الخطيضي. حين سمع وجهه المدينة نارحالة استقبالوني مستعدن الوزراء، وروادوني بالعربات والخدم، وتكفلوا بنفقات مغري إلى ييدو حيث نشأ بين يدي الامبراطور. وسلمت رسالتي وتم فتحها بجلال عظيم، وقمرها مترجم للامبراطور ثم اخبرني هذا مترجم نعه أن صاحب الجلالة يأمر أن اذكر طليي، وأيا كان هذا الطلب فيه يمر بتلييه من أجل أخيه صاحب الجلالة ملك لوجناتج. كان عملي هذا المترجم الاشراف على لصفحات التجاره مع الهولنديين. وسرعان ما عرف من ملايح وجهي، أنني أورويا، وهذا شرح أمر جلالة الامبراطور مرة ثانية باللغة الهولندية التي كان يتكلمها جيدًا. أخيه (كما فررت من قل) أنني دعو هولندي تحضت سفينه في بلاد بعيدة جدًا، وسافرت منها بعد ذلك برًا وبحرًا حتى لوجناتج ومنها أبحرت إلى اليابان التي أعسم أن ابنه يندى بتاجرون معها، وأني آمل أن أجد لدى هؤلاء فرصة للعودة إلى أورويا. ولهذا غائتي أرجو أن يتكرم صاحب الجلالة بإعطاء أمر ينقلني سافرًا إلى تانغازك<sup>(١)</sup>. وأضفت إلى هذا لئامًا حرًا وهو انه زكراً غولاني ملك لوجناتج، بفضل علي جلالة بإعفائي من الإجراء الرسمي المروض على أبناء يندى، اشتمل في اللوس بالتقدم على الصليب<sup>(٢)</sup>. لأن مصائبي على التي أوصلتني إلى ملكته، ولأنني لم أت للتجارة. رحين نترجم هذا الالتباس لأخير الامبراطور بدت عليه الدهشة. وقال إنه يعتقد أنني أوك واحد من أبناء يندى يبدى قرحًا من هذا الأمر، وأنه يخاف من الشك في كوني هولنديًا، وأنه يظن أنني لا بد أن أكون مسيحياً<sup>(٣)</sup>. وعلى كل حال فإنه للأسباب التي ذكرتها، وعلى الأخص زكراً ملك لوجناتج، فإنه سيثني طليي العرب هذا. وهذه مكرمة غير عديدة من جلالاته، لكنه أنصف أن هذا لإعطاء يجب أن يتم بذلك، وسيُمر ضباطه أن يسمحوا لي بالمرور وأن ينظفروا بالنسيان. وأتأكد في أنه لو اكتشف أثناء لذي. الهولنديون، سر هذا الإعفاء. فإنهم سيذهبوني في رحلة العودة. وشكرت جلالتك، بواسطة المترجم، على هذه المكرمة العظيمة غير العادية، وكانت هناك ألفة متاعبة حينذاك للذهاب إلى تانغازك. فأمر الامبراطور قائدها بحملني سكرًا إلى هناك، وزوجه بتعليات خاصة بشأن قصة الصليب.

في التاسع من يوليو ١٧٠٩ وصلت إلى تانغازك بعد رحلة شاقة وطويلة جدًا. وبعد فترة قصيرة التقيت بمجموعة من البحارة هولنديين يعملون في سفينة اسمها أبويثا<sup>(٤)</sup> من أمستردام، وهي سفينة كبيرة حولتها ٤٥٠ طنًا. كنت قد حش في هولندا مدة طويلة شاذعة دراسي في ليدن، وكنت أتكلم اللغة الهولندية بطلاقة. وسرعان ما عرف البحارة من أين جئت آخر مرة، ودفعهم الفضول إلى السؤال عن رحلاتي وعن مسيرة حياتي، وثقت لهم قصة قصيرة ومثولة، وأخفيت عنهم الجزء الأكبر من قصة حياتي. كنت أعرف أشخاصًا كثيرين في هولندا، وأخترعت اسمي

لوالدي وزعتُ أنها شخصين معويين من مقاطعة جنغزولانغ. ركنت مستعداً لإعطاء القبطان (ويدعى ثودور كان جرونت) ما يجزله أن يطلبه لقاء حي معي إلى هولدا، لكنه حين عرف أنني طبيب خرج فجع بأخذ نصف الأجر العتيق، بشرط أن أمارس مهنتي في مدينته. وقبل أن نبحر سألني البحارة أكثر من مرة عن كسبك فسألتهم بالإجراء الرسمي الذي ذكرته من قبل. وكانت الجواب وهذه الجواب الصحيح: واكتفيت بالقول أنني خُزْتُ عن رضا الامبراطور وانقصر في كل التفاصيل. لكن سحاراً شيئاً ذهب إلى صباط باباي وأخبره، وهو بشر إني، أنني لما دُفِنَ على الصليب. لكن الضابط كان قد تسمتع على باب خاصة بالصباح في الممرور، فصرخ البحار الرأشي الثقيم عشرين صرة عن كسبه حصص الخبز. بعد ذلك لم يزعمني أحد بشي هذه الاسئلة

لم يحدث في هذه الرحلة شيء يستحق التذكر كانت تريحه وابتغى حفي ومدينا إلى رأس المرجاء الصالح حيث توقعنا حتى نرؤنا باله. وفي السادس من ابريل وصلنا سفارين إلى أمستردام، بعد أن قدنا ثلاثة من البحارة بسبب المرض. وابتغى كان قد سقط من نصاري الأمامي في البحر، حل مسافراً ليست عبدة من ساحل غينيا ومن أمستردام أبحرت مباشرة إلى إنجلترا في مركب تابع لنزل المدينة

في المنشر من ابريل ١٧١٠ وسوا في ميناء (دونز) وركنت إلى انبر في صباح اليوم التالي، وشاهدت هذه الحمى أرضي بلادي بعد غياب أمتد خمس سنوات ومئة أشهر كاملة ودهكت مشيرة إلى رديتها ووضعتها في القوه نفسه في الساعة الثانية عصر. ووجدت زوجتي وأسرني في صحة جيدة.

### نهاية الجزء الثالث

## رحلات جلفر

### الجزء الرابع

#### رحلة إلى بلاد الهَوَيْتَنَم<sup>(١)</sup>





## الفصل الأول

المؤلف يبحر مملكة قبيلان السفينة. رحلته يأمرون عليه وبمحزوبه فترة حويلة في كاريبتة، ثم يصفونه عن الزاوي أرض مجهولة سمر نحو دلتن بلاد، وصف بني الينما<sup>(١)</sup>، ويجمع نوع من الخيول ذات الذرية. المؤلف يفتي بتبين من بني خوي<sup>(٢)</sup>.

بقية في منزلي بين زوجتي وطفلي حالي خمسة أشهر في سعدة عمرة، لكنني لم بكر قد بعثت أن اعرف أنني سعيد حين تكون سعيداً. تركت زوجتي وهي حامل، وبلغت عرساً معرياً بأن أكون قصداً سفينة تحمل اسم أفنتظر<sup>(٣)</sup>، وهي سفينة تجارية قرية حملتها ٢٠٠ طن. ذلك أنني كنت في الملاحة البحرية جيداً، وكنت قد ملكت وظيفة حراج في البحر، رغم أنني كنت أمارس الطب حين تدعو الحاجة لذلك. وحدثت معي في السفينة طباة من ماهر اسمه روبرت يورثوي<sup>(٤)</sup> أبحر من بوزنسموث إلى الناصح من سبتمبر ١٧١٠ وفي الرابع عشر التقيا بالقطان بوكوك<sup>(٥)</sup> من بريستول في تياريف، وكان في طريقه إلى خليج كامبيني لقطع حطب الزم. وفي السادس عشر فرقت بيننا عاصفة. وسمعت بعد غوصي أن سفينة غرقت ولم ينج منها أحد سوى خادم في الكابينة. وقد كان رجلاً شريفاً وبعاراً ماهر، لكنه كان مذهباً تعصب عبداً لارته<sup>(٦)</sup> وكان هذا سبباً في إدمره كما هو بالنسبة لأخر من كثيرين؛ لأنه لم ينج نصيحتي لكن من الممكن أن يكون الآن سبباً وسبباً في منزله وجمع أسرته مني.

وقد توفيت عدد من رحاتي بالخطر، ولهذا اضطررت أن استأجر بعض البحارة من بوزيدوس ومن جوار ليوارد أنني مررت بها بناء على تعنيات التجار الذين يستعملوني. لكنني سرعنت ما توليت لدي أسبب كثيرة سدم، لأنني اكتشفت فيما بعد أن معظمهم كانوا قراصنة. كان معي في السفينة خمسةون بحتراً، وكانت كورنري من التجار مع الغنود في بحر الجنوب، وأن اكتشف ما استطيت أنشفاه. وقد استطاع هؤلاء السفلة<sup>(٧)</sup> الذين استأجرتهم أن يفسدوا عني رحاتي الآخرين، واتفقوا جميعاً على مؤامرة باختطاف السفينة والإسهار على، وهذا، فعنوه ذات صباح حين اتحموا كاييتي وفتسوا بنئي وفادمي وهادرو برنري في البحر إن حاولت أن تحرك. وأخبرتهم أنني سحيتهم واستضعهم هم. وجمعوني أقيس على ذلك ثم فكتوا قيودي وأثروا واحداً من سافري مريبوكا إلى انتراش سدسله، ووضعوا حرساً على بي يحمل بدقية محشوة، وأمرود بهخلافي الكر على إذا حاولت

نزل حربي. وراحوا يرسون في الطعام والشراب. لكنهم تولوا قيادة السفينة بأنفسهم. كانت عطلتهم ان يتحولوا إلى قراصنة وأن يسطروا على الإسماعيليين. لكن لم يكن موصيهم أن يفعلوا ذلك إلا إذا كان معهم المزيد من الرجال. وفرزوا أولاً أن يبيعوا بضاعة السفينة ثم يذهبوا بعد ذلك إلى مدغشقر<sup>(١)</sup> ليحصدوا المزيد من البحارة، وبخاصة لأن الكثيرين منهم ماتوا خلال غربي. وقد قضا في البحر عدة أسابيع، وتاجروا مع الهنود، لكن لم يعرف أي طريق سلكوا لأنهم أبقوني سجيناً في كاييتي، ولم أترفع منهم قائل من اغتيابي كما هددوا مراراً.

في التاسع من مايو ١٧١١ جاء لي كاييتي بحذر اسمه جيمس ولش وقال إن لديه أوامر من القبطان يوزالي إلى البحر. حاولت أن أجعله وأعرضي، لكن دون جدوى، بل إنه لم يخبرني باسم قبطانهم الجديد. أرفغوني على النور إلى زورق النجاة، وصعدوا لي أن أليس أحسن برة عدي، وكانت كالغشيدة، وأن أحمل معي رزمة من الثياب، لكنهم لم يسمحوا لي بحقل سلاح سوى سيبي. وكان أغلب منهم أنهم لم يفتشوا جيبتي التي وضعت فيها ما كان معي من نقود وبعض الأغراض الضرورية الأخرى. جدوا بالزورق زورق مسدود فوسج تقريباً ثم أتركوني على شاطئ. وطليت منهم أن يخبروني باسم هذه البلاد لكنهم أقسموا جيداً أنهم لا يعرفون أكثر مما أعرف، ولكنهم فأنوا إن القبطان (كلمة موه) كان مصعباً بعد أن أخذوا حيلة السفينة على التخلص مني في أول مكان يكتشفون فيه مرا. وابتعدوا على الفور بعد أن نصحتني بالإصرار إلى البر قبل أن يغمرني المد، وغنوا لي حفظاً سعيداً.

في هذا الوضع انبأست مرث للأمام وسرعان ما وصلت لنيايسة. حيث جنست على حافة البحر لأستريح وأفكر فيما عساني أفعله. وحين استرحت قليلاً مشيت نحو داخل البلاد وأنا حازم على تسليم نفسي لأول من التقى بهم من المستوطنين. وأك اشتري حينئذ منهم ببعض الأساور والحواتم الزجاجية وأدوات زينة زاهية أخرى مما يتزود به البحارة في تلك الرحلات، والتي كان معي شيء منها. كانت الأرض مقسمة بصفوف طويلة من الأشجار التي لم تكن مزروعة بالنظام، ولكنها كانت زاهية بالمفردة. وكان فيها الكثير من الأعشاب وبضعة حقول مزروعة بالشوفان. ومرت بحذر شديد خشية أن يفاجئني أحد أو أن أؤذي بهم من الخلف أو من الجانبين. ووجدت نفسي في غمر مطروري حيث شاهدت أنارا لأقدام بشرية، أو لأخلاف بفر. ومعظمها كان أنارا لحواضر خيس. وأخيراً شاهدت عددًا من الحيوانات في حفرة<sup>(٢)</sup>، وواحد أو اثنين من الخنثى نفسه خالعين على شجر. كان سطحها غريباً ومشبهاً، ثم أفتنني قليلاً. ولهذا استلبت حذرت كومة من الشجيرات لكي الاستظاء في هذه، ومن كتب. كان بعضها قائماً نحو المكان الذي استلبت به. وهذا أتاح لي فرصة التعرف على شكلها بوضوح. كانت رؤوسها وصدورها مغطاة بشعر كثيف. بعضها شعرها شط وأخرى شعرها جعد. وكان لها طلي كلحية المامز. وحط طوي من الشعر على ظهورها وعلى

الأجزاء الإمامية من سيقانها وأقدامها، نكر بقية أجناسها كانت عارية بحيث رأيت جلودها التي كانت ذات لون أصفر بني. ولم يكن لها ذبول أو شعر على أرجائها فيها عدا منطقة الشرج التي أظن أن الطبيعة خلقتها بالشعر، لأن هذه الحيوانات تجلس على الأرض فوق أعضائها. فهي تتخذ هذا الوضع أو تستلقي على ظهرها وكثيراً ما تنف على أرجائها الخلفية. وكانت هذه الحيوانات تشلق الشجر بمنة استعجب، إذ كان لها مخالب قوية طوية في الأمام والخلف، وكانت هذه المخالب معقوفة وتنتهي برؤوس مدببة<sup>(١١)</sup>. وكانت كثيراً ما تنف وتقفز بخفة هائلة. ولم تكن الإناث محجج الذكور، وكان لها فوق رؤوسهن شعر سبط طويل، ونوع من الرغبة على باقي أجناسها فيها عدا سلطان الشرج والفرج. وكانت الأناث من نسل بين أقدامهن الإمامية، وكثيراً ما كانت تكذب نص إلى الأرض حين يمشين<sup>(١٢)</sup>. وكان شعر الجنين من ألوان عديدة: بني، وأحمر، وأسود، وأصفر، وعلى العموم، لم ألاحظ قط في جميع رحلاتي حيواناً سافراً في هذا الغد، أو حيواناً شمرته تجاهه، وبالغريزة، بهذا القدر من الكراهية والامتنان. وبعد أن طشت أني رأيت ما يكفي وثلاث تقاراً وعرامية، غفقت من مكاني وتابع السبر في الأمر لطروق، على أمل أن يؤدي بي إلى أكوخ بعض جنود. ولم أَسِرْ طويلاً حتى لفتت واحدة من هذه المخلوقات يعترض طريقي ويسير مباشرة باتجاهي. وبين رأي هذا الوحش البشع، راح يُنْفِثُ بأصوات عديدة كل ملامح سخطه، ويصيحني في كل شيء لم ير مثله قط من قبل. ثم اقترب مني ورفع مخالبه الإمامية، ولم أستطع أن أعرف إن كان ذلك بدفع العضو أو الحق لأذى، لكنني سئلت سيمي وضربته ضربة قوية بفرض التحمل، إذ لم أجري على صبره بخفة السيف، بحالة خشية أن يشر ذلك السكبان عليّ إذا علموا أنني قتلت أو أذيت واحداً من قطعانهم. وسين شعر هذا الحيوان بألم واسع وصاح صيحة مدوية فتناظر نحوي وأحاط بي فضيحه فلا يقلل عدده عن أربعين حاملاً من الخيل المتناور، هي تعوي وتنظر إليّ بوجوه عاصية مقرنة. هربت نحو جذع شجرة وأسندت ظهري إليه ورحت أدفعها عن نفسي بالتمردع السيف. لكن العديد من حيوانات هذه السلالة المنعومة أمكن بعض الأخصان من خلفي، وفقرت إلى داخل الشجرة، وراحت من هناك تذف برؤوسها فوق رأسي<sup>(١٣)</sup>، وعلى أية حال، تمكنت من الهجاء ببقاء لحق جذع الشجرة، لكنني كنت أختق بقدراتها التي كانت تتساقط حولي من كل جانب.

في أثناء هذه المنة لاحظت أنها حين تهرب عجلة وتسرع ما تستطيع. وعند ذلك غامرت بالابتعاد عن الشجرة ومتابعة السير في الطريق ولما أستاذ عن السبب الذي أخافها وجعلها تهرب وحين ألفت نحو جانبي الأيسر رأيت حصاناً يسير بهدوء في الحقل. وبينما أنا لعدائي قد اكتشفوا وجوده قبل وكان ذلك هو سبب هروبي. خلف الحصان قليلاً حين صار قريباً مني، لكنه استعاد هدوءه بسرعة وراح ينظر في وجهي وعنه أمارات تعجب واضحة. وثمن يذني وفلنني وهو يدور

حولي عدة مرات. وكنت حائثف سيري لولا أنه اعترض طريقي بشكل مباشر. ومع ذلك كان يبدو ومع الملاصق ولم تبتدر منه جهة بادرة العصف. وفقاً بعض الوقت. وكل منا يحمل في الآخر، وأخيراً تحوّل وتفتت يني نحو عفه بقصد أن أريت عليه. مستعملاً الأسلوب والصغير المتوفين لدى سائقي. نحن حين بقامدون مع جواد غريب. لكن بك' على هذا الحيوان أنه يستقل ملاصقاً هذه الحشرة، إذ هو رأسه وقلب حاجبه ورفع حافره الأمامي بلفظ يبيج. يدي عنه، ثم ضهل ثلاث أو أربع مرات، ولكن بإضاع غير مألوف لدرجة أنني كذت أظن أنه يكلم نفسه لغة خاصة به.

وبينا كنا. هو وأنا، في هذا الموضع جلد نحونا حصاك. غير واقرب من الحصان الأول بطريقة رسمية جداً إذ تلاصق حافره الأماميان الأيمن. وصهلا عدة مرات كل حذوه وأصوات متنوعة بحيث نحيل إلى أنها يتكلمنا معنا. نبتدع عني بضع خطوات وكأنها يشاورنا. وراحا يسيرنا جنباً إلى جنب، جهة ودهاباً، وكأنها لشخصان يتكلمان في موضوع مهم، ولكنها كأننا يكران النصر بانجاعي وكأنها يريدان التأكيد. أنني لن أعرب. وقد ادعشتني هذه التصرفات وهذا السلوك في حيوانين، وغدت انصبي، إذا كان مكان هذه البلاد موهوب بدرجة عالية من العقل والذكاء متانة مع درجة الذكاء عند حيواناتهم هذه، فإنهم لا بد أن يكونوا أسكن وأعقل شعب في العالم. وقد ارتفعت هذه الفكرة كثيراً، ففكرت أن أقدم في سيري حتى أكتشف بيتاً أو قرية أو أنفي بواحد من الأدهي، وأن أترك الحصانين يتحدثان ما طاب لهم الحديث. لكن الحصان الأول، الأشهب، ذي اللون الرمادي الأزرق رأى أنشيل فضهل بنفمة مدرة فجعلني أظن أنني همت ما يرت عند ذاك رجعت واقترعت منه وانتظرت أومره وأا' أنني محو في قدر ما استطع، لأنني بدأت أشعر بشيء من القلق والخوف مما قد تنتهي إليه هذه اللعبة. وبس من انصعب عر. ففكرت أن يصلقني أنني لم أكن مرتحاً لوصفي الحي.

واقترع اخودان مني وهما زامعان وجهي يدي بهيم شديدة. خك الحصان الأشهب فبعني من كل الجوانب بحافره الأمامي الأيمن، وحركها من مكان ما اصطوري إلى تعديل وضعها عن حريق رفعها عن رأسي ثم وضعها عليه مرة ثانية. وظهرت حل الحصان الأشهب وريقه (وكان جواً كئيلاً كئاشي اللون) علامات الدعة، واللق، ونحس الجواد الثاني طرف معطقي، وحين وجده متدياً حولي ظهرت على الاثنين علامات استغراب حذيفة. ريت حل يني اليمى وكأنه يتعجب من نومتها ونوها. ثم ضطلها بشدة بين حافره وأشفه ما صطرر إلى الصراخ، بعد ذلك راحا يتلصق بأصفي درجات أرقق. وقد بات عليها الخيرة الناعة وهما يتفحصان حذائي ومحوري، وراحا يتحدثان الصهيل والإشارات المتنوعة التي تشبه إشارات الملووف وهو يحول فهم ظاهرة جديدة وغريبة ومعقدة.



## الفصل الثاني

احصاء بقوم المؤلف وفي منزله وصف لمرور احصاء. استنبطه المؤلف خدم من القويته. المؤلف متعاقب من عدم وجود النعم، لكنه يجد عسرًا. طريفته في تنفيذ في تلك البلاد

بعد ان برئنا قرابة ثلاثة أميال وصلنا إلى بيت طويل من احشاش مغروزة في الأرض وانعراج فيها معًا بأغصان محدودة، وكان المنقف منخفض ومغطى بالفس. بدأت الآن أشعر شيء من الازدياح، واخرحت بعض الانساب والاسماء الصغيرة التي يحملها الرحمان عادة كهدايا للنبوة الموحشين في أمريكا والبلدان الأخرى، على أني أنا يُسر بها أصحاب البيت. وبدا تشوي بطف. أشار لي الحصان أن أدخل فباء، ودخلت حجرة واسعة أرضيتها من الطين الأملس، وفيها رفًا خشبي ومقنط يمتد بمحاذاة الجدار بضوئه كله في أحد الجوانب. كان هناك ثلاثة من اجساد امرأة، وفراش شائك. لم تكن خبي ناعن، وبعضها كانت جالسه على اعضاءها، وهو أمر تعجبت منه كثيرًا. لكن ما تعجبت منه أكثر هو أن أرى بقية الخيل مشغولة بأعمال منزلية. وكانت هذه تبدو حيولاً عذبة غير أصيلة. هذا المذهب كله أتد في ذهني الانطباع الأول، وهو أن شعب يستطيع أن يُبدن الحيوانات العجوة عبر النخلة، لأن أن يكون منقوفاً في الحكمة على كل شعوب الأرض. ودخل احصاء، وأذهب بعدي ملهة، وهذا منع سوء لمعاملة التي كان يكرر أن أنفعا من الفرس الأخرى. حصل لها عدة مرات بأسلوب الأمر النهائي، واستجابات الفرس لأمره.

كان بعد هذه الحجرة ثلاث حجرات أخرى على امتداد طول البيت، ويتم الوصول إليها عبر أبواب ثلاثة مقابلة لبعضها البعض في فتر واحد طويل. عتبا المرفة الثانية ومنها إلى الثالثة، وهذا دخل احصاء، وأشير لي أن أتنظر. وتنظرت في المرفة الثانية وبحثت أحياناً هدايتي لوب البيت ورثته. وهذه المندبا هي بجيتان، وثلاث أساور من اللؤلؤ الزايف، ومراء صغيرة. وعقد من آخر. فتدلى احصاء ثلاث أو أربع مرات وانتظرت سماع بعض الأجوبة بصوت بشري، لكني لم أسمع إلا استجابة بالصهيل نفسه، ولكن بصوت أربع قليلاً. وبدأت أظن أن هذا البيت يشخص ذي مرتبة عالية، لأنه ظهر أن هناك رسميات كثيرة قبل أن يُسمح لي بالدخول. لكني لم أستطيع أن أمهم لأنهم يكون خدم شخصية مرموقة كلهم من الخيل. وخشيت أن يكون بي نفس من

جنون شيعة لما لم يمس مصائب وما عذبتهم من أهوال حاولت أن تسترد عقلاني، ونظرت إلى ما حولي في الخجرة كانت مجهزة كالخجرة الأولى ولكن بشكل أرقى فركت حبي عدة مرات، ولكني لم أرى سوى الأشياء نفسها، رجعت قرص ذراعي وجاسني لكي استيقظ، وعلم أمر أن يكون هذا كله يحدث في حلم ثم توصلت أخيراً إلى أن كل هذه المظاهر ليست سوى سحر وشعوذة ولكن لم يمر في الوقت متتابعة هذه الأفكار، لأن الحصان الأشهب ظهر عند الباب وأشار لي أن أذهب وراءه إلى الخجرة الثالثة. وهناك رايت فرساً جميلة جداً ومعها مهر صبي وآخر حديث الولادة، وكلهم جالسون على أعجازهم فوق حصى من لقيش، مرتبة ونظيفة ولا تخلو صانعتها من قن.

عند دخولي غصبت الفرس عن حصيرها واقترعت مني. وبعد أن أدمنت النظر في يدي ووجهي، غطت وجهها مزارت الاحضر، ثم انفتحت إلى الحصان، وسمعت كلمة ياهو تتكرر منها عدة مرات. وحيداً لم أستطع أن أفهم تلك الكلمة رغم أنها كانت أول كلمة تعلمت مخلفها لكنني عرفت معناها بعد وقت قصير، وأصنعت مرغها مصدر جزئي وعذر أبلتي بالنسبة لي ذلك أن الحصان أشار لي برأسه وهو يكرر كلمة فهوون، فهوون كما فعل حين كنا في الطريق. وفهمت أنه يريد أن أتحقق به. وقاضى زحاً بحق لي الخارج حيث كان يوجد مبنى آخر على مسافة من بيت دخلنا هذا المبنى ورأيت ثلاثة من تلك المخلوقات المقيمة التي كانت أول مرة قابلت بعد وصولي إلى البر كانت الآن تتعذى على جذوي وخم بعض الحيوانات، واكتشفت فيها بعد أنه لحم خبز وكلاب، ومن حين لآخر لحم جيفة بقره قتلها سمات أو مريض. وكان في رقبه كل واحد منها زئير قوي مربوط بحرصة خشبية، كانت تسبب الأكل بين محالب أقدامها الأمامية وتزقه بأسنانيا.

وأمر السيد الحصان حصاناً أسمر، وهو واحد من خمسة، بأن يلقا رباط أكر تلك الحيوانات حياً ويأخذه إلى الباحة ثم وضعونا في هذا الحيوان جنباً إلى جنب، وقورن وجهنا عدة من قبل الصيد وخادمه النشيط كرر عدة مرات كلمة ياهو ولا يمكن تشكيلات أن نصف ما أصابني من ذهول ورعب حين اكتشفت أن هذه الحيوانات بقيت شكلاً بشرياً كاملاً. صحيح أن وجهه كان مسطحاً وعريضاً، وثغره الفم، وثغناه غليظتان، وفمه واسع، ولكن هذه الاختلافات شائعة لدى كل الشعوب البدائية حيث تشبه قهلات الوجوه، لأن الأهل هناك يذكرون الأبطال منطلعين على وجوههم فوق الأرض أو يحملهم الأمهات على ظهورهن ووجوههم وتوفهم مصروفة على أكتافهن، والاقدام الأمامية في الياهو لا تختلف عن يدي في شيء سوى طول الأصابع وحشونه الكفيتين وبنمازهما، والشعر فوق ظهورهما. وكانت هناك نفس التشبهات والاختلافات في القدمين. وكنت أعرف هذا جيداً في حين لم تكن الحيلول تعرف بسبب هذا وجوري. والشئ نفسه مطبق على كل جزء من جسدي، فما عدا كثرة الشعر وتلون الجلد.

الصخرة التي واجهت الحفارين هي أنها رأيا بقية حسمي تختلف كثيرا عن بقية جسم  
الياهو. رأنا حين هذا الاختلاف ملاسي التي لم يكن لدى الحصانين أية فكرة عنها. وقدم لي  
حصان الأسر جازرا كان يمسكه (سحب أسلوب الخيل الذي ماضيه في المكان المناسب) بين  
حذره ورسخه. تناولت الجذر بيدي، وبعد أن شغفته كعشته نهضت. لم جنب لي من وجار  
الياهو قطعة من لحم حار، لكن رائحتها كانت متعده لدرجة أنني ابتعدت عنها متفرقا. بعد ذلك  
ردا على الياهو فالتهمها هذا، بهم رشاقة ثم أزال بعض الثين وشيئا من الشوى، فهزرت رأسي  
لأشرح له أنه لا شيء من هذه الأشياء يصبح طعمنا في. وفي الحقيقة، بدأت الآن أختش أن الموت  
يوم إن لم أصب لأخبر من جسمي من الشر. أما بالنسبة لي الياهو أو تلك، فزعم أنه فل إن رُجِدَ  
حيثما من كان يحب اجنسي بشري أكثر مني، إلا أنني أعترف أنني لم أرفع كائنات عاقلة أحقر  
منهم من كل النواحي. وحيلة إقامتي في تلك البلاد كانت تردد كراهيتي لهم وتقززي منهم بازدياد  
معرفتي لهم. وقد أدرك الحصان البيت من سلوكي هذا التور، فأعاد الياهو لي وجاري. بعد ذلك،  
وضع الحصان حافره على فمها، وأثار هذا استغرابي رغم أنه عمله بسهولة ويسر وبسرعة بدأت  
طبيعية عندما، بعد إشارات أخرى ليعرف نوع الطعام الذي أأكله. تكفي لم استطع أن أعطيه حواء  
يفهمه، وحتى نوكهم جوي فقد تحيل لي أنه ليس هناك طريقة لتدبير طعام في. وبهذا كنا  
مشغولين بهذا الموضوع، رأيت مرة ثم أمانا. حيثما كنت أكون إليها وهزرت عن رغبتني في أن أسمع  
لي تحليها. وكان هذا أثره لغوري، لأن الحصان السيد أعادني معه إلى البيت، كما فرحت من  
الخدم أن تفتح حجرة كانت فيها كمية وافرة من الحليب في أوعية فخارية وحشيشة نظيفة ومرتب.  
وأعطيتي الفرس وعاء كبيرا مجوقا مينا بالخشب، فشربت منه حتى ارتويت، وظهرت لي لتعش  
واحمست بازدياد بالبح.

عند انقضاء زيارتي عربة نسيه الولاية قادمة نحو البيت بحرها أربعة من بني الياهو، وكان فيها  
حصان عجوز يبدو عليه أنه من بنية القوم. وقد نزل غنديه الخليلين أولا لأن سادنا كان قد وقع  
له فاهبات بالأقوى فدعه الأمانية اليسرى. وقد جاء لناول العشاء مع سيدي الحصان الذي استقبله  
بترحاب كبير. وقد تناولوا العشاء في الحجرة الكبرى، وكان مشاؤهم من شوفان مخلي في الحليب،  
تناوله الحصان العجوز سادنا وتناولوه الأحرار باروا. وكانت معالفتهم مرتبة عن شكل دائري في  
وسط الغرفة، وكان معظم مضم عدة أقسام. جلسوا على أكتاف من الخشب كل أمام علفه. وكان  
في الوسط رف كبير ذو روية بعدد أقسام المعالف بحيث يتناول كل حصان اللبن وطبقة الشوفان  
والخشب الخاصة به سادنا وحشمة ونظام. وكان سيوك الجوزين الصغرى في حاية الأدب. أما رب  
البيت وريته فكانت تصرفاني تم عن سرور وترحيب بالذين بالضيف. أمرني الحصان الأشهب  
بالوقوف بجانبه، وجرى بينه وبين صديقه حديث ضويل شام، إذ كان الضيف يكثر من استظر لي



وكان يكرر تلك كلمة ياهو.

وصدقني أنني لست قفازي. وحين لاحظ السيد الأشهب ذلك، ظهرت عليه الحيرة ثم فعّله بقدمي الأماميتين ووضع حافره عليهما ثلاث أو أربع مرات وكأنه يضرب مني أو 'مبدعها' إلى شكليهما البدني، فقصت ذلك على الفور إذ خدعت التقاليد ووضعتني في جيبي. وقد أدى هذا مزيد من الحديث، ووجدت أنهم مسرورون من سلوكي، وكان هذا أثاره الغريبة 'أبوت' أن أطلق الكلمات الغريبة التي أسمعها. وبينما كانوا يضاوون العشاء، راح السيد يسمي أسماء الشربان وخليب والنار والماء والشيء أخرى، وكنت أنظرهم هذه بسهولة، إذ كنت منذ صالتي أعلم اللغات بسهولة وبسر.

حين انتهى العشاء انصرف بي إخصان السيد جان، وأفهمني بالإشارات والكلمات أنه قل لي بشأن إجماع طعام مناسب لي. استوفيت بأنهم اسمه خلوة. نطق هذه الكلمة مرتين أو ثلاثاً. ابع أنني ونفسي أول الأمر، فإني بعد إعانة التفكير رأيت أنه يمكنني أن أصبح من نوع من الخبز أكله مع الحليب فأقيم بذلك فإني أن أفهم من النجاة إلى بلاد أخرى فيها عروقات من البشر. وعلى الفور أمر إخصان السيد بوجا بيصا من خدم أسرته أن تحضر لي كمية كبيرة من الشوفان في وعاء خشبي. وقد خُصص هذا الشوفان على النار ثم فُرغته حتى انفصلت عنه قشرته، ثم فُدِرت ثم فُدرت لكي أعزل الحلب عن العشر، ثم خلعت الحلب بين خبزاني، ثم عجنه بالماء وخبزته على نار وأكلته ساخناً مع الحليب. وكانت وجة لا أكله فيها ولا طعم خاص، مع أنها طعام شائع في أجزاء كثيرة من أوروبا. لكنها بمرور الوقت أصبحت طعاماً شائعاً مقبولة. ولأنني كثيراً ما عشت على الكفاف في صياحي، لم تكن هذه هي التجربة الأولى التي كنت بها سهو إشباع حاجات الإنسان<sup>(١)</sup>. ويمكنني أن ألاحظ هنا أنني لم أمرض ساعة واحدة طيلة إقامتي في هذه الجزيرة، أحياناً كنت أصب شيئاً مصنوعاً من شعر بني الياهو ماصيد بها أرباباً أو طيراً وكثيراً ما كنت أجمع أعشاباً معذبة وأستحقها أو أصنع منها سلطة أكلها مع الخبز. ومن حين لآخر كنت أصنع شيئاً من الزبد أضع نفسي به وأشرب الحليب عالي الدسم. وكنت في أول الأمر متصاعباً من غياب الملح لكنني تعودت على العيش دون ملح. ولأنني واثق أن كثرة استعمال الملح عندما هي نتيجة لنزف، وأنه استعمل أول الأمر ليزيد الشهية من الشرب<sup>(٢)</sup>، إلا حين يكون ضرورياً حفظ اللحم سليماً في الرحلات، اضوية أو في الأماكن البعيدة جداً عن الأسواق الكبيرة. ونص لي ملاحظ أن الإنسان وحده، دون الحيوانات، مغرم بالملح<sup>(٣)</sup> وبأنه لنضي، حيناً نركب هذه البلاد قضيت فترة طويلة لا أطيق فيها صمم الملح في أي شيء أكله.

وأخفي بهذا القول بالنسبة لموضوع الطعام الذي يملأ به الرحانون الآخرون كتبهم وكان

لثمة، مهتمون شغفياً بما تكون فيه من خير أو شر. وعلى كل حال، كان من الضروري أن تذكر هذا الموضوع كيلا يفسر الكس أنه كان من السحبي كذا أحد طبعاً مئة ثلاث سنوات أي بعد كذا وبن سكون كجولاء.

حين خال الماء، أمر الحصن السيد بإعداد مكان لأخيه فيه. وكان هذا المكان بعيداً مسافة ست مائة أمت عن البيت ومعزولاً عن اسطبل بني الياقوت وضعت بعض القش في هذا المكان وغصبت نسي تلابسي ونمت نوماً عميقاً. إنكبي بعد وقت قصير حطباً بهيج أفضل كماً سيعلم الغاري فيما بعد حين تحدث بالتفصيل عن أسلوب حيتي هذا.

### الفصل الثالث

المؤلف يبدأ جيداً كثيراً في تعلم اللغة بمساعدة ميسر الحاصل. وصلت المؤلفة كادرون من حصة «توم» من بني الموشة باتون بدافع الفضول لرؤية المؤلف. المؤلف يقدم سيده تقريراً موجزاً عن رحلته

كان قمرى الأول أن تعلم اللغة: وكان سيدي (هكذا ساسميه بعد الآن) وأطفاله وكل الخدم في المنزل يرغبون في تعليمي. كان أمراً خارقاً بالغة لهم أن تظهر في حيوان أعجم مثلي ملامح وميزات المخلوق العاقل. كنت أشير إلى النبي، وأسأل عن اسمه وأسأله في مذكراتي حين أكون وحدي، وكنت أصبح أخطائي في التصق بأحد أصعب من أحد الموجودين في لست أن ينطق الكلمة عدة مرات وذلك للحصول الأسوة وهو من أدنى الخدم عندهم: عل استعداد دلم لمساعدتي

إنهم ينطقون بالكلام من الألف والآخر، وأنتهم أقرب شبيه بالذئبة الهولندية أو الألمانية منها أية لغة أخرى في أوروبا، ولكنها أجمل وأقوى تعبيراً. وقد أدنى الامبراطور شارل الخامس ملاحظة بهذا المعنى حين قال أنه لو كان مطلوباً منه أن يجاهد خصامه بالحكمة بالألمانية<sup>(١)</sup>.

وقد بلغ الخراس والفضول سيدي أنه كان يقضي ساعات كثيرة من وقت فراغه في تعليمي. لقد كان مقتنعاً (كما فن في فيما بعد) أنني لا أستأن أن أكون من بني الباهو، لكن ما كان يدهشه هو قابليتي للتعليم وأدبي ونظامي، وهذه سمات تعارض تماماً مع صفات بني الباهو. لكن الأمر الذي كان يهزئه سداً هو ملاسبي، وكان يظن أحياناً أنها جزء من جسمي. وحقيقة أنني لم أكن أحتج ملاسبي إلا بعد أن تدم الأسرة كلها وليسها قبل أن يستيقظ أحد منهم في الصباح. وكان سيد توافاً لعمرة من أرين جنت، وكيف «كنت تلك المظاهر العقلانية التي كانت واضحة في كل تصرفاتي، عني أن يعرف ذلك كله مني». وكان يأمل أن يتم ذلك قريباً، ولا سيما بعد أن لاحظت نفسي السريح في تعلم إنطق الكلمات وتكمل. وبكى أساعد ذاكرتي، كنت أكتب كل ما أتضمنه بالإنجليزية وأرتبه حسب الألفاء الإنجليزية وأكتب أعلم كل كلمة ترجمة لها. وبعد فترة كنت أقوم بهذا العمل أعام سيدي. لكنني وجدت مشقة كبيرة في شرح عملي له، لأنه ليس لدى بني الهولنديهم أدنى فكرة عن الكتب أو الأدب<sup>(٢)</sup>.

في حوالي عشرة أسابيع صرنا نأفهم معظم أسئلة. وبعد ثلاثة أشهر كنت أستطيع أن أعطيه أجوبة مبهمة. كان ثوباً حذاً لمعرفة من أي جزء من الجلاء جئت وكيف تعلمت أن أفقد المفاغرات العاقلة. لأنه كان معروفاً عندهم أن بني الياهو (الذين يؤكد بنفسه أنني أشبههم تماماً في الرأس واليدين والوجه، وهي الأجزاء المهيمنة مباشرة من جسدي) هم كئيد الحيوانات العجباء، عصياناً على التعليم، رغم ما فيهم من ذكاء وحس وعمل قوي إلى الشرور. وأجبت أنني جئت عبر البحر من مكان بعيد جداً يبعث بالكثيرين من المثاليين في مركب كبير يخوف مصروع من خشية الأشجار. وأن رفاقي أجبروني على النزول على هذا التزوتوكوتي لأتدبر شؤون نفسي. ولم أستطع أن أشرح له هذه الأمور إلا شيء من الصعوبة وبلاستعانة بالمرشدين كثيرين. كان ينبغي لا بد أن أكون غطاً أو أنني قلت الشيء الذي لم يكن (ليس في نفوسهم كلمة نعت عن الكذب أو التزييف). فهو يعلم أنه من المستحيل أن توجد بلاد راء البحر<sup>(١)</sup> وأن تستطيع مجموعة من الحيوانات العجباء أن تحرك مركباً خشبياً فوق الماء أبداً قائماً. وهو متأكد أنه لم يستطيع أحد من بني الهوينيم قط أن يصنع مركباً كهذا أو أنه سيجب لبني الياهو أن يفعلوا ذلك.

كلمة هوينيم في نفوسهم تنال على حسان، لكن أصلها اللغوي يعني كمال الطبيعة<sup>(٢)</sup>. قلت لسيدي أنني لا أستطيع التعبير عما في ذهني، لكنني سأعلم بأسرع ما أستطيع وأدلى أن أستطيع بعد فترة وجيزة أن أشرح بأشبه صحيحة. وقد تكلمت فاعطى ترشيحات لزوجتي الغرس، ومهزلة، ونخدم المعتلة أن ينهزوا على الفرس لتعليبي. وكان هو نفسه يكرس ساعتين أو ثلاثاً من كل يوم للعمل نفسه، وكان الكهنة من حياك وهراس الطبقة لرافقة من حيرات يأتون مراراً إلى بيتنا بعد ما سمعوا أن هناك واحداً من بني الياهو يستطيع أن يتكلم لغة الهوينيم وتكشف كلمات وأعماله عن قدرته على التفكير والتعبير العقل. وكان هؤلاء يشغون بالتحدث معي، وبسألوني عدة أسئلة ويتفقون أن أستطيع التعبير عنه من أجوبة. وقد أحرزْتُ تقدماً كبيراً في تعلم اللغة بحيث استطعت بعد خمسة أشهر من وصولي أن أفهم كل ما يقال لي وأن أعبر عن نفسي بقدر معقول جداً.

ولم يصدق بنو الهوينيم الذين كانوا يأتون لزيارة سيدي قصد مشاهدتي والتحدث معي أنني باهر حقوقي. لأن جسدي معطى بشكل يختلف عن أجساد الآخرين<sup>(٣)</sup>. فقد كنهتهم أجد لم يروا في الشعر واجتهد النوفس في الآخرين، فيما عدا رأسي ووجهي وبني. لكنني خففت مر هذا الاستسلام لسيدي بعد حادث وقع قبل أسبوعين.

مر أن أخبرتك القارئ أنه كان من عادي كل ليلة، عندما تنام الأسرة، أن أترى وأعطى نفسي ملابس. وحصد ذات صباح بكر أن أرسل سيدي حذاه الحصان الأسود إلى نسيته عيني، وحير جاء هذا المخدم كنت عارفاً في النوم، وكانت ملابسني قد سقطت عن جسدي فيها عدا قميصي

الذي كان فوق حصري. استيقظت على صوت حركته ولا حظت أنه يُسبحني مُر مبدء بشيء من الاضطراب. بعد ذلك ذهب إلى سبدي، وقدم له وهو يرتعد خوفاً زخفاً ملفوظاً حذاً حياً راء. وقد اكتشف هذا الأمر في الحال لأنني بعد أن لست ملاسي وذهبت مباشرة لأقتل بين يدي سبدي ساني من معنى ما قامه خادمه: إن شكله وأن ذنبه يختلف عنه في الأوقات الأخرى. وإن بعض أجزائه جسدي. كما أكد له الخادم، ببضاه، وبعضها صمراء أو على الأقل ليست بنفس الدرجة من البياض، وبعضها سمراء.

حتى الآن كنت قد اكتشفت سرّ ملاسي لكي أغبر بفكر الإمكان من ذلك الجنس النعير من بني الياهو لكي اكتشف أن أنه لا جدوى من هذا الإخفاء بعد اليوم. أصف إلى ذلك أنني قُدرت أن حدائي وملاسي سبيل من قريب، على زوايا مبات فعلاً تهترئ وتترق، ولا بد من إيجاد دليل لما أضلته من جلود بني الياهو<sup>(١)</sup> أو غيرهم من الحيوانات؛ وحينذاك سينكشف السرّ لهذا الحوت سبدي أن أمثالي في البلاد أنني جئت منها يُغفلون أجسادهم دائم بملابس مصنوعة من شعر حيوانات معينة، وذلك لتداعي خشمه من ناحية وتقائه لتعلبات الجو من حر وبرد. وأما بالنسبة للنفس فك عن استعداد لأن أثبت له ذلك على الفور إذا أمرني، مع رجائي أن يعفني من تعرية تلك الأجزاء التي عانتنا لطبيعة أن نغطيها. قال إن حدائي غريب جداً، ولا مبال الجزء الأخير منه، لأنه لا يستطيع أن يفهم لماذا تعلمت للحيوة أن تغطي ما اعطته لنا الطبيعة<sup>(٢)</sup>؛ وأنه لا هو ولا أمره بحالون من أي أجزاء في أجسادهم، لكنه سمح لي بأن أقول ما يحلو لي. عند ذلك ففكرت: أروم معطني لم جعته. وفعدت الشيء منه مع صداري. ثم جعلت حدائي وجوري وبنتالي. وثرت مبهني حتى وسطى وزعت بلفظ بجماني وربضه كخزام حول وسطى لآخني عودي.

وراء سدي كل هذا لعمل بفضل وتعجب. وأمسك كل ملاسي بسنكه؛ قطعة بعد قطعة، وتفحصها بدقة. بعد ذلك نحس حددي برفق شديد ونظر حولي عدة مرات، وقال بعد ذلك إنه من الواضح أنني ينامو حقيقي وكمن. ولكني أختلف عن بني حنسي بياض الجلد ومعوت، وبنياب الشعر عن أجزاء عديدة من جسدي، وبشكل غذائي وقضرها في الأقدام الأمامية والخلفية، وباصصاعي الدائم للسير على قدام الخلفيتين. ولم يرغب في رؤية المؤبد، ودون لي عودته ملاسي لأنني كنت أرجو من نسخة الرد.

وبُرت له عن اسراعني من احتياي واحد من بني الياهو وسمرت باسمهم، وهم الحيوانات العيصه التي كرهها غاية الكره وأحضرها كل لاحتقار. وتوملت إليه أن تكبيك عن إطلاق اسمهم علي؛ وأن يمر بذلك معه واصدقائه الذين يسمع ضم برؤيتي. وطلبت أيضاً أن لا يعرف أحد سواه سرّ الخفاء المرافق لجسدي، عن الأقل حتى بين هذا الغطاء. أما بالنسبة لما راء

خدمه الحصان الأسمر فقد رجوه أن يأمر الخادم بالصمت.

وقد تكرم سيدي غلية كل طلباني<sup>(١٢)</sup>، وهكذا بقي 'سُر' مجهولاً حتى بدأت ملاسي تهرئ وتبل، وأصبحت مضطراً لامتدحها بعدة تنابير ساذرها حين يعد. في الوقت نفسه طلب مني أن اثابر على بذل كل جهدي لتعلم لغتهم لأنه مدعني من قدرتي على التكلام والتذكير أكثر من دعوته من جسدي، علماً بأن 'مستور' وأصاف أنه ينتظر بصرخ الصبر سماع تلك الأعاجيب التي وعدت أن أحدثه عنها.

ومنذ ذلك اليوم ضاعف سيدي الجهد الذي كان يبذل في تعليمي، وجمعت المناظير يكر مر يزورهم أو يزورونه، وجعلهم يحاضروني بلطف وأدب لأن هذا، كما قال لهم، فيضيب خاطري ويشرح صدري ويجعل شخصتي ممتعة.

وبالإضافة إلى ما كان يبذله في تعليمي، كان سيدي يسألني كل يوم عدة أسئلة عن نفسي فاجبه بقدر ما أستطيع. وبهذه الوسيلة استطاع أن يحصل على بعض المعلومات العامة عني، لكنها كانت معلومات ناقصة الدقة. ولو رؤيت الخطوط العريضة التي أحرزت بها بعض التقدم نحو بادل الحديث بشكل متضد. فربما تكون رواية عملة. لكن أول تقرير سطره وطوّل قدّمه عن نفسي لسيدي كان كـي يلي:

أني جئت من بلاد بعيدة جداً، كما حدثت أن أخبره من قبل، ومعني حمون رجلاً من بني جاني، وثناء سافرنا حراً في مركب كبير مخوف ومصنوع من خشب وحديد آخر من بيت سيادته. ووصلتُ له السفينة بقدر ما أستطيع وشرحت له بالاستعانة بمدربي كيف كانت الرياح تسوقها، وإن يحرقوا عليّ ووصعوني على ساحل بلاده حيث رجعت أسير على ظهر هـ دي لا أدري أين أذهب، حتى جاء سيادته وأبلغني بما كنت أعرض له من اصطهاد على أيدي تلك المخلوقات المقيمة في الياهو وساني. من صنوع السفينة، وكيفية يمكن أن تسبح في البحر في بلادتي بترك إدارة امر كهذا من يدي بهائم عجائز؟ فأجبت أنني لا أحرز على شرح المزيد إلا إذا وعدني سيادته بشرفه أنه لن يغصب؛ فإذا فعل فإني سأحدثه بالأعاجيب التي طامنا بعدته بها. وقد وعد. وحشدتُ له أن السفينة صُنفتها مخلوقات مثل، وأن هذه مخلوقات هي الحيوانات العاقلة الوحيدة المقيمة في كل لبلاد التي رزقها وفي بلادتي أيضاً، وأني أدري وصولي هنا دهشت من رؤية بني الموهينهم يصرفون مثل الكائنات العاقلة بقدر ما دهش هو وأصدقائه حين وجدوا بعض ملامح البعض في محبوبي يسمونه ياهو، وهو محبوف اعترف أنني أشبهه في عيني، لكنني لا أستطيع أن أتهم سرّاً انحطاطه وبهيمته. وأضفتُ، إذا شاء في حسن الطالع أن أعود إلى بلادتي، راب أروي ما رأيت في رحلي هاء، وهو أمر لا بد أن أفعله، فإن الناس في بلادتي سمعتون أنني قلت الشيء

الذي لم يكن، وأنني اخترعتُ القصة من سج حياتي. ومع احترامي لحيادته ولأسرته ولأصدقائه،  
وعلى أساس رغبته لي بأن لا ينقص، فإنني أقول إن أهل بلادي لا يصدقون أن بني الهويتم يمكن  
أن يكونوا المخلوقات الفهيمة والحكيمة في بلدنا، وإن بني الياهو يمكن أن يكونوا اليهيم الحكومة.

## الفصل الرابع

مفهوم بني الهوينم من النجاسة والكذب والتزييف - حيث المؤلف يقاتل بالاستكثار من قبل سيد. المؤلف يقدم، قرأنا فيه تفاصيل أكثر عن نفسه وعن أحداث رحلته.

أصغى لي سيدي ومظهر عدم لارتياح بادية على وجهه، لأن النك وعدم التصديق غير معروفين في هذه البلاد، ولا يعرف السكان كيف ينصرفون في مواسمها حالات كهذه. وأذكر خلال أحاديثي المتكررة مع سيدي الحصان عن طبيعة البشر في الأماكن الأخرى من العالم، أنه حين كان الحديث يدور عن الكذب وتزييف الحقائق، كان سيدي لا يفهم ما أعني إلا بصعوبة بالغة، مع أنه في المواضيع الأخرى كان سريع الفهم ومزيد الرأي. ورأيت يتلخص في يلي: إن الغاية من الكلام هي أن يفهم أحدنا الآخر وأن يستقبل معلومات عن وقائع. أما حين يُقَدِّم أي شخص على قول الشيء الذي لم يكن، فإن الغاية من الكلام لا تتحقق لأنني لا يمكن أن أقول بحق، إنني لمهت ولا استقبل معلومات منه، بل هو يتركني في حالك أسوأ من الجهل. إذ يجعلني أعتقد أن الشيء أسوأ في حين أنه أبهى، أو أنه قصير في حين أنه طويل. وكان هذا كل ما كان سيدي يعرفه ويفهمه عن ملكة الكذب التي يفهمها بنو البشر جيداً، ودرسوها عن توسع نطاق

بعد هذا الاستطراد نعود إلى موضوعنا. بعد أن أكثرت لسيدي الحصان أن بني الياهو هم الحيوانات المهيمنة الوحيدة في بلادهم، قال لي هذا وصيح يعجز عن تنصيره وإدراكه، رساك هل يوجد بيتا خيل من بني الهوينم؟ وما هو عملهم عند؟ وأجبت أن عندنا أعداد كبيرة منها، وأننا في النصف نرعى في الحقول، وفي الشتاء نبقى في البيوت حيث يوتر لها شجر ولشوفان وحيث يقوم على خدمتها نخد من بني الباهو، فيسبون ويغسلون جلودهم، ويحشطون أعرافها، وينظفون أقدامها، ويأثون لها بطعمها، ويهاون لها فراشها. وقال سيدي: إنني أفيك جيداً. واضح مما نقول أنه إذا كان نصيب بني الياهو عندكم من العقول، فإن بني الهوينم هم سادتكم<sup>(١)</sup>، وأقنني من كل قلبي لو كان بني الياهو عندنا ضارعي مثلهم عندكم. وهنا رجوت من سيادته أن يعطيني من الأسرار في الحديث، لأنني متأكد أن التفرير الذي يرغب في سماعه مني سيزعجه غاية الإزعاج.



تكنه أضرب وأمرى أن اكتشف له عن كل ما تعرفه، شراً كان أو حسناً. قلتُ له: فك الأمر وعني الطاعة. أعلم أن بني المومنين لحي عندنا تُسر حينئذٍ أو عيلاً، وهي أكرم وأجمل الحيوانات عندنا، وتتميز من غيرها أيضاً بالقوة والسرعة. وحتماً تكون بمنزلة الأشخاص من عالية المقام يُستخدم في السفر والسبق وجز العربات، وتُعامل بعطف ولطف، وتذل الرعية اليافعة حتى تصيبها الأمراض واليُميل في أجسادها أو أقلامها. حينئذٍ يُباع وتُستخدم في العديد من الأعمال الشاقة حتى تموت. بعد ذلك تُسلخ جلودها وتباع بضعاً بضعاً، لأنَّها وتترك أجسادها لتتلفها انكلاب أو الطيور الجارحة. كما الخيول العادية، فإنَّ أُنثى حفاً وزميراً، إذ يقتنها الفلاحون والخيلون ومن إليهم من عامة الناس، ويهلكونها بالأعمال الشاقة ولا يقدمون لها سوى الطعام الرديء. ثم وصفتُ بقدر ما استطعتُ عُرقتنا في ركوب الخيل، وتكامل اللعام واستخدامه، والسرج، والمهيز، والوسط، وعُدَّة الخيل، والعربات؛ وكُفِّتُ أنه نضع في أسفل أقلامها أحذية من مادة صلبة تسمى غنبد لنحمي حوافرها من الكسر حين تسافر عليها فرق فرق حجرية وعرة.

وبعد أن صُهل سيدي بعبارات الاستهجان الشديد والاستنكار الغامض من كيف نحرّض على انتقام ظلم الخيل؟ فهو على يقين أن أضعف وأهزل حصان من الخدم في بيته، يستطيع أن يتغلب على أقوى ياهو فيرويه عن ظلمه، أو يستغي ويغضب على ظلمه حتى يجرّس ذلك اليهيم ويقيم ألفاظه. وأجبتُ أن الخيول عندنا تُذَرَّب منذ السنة الثالثة أو الرابعة على الأعمال العظيمة التي يحتملها أو تفرزها لها، فإذا أظهر أحدها تمرّداً شيئاً فإننا نستخدمه في أخط الأعمال ونشفيها من جرّ العربات؛ وبما تُضرب في صغرها ضرراً مرخاً حين تحزن أو تنوم بعض مؤذ. أما المذكور التي تربدها للركوب أو تجرّ العربات والمعارك فإننا نخشيها بعد ستين من ولادتها وهذا نعلبها فحوتها نكفي نعلبها أكثر ضلعة وهدة واسطس فيأذا. وملتُ أن الخيل عندنا ندرك معنى المكافآت والعقوبات، وتكفي وحش سيدي الحصان أن يصلق أن الخيل عندنا، مثل بني الياهو عندهم، ليس لديها أدنى قلق من العقاب.

وقد اضطررتُ إلى الإسهاب أو الإطباب أو الدوران حول المعنى لأعطي سيدي فكرة صحيحة وواضحة عن قول، ذلك أن نعمهم محسوسة الثقليات وغالبية من انتزع في المرات لأن حاجتهم وشبهتهم أقل مما عندنا<sup>(١)</sup>. ومن المستحيل أن أشرح عصفه واستنكاره السيل للمدينة الوحشية التي نعامل بها بني المومنين عندنا، وعني الأخصر غضبه حين شرحتُ له طريقة وأسباب حصي ذكور أجمل عندنا، مثلاً ما من نحامل وشكائر وإمعاش في تطويعها وزدلاله. وقال سيدي: لو كان من الممكن أن يوجد بلد ليس فيها حيوانات عاقلة سوى بني الياهو، فسر المؤكد أن بني الياهو سيكونون لحكام اليممين فيها، لأن العقل في آخر الأمر يتعلب عن القوة انبذية السهية، لكن لو عندنا في الاعتبار تركيبة أجسادنا، وعن الأخصى تركيبة جسدي، فإنه لا يقن أن هناك

عجزاً مسؤولاً في الجسم له مثل تركيبة الحسي السوي الذي لا يتبع للعقل إن يقوم وظائفه الحكيمة على غير وجهه. وقد سألني سيدي، هل الناس الذين أعيش بينهم وشبهوني لم يشبهوني في اليهو في هذه؟ وقد كنت في جسدي شبه في تركيبة الهيئة بإحساس من هم في سبي، تكن الإنثى والأصغر سناً من المذكور عندنا فهم السبع وأخرى عوداً، وإن شرة الإنثى عندنا يهضم كالخليب. وقد إني في الحقيقة أختلف عن بني اليهو عندهم لأي أكثر منهم نظافة وقل تشويشاً، لكن هذا الاختلاف محلي من حيث العائلة المحلية السواء. ذلك أن أطبق اندامي الألمانية والخلفية ليست ذات جدوى. أما قدامي الألمانية فهو لا يستطيع حتى أن يسميها أقداماً لأنه لم يزل قط أمشي بها على الأرض كي لا نعوينها فعلها لا تحمل ذلك وهو يراي أسير بها دون غطاء، وأن الغطاء الذي أضعه على قدمي الخلفيتين كذلك فإني لا أستطيع أن أمشي وأنا بغير غطاء، ذلك أنه إذا رفعت إحدى يدي الخلفيتين، فإني أقع لا محالة. ثم راح يمدد الأصابع والسيوب في الأجزاء الأخرى من جسدي. ومن هذه أن وجهي مسطح، وأنمي بارز، وعيني موضوعتان في الجهة الأمامية فقط بحيث لا أستطيع أن أرى ما على اجنتين إلا إذا أدبرت رأسي، وإني لا أستطيع أن أطعم نفسي إلا إذا رفعت إحدى قدمي الأماميتين إلى صبي، وإن الطبيعة قد وضعت في قدمي الأماميتين تلك العضلات والوصلات العديدة ليلبي لهذه الحاجة. لكنه لا يعرف النقاش من تلك التشويق والتشويق العديدة في قدمي الخلفيتين؛ وأن هذين القدمين ماعين وطريقتين جداً ولا تحملان صلابة الصخور أو جذع دون غطاء مصنوع من حديد ابهائم الأخرى، وأن جسدي كله يحتاج إلى غطاء يحميه من خرب يقيه من البرد، وهو غطاء نلبه ونطعمه كل يوم مما يسبب لنا رهقاً مزعجاً. وأخيراً، إنه يرى أن الحيوانات كلها في بلاده غفت في اليهو الضعيفة عن تجنبهم والقوى ليعتد بهم. ولو فزعنا أن لدى بني اليهو، موهبة العقل، فهو لا يرى ميلاً لإنهاء تلك الكراهية الخطيرة التي يكاد كل مخلوق لها ركنها، فإنه لا يرى كيف يمكن أن ندجن تلك المخلوقات التي فطنا ونجعلها محرومة. لكنه عن كل حال من يتابع النقاش في هذا الموضوع، لأنه إنما يرغب فقط في معرفة نصي، وبلاوي التي وكنت فيها، والأعمال والأحداث التي ملأت سببي قبل أن أصل إلى بلاده.

واذ كنت له إني شديد الرغبة في أن أشرح له كل ما يريد معرفته، لكنني أشك كثيراً في قدرتي على شرح الموضوعات العديدة التي لم تخطر له على بال، لأنني لا أجد في بلاده ما يمكن أن أشبهها به، لكنني على كل حال سأبذل كل جهدي لأشرح الأمور عن طريق تشبيهها بأشياء، ورجوته أن يساعدني حين تعوزني الكلمات المناسبة، فوعده أن يفعل ذات بكل سرور.

قلت لني وندت لأهوين شريفي في جزيرة ندعى إنجنترنا تبعاً عن بلاده مسافة تساوي المسافة التي قد يقطعها أقوى حصان من حدم سيدته خلال الدورة السنوية لنشمس؛ وإني تعلمت

مهنة الطب والجراحة، وهي مهنة تشغى جراح الجسد وآلامه التي تصيبه بالصدقة أو من جراء الحف، وإنه تحكم يلاذي إنسان آخر، نسميها ملكة، وأنني تركت ملادي لأجمع ثروة أعول بها نفسي وأسرتي حين أعود<sup>١٣</sup>، وأنني في رحلتي الأخيرة كنت قائد السفينة وكان تحت إمري لحسون من بني الياهو، مات كثيرون منهم في البحر فاضطرت لتعويض عنهم بتخزين من شعوب متعددة، وإن سفيتي تعرضت للفرق مرتين، أولها بسبب عاصفة جاثقة والثانية بالاصطدام بصخرة. وبعث قاطعتي سيدي رسالي كيف استطعت أن أقتع غرباء من بلاد مختلفة بالمجازفة بالعمل معي بعد الحوادث التي حدثت بها والاضطراب التي تعرضت لها، فأجبت أنهم استخلص ذرو حفظوا نائبة، اضطروا بسبب فقرهم أو حرمانهم لنداء من البلاد التي انحبس بهم. بعضهم ذو ثروة المحكم والقانون وبعضهم افتقر بسبب الإدمان على المسكرات أو التمسق مع العاهرات أو المضاربة وبعضهم هرب بسبب الخيانة، والكثيرون فروا بسبب ارتكابهم جرائم القتل أو الزنى أو دس السم لآخرين أو قطع الطريق أو شهادة الزور أو التزيف أو سلب نفوس مريضة، أو جرائم الاغتصاب أو شوية، أو الفرار من جيش أو الانصياع لخصوف الأعداء، والكثيرون منهم هربوا من السجون. وليس بين هؤلاء من كان يجرؤ على العودة إلى بلده خوفاً من الشقاق أو الموت جوعاً في السجون، وقد اضطروا إلى البحث عن رزقهم في أماكن أخرى<sup>(١)</sup>.

خلال هذا الحديث كان سيدي يذكر من مصطلحي. وقد جئت إلى العديد من التشبيهات والإسهابات لكي أشرح له طبيعة العديد من الجرائم التي اضطرت بحارتنا سببها إلى الفرار من بلادهم. وقد استغرقتني هذا العلم أحياناً عديدة من الحديث والشرح قبل أن يستطيع سيدي أن يستوعب أو يفهم ما أقول. فقد كان عاجزاً عن معرفة الفائدة من دراسة تلك الودائع أو الضرورات الداعية إلى ارتكابها ولكني أوضح هذا الأمر حارثاً جاهدًا أن أشرح له بعض الأفكار عن شهرة الساطرة وشهوة الزنا، وعن النتائج الفظيعة للشقاق الجنسي والشهوات العارمة والحقد والحسد، وبكي أعرف هذه المفاهيم وأصفها حدثاً من رواية حالات محزنة وإلى اختراع افتراضات متنوعة. بعد ذلك كان سيدي: كمن يسمع ويروى أشياء لم يحظر قط على والده يرفع عينيه دهولاً واستغراباً واستكثاراً. ذلك أن مفاهيم انسطة، والحكم، والحرب، والفتن، والتدبير غيرها ليس لها في أذهانهم ألفاظ تعبر عنها، وهذا جعل مهمة شرحها لسيدي أمراً يكاد يكون مستحيلًا. لكن سيدي كان ذا ذكاء حاد وفضيلة الشك والحديث، وهذا تمكن آخر الأمر من التوصل إلى معرفة جيدة عما تصحح الطبيعة البشرية في بلادنا أن تجزعه وتدمره. وهكذا طلب مني أن أقدم له تقريراً مفصلاً عن ملاد التي نسميها أوروبا، وعن ملادي بوجه خاص.

## الفصل الخامس

المؤلف يمثّل الأمر سيده ويجريه عن الأسوار في إنجلترا، ومن أسباب الحرب بين  
أمره أوروبا، ويشرح في شرح النشور الإنجليزي.

أرجو من القارئ أن يلاحظ أن ما يلي ليس سوى ملاحظات من محادثاتي مع سيدي: ويجوي  
ملخصاً لأهم النقاط التي تكتسب فيها وأهم المواضيع التي تطرح لها في مناسبات عديدة خلال  
عائتي. كما كنت أزداد تقديراً لثقة الهوينيم كان سيدي يعارض سؤالاً عن موضوع ما، لكي يفهمه  
فهو أحسن. كنت قد شرحت له يندر ما يستطيع أنحوك أوروبا كلها: حدثته عن التجارة  
والصناعة، والعمود والمعالم. وكانت الأجربة التي أرتد بها على الأسئلة التي تطرح له خلال حديثي  
عن الموضوعات المتعددة: فيف لا يتقطع. لكنني سأعود هنا فقط زبدة ما دار بيننا من أحاديث عن  
يلادي بعد أن نغتنمها بأحسن ما أستطيع، دون اهتمام بزمن كل حديث أو الظروف التي تلت  
إليه. لكنني أكتفي، الزائد صراحة، بقول الصدق والحقيقة. الشيء الوحيد الذي أخشاه هو أنني غير  
قادر تماماً على تصوير صحيح سيدي القوية وتعبيراته البليغة تصويراً متصفاً بسبب صمغي في لفتته  
ومحاورتي ترجمة كلامه إلى لغتنا الإنجليزية المحمبة.

امتداداً لأمر سيادته حدثته عن الثورة في عهد أمير أورانج، وعن الحرب الطويلة مع  
فرنسوا التي بدأها الأمير المذكور واستمرت فيها من خلفته على العرش، الملكة الحادية، والتي  
تورطت فيها قتل الزبون المسيحية، والتي هي ما زالت مستمرة، ونداء على طلب سيدي حيث  
الغدير في هذه الحرب، فقلت إنه قيل فيها حوالي مليون من بني الياهي، وأنه سقط فيها أكثر من  
مائة مدينة، وإن طلبة أمثال هذا العدد من السفن غرق أو أشرق.

وسأنتهي: ما هي الأسباب أو الدوافع التي تجعل بلاداً يتحارب مع بلد آخر؟ فاحيئاً أن  
الأسباب لا تخص، ولكنني سأكتفي بذكر عدم من أهمها. أحياناً يكون السبب طمع حاكم لا يكفي  
بما لديه من بلاد ومن تحت حكمه من عبيد<sup>17</sup>، أو أحياناً يكون عدم انبؤد، الذين يؤطرون قلوبهم  
في الحرب لكي يجهنوا الأقطار عن ظلم الرعية من عند حكمهم وشروع إدارتهم. وأحياناً يكون  
اختلاف الرأي سبباً في هلاك الملايين، ومن أمثلة ذلك الاختلاف حول ما إذا كان اللحم خبز أو

أخبر حتى<sup>(١٢)</sup>. أو حول ما إذا كان، المصير شراً أم خيراً<sup>(١٣)</sup>. أو حول ما ينبغي فعله بقطعة من الخشب، ثقيلها، أو سرفها<sup>(١٤)</sup>. أو حول أفضل لون للملابس<sup>(١٥)</sup>. أهر الأسود أم الأبيض أم الأحمر أم الرمادي. أو حول طول الملابس أو قصرها، أو حول عبقها أو اتساعها، أو حول اتساعها أو نظافتها، أو حول أمور أخرى كثيرة. وقبيل لم يك أعف الحروب وأكثرها دعوى، وأطولها مدة واستمراراً، هي تلك التي تنجم عن اختلاف الرأي. ولا سيما حول الأمور الناهية.

وأحياناً تقوم الحرب بين أميين يتساقطان على اختصاف بلاد أمير ثابت لا حوز لأي منهما<sup>(١٦)</sup> وأحياناً يهاجم ملك ملكاً ثانياً لكي لا يبدأ الثاني بالهجوم. وأحياناً يدخل أحدهم الحرب لأن العدو قوي جداً، أو ضعيف جداً. وأحياناً يطعم جيون فيها عند أو يكون عندهم ما يبيع فيه، فتتجارب حتى يأخذوا ما عدنا أو يملكون ما عندهم. ومن الغزوات المقبولة أن تمرر بذاً. ثمكث شعب المجاعة أو الأوبئة أو الخصومات الحزبية. كما أنه من المقبول أن تنتن الحرب على التخلص حليفك لأن كان موقع أحد مدنه بنام أو كان كانت قطعة من أراضيكم تكمل أراضيكم. وإذا أرسل أمير قومه إلى ملك شعب جاهل أو فقير، فإنه يحسن له شرعاً أن يغفل نصف ابتداءه ويستعيد النصف، لاخر لكي يحضرهم وينقذهم من طريقهم إلى المدينة في العيش، وإن من الممارسات الملكية الشريفة والمتكررة أنه إذا سجد أمير بأمر ثان نكي يساعده في حدة غزو، فإن الأمير الثاني يقوم بعد حدة الغزاة باحتلال الأراضي وضغطها إلى ملكه؛ ويقال أو يسجن أو ينفي الأمير الذي جاء لتجديته. كذلك فإن قرابة الدم أو المصاهرة هي سبب كاف لتحييم الحروب بين الأمراء. وكلما قويت صلة القربى كان الميل إلى القتال أشد. انشعوب العقيدة جعلت والفنية متكررة متجدة، وانخوع على خلاف ذلك مع الكبرياء والتميز. هذه الأسباب كلها فإن حرفة الجهادي هي أشرف الحرف، ذلك أن الجهادي هو واحد من بني الياهو يستأجرونه ليقبل بجرودة ويضمير منيع أكبر عدد من بني جنسه يستطيع فتحهم؛ دون أن يتسبب المقتولون في أي أذى أو زعاج له.

كذلك هناك نوع من الأمراء المرتزقة في أوروبا لا يقومون بش الحروب بأنفسهم، لكنهم يؤجرون قواهم للشعوب الأغنى مقابل مبلغ يميني معين لكل واحد من جنودهم؛ ويأخذون ثلاثة أرباع هذا المبلغ لأنفسهم ويكون هذا أحد مصدر رزق لهم. وهذا ما يلاسه لأمرأ في كثير من الأجزاء الشمالية من أوروبا.

وفإن ميدي. إن ما قرره من موضوع الحرب، يكشف بحق وبشكل واضح نتائج ذلك الفعل الذي تزمعونه لأنفسكم، وعلى كل حال، فيه من حسن الطالع أن تحاربكم أكثر من شطركم، وإن الطبيعة خلعكم عاجزين عن إسداءات الأذى الكثير صاواهكم غير بؤرة من وجوهكم ولا تستطيعون أن يغف أحدهم، لاخير عفاً بالغ لأذى إلا إذا انقضم على ذلك وأما بالنسبة

للمخالف في أممكم الأمامية والحلقة فيها قصيرة ولينة وليست ذات حط، ويستطيع واحد من بني أنهاره عندنا أن يسوق أمامه ستة منكم. وهذا، فإني أعتقد أنك لدى ذكر عدد الذين قتلوا في المعركة قلته الشيء الذي لم يكن.

ولم استطع إلا أن أعز رشي وأبسم بسبب جهله، ولأني لست عريباً على أمور الحرب وفنون القتال، فقد وصفت له المدافع القصيرة، والمدافع الطويلة، والباقى لصوتة والقصيرة، والمدسات، والرصاص، ومحرقة البارود، والسيف، والخرب، وأنواع الخصار، وأساليب الكر والخز، والحقاق والسراديب، وذلك الفلاح بالغنائف، والمعارك البحرية، والبفن التي تعرف وعليها ألف إسك، وعشرين ألفاً يقتلون من كل من الطرفين اشحاريين، وأثنى المنحصرين، والأضراف التي تتطير في الجوى، والندجان، والصرح، والفرقى، ولذين تدوسهم وتقتلهم منابك الخيل، والهروب، والبطاردات والانصرافات، ومبدين القتال التي تبقى فيها جثث القتلى صاماتاً للكلاب والذئاب والطيور الحارشة، واللب والذئب، وتعريه الناس من ملابسهم، ويحرقهم من حطبهم، وحالات الاغصاب والفرق والتدمير. ونكي أعتز بسالة وشجاعة أساء ملاذي الاعزاء، أكدت أيدي الخصان التي ربتهم في حصار الذين يسقون مائة من الأعداء دفعة واحدة، وينسعون مناهم في سبعة، ورأيت الأجساد تسقط فقطع من الغيوم، مما جعلها مظراً متناً للغاية لدى كل الفرجين.

وكتبنا سائراً مزيداً من التدمير نولاً أن أترى سيدي بالمشكوت وقال: كل من يفهم طبيعة بني الياهو يمكن أن يصدق أنه من الممكن لجوالات يمثل هذه خفزة أن ترتكب كل حمر من الأعمال التي ذكرتها لم كانت قوتها ودهاؤها مثل حقدتها وتؤمها. وقد زد حديثي كراهيته وبغضه لجس بني الياهو كله، لكنه في الوقت نفسه تحدث في ذهنه لتسليماً أو اضطراباً لا يعرفه قط من قبل. وهو يرى أنه إذا تمردت أذناه على مثل هذه الالفاظ الغليظة، فإنها بالتدريج قد تستمع لها باستهجان أقل. وقال: رغم أنه يكره بني الياهو الموجودين في بلدة. إلا أنه لا يلومهم عن ضلوعهم في الغيبة كما لا يلوم الحطب الجارح عن قسوته ولا يلوم الحجر الخاد حين يجرح حافره. لكن حين يزعم مخلوق أنه عاقب ويقرّف مثل هذه الأعمال الغليظة، فإنه يخشى أن يكون فساد النمل أسوأ من الوحشية البهيمية. وهو هذا يميل إلى الاعتقاد بأن ما لدينا من قدرة على التفكير ليست هي العقل، بل هي مدركة تدعينا على زيادة وقضخيم شرونا وردائنا انطوية، وهي تشبه الماء المنصرب الذي يعكس لنا صور الأشياء مضخمة ومشوهة.

وأضاف أنه سمع أكثر مما يريد عن موضوع الحرب في هذا الحديث وما سبقه من حديث. لك يريد الآن أن ينسب عن موضوع يتبره ولا يفهمه جيداً. كنت قد أخبرته أن بعض بحارتنا

يتركون بلادهم لأنهم دمرتهم المحاكم والقانون. وقال -بيدي- أنني قد شرحتُ له معنى كلمة القانون وكلمة المحكم، لكنه لا يفهم كيف يحدث أن يكون القانون الذي يُقصد به الحفاظ على الناس وحقوقهم سيئاً في تدمير الإنسان، ولذلك فهو يرجو أن أقدم له مزيداً من الشرح عما أقصده بكلمة القانون، وعمن يُلحقونه، طفاً تمييزات الحاتية في ملادي، لأنه يعتقد أن لطيفه والتعل بالنبية لنا، باعتبارنا مخلوقات عاقلة كما نرسم، مولدان كالمكان تعريفاً بما ينبغي أن نفعله وما يجب أن نتجنبه.

وأكدتُ نسبته أن القانون جُثم ليس في به علاقة أكثر من كوني استخدمتُ غنمين، دون جدوى، في قصة كنتُ فيها مضطراً. ومع ذلك، فسأشرح له الأمر بقدر ما أستطيع.

قلتُ إن بيننا جماعة من الشخصين، تدعى منذ حدثتهم على استخدام كتيبة كثيرة لأبيك أن الأبيض أسود، والأسود أبيض حسب الدرع. ثانية التي تُدفع هم: رن غية الذي هم عبيد هذه الجماعة.

وعلى سبيل المثال، لو حضر بلجاري أن يأخذ يقرني مني، فإنه يستاجر محامياً ليثبت أنه يجب أن يُنقض بقولي مني. وحيداً يتوجب علي أن أستاجر محامياً آخر ليدفع عر حقي، لأن كل مبادئ القانون تنص على أنه لا يجوز تدعى أن يتكلم دولاً عن نفسه. في هذه القضية أصبح أنا، المثلث الحقيقي، في مواجهة ضررين عظيمين: أولاً أن محامي التدرب منذ نعومة أظفاره على الدفاع عن ليأخذ بمن نفسه كمدافع عن قضية عادله خارج بيئته الطبيعية، ولذا ينحرف في دفعه عن عجز أو عن سوء نية. ولتضرر الثاني هو أن علي غامري أن يسير في دفعه عن حقي بحذر شديد أو معرض لتسويخ من الخصومة بالكرهية من زملاء المهنة، لأنه يدفعه عن الحق يعني إلى سلوكيات المهنة واليات انقضاء. وحذا لا يكون أمامي للاحتياط يقرني سوى طريقين: الأول، أن أدفع لمحامي حصصي ضعف ما دفعه له الخصم لكي يفرج مركبه ويلتحق إلى أن العادل في جانبه. أما الطريق الثاني فهو أن يبدل محامي جهده لجعل قضيتي تبار ظالمة عن طريق الاعتراف بأن البينة تخص حصصي، وهذا بالتأكيد سيكسبني عطف القصة.

والآن يجب على سيادتك أن تعلم أن هؤلاء القضاة أشخاص، ولذيتهم أن يفصلوا في النزاعات حول الملكية وفي القضايا الجنائية. ويتم اختيارهم من بين أشهر المحامين بعد أن يشيخوا أو يصبهم. كسالى. ولأنهم كانوا طيبة حياتهم أعداء للحق والعدل، فهم مضطرون بحكم طبيعتهم وذكولتهم إلى محالة المنصب والاحتيال وشهادة الزور والظلم، بل أنني أعرف أن حصصهم رفضوا وشوات كثيرة من الطرف صاحب الحق لكي لا يسبوا إلى آليات المهنة ولكي لا يقرعوا ما لا يتفق مع طبعهم أو طبيعة عملهم.

ومن الماتر الساتة لئى هؤلاء لمحامين أن ما يحيل من قبل، يمكن قانوناً أن يُقبل مرة ثانية. ولذا فهم يحرصون كل حرص على تسجيل كل القرارات والأحكام السابقة الشافعية لروح العدل ومنطق العقل. وهم يستنون هذه القرارات انطالة والأحكام الجائرة سوابق، ويستندون إليها بنبرارهم الظلمة. ولم يمتنع القضاة قط عن إصدار أحكام مطابقة لتلك الآراء والسوابق.

وأثناء الترميم، يتحاشى المحامون الدخول في صلب الموضوع، لكنهم تعلو أصواتهم ويزداد حاسهم عند النوقوف على التفاصيل السمة التي لا علاقة ها بالموضوع. ولتأخذ مثلاً عل ذلك قضية البقرة. فهم لا يبالون عى عند خصمي من مستندات قانونية تؤيد معالته بغيري؛ بل يبالون، عى البقرة موضوع النزاع حرره أو سوتاه، وهل هي طويلة أو قصيرة النقرين، وهى المكان الذي ترعى فيه مستدر أو مربع، وهل قلب في شوك أو شرجه، وما الأمراض التي تتعرض لها، وما فى ذلك من أسئلة. وبعد هذا كله يرجعون إلى السوابق القانونية، ثم يؤجلون القضية، ويعيدون تأجيلها مرة بعد أخرى، وبعد عشر سنوات أو عشرين أو ثلاثين يصدر لحكم

ومن الملاحظ أيضاً أن لهذه بتراعة لغة ورمزية شديدة لا يفهمها أحد من البشر غير أعضائها. وهذه اللغة تُكثف كى قوابلهم التي يحرصون عى زيادتها وتعقيدها حيث يخلط فيها حق بالباطل والصواب بالخطأ. وبحيث يحتاجون إلى ثلاثين سنة ليفررو إن كانت تُرضي التي ررتها عن جديدي عبر مئة جبال هي أرضى أم أرض شخص غريب يعيش على بعد ثلاثة ميل.

أما محكمة الأشخاص المهنيين بجرائم ضد الدولة، ماها تأخذ وفقاً لقصر وتتمتع أسلوباً أفضل يستحق التقدير. أولاً، يرس القاضي من يعرف على رغبة ذوي الشرة وهوى أصحاب السلطة، وبعد ذلك يسهل عليه شتى الجرم أو نبرته، وطبقاً مع المهرى الشديد على شكلات القانون

وهنا قاطعني سبي فافلاً أنه من المؤسف أن لا تُسلج مخلوقات تتمتع بهذه القدرات العقلية تفلد كائنات مزينة، حسب وصفى لهم، على أن تكون قدوة ومعلماً للآخرين فى أمور الحكمة والمعرفة، وفي جوارى على هذا القول، أكدت ليدي أن هؤلاء المحلين هم، خارج نطاق مهتهم؛ أكثر انشغالاً وانشغافهم عباد واسقرهم حديث فى الأمور العادية، فهم خصوم الداء للعلم والتعلم، وهم مبالون إلى إفساد العلى البشرى وتضليله فى كل موضع اخذت، كما يفعلون فى إطار مهتهم.



## الفصل السادس

اسمرد بحيث من أسوان إنجلترا في عهد الملكة آن. شخصية رئيس الوزراء في  
تصور ملوك أوروبا

حتى الآن لم يفهم سيدي المواقف التي تُفرض طائفة المحامين هذه بإرهاق، وإزعاج، وبطلة  
أنفسهم عن طريق الانضمام إلى تحالف الظلم والظلم الذي يسعى إلى إبداء إعصاوبهم من  
الحيوانات، كما أنه لم يدرك ما أعياه بقولي أنهم يفعلون ذلك مقابل أجر عند ذلك اضطررتُ أن  
أجهد نفسي لكي أشرح له فواك النقود، ولماذا التي تُطع منها النقود، رغم المعاناة<sup>(١)</sup>. قلتُ إنه  
حين يتوفر الواحد من بني اليهود ذرا كبراً من هذه المادة الثمينة، فإنه يستطيع شراء كل ما يرغب  
فيه: أحسن الملابس وأرقى البوت وأراضي واسعة وأفضل المحرم وماكولات والمشروبات، كما يتاح  
له أن يجاز من يشاء من أجل الجميلات. ربما أن النقود وحدها تُسر كل هذه الانجازات العظيمة،  
فإن بقي اليهود لم يفتروا قط بما يتوفر ضم منها مما غنم بقدر ما يتمتعونه أو يدخرونه، حسبما  
يحدون أنفسهم ببلين بالمعطاة إلى الأسراف والتبذير أو البخل والتوفير. كذلك فإن الغنى يتمتع  
بشركات كفاف الفقير، مع أن تعب التفكير أكبر عدة مرة من تعب الغنى، وأكثر الناس يعملون في  
بؤس وشقاء إذ يبحثون كل يوم ساعات طويلة بأجور زهيدة لكي تعيش قلة من الناس في بعبوحة  
ورخاء<sup>(٢)</sup>. وقد أسهبتُ وأطبلتُ كثيراً في هذا وما شابهه من مواضيع ووصفتُ إلى النتيجة نفسها  
وهي: أن سيدي لم يفهم بعد. ذلك أن نكره قائل على افتراض بدعته هو أن لكل حيوان حتى  
وتصيب معلوم في غيرت الأرض، وخاصة أولئك الذين يرأسون الآخرين لهذا طلب هي أن  
أوضح له ماهية هذه اللحوم والأطعمة الباهظة التكاليف وكيفية إيجادها في هذا. عند ذلك رُحِّتُ  
أُعدد له كل ما خطر على بالي. والفرق المتنوعة في تجهيزها وطبخها، وهي وسائل لا يتيسر  
انقياد بها إلا بإرسال مركب في البحر إلى كل أسطول العالم لكي تعود لما بالمشروبات والبهارات  
والنصصات وما لا يحصى منه من التخللات. وأُكدتُ لسيادته أنه لا بد من القواربان حول الكوة  
الأرضية ثلاث مرات لكي تستطيع واحدة من نساء اليهود الترفيات أن تنازل فطورها من النصحون  
الحسبية التي يوضع فيها أطورها. وقول البلى الذي لا ينتج لسكراته ما يكفيهم من طعام هو بلد  
نفس حقد لكن ثلثي الذي تعبث منه غايه المعجب هو كيف يمكن للأرض واسعة وبلا

شائعة، كما وصفنا، بلاني، أن تخلو من ماء لشرب مما يضطر أهلها إلى جذب المشروبات من وراء البحار؟ وأجبت: أن إنجلترا (مسقط رأسي العزيز) تنتج من الطعام ثلاثة أضعاف ما يمكن لأهلها أن يستهلكوه، كما تنتج من المشروبات التي تستخلص من الحبوب أو تُعصر من ثمار بعض الأشجار أحسن أنواع الشراب. والسبب نفسهما تنطبق على ضرورات الحياة الأخرى. لكن لكي تُسج شراجه المذكور وحدهم للماء ولكي يرضى غرور ذلك، تصدر الجرد الأكبر من الألبان الضرورية لنا في بلاد أخرى وتورد منها مواد مجلب الأمراض وتجنب الحشرات والذئب، ونشرها فيها يساً. وينجم عن هذا بالضرورة أن تضطر أعداد هائلة من شعب إلى كسب رزقها بالمشقة، وقطع الخرف، والسرقة، والغش، والقرقة، وخُف الأيمان كذباً، وانحلال، والتحرير على الشر، والتزوير، والظلمة، والكذب، والنزلة، والنظر، والتقصير، والكتابة، والتنجيم، والتسيم، والتدقيق، والتداعرة، والشعفة، والتظاهر بالتقوى، والتشهير بغير الأمر، والاحلال المتكسري والإلحاد، وما إلى ذلك من ممارسات. وقد وجدت صعوبة بالغة في تجميعه معي كل واحدة من هذه الألفاظ.

قلت: إنه لا ستورد الخمر من بلاد أجنبية لتد به حاجتنا إلى الماء أو غيره من أنواع الشراب. ولكن لأنه نوع من السوائل يؤمن فيها تسرور بنخبير حواسنا، ويغلبها عن همومتنا، ويحب في دماغنا حيلات جديدة، ويغني في الأمان ويخفف عن المخاوف، ويعمل نشاطاً عذبة ويشغل حركة أعضائنا حتى نعرف في سبب حمق. لكن نفي ذلكاً من مبادئنا صريحاً وفادلي الحق، إن تارة الخمر يخلط في الأمراض، وينكد عيشنا ويضر أعزنا<sup>(١٢)</sup>.

والإضافة إلى كل هذا، فإن معظم أفراد أمتنا يعرجون أنفسهم عن طريق تأمين ضروريات الحياة وكماياتها للأغنياء ولبعضهم البعض. ومن سبب ذلك، حين يكون في بيتي ومثلها شبيه، فنحن أهل على حندي نحتاج عمل مائة من الخدم، كما أن شاء البيت وتأنيته يشغل عددًا هائلاً من أصحاب الحرف، لكن نزيين زوجتي يشغل خمسة أضعاف هذا العدد<sup>(١٣)</sup>.

وكنت سأحدث سيدي عن حادثة أخرى من أسس الدين يكسبون فروعهم من رغبات الرضى. وكنت قد أخبرته في بعض المرات أن الكثير من بحارتي ماتوا بسبب الأمراض. وهنا واجهت صعوبة شائعة في تفهيمه ما أعني. كان يستطيع أن يفهم سهولة أن يبي الطوبى يصنع جسمهم وتغلب حركتهم قبل أنوت يفضله، أو يصيب الذي بعض أعضائهم بسبب حادث عارض، لكنه كان يعتقد أن الطبيعة التي تخلق كل شيء كاملاً لا تسمح مطلقاً بتكاثر التعلل والآلام في أجسادنا، ورغب أن أشرح له أسباب هذه العلة التي لا يرى لها مبرراً. فقلت له إن نأكل ألف شيء، يأنفص بعضها البعض الآخر، وذلك حين لا نأكل جوعاً ونشرب حين لا نحس عطشاً، وإن

نقصي. ليالي بطولها شرب مُسْكِرَات قوية دون أن تأكل شيئاً، مما يؤدي بنا إلى حصول، وبيع جسادنا، وبيعنا المضم فيها أو يخطئه. وإن لمعنا من إننا اليهو يصيبن مُرَضَّر معين يؤدي إلى تلف عظم من يقعون في أحضانهم، وإن هذا والأمراض أخرى كثيرة يورثها الأب للأبناء بحيث يولد هؤلاء مثقلين بالأمراض المعقدة، وإن قائمة الأمراض التي تصيب الأجساد الشرية لا نهاية لها، فهي لا تقل عن خيافة أو مائة علة تتوزع على كل عضو وحرف ومفصل. وباختصار، كل جزء في الجسم، خارجي كان أو داخلياً أو محوياً له أمراض محصية ثم. ولعلاج هذه الأمراض يوجد بينة مخالفة من الناس يتدربون على مهنة شفاء المرضى أو التظاهر بشغلتهم. ولأنني أكتنع ببعض أسيرة في هذه المهنة، فإنه يسعدني، أعزائي بفضل سيادته، أن أطلعه على أسرار المهنة كلها وعلى الطريقة التي يسلكها الأطباء.

فاعندهم الأساسية هي أن كل الأمراض تنجم عن الاضطلال. ولهذا يقررون أنه لا بد من تفريغ الجسد عبر حرمت التفريغ الطبيعية أو غير لضم وحصولهم التالية هي أن يضمنوا خلطت ومركبات من الأعشاب والأطعم، والمعادن، والأصباغ، والزيوت، والصفديات، وأنواع العصير، والأعشاب الحرة، وأنواع البراز والصفديات، وقشور الأشجار، والتمارين، والصفحات، والعنكب، وطبوم جميع البشر وعظامها، والطيور، والحيوانات، والأسماك، بحيث يكون هذه المركبات والخلطات رائحة كريهة وطعم مثير، فتدفعها البعدة وترفضها على الفور. وهذه بسموها أنثليات، أو يستعملون من المواد نفسها، مع إضافة بعض المواد الشامة أو المخرقة، أدوية مزعجة ومفرقة بالأعلاء، ويأرونها بتلوثها من فتحات الجسد العليا أو السفلى (حسب هوى الطبيب حينذاك)، فيعمل هذا الدواء المخرق على تخدير البعث ويذوب كل ما فيه إلى الأمثل. وهذه بسموها الشبهلات أو أدوية المخرق الشرجية. ويزعم الأطباء أن الطبيعة خفت الفتحة الأمامية الفوقية فقط لإدخال الجوامد والبراز كما خلقت الفتحة الخلفية التحتية فقط لإخراجها. ويؤمن هؤلاء المتناسون أن الأمراض ترعم الطبيعة على الخروج عن طريقها المرسوم، هذا وبكي تعدد الطبيعة إلى لطريق الصحيح يجب معاملة الجسد بطريقة تتعارض مباشرة مع طريقة عمله العادية عن طريق تبديل خدمات الفمخين، أي عن طريق إدخال الجوامد والوسائل من الشرج وإخراجها من الفم.

وللى جانب الأمراض الخبيثة نصيب عدل وهمية اختراع لها الأسماء أدوية وهمية. وهذه البخل وأدويتها أسماء عديدة، وهي أمراض وأدوية متشعبة دائماً بين إننا الباهو.

وتشتهر طائفة الأطباء بمهارتهم في التنبؤ الذي قلما يخشون به. وتنبؤاتهم في الأمراض الخبيثة التي تصل مرحلة خطيرة هي عمومًا الموت، وهو تنبؤ يخلدون على تحقيقه، لكنهم لا يستطيعون التنبؤ بالشفاة وتحقيقه. ولهذا فإنهم إذا تماوا بالموت، وتجهزت على المرضى علامات التحسن

والمزوت الشفاه، وهم يعرفون كيف يشترون للديا صواب رأيهم<sup>(١٤)</sup> بجرعة مناسبة وهذا يتجنبون  
تهمة النبوءات الكاذبة

ويمكن للأطباء أيضاً أن يؤثروا خدمات جنية للزوجات أو الأزواج الذين يملكون قراهم،  
وتلك لكبار الأبناء وكبار الوزراء، وأحياناً كثيرة للأمراء.

وكانت في إحدى المناسبات قد حدثت سيدي عن طبيعة الحكومة والحكم بشكل عام، وعلى  
الأخص عن دستور العظم الذي هو بحث موضع إعجاب العالم وخنده. لكي ذكرت بانصدقة  
عبارة وزير الدولة، فطلب مني في مناسبة أخرى أن أشرح له ما أعنيه بهذه التسمية، وعلى أي  
جنس من الياهو نطأ على هذا الاسم.

وأخبرته أن رئيس الوزراء الذي أتوي أن أصفه له كان غلوفاً لا يعرف السرور أو الحزن،  
ولا الحب أو الكراهية، ولا الحصف أو العصب، ولا يدرس أية عاطفة سوى الشهوة العارمة في  
النساء والسلطة والألقاب، وهو يستعمل الكلمات لكل الأغراض ما عدا الدلالة على ما في ذهنه من  
مقاصد ونوايا. فهو لا يروي حقيقة إلا وفي فيه أن نعبدها كذبة، ولا كذبة إلا بقصد أن يعتقدنا  
حقيقة، وأن من يذمهم في غيابهم هم في صريفهم إلى التزييف الأكث، فإذا مدحك في وجهك أو  
أمرم الآخرين فمناً، تصبح من الآخرين. وإذا قطع لك وهذا فاعلم أن ذلك نذير سوء، وإذا  
شجع الموعد بالقسمة فإن من الحكمة أن تنصرف عنه وتدخل عن كل أمالك.

وهناك سن ثلاثة يرقى بها المرء إلى مرتبة رئيس للوزراء. أولاً أن يعرف كيف يجب أو  
يوزع أو يتخلص بحكمة من زوجة أو ستر أو أخ، وثانياً أن يكون سلفه أو بحرفه أو وثائقها  
أن يجعل في الاجتماعات العامة حملة شعواء على الفساد في القصر، لكن الأمير الحكيم يفضل أن  
يستخدم من يأمرون الثلاثة من هذه السبل، لأن هؤلاء يصبحون دائماً أكثر الوزراء حرصاً  
وأشدهم حرصاً لإرادة سيدهم وأمواله. وإذا أن تصريف الخدمات وتوزيع المناصب تصبح رهن  
بشارتهم. فإهم يظلون في السلطة عن طريق شراء دعم غالية الأعضاء في مجلس الحكم العلي،  
وأحياناً يمتثلون حتى يستصدروا مرسوم الخصاصة<sup>(١٥)</sup> (الذي شرعته لسيدي من قبل) ويحتفون به من  
المساكنة عن أفعالهم فيها بعد، ثم ينسحبون من الحياة العامة وهم يحملون بالفساد والسلاب التي  
نبهوا من لاعة.

وأخيراً حضر رئيس الوزراء بوزة أو مدرسة تتركه الأسرى على شاربته وأصابه.  
فانظروا والحكم والبايون يتسبون سيدهم ويصبحون وزراء كل في تخصصه ويتفوقون في المزايا  
الرئيسية الثلاثة لشعب الوزارة وهي الوقاحة والتكذب والرشوة. ولذا يخطب ودهم الخاص في  
أعلى المناصب ومن أرفى الطبقات، وأحياناً يرقى بعضهم بقوة خاضعتهم ويحدثهم، وبالتدريج،

حتى يخلصوا سيدهم في منصبه.

ويسطر عليه في العادة حليلة غاسقة فامدة أو حارم مقرب، محبوب، وهؤلاء هم المتعارب التي تصل إليه من خلالها الاتصالات والمكالمات، ويمكن في آخر الأمر أن نعتزمهم بحق حكم المملكة.

وذاث يوم، حين سمعني سيدي يتحدث عن طبقة النبلاء في بلادني، أحب أن يظهرني بإطراره لا استطيع أن أعزم أنني استعجته. قال إنه متأكد أنني سأنزل عتبة نيسة أدني الخوف كثيراً في الشكل واللون والنعافة على كل بني اليهود في بلاده، مع أنني أندر أقل منهم قوة ونشاطاً، وهذا لا بد أن ينسب إلى طريقي في المعشر المختلفة عن طريقه نعت، بلهائهم، بالإضافة إلى ذلك، فذاثهم عنهم ليس فقط بالقصة على الكلام، ولكن ببعض ملامح العباد لدرجة أنني أصبحت في نظر كل معارفه قلقة من ذنابات العبيبة وغشوقاً عميقاً.

وقد طلب مني أن لاحظ أن بني الهويينهم ينقسمون أيضاً إلى طبقات، حسب لونهم، فالبيضاء والبيضاء وذات اللون الرمادي، الحمدي ليست مثل ذات اللون الكستنائي أو الرمادي. الأرقط (المقط) أو السوداء، -وإنني لشك في أن لونهم انعكاسية أو في المقدرة على تنمية تلك المواهب، ولهذا تبقى دلياً في طبقة الخدم، ولا تطمح أبداً إلى التزاح من خراج طبقتها، ذلك أن هذا المظموح يحتر في بلدكم همجية غير طبيعية.

ومضت نيوته جريئاً اشكر وعظيم الامتنان على حسن غنائه بي، لكني أكلدت له في الوقت نفسه أنني ولدت في طبقة دنيا، من أئمة عابدين شريفيين لم يستطيعوا إلا شق الانفس أن يعلماني تعلية عديلاً، وأن مفهوم كلمة النبلاء عند يختلف كلياً عن مفهوم الذي لديه، وأن أولاد النبلاء يتفاوتون منذ طفولتهم على المحصول والترف، وأهم حاله يسمح ستمهم بذلك يستهلكون ضاقتهم وفوتهم في معاشرة الإثراء الفلجرات، ويصابون من جراء ذلك بأمراض خبيثة، وحينها ينددون نرواحهم يتزوجون امرأة ثرية ذات شخصية سيئة المعاشرة ومعشاة المصححة، فقط من أجل المال الذي يكرهونه ويحتفرونه، وإن نتاج هذه التزويجات من ذرية يكونون في الغالب أطفالاً مدوسين أخلاقياً ومعتلين أو مشوهين جسدياً، ولهذا فإن العائلة قبل نعيم أكثر من ثلاثة أجيال لم تنفرض، إلا إذا دبرت الزوجة نكاحاً معاً من أحد جيران أو من خدمهم وذلك لتحسين المأثرة وبقاء اسم العائلة، وإن الجسم المصعب المعروف، ولوجه النحيل الغرير، وانسبون الشح هي العلامات الأكيدة للفوي الدم النبيل الأصين. أما إذا كان النبيل ذرية قوية وصحة جيدة فإن هذه صفات نسيته وتغري الآخرين على الاستنتاج بأن أباه الحقيقي كان من سائلي الخيل أو سائلي العربات. هذا وإن عليّ أجدد في النبلاء تصحيحها وتوازيه على ذهنية ريفية تحاذر فيها الكتابة والكتابة وبلادة والجهل، والنزواة والشفاف والشهوانية والفسق والتعور.

وجود موافقة مجلس اللوردات المكون من هؤلاء النبلاء العظام، لا يمكن لقانون أن يُعنى أو يُلغى أو يُعَدَّل أو يُغيَّر. ويهد هؤلاء النبلاء سلطة التصرف بكن ممتلكاتهم، وليس لقرائهم رة أو استئذان.

## الفصل السابع

حب المؤلف لإبلائه ومبذله رأسه ملاحظات سيده جون دستر إنجلترا وإدارتها كيا  
ومذهاها له المؤلف مع إيراد حركات موزونة وعقد مقارنات. ملاحظات سيده عل  
الطبيعة البشرية

قد يشعر القارئ بالعجب من أنني سمحت لنفسني بمقتديم وصف صادق أبي جني إلى  
جنس من المخلوقات. لديه سقاً أسوأ الأفكار عن الجنس البشري بسبب انتطابق الكمال بين وبين  
بني الياهو عندهم. ولا بد أن اعترف بكل صراحة أن الفضائل طعيمة العبدية في تلك المخلوقات  
الرثة التي تسير على أربع؛ حين وضعت أمني في مواجهة ذلائل الإنسان وشروءه، قد فتحت  
عيني ووسعت مداركي بحيث جئت أرى أفعال الإنسان وشهوته في قسوة مختلف، وحدثت اعتر  
شرف بني جنسي أو سمعته لا تستحق الدفاع عنها أو إخفاء حقيقتها. وقد أصبح انشغلي على  
عيوب البشر أمراً لا أستطيع القيام به أمام شخص نافذ البصيرة مديد الرأي كسيدتي الجواد الذي  
كان يوضح لي في كل يوم الف من الأخطاء والعيوب التي توجد في دون أن أرها أو أدركها. والي لا  
يمكن اعتدأ أن تكثر من الاعتفاء البشرية. كذلك كنت قد تعلمت من الاقتداء بسيدتي كراهية  
كل أنواع الترفيع ومقت كل أشكال الترفيع، وصارت احقيقة عندي جملة وعريضة لدروسه التي  
قوت أن أضحى من أجلها بكل شيء.

وسأكون أكثر صراحة مع القارئ، وأعترف له بأنه توفرت لدي حينذاك دافع قوي آخر جعلني  
لا انخرج من شيء، وأعترف من كل الاعتبارات في وصف الأشياء على حقيقتها. ذلك أنه لم تقصر  
سنة على إقامتي في هذه البلاد حتى شغفني حبها وملكني احترام أهلها فحدثت قراراً حاسماً ألا أعود  
إلى الحياة مع البشر وأنا تحضي بقية عمري مع هذه القبول الرثة، حيث أأمل كل الفضائل  
والأعراس، وحيث تحضي كل الرذائل وكل الأسباب الداعية إليها. ولكن أحمد الذي يعاديني على  
الدوام قد كتب أن لا تكون هذه السعادة العظيمة من نصيبي. وعن أية حادثة إنه لما بمنعني بعض  
العزاء أن أذكر أنني في ما فته من بناء بلدي خففت ولففت صوبهم بقدر ما تجرأت أمام منحص  
مدنهم، سلعت كل عيب منها بخلاف بريق قلبي ما تسمح به طبيعته. وللحققة أسأل: أين هو  
الإنسان أخي الذي لا يؤثر فيه تعصبه لبلده وتجزئه شغف رأسه؟

لقد دُونْتُ هذا أهم ما ورد في محادثات العبدية مع سيدي خلال التجربة الأكبر من الفترة التي تطرقت خلالها بحدته، ولكنني من أجل الإيجاز حدثت أكثر مما هو مدرج هنا.

حين أبحث عن كل مُشغله وبدا أنني أُرِضيت فضوله، أرسل إلي ذات صباح باكر، وبعد أن امرني بالجلوس عن مسافة منه (وهذا شرط لم يسبق فقط أن أنعم به علي)، قال إنه قد قلب فكره في كل ما قصصته عليه مما يتناول بي وسلاحي، وأنه ناء على ذلك معتبراً نوعاً من الحيوانات التي حظيت - كيف - لا بدني - بتقدير صليل من العقل أو القدرة على التفكير، وإنما لم نستخدم هذا العقل إلا لتضخيم وزيادة سيئاتنا وشرونا الفطرية ولاكتساب شروا قس جديدة لم نملكها في الطبيعة. وإذا جردنا أنفسنا من تلك القسرات القوية التي منحها الطبيعة لنا، وإذا نجحنا حالاً كبيراً في مضاعفة حاجتنا الأصلية، وبدونك لحفي حيناً كلها في محاولات فاشلة لتلبية تلك الحاجات بواسطة اعتراضنا. ولما بالنسبة لي فوس الواضح أنني لا أمتنع بقوة الياهو العاديين وخفة حركتهم، وأنتي تسير على قسيمي الخفيفين سيراً غير ثابت، وأنتي اكتشفت طريقة خفي تخالي غير صالحة للاستعمال أو الدفاع، وطريقة أخرى (إزالة الشعور عن ذقي وهو غير قصدت به الطبيعة أن يحمي الذوق من التمسس وتقلبات الجو، وأخيراً أنني لا أستطيع أن أهدو بسرعة أن أنسلو الأشجار كما يفعل إخواني (هكذا سماهم) من بني الياهو في هذه البلاد.

قلت أيضاً أنه من الواضح أن مؤسسات الحكم والقانون عدد هي وليدة نقائصنا الكبيرة في العقل والتفكير وبالتالي في الخير والتفضيلة، لأن العقل وحده كافٍ هداية وإرشاد الإنسان العاقل، وهذه صفة نرس لنا نحن أن نندسبها لأنفسنا، وهو يبي حكمه هذا على التقرير الذي قدمته عن شعبي وأمتي، رغم أنه مُدرك بوضوح أنني لكي أخدمهم وأمدحهم أخضعت كثيراً من التفاصيل وقلت الشيء الذي لم يكن.

وقد ردد تأكيد هذا الرأي لأنه لاحظ أنني كما أنه يبي الياهو في كل جزء من جسمي ولا اختلف عنها إلا في السرعة وخفة الحركة وقصر المخال وبعض التفاصيل الأخرى التي ليست فطرية، كذلك فأتك تشبهها في طباعتها وميولها الفكرية، كما وبعد من الأوصاف التي ذكرتها له عن حياتنا وأخلاقنا وسلوكنا وأعمالنا قدام، معروف عن بني الياهو أنهم يكرهون بعضهم بعضاً أكثر مما يكرهون أي جنس آخر غشاق من الحيوانات، وأنسب الذي كانوا يفسرون به ذلك هو شاعة أشكالهم، وهي شاعة يراها كل واحد منهم في الآخرين ولا يراها في نفسه، ولهذا فقد بدأ بظن أما تُخسِرُ شيئاً إذ نسير أبعدنا من اللاس. فتخفي ما فيه من تشوهات كل من الآخرين وولا لكائنات منه ابتذاعات وانتقوبات لا تُحتمل. ولكنه الآن اكتشف أن ظنه كان خاطئاً، لأن كراهية تلك الهائم اليهودية في بلادهم بعضها لبعض ناجمة عن الأسباب نفسها التي نجدها نكره بعض



بعضاً، كما وصفتها له، وقال، لأننا أومئنا خمسة من بني الياهو طعماً ما يكفي خمسين فلانهم بدلاً من أن يأكلوا في هدوء وسلام، يهجم كل منهم الآخرين ويؤذون يستأثرونهم جميعاً بالطعام كله. لهذا، نتحدث خدعاً ليرافها وهي تذكّر ذلك خارج البيوت وتنبعها من إيداعها بعضها، ثم تأتي لتأكل في البيت دون أن نعطها بحيث تترك مسافة بين الواحد والآخر. لو كانت غرة غزناً أو بحدوث حادثة أو قبل أن يأخذها أحد الموييم إلى بيوتهم الياهو التي عندهم، تأتي بيوتهم الياهو من المناطق المجاورة في جماعات كالفصائل ليحوز بها، ثم تنشب بين القطعان معركة كدعائرك التي رصفها، ويترك كل قطعان بالقطعان الأخرى جرحاً فظيعة بجلدهم، لكنهم قلة يفتن أحدهم الآخرين لأنه ليس لديهم أدوات القتل التي اخترعناها. وأحياناً أخرى تنشب بين قطعان الياهو معارك عنيفة دون أسباب واضحة. وكل قطعان في منطقة ما يتحيز الفرص لمهاجمة القطيع في المنطقة المجاورة قبل أن يستند لكن إذا وجد انهاجوب أن هجومهم قد فشل، فلانهم يعودون إلى منطقتهم حيث لا يجدون عدو، خارجياً، ولهذا يجارب بعضهم بعضاً ويدخلون في ما سميت حرباً أهلية.

وقد إنّه يوجد في بعض الحمول في ملاده حجارة بركة ذات ألوان متسقة، وإن بني الياهو يشعرون بها شيئاً عتيقاً، فإذا ما كانت بعض هذه الحجارة ثابتة في لأرض، فإن بني الياهو ينشرون لأرض من حولها أياً ما تكملها لكي يفتنوها ويغيثوها أكلوا في زراعتهم وهم يظلمون حرقهم حبس ودية خشية أن يتكلم أحد من رفاقهم مكن كزهم. وقال سيدي إنه لم يتعرف قط عن سبب هذه الشهوة غير الطبيعية<sup>(١٢)</sup>، ولا يفهم كيف يمكن أن تكون هذه الحجارة ذات نفع لأي واحد من بني الياهو. لكنه يعتقد الآن أن هذه الشهوة تنجم عن غريزة الجشع تشبه التي سببها للحسن البشري. وقال سيدي إنه قام ذات مرة، سرّاً وعلى سبيل التجربة، بفعل كومة من هذه الحجارة من مكان البني كان واحد من بني الياهو عنده قد خبأها فيه<sup>(١٣)</sup>، وحين فقد هذا الياهو البخل كنز، راح يولوك داخل بيوتته حتى تجمع حوله طلع من بني الياهو، ثم راح يصرخ وينتب حظه. ثم راح بعض الآخرين ويصرخون، لم بدأ يهزل ويذوي، وامتنع عن الأكل والنوم والشغل حتى أمر سيدي أحد خدمه بأن يعيد الحجارة إلى مكانها نفسه ويحققها كما كانت من قبل. وحين وجدها صاحبها الياهو، رُفّت إليه روحاً وارتفعت معتزاته وهادت إليه حيلته واشراجه، لكنه حرص أن يعطها إلى غدا أفضل، وأصبح مد ذلك اليوم حيواناً طيباً خدوماً.

وأكد لي سيدي، كما لاحظت ذلك بنفسه، أنه في حقول بني تكثر فيه هذه الحجارة البرقعة تنشب أكثر المعارك وأعنفها بسبب الغارات المتكررة التي نشأتها قطعان الياهو المجاورة.

وقد إنه من الأمور المألوفة أنه إذا اكتشف اثنان من الياهو حجراً في حفن واختصها حول من يأخذها، يتهم ثالث فرسة الشغافا بالخصم ويسأله الخبز منها. وزعم سيدي أن هذا يشبه ما

يحدث في الدعاوى القانونية عندما. ولم أشأ أن أشرح له بالضغط ما يحدث في محاكمنا، خوفاً على سمعنا. ولأن النهاية التي ذكرها، فيها من الغش أكثر مما نجد في أحكام انقضه عندنا، فلي، انفسه. نفي ذكرها لم يفقد اختصاصاً شيئاً سوى الجميع الذي اختصنا على ملكيته، في حين أن محاكم العمل عندنا من تنهي القضية أولاً بعد أن يحس الخصمان ليس فقط ما يخصمان حونه، بل كل ما يمكن.

واستمر سبدي في حديثه فقال إنه ليس في بني الياهو ما يميزهم بالحجارة والفضاعة أكثر من نعمهم الذي لا يفت عن شيء<sup>١٢</sup>، فهم يلتهمون كل ما يكون في طريقهم من اعتسب أو حذور أو اعتاب أو حوم متعفة أو جيف، أو كله معاً. ولما يتميزون به هو أنهم أكثر شغفاً به، ينالونه عن طريق النهب أو السرقة ومن مسافات أبعد من انطعم الأفضل الذي يقدم لهم في المناسبات وإذا توفرت لديهم فرصة كبيرة، فإنهم يظلمون يأكلون منه دون توقف حتى تكاد طوبهم تنفجر، وبعد ذلك يسدلون بالغطر على جذر معين يأكلونه فيصيبهم الإسهال ويترعو ما في بطونهم.

وهناك نوع آخر من الجذور كثير العصاره، لكنه نادر ويصعب الحصول عليه، ويبحث عنه بني الياهو جهدهم وبرغبه شديده، وحول يجذونه يسحبونه ويسحبون به شاة السعد. وهو يترك فيهم الآثار نفسها التي تخلفها ذبذ الخمر، إذ يجعلهم يحضون بعضهم بعضاً، أو يمزجون بعضهم بعضاً، ويكثرون من العواء والضجث والزفره، ثم ينوخون ويصيحهم دواراً ويغشون ويسقطون ثم ينامون نوماً عميقاً في الوحل.

وفي الحقيقة لاحظت أن بني الياهو هم الحيوانات الوحيدة التي تتعرض للأمراض في هذه البلاد، لكن أمراضهم أقل كثيراً من أمراض الخيل عندنا. وهم لا يصابون بالأمراض بسبب سوء التغذية. ولكن بسبب قذارتهم وجشعهم. وليس في نعمة خيل سوى نعمة عامة لتلك العلي التي تصيب بني الياهو، وهي تسمية مشتقة من اسم نبتة البهيمه، وهي فئيا ياهو أو المرض الباهوي. والعلاج الموصوف لهذا المرض هو مزيج من براز الياهو وبنولهم، وهو مزيج يفسد هم غشوة، لكني لاحظت مراراً أنه بعض النتائج لظلمة وفسادهم من مرض لهذا، وحرصاً مني على المصاحبة العامة، فكتبت "وهي نباته بلادى استعمال علاج مثله، فهو دواء ناجع ضد كل العلل التي تنجم عن نتجمة.

أما بالنسبة للعوم والحكم والفتون والفتاعات وما إلى ذلك، فقد اعترف سبدي أنه لم يجد شيئاً من بني الياهو في بلادهم عندنا. وقال إنه إنما كان يبحث عن أوجه التشبه بين طائفتا وأنه في الحقيقة سمع اسم بني اليهود منهم المفضولين بقول إنه لاحظ أنه يوجد في كل قطيع ياهو رعاة (كم يوجد عموماً يسه في كل سبيقة رعاة رئيسي) هو دائماً يميز عن الآخرين في قطيعه بصفاته

شكله وشراسته ضيعه. وأن لهذا الزعيم في لعدة شخصاً مغرباً ومفضلاً على الأ.  
الآخرين شيئاً يسلمه. وأن وظيفة هذا المغرب هي أن يلحق قديمي سيده وديره وأ  
إلى زريته، فيكأها على خصمته من حين لآخر بقصة من جيفة حمار. وهذا المق  
الطبيع كله. وهذا يظل ملازمًا للشخص زعيمه حاية لنفسه، ويبقى محتفظاً بروضه  
من هو أسوأ منه. وفي اللحظة التي ينه فيه زعيمه يأبى خلفه مصحوباً بكل ياه  
منغير أو كبير، ويغدرون عليه برزهم حتى يغطوه من رأسه إلى قدمه، نكروا إلى  
تطير. هذا على رجال البلاط، والمقربين، والوزراء عندنا؟ قال سيدي أنني نكروا  
ولم تجرؤ على الرد على هذا التلميح الخبيث الذي وضعه المذرك الشريفة في  
مرتبة إمرآك الكذب العذوي الذي لديه من البصيرة ما يميز به صحيحة أقدم كتب في  
بها دون أن يخضر.

وقد سيدي إن هناك بعض الخصائص الملحوظة في بني الياهو ولم يسمعي  
أشير إليها لدى وصفي للجنس البشري. قال إن تلك البهائم، شأنها شأن البهائم  
الإنثى مشاعراً للجميع<sup>(١)</sup>، ولكنها تختلف عن بقية البهائم في أن الياهو الإنثى  
يعاشرها وهي حامل، وأن الياهو المذكور يتعززون مع الإنثى كما يعززون فيما  
ونقططة نفسها، وأن هاتين الخصتين هما الخصائص في البهيمية والمجمعة في بعض  
خلوق ستمس آخر.

والخصلة الثالثة التي تعجب سيدي بها في سلوك بني الياهو هو ميلهم الغرب  
والأوسح، في حين أن كل حيوانات وأخرى تذهب ميل فطري للطائفة. أما بال  
الأول والثاني، فقد أثرت أن لا أجيب على اتهامه. أنه لم يكن عندي كلمة واحدة  
هي حمي. ولا فعلت ذلك بالتأكيد بدافع داني. لكن كان يمكن بسهولة أن  
الجفري من تيمة الانفراد حسب القذورات والأوسح، لو كنت أختلج تبحر  
(ونسوء الحظ لا يوجد فيها خنازير) نفع أن هذه الحيوانات أحسن طبعاً من بني  
يستطيع أن تزعم بحر أنها أكثر نظافة. ولم رأى سيدي طريقة القدرة في تناول الله  
مخوض في الوحل والنوم فيه لا عتوب بصحة قول ودفاي.

كذلك ذكر سيدي خصلة أخرى اكتشفها سيده في عدد من بني الياهو وك  
تضيق. قال إنه قد يغفل الواحد من جنس الياهو أن ينوي عن الآخرين، ويسند  
ويشن، ويترد احتشال كل من يقتنون منه، رغم أنه يكون قبيحاً وقوراً ولا يصح ط  
ولا يستطيع أحد أن يحرف ما جرى له وما يؤله أو يزعمه. وقد وُجد أن العلاج

هذه الحالة هو تكليفه بالعمل الشاق المتواصل. بعد ذلك ينوب دائراً إلى رشده. ولم أعثر على هذه الحالة لأنني أحب بني جنسي، ومع ذلك فقد اكتشمت هنا بوصف الفصل المتقدمة للاكتشاف النفسي الذي لا يصب سبى الكسائي، والمترفين الضعفين والأثرياء. ولو أُرغم هؤلاء على الخضوع للعلاج نفسه، فإنني كغليل بسمائهم.

بالإضافة إلى كل ما سبق، لاحظت سيدي أن أنثى اليهود كثيراً ما تتف خلف كومة أو شجرة لتفترس في المذكور المسمى هناك. ثم تظهر وتغتمني وتقوم بالكثير من الإشارات والحركات الغريبة. كما لاحظتها في هذه الحالات تكون ذات رائحة مفرقة حادة، وإن ما نغزم نحوها أحد المذكور، فإنها تتسحب ببطء وهي تنظر إلى خلف من حين لآخر، وتظهر بالحرف ثم تتركض نحو مكان مناسب تعرف أن الذكر سيتبعها إليه.

وإذا جذت أنثى غريبة، فإن ثلاثاً أو أربعاً من ثبات جنسيتها يتحلفن خوفاً، ويضعهن بعينيهن، ويقرن، ويغششن، ويتحصن رائحة كبر جبر، فيها، ثم يصرف عنها بحركات تدل على الاستعارة والازدراء.

وربما بالغ سيدي قليلاً في هذه الملاحظات، والأفكار التي ترفس إليها من لاحظته بنفسه أو من قاله له الآخرون. وعلى كل حال، لم يسمني إلا أن أفكر شيء من الاستغراب وكثير من الأسى من تكون مديبات الفجور والفتنة الجنسي والمضايح موجودة الغرزة في جنس النساء.

وكنتم أتوقع في كل لحظة أن ينهم سيدي بني اليهود بتلك الشهوات المتحررة في كلا الجنسين الشاذة فيما بيننا. ولكن يبدو أن النظرة ليست معدة حيرة بكل الأمور، وأن هذه الميعة الخطارية جميعها هي من إنتاج الفن والعقل في البلاد التي نعيش فيها<sup>(١٠)</sup>.

## الفصل الثامن

المؤلف يروي تفاصيل عديدة عن بني الياهر الفضائل العظيمة عند بني اهويمهم  
نعيم اباالهم وتدريبهم . جلست مجلس الأمة صدهم

بما أنني انهم الطبيعة ابشره اكثر مما يفهمها سيدي . فقد كان من السهل ان أحب ما قاله  
عن بني الياهو عل نفسي وعلى بني سيدي ، واعتقدت أنني أستطيع الشعور حل مزيد من الاكتشافات  
إذا لاحظت بني الياهو بنسبي . ولماذا كنت كثيرًا ما أطلب من سيدي أن يسمح لي بالتجول بين  
قطعان الياهو في اسطقة الجاوية ، وكان دائمًا يتكلم بالموافقة لأنه مفتوح كل لاقتراح ان كراهيتي  
نفسك اليها . ستحميني من الانجراف معها في الفساد . كذلك امر سيدي واحدًا من خدمه ، وهو  
حصان مشوب قوي . وأمين هذا وفر طبع دس ، أن يجرسي . ولولا حاجته ما كنت أخرج على مثل  
هذه المفارقات الغريبة في قول يرم من وصوي . كذلك نحوت بأعجوبة من الوفوع في برائها ثلاث أو  
أربع مرات بعد ذلك ، وذلك حين كنت أهرب الخوف ولا يكون معي سفي . ولدي ما يجعلني  
أعظم أنها كانت تنصير أنني من بني حسيه . بل ساعدت لنا نفسي على ظهور هذه الفكرة لدى بني  
الياهو عندما كنت أجمع أنهم وأعرزي ذريعتي وصديري على مرأى منها . لكن كان حربي معي ،  
وتأملت تلك الحيوانات مغرب بني يفر ما تحرو ، وتقلد أفعالي كما تعمل القردود ، وعلى وجهها  
علامات كراهية شديدة ، وكانت غراب دجن ببس قبعة وجوارب وتضيقه الغريمان الشهيرة إذا ما  
وقع بينها .

بني الياهو سرحو الحركة منذ طفولتهم . وقد أمسكت دات مرة صبيًا منهم عمره ثلاث  
سنوات ، وجرّنت معه كل مظاهر العطف والتلفظ التي يهدأ ، لكن العفريت الصغير راح يصرخ  
ويجتمش ويغضب بعض شدة حتى اضطررت إلى إخلاء سبيله . وقد فعلت ذلك في اللحظة المناسبة ،  
إذا جلبت صياحه فرقة كاملة من كبار الياهو ، لكنها حين وجدتني الصبي سألًا (وكان قد فرّ  
واكفًا) ، ووجدت الحصان الأشهب يجرسي لم تحرك على الاقتراب مني . وقد لاحظت أن الصبي  
رائحة نفاذة كرائحة ابن عرس أو ابن أوى ، ولكنها أشد نفاذ . وقد نسيت أمرًا آخر (وقد يعتدني  
الضري لو حذف هذا الأمر) . وهو أنه بينما كان الصبي بين يدي فرغ عن ملاهبي برازه انقدر ذي

المادة الثالثة الصفراء، وتحسن الحظ حدث ذلك بالقرب من جدول ماء، فظننت نفسي فيه بقدر المستطاع، ولم أجري على الملأ في حصرة سيدي حتى جفف الهواء ملاسي وذهبت رائحة عني.

نكر ما استطعت اكتشافه هو أن بني الياهو هم أقل الحيوانات قابلية لتعتم، وأنهم لا يصاحبون شيء سوى حر، الأثقال أو حملها، وأرى أن هذا العيب قبيح ناجم عن ضعفهم الحرور النرس، وطبيعتهم الفاسدة الشريرة. فهم ماكرون بقوتهم خوارون نراهمون لانتقام. وهم ذوو قوة رقيقة لكنهم خوافون جبنا، وتبجح فذلاء، فهم متخضمسون خصيصون وغلبوا الغلوب وس انلاحظ أن ذوي وذوات شعر الأحمر<sup>(١)</sup> فزهم هم المدعم فسقا وفجور، وعشا وأذى، كما أنهم أشد قوة وأكثرهم نشاطا.

ويحفظ الموهبهم ببعض الياهو الخليفة البائرة في أنكرج ليمب بعيدة عن يورهم، ويُرسلون من تبقى منهم إلى الخفول ليبشرا الأرض ويفتروا عل ما يجدره يهد من جذوريات، أو ليأكرو الأعشاب أو ما يجدره من جبق، وهطاس أو ما يصطصونه من ابن عرس أو فزراا ربه مدتهمونا منهم. وقد تعلموا بالمعركة أن يحجروا لأنصهم ججور، من سجون المزنعات ينمرون أو يستريحون فيها، لكن ججور الإناث أكبر لكي تنسع لائبن أو ثلاثة من حقلهم.

وهم يسبحون في الماء منذ طفولتهم كالقنار، ويستطيعون لبده هزيلا تحت سطح الماء حيث يصطادون الأسماك التي تحملها الإناث لصغارهم. وهذه الماسة أرحم انقارأي أن يسمح في برابة حادثة سخرقة.

كنت ذات يوم في الخارج مع حارسي الحصان الأشهب وكان أجوا حارًا جدًا، فخرجت من يسمح لي بالاستحمام في بحر هريب. وحالا سمع لي ضلأ، تعريش من كل ملاسي ونزلت ببطء إلى ماء النهر، وصدف أن أنش ياهو كنت وطفة خذف كومة<sup>(٢)</sup>، ورأيتي وأنا أعري وأزنت في الماء، فوجدت بها الشهوة. كما فهمت أنا وحارسي الحصان، وزنت بعسوا في الماء عل بعد حمر يردت مني. ولم أشعر في حينها أي شعور به حيثذاك من رعب شديد. كان حارسي الحصان يرعى حل ماسة جيدة ولم يخطر بباله أنني متعرض للأذى. وراحت ابتعدة قدامني ومخلفني بشيق شسوا، ورحمت أصرخ بأعل صوتي، وفهم انحصان أربع نحوي. وحين رأته أرخت عني فزاعبها برعمة وقفزت إلى خفة الهر المقابلة ووقفت هناك تهمش في وتهمري طيبة قيامي بأبداء ملاسي.

وكانت هذه الحادثة موضوعًا نذكر به وصحك مد سيدي وعائلته، لكنه كان مصدر خزي وعار لي. لأن لم يعد بإمكانني أن أنكر أنني ياهو حقيقي بكل أعضاءي وملاحي، وبرهان ذلك أن إناث الياهو يملن إلى مانتطرة ويحتربن واحدًا من طبعتهن. ولم يكن شعرا تلك البهجة ذات لون أحمر (فريقا كان هذا يبرز شيوعها المتأخرة)، ولكنه كان أسود داك، ولم يكن رحيبها كله منفرًا كوجوه

الأخريات من هبتهن، لأنها، كما افطن، لم تكن تتجاوز الطائفة عشرة من عمرها<sup>(٢٠)</sup>.

ولأنني عشت ثلاث سنوات في هذه البلاد، وبني افترض أن العديء يوقع أن أقدم له، كما يفعل الرجالون الآخرون، وصفاً لسكانها وعاداتهم وأخلاقهم، وهذه أمور حرصت على دراستها وتعلمها.

نقد رهبت الطبيعة هؤلاء الموهوبين الأماحد ميلاً عاماً إلى كل الحقائق، وليس لئهم أي مفهوم أو أية أفكار عن ماهية الشر في المخلوق، الخلق. ومبذوهم انويسي لعظيم هو استخدام العقل والانصياع لأحكامه<sup>(٢١)</sup>. وليس العقل عندهم موضوعاً قابلاً لسؤال والجدال كما هو عندنا حيث يستطيع الناس أن يدافعوا عن "شيء" وصد في المسألة الواحدة تمقولية ومنطق. بل هو عندهم مُفْخَع هو "الحرر"، كما لا بد أن يكون عندنا لا يشوه أو يتفهي أو يلوته الموى أو المصلحة. وأذكر أنني وجدت صعوبة كبيرة في إلهام سيدي معنى لفظة "رئي"، أو كيف يمكن نقطة أن تقبل الخذل، لأن العقل يعلمنا أن نقل أو رفض فقط عندما نكون عن يقين<sup>(٢٢)</sup>، فإذا كنا تجهل فإننا لا نستطيع القول أو الرفض، ولهذا فإن المجادلات والنتزع في الآراء والمحاضرات، والإصرار على رأي رافق أو شاكوك في صحته هي شروط غير معروفة عند بني أقصوبهم. وبالأستوب لعمه كان سيدي يضحك حين أشرح له أنطقت المتعددة في الفلسفة الطبيعية، ربيب صحته هو أن يعز مخفوق بأعي لعمه العقل بمعرفة تحقيقات الآخرين حول أشياء لا جنوى من معرفته متى لو كانت المعرفة "كيدة" وهذا هو يتفق كثيراً مع أحكام مضرط<sup>(٢٣)</sup> كما عثر عنها أفلاطون، وما ذكره هذا باعتباره "عظيم مديع يمكن أن أقدمه لأمر لعلامة ذلك". وما ذلك اليوم كثير، ما تكررت ساعدار الذي متلحقه هذه الحقيقة مكشاة في أوروبا، وبأسباب لشهرة التي ستلقها في دنيا المتعلمين وأفكرين.

الصدق وحب الخير<sup>(٢٤)</sup> هما الفضيلتان الرئيسيتان عند بني الموهوبين. وليسنا مقصودتر من أشياء خاصة أو أشخاص بعينهم. ولكننا نسلان الجميع. فالغريب، ولو جاء من أقصى الأرض، يعدل كالأقرب جار، وأبى ذهب مهر في يده<sup>(٢٥)</sup>. وهم يلتزمون بالحسنة وآداب السلوك والكفاة إلى أقصى درجة، لكنهم لا يعرفون المعاملات الشكلية<sup>(٢٦)</sup>. وهم غير مولعين بالانفاسم وصيبنهم. ولكن حرصهم على تعليمهم يقوم كله على ما عليه ويحكمه "العقل". وقد رأيت سيدي يحب أبناء خاربه كما يحب أبناءه<sup>(٢٧)</sup>. وهم يقولون إن الطبيعة تعلمهم أن يحبوا جنسهم كله على قدم المساواة<sup>(٢٨)</sup>، وعلى أساس العقل وحده يميز الأشخاص بما لديهم من درجة عالية في الفضل والفضائل.

وحينما تنجب أمهات أصوبهم ذكر، رأسى لا يمدن إلى "الانفراد سار واجهين"<sup>(٢٩)</sup> إلا إذا فقد الذكر أو الرأسى بحدوث، وهذا فلما يحدث. في حال كهذه يجمع الزوج بانزوحه كذلك إذا كان

الزواجان كبريان في السن ولا يتجبان وفصداً سعادت بمثل أحد ولديهما، فإن زوجين آخرين شابين بمنحان المعجوزين واحدًا من ولدتهما، لم يترققا حتى تحمل الزوجة. وهذه الإجراءات تعتبر ضرورية كيلا تصبح الأعداء الكبيرة عبئًا على الصلابة<sup>(١٢٠)</sup>. لكن حيول الطبقة الدنيا التي تعمل غنى عند أسبادهن، فإن تماسكها لا يخضع لنفس القيد ويُسمح لها بإجباب ثلاثة من الذكور ومثلهم من الإناث لتعمل جميعًا في خدمة العائلات النبيلة.

وعند الزواج يحرصون حرصًا شديداً على تحترق الألوان بحيث لا تحدث عجيبات مزعجة واختلاطات في الملابس<sup>(١٢١)</sup> وتفضل القوة في الذكور والجلد في الإناث. ولا يتم الزواج على أساس الحب، وإنما قصد حماية الجنس من الانحطاط. وإذا كانت الأرض تدمر بالقوة يُختار لها ذكر يتميز بالقوة. أما انزول وطب والمدايا والمهور، فليس لها وجود في أنكارهم كما ليس لها العاط في لغتهم. ينتمي الزوجان ويجمع بينهما رباط الزوجية على أساس ما يقرره الآباء والأصدقاء، وهذا ما يرويه متبعًا كل يوم، ويعتبرون الزواج عملاً من الأعمال الضرورية لتلك الشرائع العقلية<sup>(١٢٢)</sup>. لكن نقض الزواج أو إحياء الزوجية ظاهري لم يسمع بها ولم يرها أحد<sup>(١٢٣)</sup>. ويقضي تزوجك حياتها بروح الصداقة وحب الخير التي يحصلها لكل أبناء جنسها، دون غيرة أو هيام أو حياء أو إحسان بانتعاسة.

أسلوبهم في تعليم الشباب من الجنس أسلوب رائج وحديث بالتفصيل فهم لا يسمحون للنشئة بأكل الشومر إلا في أيام محددة حتى يبلغوا من الثامنة عشرة. ولا يشربون الخبث إلا نادراً. وفي الصيف يسمحون لهم بالرعي صباحاً ومثلها مساءً، ويخرج إليهم بالوفات معها في زحمتهم. أما الخدم فلا يسمح لهم بأكل من نصف هذا الوقت. وهم يعملون نسياً كبيراً من عشهم في المنازل، ويكونون في ساعات متتالية بعد أن يخرجوا من عملهم.

الاعتدال والتأثير ورياضة الأبدان ومظافتها هي التدريس التي تُعطى لأبنائهم من الجنسين ويعتقد سريدي أننا نعطي حطاً كبيراً حين نعطي الإناث تعبيراً مختلفاً عن تعليم الذكور<sup>(١٢٤)</sup> إلا في أمور التدبير المنزلي، أما ذلك جعلهم غير صالحات لأي شيء سوى الإنجاب. وإن رياضة رعيه الأطفال بأسماء من هذا النوع هو حطاً فاحش آخر.

ويدرب الموهوبين شبانهم على اكتساب القوة والسرعة وتعمل القنق والجند. وترسوهم بساقت على صعود التلال والارتداد عنها أو على الركض فوق أرض صخرية، وحين ينصب عرقهم يؤمرهم بالقفز داخل سكة ماء أو في نهر. يجتمع شباب مناطق معينة أربع مرات في العام ليظهروا. كعادتهم في المشي والتميز والأعمال الأخرى التي تتطلب قوة وسرعة، ويكونوا الغاشق بشديد يتغنى بطولته أو بصلوبتها. وفي هذا الاحتفال تنشق الحدم من الحياء قطيعاً من اليافع عملاً بانين



وانشوفان واحلب ليغنم به بنو امويهم وبعد أن يُزَلَّ اليهو احاضهم يساقون بعيداً عن المكان ليتخلص المحتفلون من ضوضائهم وضجيجهم.

كل أربع سنوات، وفي يوم الاعتدال الربيعي (٢١ مارس)، ينفق محبي الأمة كلها في شجر على بعد عشرين ميلاً من بينا، ويستمر منفذاً لمدة خمسة أو ستة أيام. في هذا المجلس تُدْرَس أسوال المناطق التي تكون فيها وفرة أو نقص في التيس أو لشوفان أو البفر أو بني اليهو؛ ويجب تكون منطقة بحاجة إلى أي من هذه الأنبياء (وهذا قلنا يحدث) فزنها تُزَوَّد على الفور بما ينقصها، وذلك بالتفاني لجميع رماهتهم. وهنا أيضاً يتم توزيع الأطفال، فمن كان عنده طفلان ذكران يتبادل أحدهما مع من عنده طفلتان؛ ومن فقد أحد طفليه بحادث وكانت مرأته قد شاعت ولا تحجب، فإن المجلس يحدد الأمرة التي ستجب مولوداً يعوضه عن الطفل المفقود.

## الفصل التاسع

تناشر جراد في مجلس بني الهويتم علوم الفونيم، ومانيهم، واسلوسم في دين الموق، ونواحي القصير والضعف في لغتهم.

لقد عُقد مجلسهم مرة اثنتي عشرة يوم، وكان ذلك قبل مغادرتي بلادهم ثلاثة شهور. وقد حضر سيدي جلسات هذا المجلس ممثلاً عن منطقنا. وقد سئلتهم في هذه الجلسات مناقشة الموضوع الوحيد الذي يتناقشون سواه دائماً في بلادهم. وقد شرح لي سيدي عند عودته هذا الموضوع بالتفصيل.

موضوع النقاش هو: هل يجب إمداد بني الباهو<sup>(١)</sup> من عن روجه الأرض؟ أحد الأعضاء من اثنين يقولون نعم ذلك واجب، قدم عدة حجج لها ثوب ووزنها. فقد أدعى أن بني الباهو هم أكثر الحيوانات التي أنجبتها الطبيعة قدارة وضجيجاً وسعداً، ولهم أيضاً أكثرها شرسة وقمراً وأذى ولؤماً، وأقلها قابلية للتدجين والتعلیم. وإذا عشتك عنم ثعين الرقبة فزئهم يرصعون الحليب من حلمات جفري بني الهويتم خلسة، ويقتلون قططهم ويتهمةونها، وينسبون عشيتهم وشوقيتهم، ويريدون ألقاً من الأعمال الشهيرة والخدمة. وذكر اغاضرين باعتقاد شائع تنقله أحيال بني الهويتم وهو أن بني الباهو تخيلين على اسلاد: وأن اثنين من هذه البهاشم ظهرها عن سبل<sup>(٢)</sup> منذ أحيال عديداً، ولم يعرف أحد من أين جاء وكيف نشأ؛ سواء من تأثير حرارة الشمس على الصعبل الاسن ولطين المرحل<sup>(٣)</sup>، أو من سباحات ابجر وزئنه، وأن هذين الاثنين تاسلا وتكاثرا، وفي وقت قصير ازداد عدد ذريتهما لدرجة أنهم اجتاحتوا البلاد وقانون، وبالأعلى الخلق، وأن بني الهويتم اضطروا، لتخفيض من شرهم وأداهم، أن يذلّوهم حتى حاصروا القطيع كله وقتلوا الكبار وأبقوا عن الأمهات وأخذ كل واحد من بني الهويتم طعنين منهم ورضعها في رويته حيث تألفها ورباهما عن الطاعة بقدر ما يمكن لحيوان ذي طبيعة شرسة متوحشة أن يتقبل الألفة والتدجين، واستعملها في حمل اللؤلؤ أو جرماً. وقال إنه يبدو أن في هذا الاعتقاد شيء من النصواب (الاعتقاد بأن بني الباهو لبسوا من السكان الأصليين في البلاد) لأن كل بني الهويتم وجميع الحيوانات الأخرى نكرهم كرهاً عتيقاً. ومع أن طباستهم الخبيثة تستحق هذه الكرهية، فإني لم أكنوا أصليين لما

بعض كراهية المخلوقات ضم هذه الدرجة من العطف، أو لكأنوا قد أيدوا منذ زمن بعيد. وقال إن السكان حين سلا لم يستخدم يبي الياهو، أحلوا استخدام فزية للحيراء، وكان هذا خطأ قائم حل عدم الحكمة وعدم التبصر بعواقب الأمور، فذلك أن الخبار حيوان وحييم، سهل الاقتناء، وأسهل تدجيناً وترويضاً، وليس له رائحة كريهة، وصبر على العمل المشاق، وإن كان تفضل همة وأبطأ حركة من الياهو. وإذا كان سيد الخبار ميوث منكر إلا أنه أهون شراً من الصراخ المزعج والهماء المزعج لبي الياهو.

وأعزى الكثيرون عن مواقف وعرفانك مشبهة، عند ذلك تكلم سيدي واقترح حلاً استعاده من فكرة كمت قد ذكرتها له. قال إنه يوافق على الاستغناء الناتج الذي ذكره زميله العضو المحترم في كلامه السابق. لكنه قد لم يؤكد أن الياهو الاثنيون اللذين شوهدوا أول مرة في هذه البلاد قد جئوا من ضريح البحر، وإنما جئوا رصلا إلى البر بعد أن هجرها رفاقهم وتحنوا عنها لجأ إلى الجبال، وانحطت طباعهم بالتدريج حتى أصبحتا تروى الزمن أكثر وحشية وثقل جمعية من يبي جنسهم في البلد الذي جاء منه. وإليه على هذا أقول أن في حوزته الآن ياهو رابع (بمعنى آخر)، سمع عنه بعضهم ورآه الكثيرون منهم. ثم فضل عنهم كجب ويسمى أول مرة واسمهم ال جسمى كان مغضى بغطاء مصوغ من جلود الحيوانات الأخرى وشعرها، رأسي تكلم لغة خاصة بي كمت أبي نعميت لغتهم واقتنوا، وأني قصصت عليه كل الأحداث التي تلت في رن بلادهم، وأنه حين رأي عاري من ملابس اكتشف أنني ياهو بحث في كل شيء سوى أن لوني أكثر دفئاً وشعرى أقل وغالبية أقصر. وأضاف أنني حاولت جاهداً أن أكتفه أن يبي الياهو في بلادي وفي بلاد أخرى هم الحيوانات المماثلة لمهمته وإن يبي الياهو خدمهم، وأنه لاحظ أن كل صفات الياهو، إلا أنني أكثر تحضراً لأن في شيئاً من العقل، لكن الفارق بين عضي وحقل يبي الياهو الأرضي هو كالفارق بين عقل ياهو بلادهم وعقلي، وأني ذكرت به خمس أشياء أخرى عدتها في خصي الخيول وهي صغيرة السن لكي نجعلها أكثر طاعة وأسهل ترويضاً، وأن عينية الحصى سهلة ومأمونة، وأنه ليس عينا أن نذهب الحكمة من الدواب، فالتدل نعلما للآخرة عن العمل، ولطيفير تعلمنا البناء، وأن هذا الأمر أعزى بكنى مجارته مع صغار يبي الياهو عندهم، وهذا يجمعونها سهول قياداً ومفضل خلعة ويؤدي بعد جبل إلى القرى، جئنا الياهو دون اللحم إلى فقههم. وحتى يفرض جنس الياهو، فإنه ينصح إخوانه يبي الياهو أن يكتفوا من نسل الخمر التي هي في كل الأمور دواب تفضل يبي الياهو، إلى جانب أنها تصبح صالحة للخدمة في سن الخامسة بينما لا يصنع جس الياهو للخدمة قبل سن الثانية عشرة.

هذا هو كل ما أرتأى سيدي حينذاك أن يجيبني به عما تم في جلسات المجلس، وطالب له أن يجني عني قرار واحد يتعلق بي شخصياً، وكان له نتائج تعيسة على حبيتي كمت ساحر القارئ حين

بحين الوقت المسبب. وعند صدور ذلك لقرر نلاحظت المصاب في حين.

لا يعرف بنو اخويهم الكثرة عند تنقل المعرة من جين لأخر بالمروية. وفيهم شعب منبت متردد، ويملكون تكن فضيلة بالقطر، ولا يحكمهم سوى الحذر، وليس لديهم أن تعبد بالشعوب الأخرى. فله ليس في سببهم أحداث تستحق الذكر، وتاريخهم محفوظ ولا يثقل كاهل الذكر. وقد ذكرت من قبل أنهم لا يصابون بأمرض وهذا لا يخافون لأخيه. لكن عندهم أدوية عتلة من الأعشاب خشاء ترخص من والأمروج التي غلتها خجاجة الحاذق في الرشح أو حذر ونعلاج ما تصيب أجزاء جسمه الأخرى من غفل أو أدى.

وهم يحسبون السنة من أصل دورة الشمس. ولهم ولا يفسمون بوقت إلى أسابيع، إنهم يعرفون جدًا حركات الشمس والقمر ويحسبون طبيعة الحبوب والقصوف وهذا هو عيد د، يعرفون في علم الحلال.

بكي لا بد أن اعترف نعم بالتغنى على كل مخلوقات في الصخرة حيث التشبهات الرائعة والأوصاف لطيفة لصحيفة التي لا يمكن أن تصدهى. وهي موزعة بكثرة في قصائدهم التي تدور في العادة حول بعض الأفكار الوثنية عن الصدقة وحب الخير أو شج الشين فزاروا بالسرقات والتدخلات الخسفية<sup>(١)</sup>. ومع أن عبيدهم دالية وحيطة ولا انها ليست مزعجة وتكفي لحاجتهم من تغليات الفطس وأراض نيرة وأخر. ويصور في بلادهم نوع من الشجر ترخي جزيره بعد أربعين سنة من نمو، ويسقط عا أول صنفه. وهو شجر يسو بشكل مستقيم ورؤوسه مدنة كرويس الأوتاد. ياق أهويهم جزير هذه الأشجار في الأرض باحجارة وفيهم لا يعرفون الحديد، بحيث يبتد كل حذق عن آخر حوالي عشر برسات ويصنوع ما يبتد سيقان السوفون أو يقصون الأغصان، ويصنعون سفوف ولأبواب الأسلوب نفسه.

ويستعمل قلوبهم التحريض الواقع بين السبك والخفر في أقدانهم الأقدية كما تستعمل أبدا. وهم يعرفون ذلك نهاية قائف لم يكن أتبعها أول الأمر وقد رأيت فيما بعضا تذلل خيطا في حرم إبرة وركبت قد أقرض الإبرة عن عمد. واسفة ذات التجويف وهم يحنون بفرهم، ويحسبون شوقانهم ويقومون نقل الأعمال التي تفرد بها باليد الأسلوب نفسه. ولشبه نوع من حجر الخيول الصلب يستعملونه لصناعة أدوات من أخبارة تقدم مقام الإبريل والحاسر والتأديم والظرفة؛ كما يصنعون من حجارة صوان هذه أدوات يقصمون بها ألعاب ويصعدون للسوف التي ينمو وحده في كثير من الجبال. ويخرج بني الباهو في قن غبار الشوذن إلى بيوتهم في عرقات بحورنها. ويقوم أحدهم من الخيل بالمؤنس على عهد لغول في كوخ مسقوفة وذات فصيل لخب عن

الغش، ثم وضعه في المخزن، كذلك يصنعون أوعية بدائية من الخشب أو الطين، وشبوك الأواني  
الطينية في الشمس.

يموت بنو أهويهم بسبب المرم فقط، إلا إذا ماتت خاتمة مصلحي يودي حياتهم، ويدفنون في  
أماكن مجهولة ولا يشعر أصدقائهم وأقاربهم لدى موتهم بمرح أو حزن<sup>(١)</sup>، ولا يظهر على من يحضر  
منهم أي أسف لتفارق الدنيا، فليوت عندهم شبيه بالعودة إلى البيت من زيارة لأحد الجيران، ولذكر  
أن سيدي كان ذات يوم موعوداً بزيارة يقوم بها إلى بيته صديقه وأسرته ليتحدثوا معه في قضية  
هامة. وفي اليوم المحدد جاءت زوجة صديقه ومضاهيا مشغولين جداً وبرزت فتخرجهم بعدئذ  
لأول إن زوجها فتوتة (كما قالت) ذلك الصباح بالذات، وهي كلمة معربة عندهم وأقرب معنى لها  
هو أنه عاد إلى وطن أمه الأولى. والعذر الثاني أن اشتور مع خلعها حول مكان مناسب لأداء جثة  
روحها استغرق مضر الوقت. بعد ذلك لاحظت أنها تنصرف في بيتنا بنفس الانبعاث والعفوية التي  
تنصرف بها الآخرون. وقد ماتت بعد ثلث ساعات ثلاثة أشهر.

وعلى العموم، يعيش بنو أهويهم حتى سن السبعين أو الخامسة والسبعين، ونادراً ما يموتون  
حتى الثمانين قبل وفاتهم بضعة أسابيع يشعرون بهبوط تدريجي، لكن دون ألم. وفي هذه الحالة  
تكثر لأصدقائه من زيارتهم في موسم أيامهم لا يستطيعون الخروج منها يمشي ودفاً لكنهم قبل  
وفاتهم بعشرة أيام، وهم قليلًا يخطئون في معرفة موعد موتهم، يقومون برؤ زيارات القريين من  
جيرانهم، كما يبرز عن زلاجة مثابة محرّها بنو الباهو، وهم لا يستعملون هذه الزلاجة في هذه  
المناسبة فقط، بل يستعملونها في الرحلات لفائدة حين تقدم به السن أو حين يعجزون عن السير  
بسبب حادث، بسبب تقدمهم وحجر برؤ أهويهم المشرف على الموت تلك الزيارات، يودع  
أصدقائه وداعاً حاراً وكأنه مسافر إلى منطقة حيلة في البلاد حيث يري قضاء بقية عمره.

ولست أعرف إن كان ينبغي أن لاحظ أنه ليس في لغة أهويهم لمظة يعبرون بها عما هو شر  
سوى ما يشعرونه من بشاعة في الباهو أو خصالهم الشريرة. وهكذا فهم يعبرون عن حاقة  
خدم غوهم هويتم باهو، وعن فقدان طفر قوهم ويثاهول باهو. وعن حجر يخرج أقلامهم  
بنوهم يولثهون ويثين باهو. أي أنهم يشيرون كلمة باهو لكن قللم.

ويكفي بكل سرور أن أذكر المزيد عن أكلة، وفضائل هذا الشعب الرائع، وأنكي ابوي أن  
أشر بعد فترة قصيرة كتباً عن هذا المرضع المذكور، وبوسع القارئ أن يرجع إليه، وسأحدث الآن  
عن مناسبات المحزنة.

## الفصل العاشر

نظام حياة المؤلف السعيد بين الموتى. نحن أنقله ونقدمه عن طريق آخر  
سبب تحدث معهم. مواضيع أحاديثهم. المؤلف يستلم إنذار من سيده بوجود  
معاودة لالاد، تقع مغلياً عليه حزناً وكسداً، يكسب يخضع للأمر. يصير قادراً  
بمساعدة زميل له من الخدم، ويتعلق بفكره في البحر.

كنت قد رمتُ شؤون حياتي كما بهوى قلبي، ويطعنني به فؤادي. كان سيدي قد أمر بتجهيز  
غرفة لي عن طريقاتهم، وتبعه عن بيته ست بديرات. وقد صُنِّتْ جدرانها وأرضها بأنطون،  
ووضعتُ فوق "طلي حصى" من يات الأمل مسحة نفسي. كنتُ صعباً من شروط الحب،  
نفتي يموه ذلك وحده، نوعاً من التحش للرب، رملأت هذه الوسائل بريح الطيور التي كنتُ  
أصيدا بشرائك مصنوعة من شعر الياهي، وأكل لحمه "شديد". كذلك صنعت لسوق كرمين  
مستعملاً سكرتي ومستقيلاً من مساعده أخصان الأشهب الذي كان يقوم علي بدلاءك تشافة  
والضنية. وحين إليت ملاسي صنعت ملاسي جديدة من جلود ذئب وحيوان آخر جميل بحجم  
الأرنب، يسمي شوهنوه وجنته ذير نعب. ومن هذه الجلود أيضاً صنعت جوارب مقبولة شدة.  
كذلك عملتُ حدائي بعل من خشب الذي كنتُ أفضه من الشجر بأوكبه عليه جند. وحين  
هذا أجعلتُ سقيته بجووه الباهو المختلفة في الشمس. وكنتُ أخصل على العسل من تجاريف في  
الأشجار فأشربه مخلوطاً بماء<sup>(١)</sup> أو كله مع الحيز. وقد كنتُ أعملي نوكاً مسحة لداين  
الشهوية: أنه من السهل هذا الشياخ حاجات الطبيعة، وأن الحاجة أو الاختراع. وكنتُ أبيع  
بالصحة الجسدية الثمة والعمالية ورثة اليان<sup>(٢)</sup>. هنا لم أشعر بخيالة أو تغلب من صديق، أو  
بلائي من عضو صريح أو غفلي. وهنا لم تكن لي حصة الموشية أو التلن، أو نقابة نيل الفضل  
من عضو أو من مرؤوس، أو لخصه من الشعب والاحتيا والظلم. لم يكن هنا ضيق بدمر  
صحتي أو عظم بطلب أدبي، أو غير بعد على حركاتي وكلامي أو بلفظي في عجب مقابل أمر. كذلك  
لم يكن هنا مستهزئون أو عبايون أو لؤمون أو عميون أو ناشتون أو أفعاب ضيق، أو قصور مارك،  
أو محامدون أو فوادون أو أصحاب مواج. أو مهرجون أو مقامرون أو سياسيون أو ظرفه أو مشاكسون  
أو عذتوب ثقيدو الغل. أو مجادلون أو مختصو ساء أو قلة ومذكرو دماء أو سلايون نهايون أو

أدعياء علم ومعرفة أو قادة أحزاب وثيائهم أو زعماء دُمر وأشياهم أو تشجيع على الرذائل بالعدوة الصبية أو ملاغواء. هذا لا توجد سجون وزمائنات أو مقاصل أو مشتاق أو أعداء جُنْدٍ أو منصات تشهير أو بعة وعيال غلثانين، قبا لا يوجد كبرياء أو غرور أو ادعاء، ولا يتواحد متعصبون سائغون، أو كُنُوات مستندون على الضعفاء ويتزبون العاهرات، أو سكارى، أو عاهرات الشوارع أو امرأع الزهري، أو فاسقون شبحجون ضغفهم، أو روجات يكفنن أزواجهن ما لا يطغون، أو أنصف متعصبين أصباء مغرورون، أو رفاق متعبون لجوجون منظر سوب مناكفون صبحون صانجون مغرورون ستغون، أو أئذا، ارنفج مقابهم من الحضيض بفضل مذائهم ورفائهم، أو بلاد كمره سطر في الحضيض سب فضائهم. هذا لا يوجد لوربات أو موبشيقون عابثون ولا فصاه ولا رقص حن منافقون.

وحين كان أصدافه سيدي يتون لزيدته أو نازك اطمع معه، كان سيدي بكومي يسبح في بادغواء إلى حيث يجلسون والاستماع إلى ما يقولون. وكثيراً ما كان هو يرفقه يتواصعون ويوجهون في أشعة ريصعون لإجبابان. وكنتُ أحياناً أشرب نرفقة سيدي لدى ريارنه للأعرج. ولم أكن أعبر عن شكهم إلا لأحب علي. وكنتُ أفعل ذلك وأنا أشعر في أعماقي بالأسف لأن في ذلك إصاعة لوقت شعبي أشعب منه في تهذيب نفسي. وكان سروري لا يوصف بمركون كمنوع موضح لأحاديثهم التي لا يقان بها إلا المضيد الذي يعبرون عنه بما قل ودل، والتي تراعى فيها قواعد لاسر والإحلال، لكن دون محاملات ورسمات فارعة، والتي لا ينطق أحد خلالها إلا بما يسهو ويسر رفاقه، ولا يذطلع فيه شككم، والتي تخلو من الإسهاب الممل ومن المجلس المضموم انقيت ومن أمة متاعر على اختلافها وهم يصورون أنه حين يجتمع الناس، فمن قليلاً من الصمت يساعد عن محزون الحديث. وقد ثبت في صحة ذلك. ذلك أنه خلال تلك الفترات التي يتوقف فيها الكلام تخلف ضم مُفكر جديد محمد جوية الحديث. مواضيعهم هي عموماً انصافه وحب الخير، والنظام والاقتصاد. وأحياناً يتحدثون عن الآليات المالية في عمليات انطبعة أو عن التكاليف والمنقذات القديمة، وعن حدود العصية وقبوتها، وعن مبادئ العدل التي لا تحصى، أو عن الغررات التي سيومنون بالمهافة في جلسات عيسى الأمة القاضية. وكثيراً ما يتحدثون عن روثع الشعر بدنته. ولا أدعي صحر، حين أقول إن وجودي معهم كان يعطيهم مادة جديدة للحديث، لأن ذلك قد منح سيدي فرصة لإطلاع أصدائه على قصة حياتي وتاريخ ملاذي، وكان يطلب هم حيقاً أن يتحدثوا عما أحديث ليست في صالح اجس البشري، ولهذا لا ضرورة لإعادة ما كانوا يقولون. لكن يمكن أن أسمع انصبي بالقول إنه كان يبدو أن سيدي يفهم طبيعة اباهو أكثر مني بكثير. لما جعني أشعر بحوه بإعجاب شديد. فقد كان يأتي عن دكر كل شرون وراثنا ومحافنا ومكنت، بها ما لم أذكره نه قط. وذلك، على أسس مستتج ما ف يستطيع عمله بنو الجاهو في

بلاولهم، ثم كان لديهم عشاسة خشيلة من العفان. وكان يحتم استباحته هذه بتصوير هدى  
سعدتهم وتذاتهم حيا لك، وهو أمر غير الاحتمال.

واستوف بكل صراحة أنني اكتسبت كل ما لدي من معرفة نافعة خشيلة من المحاضرات التي  
سمعتها من ميدي واستاذي اخصان، ومن الاستيع لأجله وأجابه لصدقانه. إنه بمنزلة أن  
استمع لتلك الأحاديث أكثر مما يستعني أن أكون أوسع وأجود على أعظم النحاس في أوروبا  
وأكثرها حكمة. لقد كنت معجبا بقوة السكان وهالهم وسرعته، وإن تلك الكوكبة من الفضائل  
التي يتحل بها أولئك الأشخاص الأعاصير العظيمة جعلني أجملهم عظيم الإحلال. وفي الحقيق، في  
أول الأمر لم أكن أشعر بحرم تلك الهبة التي يشعر بها بنو البهو وكل الحيوانات الأخرى، لكن  
هينهم كبرت في نفسي بمتنوع وبأسرع مما تصورت، وكانت هيئة مزوجة بالحب والاحترام  
والامتنان كأنهم نواضعوا فيروني من بقية حنفي

وحين فكرت بأسرتي أو أصدقائي أو بني بني أو عموم الجلس الشري، اعتدتم كلها هم في  
حقيقته، بني باهو شكلا ومثالا وميولا. ربي هم أكثر تحضرا من الباهو بشر طبعهم، وينميرون  
مهم صحة الكلام، ولكنهم لا يستخدمون العنصر إلا في تهذيب وزيادة تلك التبرور، وإنني  
لا أعرف إخوانهم في هذا البلد مما سري ما حصنهم به النظمة والمفطرة. وصيرت عدما أرى  
بالصدقة شكل صوري في هذه حجرة أو نوح أدير وجهي دائما واستدرا من نفسي. بل صيرت  
احتمل رؤية باهو غائي أكثر مما أحسن رؤية نفسي. ومن كثرة ما عاشرت بني الباهو، وكحدثت  
معهم، وصعدت بأفرو، رؤيتهم، صرت أفكده مشينهم وحركاتهم حتى أصبح تعيذني لم عاذ  
مناصلة في كثير ما يُعزّل أصدقائي مصرحة فقط ويقولون إنني أحب كالتصان. ولكنني اعتد  
قولهم هذا براء عظيم. كما لست أنكر أنني أفتن الكلام أجده أنظمه بصهيل بني الباهوهم  
بأملهم، وأسمع الآخرين يهزون مني لهذا السب، نكني لا أبه لسخرتهم ولا أشعر بأي حزي

ديما كنت أعم بالعيش بينهم، وأبشر نفسي أنني سأعطي غنة عمري معهم. أرسل إلي  
ميدي ذات صباح في وقت أبكر من الوقت المعتود. ولاحظت في ملامح وجهه بعض الحيرة كأنه لا  
يعرف أين بدأ في قول ما يبدي قوله. وبعد صمت قصير، قال إنه لا يعرف كيف سأستقبل ما  
يقوله، وهو أنه في جلسات مجلس الأماة الأعيرة، ونحن نرقش موضوع بني الباهو، أبدأ بتناول  
المناطق المزعاجهم لأنه يحتفظ في ربه بواحد من الباهو (يفضدوني أنا) ويعامله كأنه من الباهوهم  
وليس كواحد من الدواب الهائم، وأنه كثيرا ما يتحدث معي وكأنه يمكن أن يستفيد مني أو يستمتع  
بصحبتي، وأن مثل هذا السمع لا يتفق مع العنصر أو الطبيعة، وإن هو بني. سمعوا بمثله من قبل.  
ولذلك، فإن المجلس أشار عليه أن يعمل أمرا من اثنين: إما أن يستخدمني كما يستخدم الآخرون من



بني الياهو. أو إن يأمرن بأن أعود سبحانه إلى المكان الذي جئت منه. لكن بني الهوينم الذين راوون في بيت أو في بيوتهم، رفضوا الأمر الأول رفضاً قاطعاً. زاعمين أن حضور العرش الذي في مضافاً إلى الشر الفطري في تلك الهدم الياهوية الأخرى قد يمكنني، كما يسمون، من اغتراف بني الياهو بالمرار إلى الشاطئ الحشرية أو الجبلية في بلاد ام اهود بهم وقتاً غالية في الليل بالغاغة على قطعان الماشية عند الهوينم، ذلك لأن حب الله. وتخریب وكرامية العمل أمور فطرية فيه.

وأخاف سيدي أن جيرانه من بني الهوينم يلحون عليه يومياً بتنفيذ ما أشار به المجلس، وأنه لم يعد يستطيع التسوية والتأجيل وهو يخشى أنه من المصحح علي أن أذهب إلى حد آخر ساحق. ولذلك فقد طلب مني أن أفكر بصح قربة في شبه المغرب الذي وصفته له لكي يحملني في البحر، وتعهد بأن خدمه وخدم جيرانه سافلون في ما يمكنهم من مساعدة. ونظم حديث بقوله لو أن الأمر متروك له، فيه يرضى بإقتاتي في خدمته طاماً حيث لأنه وجدني قد تطهرت من بعض السمات والطباع السيئة بمحاولة تنفيذ بني الهوينم بفكر ما تستطيعه ضيعتي الدونية.

وينبغي هنا أن أوضح للفرق أن في أمر أو مرسوم يصدر عن مجلس الأمة في هذه البلاد، يعبر عنه بكلمة هتلولوين التي تعني بغير ما يمكن ترجمته، عمل الخشن أو الصنع أو التحذير، لأنهم لا يتصورون أن يرغم أو يجبر مخلوق عاقل على عمل ما، ولكن يمكن نصحه، أو تحذيره، أو إعطاؤه مشورة، لأنه لا أحد يعصي أوامر العقل، إلا إذا نقل عن ادعائه بأنه محقوق حافل.

عند سماع حديث سيدي أذهني من الحزن والياس ما لا أطيع، وعجلت بهمي عن الصمود تحت ضغط آلامي. فوقعت مثلي على عهد قدام سيدي. وحين عدت إلى الوعي أخبرني أنه يعتقد أنني قد فقدت الحياة (لأن هؤلاء الناس لا يعرفون مثل هذه الأفعال الخفاه). فأحبه بصوت واهن أنني لو كنت لكان ذلك ببعيد، وأحي لا أستطيع أن ألوم المجلس على تحذيره له، أو ألوم أصدقائه على إحاسهم عليه، وأني ظننت بعقل الضعيف انساب أنه قد يتفق مع العلي أن يكونوا أقل فسوة وصرامة. وأني لا أستطيع أن أسح لمساقة فرسخ واحد، في حين أن أقرب بلاد قد تكون على مسافة مائة فرسخ، وأن كثيراً من المواد الضرورية يصنع قارب صغير يحملني في البحر، غير متوفرة أبداً في هذه البلاد. وأني مع هذا ساحلون، طاعة لنيته واعترافاً بفضل علي، مع أنني أرى الأمر مستحيلاً. وفدا اعتبر نفسي قد كُتب في الهلاك والموت. وأصعدت أن الموت أهون الشرور دسلة في: إذ لو افترضت أنني نجوت بمعجزة، فلهذا سيكون من أصعب الأمور أن أقضي يومي بين بني الياهو حيث سأرتد إلى عادي ونكسي. لقد عجزت بسبب عدم القدرة الصالحة التي ترشدني إلى صرف المفضلة وتبقيني على مسالك الخير. وقلت أنني أعرف جيداً الأسباب الموجبة التي بين شيبي الهوينم الحكيمه قراراتهم: ربن هذه القرارات أن نبرها أو نغيرها الصحيح التي تشزع بها باهو نفسي مثلي، ولهذا

فَإِنِّي إِذْ أَتَيْتُهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَاءٌ يَشْرَبُونَ. وَأَوْفَى بِوَعْدِي لَهُمْ وَأَسْفَى مَا كَانُوا عَمِلِينَ. وَإِذَا عَدْتُ بَيْنَ إِجْلَازِنَا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ ذَا نَفْعٍ لِأَهْلِ حَنَسِي عَنْ طَرِيقِ التَّغْيِي بِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُؤْتَمِرِ  
شَهْرِيَّيْنِ<sup>١</sup>، وَفَرَحَ فَصَانَتُهُمُ لِلْبَشَرِ لَكُنَّ يَمْنُونُوا بِهِ.

وَكَرَّمَنِي سَيِّدِي بِجَوَابِ مَرْحَلِ لُصْفٍ. أَعْطَانِي مَهْمَةً شَهْرَيْنِ لِلاتِّهَادِ مِنْ صَنْعِ زُورْنِي. وَأَمَرُ  
الْحَصَانِ الْأَشْهَبَ، وَبَعَلَ فِي الْحِمَّةِ، أَنْ يَتَّبِعَ نَعْدَتِي، لِأَنِّي أُنَبِّئُ سَيِّدِي أَنَّ مُسَاعَدَتَهُ وَحْدَهُ  
تَكْفِي، وَكَتَبْتُ تُحَنِّنُ أَنْ هَذَا الْحَصَانُ الْأَشْهَبُ يَكُنُّ لِي مُلُودًا.

كَانَ أَوَّلُ مَا فَعَلْتُهُ أَنْ ذَهَبْتُ بِصَحْبَتِي إِلَى ذَلِكَ الْخَرَفِ مِنَ السَّاحِلِ الَّذِي وَصَفَنِي فِيهِ بِحَارِي  
الْمَعْرُودِ. صَدَقْتُ بَلَّ مَكَانٍ مَرْتَعٍ وَنَظَرْتُ إِلَى الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ أَعْيَانِهِ، وَتَحَيَّلَ لِي نُفْيٌ وَتَحْيَرٌ  
صَغِيرَةٌ فِي الْجَنَةِ الشَّرْقِيَّةِ النَّصَبِيَّةِ. أَمْرَجْتُ مَنَظَرَ الْحَبِيبِ وَأَسْطَعْتُ مِنْ أَرَاغِهَا بِرُفُوحٍ عَلَى بَعْدِ حِمَّةِ  
فَرَسِيخٍ، أَلَكُنْ الْحَصَانُ الْأَشْهَبُ حَتَّى لَا يَحْمِلَ زُرْقَاهُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَدْرِ بِخُلُودِهِ مِنْ هَاكِ بَلَدًا أُخْرَى غَيْرِ  
سَاءَةٍ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَيِّزَ لِأَشْيَاءِ الْبَعِيدَةِ فِي الْبَحْرِ كُلِّهَا نَسْتَطِيعُ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا خَيْرَةٌ رَاسِعَةٌ  
بِهِ.

بَعْدَ أَنْ كَشَفْتُ هَذِهِ الْخَزِيرَةَ لَمْ أَفْكَرْ بِشَيْءٍ آخَرَ، وَفَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَهَا أَوَّلَ مَكَانٍ أَذْهَبُ إِلَيْهِ  
فِي مَعَايِي، وَأَتَرْتُ الْمَنَاجِزَ لِلْأَقْدَارِ.

صَدَقْتُ بَلَّ الْبَيْتِ: وَبَعْدَ انْتِشَارِهِ مَعَ الْحَصَانِ الْأَشْهَبِ دَهَبْنَا إِلَى أَيْكَةِ دَرِيَّةٍ حَيْثُ قَطَعْنَا عَدَدًا  
مِنْ أَغْصَانِ الْبُنُوطِ بِسَاقَةٍ حَصَا أَشْيَاءٍ وَبَعْضُ الْكُنَى الْخَلِيَّةِ الْكَبِيرَةِ. كُنْتُ تَسْمَعُ سَكِينِي يَتَنَزَّلُ  
فَالْحَصَانُ يَتَعَمَّلُ سَكِينًا حَامِيَةً مِنْ حَجَرِ الصُّبْحِ مَبْنِيَةً حَسَبَ طَرِيقَتِهِمْ فِي قِطْعَةٍ مِنَ الْخَشَبِ.  
وَلَمْ أَرَعِجْ لِقَارِيئِي بِوَحْدَةٍ، مُفَصَّلٌ لِمَا عَمَلْتُ، إِذْ يَكْفِي أَنْ أَقُولَ إِنِّي فِي خِلَالِ سَنَةِ أَسْبَابِيحٍ:  
وَبِمُسَاعَدَةِ الْحَصَانِ الْأَشْهَبِ الَّذِي كَانَ يَقُومُ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ جَهْدًا كَثِيرًا، انْتَهَيْتُ مِنْ صَنْعِ  
قَرِيبِ شَبِيهِ بِقَوَارِبِ الْخَرَفِ وَكُنْتُ كَثِيرَ مَنَاءٍ، وَغَضِبْتُ بِجُلُودِ بَنِي الْيَهُودِ<sup>٢</sup> الَّتِي كُنْتُ قَدْ خَلَقْتُهَا، مَعًا  
بِحُيُوطٍ مِنَ الْخَبْثِ صَحَّحْتُهَا بِفَسْفِيسٍ. وَكَانَ شَرَارِي أَيْضًا مِنْ جُلُودِ بَنِي الْيَهُودِ صَفَرِ الْعَصْرِ، لَأَنَّ جُلُودَ  
الْكَبِيرَةِ سَمِيكَةٌ وَبَاسَةٌ جَدًّا. كَذَلِكَ زُوِدْتُ لِنَفْسِي بِأَرْبَعَةِ مَخَاضِعٍ، وَوَصَلْتُ فِي الزُّورِ كَمِيَّةً مِنْ  
لَحْمِ الْأَرَابِ وَالنَّظِيرِ بَعْدَ أَنْ سَلَفْتُ، كَمَا رَضَعْتُ فِيهِ وَغَدَيْنَ أَحَدَهُمَا مِلِّيَ بِالْخَلِيبِ وَالَّذِي بَالَمَاءِ.

وَجَرَيْتُ لِقَارِيئِي فِي بَرَكَةِ كَبِيرَةٍ بِتَقَرُّبٍ مِنْ بَيْتِ سَيِّدِي وَأَصْلَحْتُ مَا كَانَ لِي مِنْ عَرِيبٍ،  
فَأَعْلَمْتُ كَيْزَ انْتِشَارِهِ حَتَّى أَصْبَحَ كَتُومًا لَا يَسْرِبُ إِلَيْهِ لَمَنٌ، وَقَادِرًا عَلَى حَمَلِ رَحْلِ  
أَمْعَتِي. وَحِينَ انْتَهَيْتُ مِنْ مَتَاعِهِ: طَلَبْتُ أَنْ يَفْعَلُوهُ لِي الْعُلَامَةُ، فَوَضِعَ عَلَى عَرَبَةٍ جَرَّهَا بِعَذَائَةٍ  
أَخَذَهَا مِنَ الْيَهُودِ تَحْتَ إِشْرَافِ حَصَانِ الْأَشْهَبِ وَحَدَمَ آخَرَ وَنَقَلَ إِلَى أَتَانِي.

حين أصبح كل شيء جاهزاً وحين يوم رحلي، ودعني سيدي وسيدتي وكل أفراد الأسرة وعيوني الموصون بالدموع وقلبي مقل بالحنن. لكن سيدي أصرّ بدافع لفضول، رغب بدافع انعطاف (إذا جاز لي أن أقول ذلك دون غرور أو مباهاة) أن يرافقني حتى أنحر وحتى أركب قاري، وأنام المنيدين من أصدفائه من الحمرن بموافقتي. نظرت أكثر من ساعة حتى علا المد، وحين لاحظت أن الريح كانت حسن الخط تهب نحو الجزيرة التي كنت أنوي الإبحار إليها، ودعني سيدي مرة ثانية. وسين هممت بالانبطاح لكني أقبل حافره نكرت مع عليّ ووقع حافره في فمي، لمست وجهي الملمع الشديد المويجة إلى لاسي ذكرت هام انواقعة الاخيرة. يحسوا لأعدائي أن يفتوا أنه من غير المحتمل أن يتواضع شخص عظيم كسيدي حصان ويتعوض مثل هذه التكرمة لرائعة على مخلوقه وتبيع مثلي. كذلك لا أنسى أن بعض الرجال يميلون إلى التباهي بالأفضال والتكريم التي أنعم عليهم بها. لكن لو غرّف الشاكرون واللائمون مقدار نيل مردي ولطفه تغيروا رأيهم.

وقللت آيات الاحترام وتبجبل لبي هويهم الموافقين لسيدي، ثم وكنت قاري وانظنت مبتعداً عن المناظر.

## الفصل الحادي عشر

ثم مئة اسبوع بالتمام مني بحرم من المؤلف، يصل إلى هولندا الجديدة ويأمن إلى  
يسبق هناك. بصلاب يسهم بطلقه عليه واحد من أهل البلاد يُقْبَلُ عليه ويؤخذ  
رعايته إلى سفينة برتندية قبل انقضاء وكرة البالغ المؤلف يصل إلى إنجلترا

بدأت هذه الرحلة الثانية في الخامس عشر من فبراير ١٧١٥ في الساعة التاسعة صباحاً،  
وكانت أربع مائة. في أول الأمر استخدمت مجاذيفي. لكن حين فكرت أنني سأعيب بعد فترة  
قصيرة، وأن الريح قد تغير اتجاهها، قررت أن أصب سراعاً الصغير وهكذا، وعندما أبدأت  
انطلقت بسرعة فربخ ونصف الفربخ في الساعة، حسناً فدرت. وظل سبيلي ورفاهه واقفين على  
الشاطئ حتى كنت أعجب عن بصرهم، وكثيراً ما سمعت أحصانه الأثني (الذي كان دائماً يكرّ في  
أحب) يصهل نادياً علي هتوي ليلاً فيها مايا وهو. أي أتيه لشكك فيها أياهاو الطيب.

كانت خطتي أن أكتشف، إن أمكن، جزيرة صغيرة غير مأهولة، ولكن يمكن بلوغها من الجهد  
والذهب أن نوفر لي حاجات الحياة. ولو تسر لي ذلك تكنت أكثر سعاسة مما لو تبيح لي أن أكون  
الوزير الأول في "بلي" دولة بلورويلا. وقد تصورت أن العودة حياة المجتمع نشري في ظل حكم  
بني الهنود ستكون شيئاً مروعاً. لكنني لم أعتد، وحيناً كما اشتبهت، تمنعت بأفكاري الخاصة  
وإملائي حول فضائل أولئك أهولهم التي لا يمكن لأحد غيرهم أن يفيها، دون أن يكون هناك  
فرصة للانتكاس والعودة إلى تلك الترددات والمهملات الشائعة لدى بني جلدتي.

قد يذكر القارئ ما رواه له عن تأمر بحدوني عي، وكيف حسوني في كاليني حيث بقيت  
لها عدة أسابيع دون أن أعرف طريق سيرك، وكيف حملوني بعد ذلك في قارب روسعوني على  
الشاطئ، وأقاموا، صدقاً أم كذبا، أنهم لا يعرفون موقعنا في العالم رغم ذلك، اعتقدت حينئذ  
أننا على بعد عشر درجات جنوب رأس الرجاء الصالح أو على خط العرض ١٥ جنوباً، كما كنت  
من بعض التكمينات التي سمعتهم يتحدثون بها، إنما نسير باتجاه الشرق بجنوبي، حيث يعمون  
الوصول إلى مدغشقر. ومع أن هذا لم يكن أكثر من تخمين، فقد قررت أن أسير باتجاه الشرق على  
أمل أن أصب اسحل الغربي الجنوبي من هولندا الجديدة، وربما إلى جزيرة من النوع الذي تخيله

تقع غربي تلك البلاد. كانت للرياح غربية في السادسة مساءً حينئذٍ قد قطعت ما لا يقل عن ثمانية عشر رسماً باتجاه الشرق، وعند ذاك رأيت جزيرة صغيرة جداً على بعد نصف فرسخ، ووصلت إليها في وقت قصير، لم تكن الجزيرة سوى صخرة فيها خليج واحد كان ياتلطيح مقوس الشكل بتأثير قوة انحواض. رسوت بغاربها ثم تسفت جزءاً من الصخرة واكتشفت بوضوح وجود برزخ الشرق، يمتد من الجنوب إلى الشمال. ثم طيلة الليل في قاربتي واستأنفت رحلتي في الصباح الباكر ووصلت بعد سبع ساعات إلى الطرف الشرقي الجنوبي من هولندا الجديدة<sup>(١)</sup>. وقد أكد في الفكرة التي صلت بأودي: وهي أن الحواشي تغطي في وضع هذه البلاد بمقدار ثلاث فوجات على الأقل إلى الشرق من موقعها الحقيقي<sup>(٢)</sup>. وبعد صنع سواحل أطلقت صديقي المحترم السيد هيرمان فون<sup>(٣)</sup> على هذه الفكرة ولم يرحل له الأسبب، إلا أنه أثر أن يتبع ما تقوله المصادر الأخرى.

لم أتمكن في المكان الذي رسوت فيه، ولأنني لم أكن مسلحاً فقد خشيت أن اتوغل داخل البلاد ووجدت بعض لسمك الصدف على الشاطئ فأكلته شيئاً لأنني لم أحر على إشعال نار خشية أن يكتشف أهل البلاد وجودي وغبت ثلاثة أيام أكل فيها الخبز وبعض الأسماك المرحوة نكبي أومر المؤونة التي معي. كذلك كان من خمس حطاي أن وجدت جدولاً ينهض العذب سعدت به كثيراً.

في اليوم الرابع توغلت في الصباح الباكر داخل البلاد فرائت عن مرتفع، عشرين أو ثلاثين من أهل البلاد، على مسافة لا تزيد عن خبالة مزمعي، كانوا كلهم عراة، الرجال منهم والنساء والأطفال. وكانوا متحلفين حول ما مشتمه في عرفت من لدخان، وقد رأي واحد منهم فأخبر الآخرين وتقدم نحوي لحسه منهم تاركين النساء والأطفال عند النار، ففعلت مسرعاً نحو الشاطئ وركبت قاربي وانعدت حين لاحظ أولئك المترحمون تراجعهم، واحوا يركضون خلفي وقبل أن أبتعد كثيراً في البحر طلقوا على سهلي أصاب الجزء الداخلي من ركبتي اليسرى، وجرحه جرحاً عميقاً (مستأقني النذبة التي تركوها إلى اليسار). سذبت لم يكون السهم مسووماً، وهذا وبعد أن أصبحت بعيداً عن مرمى سهامهم (وقد أخرجوا)، حاولت أن أفسح النجس من الجرح، ثم عندما لم يقدر ما أستطيع.

احترت ماذا أفعل، إذ لم أجز على العودة إلى المرسى نفسه، بل توجهت نحو الشرق واضطريت للتجديف لأن الرياح كانت تهب بعكس اتجاهي، من الغرب الشمالي وبسبب كثرة أبحث عن مرسى آمن رأيت سرانما في الجهة الشرقية الشمالية راح يزداد وضوحاً كل دقيقة. وقد ترددت: هل انتظرهم أم أنصرف عنهم؟ وأخيراً سيطر عني كرهى لمنس اليانعو، فادرت قاربي واتجهت نحو الجنوب وعدت إلى الماريج الذي كنت قد تركته في الصباح وبضعت أن أسلم نفسي

للإمبراطورة المتوحشين على أن أعيش مع الباهو الأوروبيين. اقترحت بغاري من الشاطئ وأخفيت نفسي وراء حجر عند حمار الماء الذي كان مودعاً كما سبق أن قلت، عبداً وراثياً.

ووصلت لسفينة إلى مسافة نصف فرسخ من هذا الجداول. وارتست زورقاً عملاً بالألوان لثقلها باله (ويبدو أن هذا المكان كان معروفاً قديماً للسفن). لكنني لم ألاحظ ما حدث إلا حين كان الزورق يصل لنشاطي، ولم يتوقف في الوقت للبحث عن حياً آخر عندما نزل البحارة إلى القعر وأوا قربي، وبعد أن فتشوا أدركوا أن صاحبه لن يكون بعيداً، فراح أربعة منهم مسلحون يبحثون في كل خندق أو حفرة في المكان حتى عثروا على مصطفاً على وجهي خلف الحجر. وتعجبوا غاية التعجب من ملابي الغربية لعجبية: معطفي المصنوع من الجفند، النمل الحشوي في خذائي، الجوارب المصنوعة من القز. من هذا كله سنتجوا أنني لست من أهل البلاد الذين يميلون عراً، وأمرني أحد البحارة أن أنص، باللغة البرتغالية، وسألني من أكون. كنت أعرف تلك اللغة جيداً، فوفقت على قدمي وقلت أنني باهو مكين مني من بلاد الهويهم، وزوجهم أن يتكلموا في سبيل: وقد استغربوا أنني أجتهد بلغتهم واستنجوا من نون بشري أنني لا بد أن أكون أورورياً. تكلمهم احتاروا في معنى كلمة باهو وهويهم، وفي الوقت نفسه أصبحتهم نغمة صوق في الكلام أنني تشبه صهيل الخيل. كنت في هذه الأثناء أرتعد خوفاً منهم وأرتجف كرجلهم وزوجهم مرة ثانية أن يسمحوا لي بالذهاب وبدأت أسير يسود نحو قاري، تكلمهم أسكوا لي وأرأيت أن يعرفوا من أي البلاد أكون، ومن ثمة جئت هنا، وسألوني أسئلة أخرى كثيرة. أخبرتهم أنني وندت في إنجلترا، وقد جئت منها إلى هذه الأصابع قبل خمس سنوات حين كانت بلادهم وبلادي في حالة صلح وسلام، وبذلك فإني أمل أن لا يعاملوني كعدو لأنني لا أقصر لهم شرّاً، وإنما أنا باهو مسكين يبحث عن مكان مقفر مهجور ليفضي فيه ما تبقى من حياته المتعبة.

عندما بدأوا يتعدهون، خجلت بقى أنني لم أسمع ولم أظن شيئاً غريب من ذلك، فقد تمياً في كان كلنا أو بقرة تحدث في إنجلترا أو كان باهو ينطق في بلاد الهويهم. وكان البرتغاليون الضيرون يتعجبون بالقدرة نفسه من ملابي الغربية وطريقتي المضحكة في نطق الكلمات، رغم أنهم فهموها جيداً. وراحوا يحذرونني بحطف بالغ ولعب شديد، وقالوا إن فظائهم سيحسني في سبيلت مجزاً إلى تشبوه، ويكفي من هناك أن أعود إلى بلادي، وإن اثنين منهم سيعدون الآن إلى السفينة ليعبروا القبطان بما رأيته ويطلقوا أمره، وإلى أن يعودوا فإنهم سيقيدوني بالقوة إذا لم أقسم لهم أنني لن أهرب وأدرك أنه من الأفضل لي أن أتعين له صيداً. كانوا تواقين جداً لمعرفة قصتي، لكنني لم أسمع فتشواهم، ففكرت أن مصائبي قد ذهبت بعني. بعد ساعتين جاء الزورق بعد أن أخذ الأوعية المملوءة غذاء إلى السفينة، ولده أوا من القبطان حضاري إلى السفينة. وركعت على ركبي لتوسل إليهم أن يتكلموا عن حيي وأن يتحذروا مني، ولكن دون جدوى، إذ ربطوني بالحبل،

ووضعتني في التوروف ثم حملوني إلى السفينة حيث أخذوني إلى كنييسة القبطان.

كان اسمهم بيدرو دي ميلوير. وكان على قدر عظيم من اللطف والكرم، رجائي أن أحتضه فقصتي، وسأنتني عما أحب أن أكل أو أشرب، وقال لي سأعاملكما بمعامل هو، وقال أشياء كثيرة طيبة فتعجبت من صدوره كل هذه المنكرات والأفكار من ياهو. لكنني بقيت صامتاً وحاشاشاً، وكده يغمس عيني من رائحته ورائحة رجاله. في آخر الأمر حلت طعناً من الزاد الذي كان في قاربي فأمر لي بفرجة وبعض الخبز الرائب، وأمر أن يجهز كايبة نظيفة جداً لي. رفضت أن أخضع لملاسي واستلقيت على الفراش بلاسي، بعد نصف ساعة تسكت للخرج وفي ظني أن البحارة مشغولون تناول عشايتهم، وذهبت إلى جانب النصب بنيتي أن أقفز وأرمي نفسي في البحر ثم أصبح راجياً بحياتي بدل أن أبقى بين يدي ياهو. لكن وحقاً من لحارة منعي من القفز، وأخير القبطان بما فعلت، فأمر بأن يدي إلى كايستي ونقيلني فيها.

بعد العشاء جاء دون بيدرو إليّ وطالب أن يعرف الدافع لتلك المفارقة البالية، وطعنني أنه إذا يريد لي خير وأن يقدم لي ما يستطيع من خدمات. وقد كنتني بطريقة مقنعة ومؤثرة مما جعلني في آخر الأمر أشكر وأعدهم كحيوان ندية نسبة ضئيلة من النقص. أعطيت رواية موجزة هي رحلتي والمؤامرة التي حكها قصدي بحارتي، والبلاد التي وضعتني على أرضها، والسنون الخمس التي قصتها في تلك البلاد<sup>١٤</sup>. لكنه استمع إلى قصتي وأكلها حليم أو رزاً رمية. لذلك غضبت منه كثيراً. فقد كنت قد نيت تماماً لإقنعة على الكذب التي يفرد بها بنو ياهو في كل البلاد التي يبيعونها فيها، وبالكافي منهم إلى التفت في حديث الآخرين من بني جنسهم، رسالتهم، أمي هامة في بلدك أن تقولوا الشيء الذي لم يكن؟ وأكاد أن أدركت أنني ما بقصدته بكنمة كذب وتزييف، وأني لو عشت ألف مرة في بلاد الهويتم ما سمعت كذبة واحدة ولو من أخط الخدم. وأني لا أبتلي قط أن يصدقني أو لا يصدقني، وبكفي في مقابل أفضله عليّ سأنتظر له فساد طبيعته، وأرد على كل اعتراض يطيب له أن يذكره، وأنه سيكتشف الحقيقة بسهولة.

كان القبطان رجلاً حكيمًا، بعد أن حاول عدة مرات أن يجد ثغرة في بعض أجزاء قصتي، بدأ أخيراً يكرز رأياً أفضل عن صدقي<sup>١٥</sup>. لكنه أضاف، بما أنني أعلن التزامي الكامل بالصدق، فإني لا بد أن أتعهد له بشيء بأن أبقى في صحته طيلة هذه الرحلة دون أن أحاول الفرار أو الانتحار، وإلا فإنه سيقتني مسجوناً حتى نصل لشبونة. وقد تعهدت له بما طلبت لكنني في الوقت نفسه أكدت له أنه أهون عليّ أن أواجه أصعب المشقات على أن أعود للعيش بين بني ياهو.

والفقت رجعتا دون أية حوادث هامة واعتراضاً مني بفصل القبطان كنت أحياناً أجالس بهاء على طيبه وأخبره بما كنت أحاول جاهدًا أن أخفي كراهيتي لخمس أبشر مع أنها كثيراً ما كانت

تظهر، فينبض الشيطان الطرف ويغدير أنه لم يلاحظها. كنت معظم النهار أحسن نفسي في كابتني لأجنب رؤية أحد من البحارة. وكثيراً ما أرجاني الشيطان أن أترع حي ملاسي الوحشية وعرض أن يعزني أحسن ما عنده من ملابس، لكنني رفضت أن أقبل رحمة وعرضه، كراهية مني لتعطية جسدي بأي شيء لأمر أحساد البهوه. طلبت منه فقط أن يعزني قميص نظيفين عن أن يكونا قد عادوا بعد أن تبسهما، لأنها جيداً لن تدنسني كثيراً. وكتب أيدعي مرة كل يومين وأغسلهما بنفسني.

وهناك لشبونة في الخامس من نوفمبر ١٧١٥ عندما نزلنا إلى البر أرغمني القبطان أن البس عباءته لكي يمنع الرعاع من التجمهر حولي. وأجملت إلى بيته حيث وضعني في أعلى غرفة خلفية بناء على رجائي وإحاسي. واستحلفته أن يحفظني عن كل الناس ما حدث به عن بلاد الهولنديين. لأن أي تلميح لهذه القصة سيحلب أعداء كثيرة من ثمناس لروني. وأهم من ذلك، فإنه قد يعرضني لخطر السجن أو الخرق على يد محكمة التفتيش<sup>(٢)</sup> وقد ألتعني القبطان بشؤون ملابس جديدة، لكنني رفضت أن يأخذ خياط مقسي. حتى كل حدث، كان دون بيدرو من حجيمي ومقامي تهرباً<sup>(٣)</sup> ولذلك جاءت ملابس عن مقاسي. وقد جهزني بحضات أخرى كلها جديدة، لكنني عرضتها للهواء أربعاً وعشرين ساعة قبل أن استعملها.

ولم يكن القبطان زوجة، لم يكن له سوى ثلاثة من خدم، لكنه لم يسمح لأي منهم بالدخول عند تناول الوجبات: كان سلوكه معي يستدعي الامتنان، كما كان ذا فهم إنساني صادق، مما جعلني أقبّل مصيبي، بل إنه أثر في الدرجة التي صرت أتعلم سخارج من المائدة الخلفية، وبالتدريج نقلني إلى غرفة أخرى حيث كان بإمكانني أن أجلس على الشارع. لكنني سرهراً ما كنت أصحب رأسي للخلف رجلاً، وفي خلال أسبوع اغواني بالتزول إلى الباب. وحدث أن خوفي كان يقل بالتدريج، لكن كرهيني واحتفاري كان يزدادان: وأخيراً نومت لدي مشجاعة للمخرج إلى الشارع بمصحبته، لكنني كنت أسمع أسمع بأوراق لشجر ذكية، المرائحة، وأحياناً بوري الطباق.

بعد عشرة أيام كنت قد شرحت لدون بيدرو أحوالي العائلية، وأنتج علي أن دوامي أشرف والضمير تقضي أن أعود إلى بلادتي وأعيش في منزلي مع زوجتي وأطفالي. وأخبرني أن في المياه سفينة انجليزية مستعدة للإقلاع، وأنه مستعد لتزويدي بكل ما يلزمي. وليس من المستع أن أكرر هنا ما ساق لي من حجج وما رددت به من حجج مضادة. قال إنه من المستحيل التطور على جزيرة بعيدة ومفكرة من الناس كما أشتهي لأعيش فيها وحدي، لكن يمكنني أن أكون البك المطع في بيتي، وأن أقضي وقتي معتكفاً عن مزينة التسلية كما أريد.

وسلمت بصحة قوله في آخر الأمر ووجدت أن هذا خير ما أفعله. وتركنت لشبونة في الرابع



والحشرين من نوفمبر في سفينة تجارية إنجليزية، لكي لم أسأل عن اسم ربانها، ورافقتي دون يهدرو  
 ذو السفينة وأغرضي عشرير جنبها. وودعي برفقة رحلتان وعانقتي، فاحضنت عناقته بفدرا ما  
 أستطيع. وبعدها هذه الرحلة لم احتفظ بالربان أو بأي من رجاله. وبقيت في كاييتي منظرها  
 بالمرحى. وفي الخامس من ديسمبر ١٧١٥، رسونا في ميناء داؤنر حوالي الساعة صباحا، وفي الثالثة  
 عصرا كنت في بيتي في ريدريف

واستقبلني زوجتي وابنتي بذهول عظيم وفرح بالغ؛ فقد كانوا يعتقدوني ميتا. لكن لا بد  
 ان اعترف ان رؤيتهم ملائمة بالكرامية والقرن والاحتقار، وبما زلت في ذلك فكرة ما يربطني بهم من  
 قوابة. ومع أنني منذ فني المشؤوم من بلاد بني الهويهم، كنت قد روضت نفسي على تحمل رؤية بني  
 الياهو، ومن التحدث مع دون يهدرو دي ميلدير، إلا أن ذاكري وخيالتي كانت عن اندولم عنمة  
 معصائل واذكر أولئك الهويهم البلاء. وحين كنت أفكر أنني إذ عشتك واحدة من جنس الياهو  
 أصبحت أنا لمزيد منهم، كنت أصيب بالغضب والحزن والاضطراب.

حالا دخلت بيتي احضرتني زوجتي بين ذراعيها وراحت تقبلي؛ ولأنني كنت قد فقدت عدة  
 نس تلك الذمة القبيحة طيبة سموت عذبة، فقد وقعت الآن مغشاة على<sup>(١)</sup>، وبقيت كذلك حوالي  
 الساعة. ونظي إذ أكتب لأن قصة رحلاتي، يكون قد انقضى عن عودتي الأخيرة إلى إنجلترا خمس  
 سموت. في السنة الأولى لم أكن أخصي رجوع زوجتي أو أطفائي فريتا مني، فقد كانت راحتهم لا  
 تختل، وكذلك لم أكن أستخرج أن أراهم يأكلون في نفس الغرفة معي. وحتى الآن لا يحسرون على  
 كسر طعامي لم يشرب من كاسي. كذلك لا أستطيع أن أصبح لأي منهم أن يسك يدي. أول  
 بقود انقضاها اشترت بها حصانين فطين شائين. واهتمت لها امطبا مخترا. وهما رسائهما اقرب  
 منفرزين إلى، لأن رائحة الامطيل في اسائس تملئ روعي. ويقهمني الحصانان جيدا إذ احدثت  
 لحيهما كل يوم لفترة لا تقل عن أربع ساعات. وهما غرياء عن أي لجم أو مزجج، وهما يعيشان معي  
 في صداقة ومودة وثام<sup>(٢)</sup>

## الفصل الثاني عشر

صلى المؤلف. هدفه من نشر هذا الكتاب. بعدة لأولئك الرجال الذين يجتهدون عن الحقيقة. المؤلف، يبرئ نفسه من أية ضاية منسوبة من تكتابه. وقد عمل نقد. طريقة احتلال المستعمرات. المؤلف يمدح بلاده. تأكيد على النجاح البريطاني في امتلاك البلاد التي وصفها المؤلف ولمرح تصعوبة فتحها واحتلالها. المؤلف يمدح الفراء ويشرح أساليب حياته في السفيل. يقدم صحيفة طيبة ثم يحسن تكتابه.

وهكذا قدمت لك أيا القارئ الكريم<sup>(١)</sup> تاريخاً صادقاً<sup>(٢)</sup> لرحلاتي خلال ستة عشر عاماً وسبعة أشهر، وحدثت جهدي أن أهتم بالحقيقة أكثر من أهتلي بالأسلوب الممتع والخير شير ربما كان بإمكانني أن أعمل للأخريين<sup>(٣)</sup> غاديتك بحكايات غريبة غير معقولة. ولكني أثرت أن أروي وقائع عادية بأسط طريقة وأسهل أسلوب. لكن هدفي الرئيسي هو أن ألفت على ما حدث لا أن أسليك وأمتعك.

من السهل حيث أن سافر إلى بلاد بعيدة قلتم يزورها الانجليز أو الأوروبيون، كما أنه من السهل اختراع أوصاف لحيوانات عجيبة في البحر أو البر، لكن ينبغي أن يكون الهدف الرئيسي للرحالة هو أن يجعل الناس أكثر حكمة وأحسن سلوكاً، وأن ينور عقولهم بالأمثلة الطيبة والسيئة فيها ويوجههم عن البلاد الأحمية<sup>(٤)</sup>.

تمنى من أعمالي قلبي أن يُسن قانون يلزم كل رحالة قبل أن يؤذن له بنشر رحلاته، أن يُقيم أمام النوردين رئيس القضاة أن كل ما يتوي شره صحيح كل الصفحة حسب علمه. حينذاك لا يمكن التخلي عن الناس كما يحصل في العادة من قبل بعض الكتاب الذين يفرضون على القارئ لغافل تشيع الأكاذيب والأخبار المزيفة لكي يروج كتابهم بين جمهور القراء. فقد قرأت العديد من كتب الرحلات حين كنت غيلاً واستمتعت بها كثيراً. لكني بعد أن زرت معظم أجزاء الكرة الأرضية، واكتشفت بعيني ما يعني الكثير من خرافات تلك الكتب، صرت أشعر كثيراً من هذا النوع من المقروءات واستنكر أن أرى هذا الاستغلال الموهج للناس الصادقين الصادقين. ولهذا، وبعد أن طلب لعالمي أن يظنوا أن كتابي قد لا يكون غير مقبول في بلدي، أشرت بنسي بالبدأ التالي: أن لا أحيث عن الحقيقة وأن أقسمت بها بحزم، ولا يمكن أبداً أن يطري شيء بنحرفها طلالاً بقيت أذكر

محاضرات وقدوة سبني السيل ورفاقه من السادة اهلويهم الأماجد الذين طمنا تشرفت بالاستشهاد  
بأهلهم.

إن كان انقصر المقاسي قد كتب عن سبوتن الشفاء  
فإنه لا يمكن أن يجعله أيضًا من أهل الكلب والرياء<sup>(١)</sup>

أعرف جيدًا أن الكتابات التي لا تطب عبقرية فذة، أو علمًا واسعًا، أو أية موهبة أخرى سوى  
ذاكرة جيدة وذاكرة دقيقة لا تعود على صاحبها بالمشهرة. وأعرف أيضًا أن كتاب الرحلات، مثل  
مؤلفي الغوايس، سرعان ما يهرقون في بحر السبائك تحت وطأة من يتون بعدهم والذين يظفون  
على السطح. وإنه لأمر كبير الاحتمال أن الرحالين الذين سيزورون فيما بعد البلاد الموصوفة في كتاب  
هذه قد يكتشفون أخطاءهم (إن كانت هناك أخطاء) أو يضيفون إلى ما اكتشفوا اكتشافات جديدة  
جديدة، فتجربهم وتكون شهرتهم، ويحتلون مكانهم، وينسى العالم أنه عاش مؤلف اسمه جظفر. ولو  
كنت أكتب للمشهرة وحصل هذا الأمر، لتأملت أنا شديدًا حقًا لكن بما أن هندي الوحيد هو المصنف  
العالم، لمني لا يمكن أن أحتزن كل الحزن. من هنا يقرأ عن الفضائل التي رأيتها في بني اهلويهم  
الأماجد وذكرتها هنا، لا يتجمل من مفايده ومجازيه، ولا سيما أنه يعتبر نفسه أخوان العالم انماهم  
في بلادهم، ولأن أقول شيئًا عن تلك البلاد البعيدة التي يسيطر عليها بنو الياهو، ولا سيما بلاد  
العائلة الذين هم أهل بني الياهو فسادًا وفسادًا، والذين تسعد كثيرًا لو طبعنا ميولهم في الأخلاق  
ونورعدهم في الحكم. لكني لن أسهب أكثر من هذا، ويحري بي أن أترك القارئ الحكم لأرائه  
وتطبيقه.

إن سروري كبير لأن كتابي هذا لا يمكن أن ينال من الشقاء. أية انتقادات أو اعتراضات يمكن  
أن توجه إلى كاتب لا يرى إلا الوقائع العادية التي حدثت في بلاد بعيدة جدًا وليست لنا فيها أية  
مصلحة تجارية أو سياسية؟ لقد حرصت على أن تختص كل عصف بآتهم الكتاب العاديون كثيرًا  
بالوقوع به، ويكون آتهم عادلًا. وبالإضافة إلى ذلك، فانا لا أنتخب بأي حزب، وأكتب دون  
محس أو عجز أو أية مية نحري إنسان أو مجموعة من الناس أيًا كانوا، إنما أكتب لأجل غاية،  
وهي أن أعلم الشر ونورهم وأرضهم، لأنني أزعج نفسي، دون أي تجارز شديد أو تواضع، بشيء  
من التفوق عليهم بسبب الفوائد التي اكتسبها بواسطة التحدث خويلاً مع أكثر بني اهلويهم حكمة  
وفصلاً وعلمًا. ولست أكتب بقصد أنمور بربح أو شهرة. ولم أصبح نفسي بتأخير كلمة واحدة  
يمكن أن يكون فيها شيء من الحزن أو اللعز، أو تطوى على إساءة لأحد. وهكذا أعمل أن أوسعي  
أن أعلن نفسي حقًا، مؤلفًا لا خبير عليه البينة، وأن تستطيع زعم الرحالين من أصحاب لورد والنقد،  
وبالاحاطة والفكر، ولكتشف والتعليق، أن يجدوا ضدهم عدة بؤسوس بها مواهبهم.

اعترف انه قد قيل في هبسا، انه كان لزاماً عليّ بحكم واجبي كمواطن في إنجلترا، ان أقدم مذكرة إلى وزير الخارجية منذ اول عودة لي، لأن أية مد يد بكشفها لمواطن تصبح مدناً للنجاح. لكنني أشك من تكون فتوحاتنا في الجرد التي ذكرتها بسهولة فتوحات فرديناندو كورتيز ضد الأمريكيين (العرافة).<sup>(١٠)</sup> أما أهل لينيوت فلا يسودون تكاليف تجهيز أسطول وجيش لإخضاعهم، ولا أقل أن من الحكمة محاولة غزو عرتقة برونت لنجنيج. ولا اعتقد أن حيث إنجلترا سيمنح في طلي جزيرة طائره محوم فوق الرؤوس. أما الهويهم فإنهم في الخيفة عر مُهْبِئِينَ كما يبدو للحرب التي هي علم غريب عليهم تماماً، ولا سي حرب الخنادق النارية. لكنني لو كنت بوزير دولة لما اشترت قد بغزويهم. ذلك أن حكمتهم، ووحشيتهم وجعلهم للخوف، وجههم إيلادهم تعوضهم عن كون نقص أو عيب في معرفتهم العسكرية. تصيروا عشرين ألفاً من هذه الجبول تقتحم جيشاً أوروبياً، فتفرق الصمود، وتغلب العربات وتنجين وجوه البحارين عجلاً رفقات مرابطة من حوافر الخفية... وبدلاً من الإشارة بعزو ألبام تلك الأمانة استجاعة إمعالة وحضاهيم. أغنى تو توفرت لديهم الرغبة والقدرة على إرسال عدد كافٍ منهم لحمل أوروبا منحصرة، بواسطة تعليمات الملائق الأولى لشرف، وتعديل، والحق والاعتدال، وحسب المصلحة العامة، وأصبر على الشدائد، وانعطف والمظهر، وانصافاً، وحسب الحرب، والإخلاص، وأنواع، وهي كلها فضائل ومثاقب. أسأؤها ما رأت محفوظة لدينا في معظم اللغات، ونجدها في كتب المؤلفين المحدثين القدماء، وهذا ما أستطيع أن أقدم عليه الدليل من مكتبي الصغيرة.

لكن كان لدي سبب آخر جعلني أقول حدث توسيع ممالك جلالتنا ناشئاً مني. أخيفة أن في بعض التحفظات على عدالة الملوك في الخمر على الحقوق في أمم هذه الممالك<sup>(١١)</sup>. وحل سبيل الله. نجمع عاصمتهم مجموعة من المرافعة<sup>(١٢)</sup> إلى حيث لا يعلمون. وأخيراً مكتشف غلام البر من مكانه في قمة الصاري. وينزل القراصة إلى الشاطئ لتسلب والنهب ويعتدون شعباً هناك يستقبلهم بالمعطف والترحاب. فيمضون أبداً أسيراً حديد، ويستولون عليها رسمياً باسم ملكهم. وينصون لوحة خشبية مدهنة أو حجر كعب تذكاري، ويقبلون دستوراً أو ثلاثاً من أهل البلاد، ويعتقلون ملهم ويحملونهم معهم بالقوة كعبيات، ويعودون إلى وطنهم، ويحصلون على عفو من الملك. وهت يبدأ حكم جديد يكسبه معاصر يحمل لقب حاكم ذي حق إلهي، رثيلاً السن في أبداً راحة. ويُلْطَد أهل البلاد من وطنهم أو يُبْطِخون، ويعذب أمرؤهم لكي يكتسبوا عما لديهم من ذهب<sup>(١٣)</sup>. وتباج للغزاه مثل الأعداء للآلية فيستبحون إلى الممرات. وتفرح من الأرض راحة دماء أهل البلاد. وهذه المجموعة من سفاهي القدماء المستغلين في مثل هذه الحملة المقدسة يكونون مستعمرة جديدة، هدفها تحصيل لمصب بدائي يربري بعيد الأثران. وهذا به إلى النتيجة<sup>(١٤)</sup>

وأعترف أن هذا الوصف لا ينطبق أبدًا على الأمة البريطانية<sup>(١٠)</sup> التي يمكن أن يكون حكمها قدرة للعالم كله في الحكمة والخوص والعدل لدى بشر المستعمرات. وفي تبرعاتهم المحلية تُسخر الدين والعلم، واختيارهم لرجال الدين الأتقياء للاكتفاء للتبشير بالمسيحية ونشرها، وحرصهم على تزويد هذه المقاطعات الجديدة بأناس من المملكة الأم معروفون بحسن سيرتهم وحسن حديثهم، والتزامهم القوي بنشر المذهب الجديد للإدارات المدنية في جميع المستعمرات، برجالات ذوي كفاءات عالية ونزاهة لا تعرف الفساد، وينتجون ذلك كله بإسناد حكام من أكثر الناس فضلًا وبقظة ولا همهم سوى سعادة الشعب الذي يتأسسونه وشرف الملك مولاهم.

لكن بما أن البلاد التي وصفته لا تبدو فيها رغبة في أن نخرج ونُسجن، ويُقتل عنها أو يُطردون من قبل مستعمرين، كما أنه ليس فيها الكثير من الذهب أو الخفض أو السكر أو الطباقي، فقد تصورت أنها لا نصالح منها لحمايتنا أو لغرتنا وبأسا أو لاهتمامنا. وعلى كل حال، إذا كان طبيب من بينهم لأمر أكثر أن يروا رأي آخر، فأنه على استعداد لأن يُقسم، حينما يُقَبَّل ذلك مني قانونيًا، (أنه لا يؤر تلك البلاد موروثي قبي قط؛ هذا إذا كان علينا أن نخصق أهل تلك البلاد.

إن مناسبة لتسكت تلك البلاد باسم منيكي. وهذه تشكيلات تم تقطر في على مائة. ولو خُطرت على بالي، فإن وضعي وأحوالي بها كانت تفضي أنه من الحكمة ومن أجل الإبقاء على حقيق أن نُؤجل ذلك حتى نحسن فرصة أفضل.

وهكذا، بعد أن شرحت ردي على الامراض الوحيد الذي يمكن أن يضر صدي كرحنة، أرجو من القارئ الكيس أن يسمح لي بتوجيه نوداع الآخرين: كي أعود لأستمع بأفكاري وتاملاتي في حديقتي الصغيرة في ريدريف. ولأما أس دروس الغضبية الرائعة التي تعلمتها من الهوينيم، ولأعلمني الياهو في عائلتي بقدر ما أجد لديهم رغبة في التعليم، ولأكثر من النظر إلى وجهي في المرآة لعمرى أموء نفسي بمرور الزمن على تحمل رؤية المخنوقات الشريفة، ولأبكي عن هبمية الهوينيم في بلادتي، ونكي تعاملهم دائمًا باحترام وكرامًا أسبدي لنيل وسانته وأصفاته ولكل جنس الهوينيم الشيء تشرف الحيل عندنا بأن تشهها في كل قسائها رغم أن غفوها وتفكيرها قد تدنت وانحطت.

بدأت في الأسبوع الماضي بالترحيل لزوجتي بأن أجلس معي على العشاء لي أعرف البسند من مائدة طويلة، وأن تحب ولكن بإيجاز شديد على الألسنة الغفيلة التي أوجهها فأ ومع ذلك، ولأن رائحة الياهو ما يزال مفرقة جدًا، فأني أبقى أنفي مغفًا بأوراق نباتات ذكية الرائحة كالوراق الملائس والطباق. ومع أنه من الصعب على عجور مثلي أن يتخلص من عادات قديمة متأصلة، فأنني لست بأثنا من أنني سأستصبح ذات يوم أن أحمل صبية أحد جبرائي من حي الياهو دون أن ترادتي المخوف التي ما زالت تسيطر على بانه سيعضني بأسنانه أو يزدبني بمخالبه.

وعموماً، فإنّ رضاي عن بني الياهو قد لا يكون صعب المأل تر أنهم اكتفوا فقط بتلث المضاد والخاصات التي وجدت فيهم بالقطر. وأنه لا يفتني أحد أن أرى عامياً أو نشأاً أو جندياً أو مخرجاً أو لورداً أو مقامراً أو سياسياً أو ابن حرام، أو طبيباً، أو شاهد زور، أو رشيماً، أو خبائثاً أو ما شئت من ذلك. هذا كله من صيرورة الأشياء، لكنني حين أرى مغفلاً كنه سماعات وعمل جسدية وعنفية بينه ضروراً وكبرياء، من كيل صري يطفح، ومن أفهم قد كيف يكس مثل ذلك الحيوان وهذه الرذيلة أن يضفا ويتعايش مغا. إذ أضويهم الحكماء انفصلاء الذين يتحلون بكل الحكارم التي تزين الخلق لعامل ليس لديهم في لغتهم سم هذه الرديئة، ذلك أن لغتهم تحلو من آية لفظة تعبر عن أي شر سوى تلك الانفاظ التي يصغرون بها اخوهم البعيصة نبي الياهو عندهم. لكن ليس ببر هذه الانفاظ ما يعبر عن مفهوم التكريم والحرور، لأنهم لم يجهسوا فيها كالمغفلة الطبيعة البشرية كما تعكس نفسها في البلاد الأخرى التي يمس فيها ذلك الحيوان. لكن لأن أكثر منهم غيرة، فقد استطعت أن ألاحظ بوضوح بعض ملامح هذه الرذيلة في أولئك الياهو المتوحشين.

لكن أهويهم الذين يعيشون حسب حكم العقل وتوجيهه، لا يمحرون أو يغترون بالخلال سميت التي تكونها كما لا ينبغي في أن لهم أو أكثر لأن في ساق وفراخ. ما من عاقل يتأهى بذلك رغم أنه يكون نعيم، ناكاً لم فدهما. وإذا أقف طويلاً عند هذا الموضوع سبب زعمي في أن أجعل عنهم الياهو الاتجيز شيئاً ليس منفراً أو بغيضاً. وهذا لأنني أرجو من لديهم ذرة من هذه الرذيلة السخيفة أن لا ينحرموا عل. المظهور أمني<sup>(١١)</sup>.

التهى بعون الله

## هوامش الترجمة

لقد سُمِّعَ في ربيع هذه الهوامش بأصوات التي أوردتها «بول تيرنر» في الصفحات ٣٠٨ - ٣٧٩ من طبعة «وكسفورد» ١٩٨٠ وذلك التي أوردتها «بيتر ديكسون» و«جون تشوكر» في النصفين ٣١٧ - ٣٦٠ من طبعة «سكوس» ١٩٨٢. ويمكن تصنيف الهوامش التي وردت في النصفين ضمن هذين:

الصف الأول لغوي صرف ويعطي مرادفات الانجليزية الحديثة لبعض الكلمات أو العبارات الإنجليزية الواردة في رحلات جلوفر والتي كانت مفهومة في عصر «سويت» وأصبحت، بعد عوامل التطور اللغوي، غير مفهومة لدى الإنجليز في القرن العشرين. هذه الهوامش لا يوردها هنا ولكنها استُغْنِيَتْ فقط في عملية ترجمة رحلات جلوفر إلى اللغة العربية بحيث تكون ترجمة أمينة ومؤدبة، قدر الإمكان، للمعاني التي أرادها «سويت».

هوامش الصف الثاني هي هوامش «معلوماتية» - إن جاز لنا استخدام هذا الوصف. ذلك أنها تقدم لنا معنويات تلقي ضوءاً على قضية أو أخرى من مضامين الكتاب، مثل قصة المصدر الأدبية أو الفكرية أو الفلسفية التي أوحى للكاتب «سويت» بحادثة أو فكرة أو عبارة أدخلها في الكتاب، أو قضية الأحداث التاريخية أو السياسية أو العلمية المعاصرة والمعاصرة التي يشرح فيها «سويت» عبارة أو صماً أو طريقة رمزية أو تقليدية أو تهكمية أو غير ذلك من أساليب الإشارة في الأدب، أو قضية لأحداث الهامة في حياة «سويت» وعلاقاته الشخصية التي تنعكس في مكان أو آخر من الكتاب.

وقد حرصنا على إيراد معظم هوامش الصف الثاني هذه، وعلى الأخص تلك التي نعتقد ونأمل أنها ستكون مفيدة للقراء والمدرسين والباحثين العرب في التوصل إلى فهم أفضل لهذا الكتاب. لكن ترجمتنا لهوامش التي اعتدناها ليست ذاتي ترجمة حرفية، بل هي ترجمة بتصرف: أحياناً حذفنا منها وأحياناً أضفنا إليها. وقد كان هدفنا ودأبنا في اختيار الهوامش وتصرفنا في ترجمتها هو دائماً عائدة القارئ العربي.

كذلك حرصنا في جميع الهوامش التي اخترناها وترجمناها على إيلاء مصادر المعلومات التي استقى منها «تيرنر» و«ديكسون» و«تشوكر» كما أوردت مصادر المعلومات التي استقى نحن منها فيما أضفناه.

نرجو أن نكون قد اهتدينا إلى الاختيار الصحيح والترجمة الأمينة والإضافات المناسبة.

## ABBREVIATIONS

<b>AM</b>	<i>Atlantic Monthly</i>
<b>Bacon</b>	Works of Francis Bacon, ed. T. Spedding, R.L. Ellis, D.D. Heath, 1857-74.
<b>Bonner</b>	W.H. Bonner, <i>Captain William Dampier</i> , 1934
<b>Buckley</b>	M.W. Buckley, <i>FL</i> , pp. 270-9.
<b>Case</b>	A.F. Case, <i>Four Essays on GT</i> , 1958.
<b>Clark</b>	P.O. Clark, <i>SP</i> , I, 1953, 592-624.
<b>Corr</b>	<i>Correspondence of JS</i> , ed. H. Williams, 1965
<b>DRN</b>	<i>De Rebus Nominis</i> .
<b>Eddy</b>	W.A. Eddy, <i>GT: A Critical Study</i> , 1963 (reprd. from 1923).
<b>Ehrenpreis</b>	1 I. Ehrenpreis, <i>MLN</i> , lxx, 1955, 95-100. 2 <i>PMLA</i> , lxx, 1955, 706-16. 3 <i>PMLA</i> , lxxii, 1957, 680-99. 4 <i>REF</i> , iii, no. 3, 1962, 18-38. 5 <i>Swift: the Man, his Works, and the Age</i> , 1962, 1967
<b>ELH</b>	<i>Journal of English Literary History</i> .
<b>ELN</b>	<i>English Language Notes</i> .
<b>ES</b>	<i>English Studies</i> .
<b>Exp.</b>	<i>The Explicator</i> .
<b>Firth</b>	C.H. Firth, <i>Proceedings of the British Academy</i> , ix, 1919, 237-59.
<b>FL</b>	<i>Fair Liberty Was All His Cry</i> , ed. A.N. Jeffares, 1967.
<b>Frantz</b>	R.W. Frantz, <i>MP</i> , xxx, 1931, 49-57.
<b>Gough</b>	<i>GT</i> , ed. A.B. Gough, 1956 (reprd. from 1915).
<b>GT</b>	<i>Gulliver's Travels</i> .
<b>Histoire</b>	Cyrano de Bergerac, <i>Histoire comique des états et empires de la lune et du soleil</i> , ed. P.L. Jacob, n.d. (c. 1836).
<b>HLQ</b>	<i>Huntingdon Library Quarterly</i> .
ABBREVIATIONS	
<b>JEGP</b>	<i>Journal of English and Germanic Philology</i> .
<b>JHI</b>	<i>Journal of the History of Ideas</i> .
<b>Journal</b>	<i>Swift, Journal to Stella</i> , ed. H. Williams, 1965.
<b>JS</b>	Jonathan Swift.
<b>Kaempfer</b>	E. Kaempfer, <i>History of Japan</i> , tr. J.G. Scheuchzer, 1727.
<b>Kelling</b>	H.D. Kelling, <i>SP</i> , xlviii, 1951, 761-76.
<b>Lucian</b>	Lucian, <i>Satirical Sketches</i> , tr. P. Turner, 1968
<b>Lycurgus</b>	Plutarch, <i>Life of Lycurgus</i> .
<b>Memoirs</b>	<i>Memoirs of Martinus Scribleri</i> , ed. C. Kerby-Miller, 1950.
<b>MLN</b>	<i>Modern Language Notes</i> .
<b>MLR</b>	<i>Modern Language Review</i> .
<b>MLQ</b>	<i>Modern Language Quarterly</i> .
<b>Mogg</b>	F. Mogg, <i>Scientific American</i> , clxxix, 1948, 52-5.
<b>MP</b>	<i>Modern philology</i>



NM	M. Nicolson and N.M. Mahler, in <i>M. Nicolson's Science and Imagination</i> , 1962, pp. 116-54.
NM	M. Nicolson and N.M. Mahler, <i>Annals of Science</i> , ii, 1937, 405-30.
NQ	<i>Notes and Queries</i> .
OED	<i>Oxford English Dictionary</i> .
PMLA	<i>Publications of the Modern Language Association of America</i> .
Pocms	<i>Poems of JS</i> , ed. H. William, 1958.
Pons	E. Pons, <i>Mélanges offerts à M. Abel Lefranc</i> , 1936, pp. 219-28.
PQ	<i>Philological Quarterly</i> .
Prose	<i>Prose Writings of JS</i> , ed. H. Davis, 1959-66.
PTA	<i>PTRS Abridg'd and Dispos'd under General Heads</i> , ed. H. Jones (vol. iv, v: 1700-20), 1721; ed. J. Fames and J. Martyn (vol. vi: 1719-33), 1724.
PTRS	<i>Philosophical Transactions of the Royal Society</i> .
Quintan	M.J. Quintan, <i>PQ</i> , xvi, 1967, 412-17.
Quintana	R. Quintana, <i>Mind and Art of JS</i> , 1953 (reprinted from 1956)
x	ABBREVIATIONS
Rabelais	Rabelais, <i>Gargantua and Pantagruel</i> , tr. J.M. Cohen, 1955.
REL	<i>Review of English Literature</i> .
RES	<i>Review of English Studies</i> .
Scott	<i>Prose Works of JS</i> , ed. Temple Scott, 1897-1908.
SN	<i>Satire Newsletter</i> .
SoR	<i>Southern Review</i> .
SF	<i>Studies in Philology</i> .
SR	<i>Sewanee Review</i> .
Thackeray	W.M. Thackeray, <i>English Humourists of the Eighteenth Century</i> , 1853.
TLS	<i>Times Literary Supplement</i> .
TSE	<i>Tulane Studies in English</i> .
TSL	<i>Texas Studies in Literature and Language</i> .
Utopia	Sir Thomas More, <i>Utopia</i> , tr. P. Turner, 1965.
UTO	<i>University of Toronto Quarterly</i> .
Voyager	<i>Dampier's Voyages</i> , ed. J. Nasefield, 1906.
Williams	GT, ed. H. Williams, 1926.
ZAA	<i>Zeitschrift für Anglistik und Amerikanistik</i> .
Gilver	for
Laurice	C14,
10 Times	
Hind	

## هوامش الترجمة

### إعلان

- (١) 'صيف هذا الإعلان أول مرة في مجلة هوكز (Hooker) التي صدرت عام ١٧٣٥
- (٢) 'ورمادة لـ... سيمبسون إلى الشيطان جيلتر: في هذا النص خطأ مطبعي، العبارة الصحيحة هي: 'ورمادة الشيطان جيلتر إلى قرب سيمبسون'.
- (٣) 'الإحباطات. إشارة إلى الإضافات التي أضفها 'نشر موط' (Motte) في العينة الأولى للكتاب التي صدرت عام ١٧٣٦. ومن الواضح أن موط كان يهدف إلى تجنب الاصطدام بلغات رقابة المطبوعات حينذاك.
- (٤) 'يجب ذكرى ترجمته... برابرس (الوزراء): يمكن التحد والمراجع أن الأوصاف الترجمة لـ... للوزراء. والتواضع في الفصل... من الجزء الرابع، كانت قد مرّجها إلى 'الأمير' (Walpole) رئيس الوزراء في إنجلترا سنة ١٧٣٦. وقد تصرفت النشر موط بحكمة حين سب هذا التلميح إلى انشغال راصف حيا حريلا بمواء أن الملكة آن (Anne) كانت ملكة عليه بنشر لحكم بنفسها ولا تعتمد على رئيس للوزراء، وأن من جاء نطقا من الحكام كانوا يعتمدون على رؤساء وزراء سببت جد وتطبيق عليهم الأوصاف العينة التي ذكرها جيلتر.
- (٥) 'سيد موليون جدار. رأى كان الشخص مثالا إليه هو 'ليلي' (Lilly) الذي كانت لديه نسخة من رحلات جيلتر ركب في هويلتها تصحيحات طابئة كما كتب في الملاحظات البيضاء، فيه تصحيحات رئيسية وهذه الصفحة موجودة الآن في متحف فيكتوريا وألبرت.

## رسالة من القبطان جلفر إلى قريه ميجيسون

(١) أصبحت هذه الرسالة أول مرة في طبعه فوكتز عام ١٧٣٥، وربما كتبت تحفيضا لهذه الطبعة. الاسم «جلفر» يوحي أن صاحبه يتحدج بسهولة. الاسم الكامل له هو «ليوبيل جلفر». الاسم الأول «ليوبيل» يعني «مختبر» ويكتسب هذا. لكن سوفيت يربط. ثم يبدو أن نهكته هي حاس هذا الاسم الذي غشا يذكر الله في أموره أو كماله. كذلك، بسور «سويده» من «جلفر» إذا يعماء بكرة الزعم بأنه حريص على تصديق في حين أنه يكتب بالسرور. ربما يؤكد هذه نسخة لصاية لثانيا المكتوبة تحت صورة «جلفر» في طبعة ١٧٢٥ هذه «سبار» هي "Splendide Mondav" وتعني «كذب كبير»

أما الاسم «سويسون» فهو الاسم المستعار الذي اعلمه «سويسون» لنفسه حين كان يفترض النشر «موط» حول طائفة «رحلات جلفر». وربما كان الهدف من اختيار هذا الاسم هو الإيحاء بوجود قرينة بين «جلفر» و«المطمان» «وليم سويسون». وهو مؤلف، وهي آخر الكتب صدر عام ١٧١٥ بعنوان «رحلة جديدة إلى جزر الهند الشرقية، وهذا هذا الكتاب هي أيضا مسروقة من كتب رحلات سابق:

فريد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: R.W. Franz, *ELQ* (Burlington Library Quarterly), i (1935).  
J29J34

(٢) إحدى الجامعين: «المصدر» ما جامعة «وكسفورد» وجامعة «كليرج».

(٣) «دافير» هو «وليم دافير» (١٦٥٢ - ١٧١٥) الذي كان نرسا ومكتشف ومألف لعدد من كتب الرحلات كلها:

• A New Voyage Round the World (1697).

• Voyages and Descriptions (1699).

• A Voyage to New Holland (1701).

(٤) «الفرد» «عاصم» بالمجموعة «صاحبة» «بجالة الملكة» «الأم».

انظر «المارش» رقم ٤ تحت «علان».

(٥) «سدي» «أصناف» «أورينج». «المصدر» الذي «سافر» في «رته» ونعت «رغابته» حين عاش في بلاد «الحيل» «المطعة» وأنك في الجزء الرابع من «رحلات جلفر».

(٦) أقول «شيء» «مدي» لم يكن: «كذاب». «زاعم» «جلفر» أن «مجمع» «الحيل» «المطعة» لا «عرف» «الكذب» وأنه لا توجد في «لغة» «لك» «الحيل» «كلمة» «تعتز» «عن» «الكذب». «أعرف» «حياة» «مدي» «المصدر» «عن» «الكذب» «في» «قود» «شيء» «الذي» «لم» «يكن».

(٧) لا أعرف «العمل» «الذي» «مطروحة»:

كان «سويسون» «مترجم» «جدا» من «هذه» «التعريفات». وهذا «كتب» «حساب» «لاحتجاج» في ٣ «سفر» ١٧٢٧ «بالرسم» إلى «صديق» «الذي» «غشاه» «بذوره» إلى «الشعر» «مطروحة».

(٨) «الياهو»: الاسم الذي تعلقه «الحول» «الناصفة» «على» «سور» «الشري».

(٩) «مؤلف». هم «يو» «المترجم» «لي» «الحيل» «أولئك» «هم» «بنو» «الياهو» «أي» «شعر»

(١١) مستظيل: ساحل مكتوفة خارج الأسوار الغربية لثيابة لمدينة لندن، وقد تم فيها حرق بعض الوثائق في القرن السادس عشر.

(١٢) قصائد الهجاء والنظم بعد ظهور رحلات جنتر. شر بعض الشعراء في لندن بعض القصائد الفكاهية أو المحذية بخروني لها من «جلفره» مثال ذلك:

Two Lilliputian Odes: The First on the famous Engine with which Captain Gulliver outlandish'd the  
Dames in the Royal Palace... (1727).

(١٣) مفتاح لرموز الكتاب: متر ذلك:

Samuel G. Zoro's Travels... Compendiously methodized... A Key... By Signor Cutilini. 1726.

المستور كورديفره هنا هو الاسم الأنثي لشخص كل اسمه «خفي» («مؤونة كور»).

(١٤) أجزاء يُزعم أنها مودعة: مثل ذلك ما يلي:

Memories of the Court of Lilliput: Written by Captain Gulliver, Containing an Account of the Intrigues  
and some other particular Transactions of that Nation, inserted in the two Volumes of his Travels  
(1727).

(١٥) خطط التوزيع:

بري «أوتر كيسي» (Cave, 1934: 62-63) أن تسبق التوزيع في رحلات جلفر جميع بشكل عام. لكن هناك  
بعض الأخطاء التي لا تكون كلها محضاً، بل هي واردة لا يكون تأثيراً مسؤولاً عنها كلها.

(١٦) المخطوط لأصل قد نكث كله

بري «وتر كيسي» (Cave, 1934: 7) أنه إذا كان المخطوط الذي أعطي للنشر بصرف يد «سويغت»، فقد يكون  
بناشر «معرفة» قد أتتبه عمداً في لا يكون وثيقة «دالة» حده لدى السلطات «تخريبية»

(١٧) يكتفون «مطالعات» البحرية ويعتبرون «كثير» بها. لم يعد مستبعداً:

معظم الإمبراطرات البحرية التي «تتمسكها» «سويغت» ولا مع نفقة «لورن» في وصف «العاصمة» في الفصل  
الأول من الجزء الثاني، مأخوذة من كتاب صدر أول مرة عام ١٦٦٦، عنوانه *Samuel's Magazine* ومؤلفه  
«صموئيل ستورمي» (Samuel Sturmy).

انظر: (Fitzg., 1963: 147-1).

(William, 1958: 469-70).

(١٨) يونويا: اسم جزيرة وهي اختراع «توماس مون» في كتابه الشهير الذي يحمل عنوان *Utopia*. صدر هذا  
الكتاب باللغة اللاتينية عام ١٥١٦ لم يُرجم فيها بعد إلى اللغة الإنجليزية واللغات الأوروبية وأصبح  
كتاباً هاماً. بصور «توماس مون» في هذا الكتاب مجتمعاً مثالياً يتكون من حكومة رشيدة وأمة سعيدة، كلمة  
يونويا مشتقة من «الغريقة» «يونويا» «لا مكان» أو «الملك» «السعيد».

زيد من المعلومات عن هذا الكتاب وفيه «وتر كيسي».

• توماس مون، يونويا، ترجمة وتقديم د. أسيل بخرس سمار (دار المعارف بمصر ١٩٧٤).

(١٩) الحقيقة يقتضيه بها «تقارير» حكايرها:

يعبر هذا القور عن واحدة من «الغرائب» أو «المشاهد» في جميع الخيول «لأخوة» في «صفت» «سويغت» في الفصل  
الثاني من الجزء الرابع في رحلات جلفر.

(٢٠) «الحيوانات» «المتخصصة» «المتعددة» «التي» «تسمى» «هم» «أصناف» «سويغت» من «العد».

## من الناشر إلى القارئ

- (١) كانت هذه المخطايات «مقدمة» النسخة الأولى للكتاب رحلات جعفر التي صدرت عام ١٧٩٦.
- (٢) بائيري: بلطف تمزق في أسماء أهلها (المذهب) «البروتستانت» ولا تزال توجد فيها شواهد لصور تحمل اسم عائلة وجعفر في مقبرة كنيسة «سانت ماري». ويوجد في سجلات الأرشيف ذكر دفن شخص اسمه «صامويل جعفر» في ١٧ أغسطس ١٧٢٨. وقد كان ميمويز هذا، بكل تأكيد جعفر، صاحب مدق اسمه مدق «الدولفين» ومولعة في الجهة الجنوبية من سوق الخيل في تلك البلدة. واسم القسطنطين يوحنا أو لعمري علاقة بحارة البحر.
- (٣) كان معروفًا... والمعرض على الصدق: لناشر يكرر هذا ويكرر «جعفر» من حيث حرمته عن تعديلي. وهذه تكرار للسخرية التي اشتهر بها «أوسيد» صاحب كتاب «تاريخ صافي» الذي يروي حكايات من رحلات مدق بالأعاجيب والأكاذيب. وقد كان هذا الكتاب واحدًا من مصادر «موسيقى» الأدبية.
- (٤) ضيفت حجم هذا الكتاب: هذا القول يقيد سحر لزامهم «أوسيد» ومؤلفه الرحلات «وليم دبيرة» الذي دُعي أنه جد - من «١٨٠٢» رحلة جنيحة حول العالم (١٦٩٧) مصطحبًا بحرية كثيرة كى «صحيح» ميمويز للفراء من أهل نيز التي لا يعرفون حياة البحر، كما دُعي أن هذه الملاحظات شكا كتابًا كافيًا لشرح عام ١٦٩٩ تحت عنوان رحلات وأوصاف Voyage and Description.
- انظر: ■ (Barnes, 1914, 162).









عن: الخليل، وآل فرحة، مطر: (1961، 77-8) (1734).

(١١) كَلِّفُوا لِمَا يَدْعُونَ تَمْلِكُهُمْ وَأَعْبَادُكُمْ يُدْعُونَ لِمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَأَنْتُمْ لَسْتُمْ بِأَعْيُنٍ

يقول ويلارد (Urry, 1983: 84): «... يمكن وأحياناً التعميم بالارتداد وليس العكس».

### الحل الأول : الفصل الثالث

(١) راقع الحال...

كان الرئيس على الجوار رحمة من الصليان الشعب الى عصر وسيت، لكن صلاة والقدس على الجوار كثير،  
تعمل على جوارى من كل شيء الى مكان، أو من كل شيء، فون وسه سق. وقد استمينا وسيت، هذا  
فمنى لكم من مرة وهو يستعملها كـ لشجرة من أنس، بلقا إلى مناصب عالية ليوا أصلاً لها وبهيات لا  
تلافة لها بالبلات الذي، تخلصك نيك بالناصب.

(٦) لمينام: هذا الاسم يعني حلبة تقصير (Cockpit)، 1974: 664؛ KBR، القمصان، ١٩٨٠، وكبير المختلطة. ويطلق الفلاحون «موسين» يعني «الشح ورطب وتكون» الذي أصبح في ١٩٦٤ وفي ١٩٧١ وزير الزراعة، وكان من الناحية الفعلية رئيساً لوزراء في إنجلترا. وقد هاجمه سويت لأنه اعتبره الشؤني من توجيه اتهام بالاعتصام والمخاطبة ضد لورد دوكسغورت ولورد ديلايوتون. وكان من أطراف حرب الجانظن التي كان في السلطة قبل ١٩٧٤، كما كان حبيبين حينئذ لسويت، كما أنه كان وزير (الكون) مسؤولاً عن تعليم الذي كانت منه إيرلندا، ولا سيما حكومة الأنيمية برئاسة ديلاي، فمن حكومة مغشوشة على أهل إيرلندا.

(٣) برتبة إسماعيل - اختلف العسكرون في تحديد الناحية التاريخية التي يمر بها، إسماعيل - بعضهم اعتبره زمناً إسلامياً متأخراً، فغير حكومة الأحرار من ١٧١٧ ول ١٧٢١، وكان أكثرنا مع المتعاطفين من هؤلاء، انظر: (Williams, 1999: 42). وأخرون اعتبروه زمناً إسلامياً قديمية، الذي كان وزير الدولة الأول من ١٧٢١ حتى ١٧٢٤، وكان متبنياً للمؤسسة وسيدتها. انظر (Fath, 1979: 246) وبقى ثلث اعتبروه «دوره تأسست» الذي كان وزير دولة في وزارة حرب الأحرار وكان إسماعيلون يعتبرونه في أول الأمر متديناً لهم في العصر، ومن بعد دمجها بضممتهم إلى «هم» (Carr, 1978: 75).

(٤) وسأخبر من وسائل الملك: يأتي التفتد كذا المقصود من هي «دمودقة يثاندرا» حقيقة الملك جونج الأول، التي كانت لما تقودهم في المعسكر. فمثلاً، حين أُرغم مولودك على الاستقالة عام ١٧١٧ من منصبه بصفته شرفاً مني عاد إلى منصب عام ١٧٢٦ كذلك استعملت نفوذها مقابل رشوة مقدارها عشرة آلاف جنيه للحصول على توظيف خاص، فمثلاً نحاسه مفتوحة وقضى لصالحها على أهل إيرلندا. وقد هاجم «ديريت» في رسالته الشهيرة تحت عنوان «رسائل نادر جورج» هذه الحملة المفتوحة وسدع في إرغام الحكومتين الانجليزية على سحب تلك الحملة وإلغاء ترخيصه. وهذا أصبح وبديته أن يطرأ الأرستقراطية بطلاناً.

[illegible]

(7) فَاَوْتَتْ تَبَعًا مِّنَ الْمَعْرُوفِ هَلْ يَشْكُرُ مَرَّةً

لشركاء الكهنة من العلماء والمعلمين إلى مجرد الخياط وأصحاب الأواني والاسرار، وهذه الفئة:

من أمثال ذلك: كيف يمكن تصميم مربع بنسج عصي؟ وإذا كان طول "أ" مساوياً للوحدة، فكم عدد تكيف تكون مساحة الساحة المربعة قدرها ونصف أو طول ضلعها فلهذا ونصفه؟ وكيف يمكن وضع 24 فارساً بحيث لا يمكن هزيمتهم في هذه الساحة الصغيرة؟ وكيف يتاح لهم القيام بحركات عسكرية من كثر وفقر وغير ذلك في هذا الحيز المحدود؟

ومما نستنتج من وجود هذه الأخطاء؟ هل هي أخطاء عينية أم يتكهن بها المؤلف؟ أم هي أخطاء متعمدة، القصد من التشكيك في صحتها سرعاً المؤلف بعموم وجلاءه حل الصدق والموضوعية، وبالتالي جعله غير حاسم بنسبة القرء؟

(٧) "من الأباطور... جيشه...":

هناك من يرى (Gough, ed. 1915: 352) أن هك إشارة ربما عذبت إلى "تتكم على حد الملك جورج الأول بالاستمرافات العسكرية

(٨) ككتف: النص الأصلي هو "Like a Colossus"، إشارة إلى التمثال الإلهي، مما يخلق شك في ثقافته أنه كان موجوداً "مخرج" السابق في مدخل ميناء أرويس.

(٩) سكاربيني بعلام:

يرى (كلارك 1933: 964-5) أن المقصود بهذا الاسم هو إدوين مارنيويو الذي كان الممثل الرئيسي لجامعة الامتداد، أو الحرب ضد فرنسا، لدى حزب الأحرار. وقد حمله "سويفت" في كتابه عن مرند. وعمل لأحد في جريدة The Examiner بتاريخ 23 نوفمبر 1841. كما وفرت (Fish, 1939: 242) خبراً أن "المعلم" يمثل دافيد أرف نوتشهم الذي استغل نفوذه لتصبح سمعة "سويفت" عمل منصب "سيف" "hiphop" مع أن "نوتشهم" هذا كان حاكماً كل الجهن بأمر الأسطول وسراً أنه عمل وزيراً للبحرية (Lord of the Admiralty) بين 1841 و 1848 وكان يتنافس مع ذلك بأنه حبر في شئون الملاحة البحرية.

(١٠) يلقبوا: نحن الغنوة على أنها قاتل فرنسا.

## الجزء الأول: الفصل الرابع

(١) هولندي: يرى (كلارك 1935: 607) أن هذا الاسم يرمز إلى مدينة لندن، وأن فيه لعبة تغير مواقع الحروب في كلمة لندن

(٢) صنع الفينة لخمسة الف نسخة: قُدر عدد سكان لندن في عام 1700 بحمسة وخمسة ألف (500,000) نسخة

(٣) أكرموني بأهنية لطيفة: يشير وكيس (Cox, 1998: 73) إلى أن هذه تعارة ربما حكس قبل الملكة "ان" إلى حزب المحافظين.

(٤) عند كثير من معيين قمرًا: يقترح Gough (1915: 354) أن كلمة "قمرًا" تعني "سيف". هذا يتفق مع أن الصراع اسري الذي بدأ في إنجلترا خلال الحرب الأهلية كان في العام 1740 (حين كان "سويفت" يبدؤ رحلات جلفر للفتنة) قد استمر لمدة ٧٤ سنة.

(٥) كرايغسلا وسلاوكتان: اسمان استعملهما "سويفت" للإشارة إلى لاون حزبين في إنجلترا وهما حزب الكنيسة العليا (الانجليكانية)، أي حزب المحافظين، وحزب الكنيسة الدنيا (الديويشونيان) الذي كان المذهب "بني لا تعترف بها النبوة"، أي حزب الأحرار.

(٦) قرر جلالة أن يستخدم ذوي الكموب الصغيرة: كان جورج الأول يفضل حزب الأحرار على حزب المحافظين.

- (٧) لدى دني العهد... بعض الميل إلى ذوي الكعوب العالية: كان جورج الثاني حين كان أمير ويلز (أي وليا العهد) يفضل حرب المدافع.
- (٨) سنة ألف قمرًا: يشير (Cough) (1913: 34) أن الشعر القصير ربح. كان ستة آلاف سنة، وهو عمر الإنسان، كما كان الناس يعتقدون حينذاك.
- (٩) طيلة الست والثلاثين قمرًا (الأعيرة)
- نقصود هو الست والثلاثين سنة بين ١٦٨٩ و١٧٢٥. في هذه الفترة قتلت دني إنجلترا وفرنسا حربًا، الأولى وحرب جلف أوتربرخ، وقد امتدت من ١٦٨٩ حتى ١٦٩٧. والثانية (حرب) «البرج» على عرش إسبانيا، وقد بدأت في ١٧٠١ وانتهت بمعاهدة لوترش في عام ١٧١٣.
- (١٠) جث الأموات في الخيل . . .
- المقصود أنه رمز لملك الانجليز، هنري الثامن. جريح اسمه (دني) قام وعظف لأنه لم تستع له بالزواج من دني جيلبر. حاولت كسر البنية (البنية هي رمز عيد الفصح Easter، وبالتالي رمز لدم المسيح) من طريقها الأكبر بالطريقة القديمة (أي: سب، المذهب، التكتوليك). أمر رعاياه بكسر البيض من طرف الأصغر (أي: إنتاج «كبة الانجليكانية» وهكذا فإن أنواع الطيف الأكبر (Big-Endians) هم التكتوليك وأنواع الطيف الأصغر (Small-Endians) هم الانجليكان، (أي: إنتاج الكنيسة لرسمه في «حجر»).
- (١١) لقد أهدى الأباطرة حياته: المقصود هو هو ملك الانجليز «تشارلز الأول».
- (١٢) لقد استأجروا آخر عرشه: المقصود هو تلك الأسطورية «بيس» الثاني.
- (١٣) بليفنك: دني التي كانت خلال حكم «كرومويل» (إنجلترا ملحدًا للكلين (Royalists)، كما كانت بعد ١٦٨٨ ملحدًا لمعالية (Jacobites) الذين كانوا يحاربون إعادة «الستيوارت» إلى عرش إنجلترا.
- (١٤) تجيب ألبع الطوفان الأكبر خطرت...: إشارة إلى الترسد الانجليزى الصادر عام ١٨٠٠ والذي يقضي منع تداول كل الكتاب «التكتوليكيا في إنجلترا، وغربها وأيرلندا».
- (١٥) تنوعي . . . من العمل في الوظائف: حسب التقييم التي صدرت في إنجلترا في ١٦٦١ و١٦٧٢ و١٦٧٨.
- (١٦) قرأهم: أقر كتابهم للناس.
- (١٧) حرب لاحقة: كان «سيفت» ضد «ستوار» الحرب بين فرنسا وإنجلترا اعتر عن ربه هذا في مقاله الشهيرة «تشيرو» عام ١٧٠١ وعناوين «The Conduct of the A. War».
- نظر: (Clegg, 1988: 14).

## الجزء الأول الفصل الخامس

- (١) جريث وديتي وبكل سهولة لحسن من كبر بولج العدو المرحبة.
- يري «تيرنر» (Turner, ed. 1996: 117, Vol. 1) أن كثر أسطول «إسكوبور» إلى تفكك القاعدة البحرية في «دكنز» وألده. حسب مدخله «أولم غيم» (عام ١٧١٣). كذلك يعتبر وصف «ديتور» عدلية جيمر أسطول «ويلفستوك» (١٧٠٥) بأنها «ت وبكل سهولة» دليلًا على كذب «تيرنر» الذي يزعم أنه «خريص على «تصفه» ذلك. أن ملوك البحرية الوحيدة هو «أندام» ويكاد يستحيل من نجاحه العسبة أن يستطيع «تصفه» «حر» حين من وبكل سهولة.
- (٢) على شكل حلال كبير: كان هذا هو شكل أسطول الأرمادا الأسباني حين حاول غزو إنجلترا عام ١٥٨٨.
- (٣) تعب فذلك: يشير «كلاك» (Clunk, 1953: 608) كلمة «تاردا» بأنها تعني "long of gradual birth" — «—» أي: «ذو أمد طويل وصعب». لكن «تيرنر» يفضل تصحيحها بمعنى: «تلف الذي يملك النحس» وعمل هذا الأسلوب



(Pink, 1967: 112). يمكن نقلاً آخرين يرون أن الاستعداد بين هذا الفصل والفصول السابقة واللاحقة هو اختلاف مقصود ويخدم أغراض شبكة من جانب والمهدف الفكري العام من جانب آخر. انظر: (Pink, 1975: 33) من ناحية شبكة، يعمل الفصل السادس بما فيه من وصف للبيئة اليونانية حل لغوية تونيك الفرد بأن يتكلم وحده على غامضة الجنية الموصوفة في الفصل الخامس والشر لخصائص الأعداد) لكن ما حدث بعد الفصل السادس من تأمل على دجلته وشدته الخيالية يحبط تلك التوقعات. وهذا يزيد وصوع بعض الأفكار العامة التي يبدو أنها موهبة أراد توضيحها للقراء بشكل أكثر. من هذه الأفكار أن أسرار عمومتنا معزولة المدنى الصحيحة السليمة للجميع، بسب الطبيعة البشرية الفاسدة، يتناقصها في عارساتهم. من ملئ الأفق من معاني المني، ويتكلم أنشكين. تكن ما فعله الأفق مع دجلته يتناقص مع بدء سكاك المسن. وهذا تجسيد درسي للثورة الساعرة التي يطرح عليها القول العربي «الناصح»: «أنا شر من أحسن إليه»، كي أنه نصير مسر نظرية المنع الاجتماعي بين الأفراد والدين، إذ إن النظرية تعدا متقدمة ومتبوية لكن الوثائق المصونة في الحجة تين نسط لدولة وحبر الأفراد

(3) أسلوب في الكتابة كما فعل السندات في إنجلترا

المصنوعة عن المصنوع، خصوصاً الأوروبيين العرب والصينيين، تقليدية. تكن موهبة أنشاف معنوية اغترها من قبل الفقهة والمثاق، كونهما نجاه المظ من الأسفل للأعلى كما فعل الفلاسفة. والعامات هي اسم قوم لا وجود هو والمعلومة ثانية هي كما فعل السندات في إنجلترا

(T) يمشون وليس الميت في الأسفل..

ريد اسرعي موهبة: هذه النظرية من موهبة في أطلس ميريت حول Herman Melville's Atlas. هذه الصورة تظهر أهل الأبله. (E.D. Bryson, Rubric Allegory, 1956, p.74). انظر: كذلك شامت قصة عن رجل ذئب في ديت هرا (Lionel Hall, Surrey) على طريقة الدفن في ليبوت، وتلاصبت نفسها. انظر: (Google, 1956, 357)

(4) الدحل والاحتيل جوية أكبر... من المرققة:

يشير ميرز (Turner, ed., 1980: 219 Note 13) أن في الشريعت في يونونيا ملكاتب تومس من (1817) ما يده هذا، شترج في وليبيوت. مثال ذلك أن عملية ارتكاب جريمة عاقب بالقول «أنا» التي يُعاقب بها ارتكاب، بطرية. انجيل بطرس سمعان لكاتب يونونيا من 190: زوني كل جريمة تعتبر للعدالة المصنوعة والمغرا، بما مساوية لارتكاب جريمة

(5) الثواب والعقاب المحوزين... استكم:

جى ميرز أن صورة الثواب والعقاب كمفصدين يرتكز عليها حكم مأخوذة من مقالة لوسير واسم ثيل. صدرت عام 1909 وعنوانها "Of Service Virtue".

انظر: (Turner, ed., 1980: 219 Note 2).

(6) معنى شعب ليبوت: يديه، ميرز (Turner, ed., 1980: 219 Note 13): وشعب يونونيا أيضاً.

وانج، في ترجمه د. أنجيل بطرس سمعان لكاتب يونونيا (1971: 196) ما يلي: «ولا تعمل اليونانيين على مذنبية أغرية بالعقوبة فقط، بل يحنون الناس عن التفضلة بأنواع من التكريم»

(7) انكفر بوجود عليه إنية... إن القول هنا بعدم أهمية الكفر بالروح، بأنه وينالوه لشغل الوظائف العامة شبيه بما قاله أفلاطون في يونونيا.

انظر ترجمه د. أنجيل بطرس سمعان لكاتب يونونيا (1971: 197) حيث جاء في الفقرة الأخيرة من ص 215: «... إنهم الشخص الذي يشكر هذه الطريقة من جميع أنواع التكريم ولا يشغل أية وظيفة عامة ولا يكلف أي عمل»

(8) جدي لا يظفر... يُفترض أن المقصود هنا هو الملك هنري الثامن الذي كان بدلاً من مكانة وزرائه

حينئذ لما رزقهم أو موافقتهم على خلعهم ونواله. وكان فلانيس مورا من فحابة هذا الملك الذي لم يخطئ رأس موره لأنه رفض الاعتراف به (أي بمعزري الثاموز) رئيسا للكنيسة في إنجلترا.

(٩) نكرك الجليل منهم بريمة كبرى

المجتمعات البوذية التي تصورهما نكت ونقص الأدية تعتبر موسى الضمير أو الفصيح الأخلاقي جراثيم كثيرة سمحت أشد تعاقب. انظر على سبيل المثال النص التوارد في Francis Godwin's The Man In The Moon (1638)، ١٠٦٦. رزجت ما بين: «كل كواع الكعب والتزييف تعزف هناك حقاً صراخ». كذلك فإن عقوبة احبنة البروجية في يوتوبيا هي العبودية الفانية. يصبح الحائن تباداً. «إذا كان مرة ثانية يؤذ يحاقب، بالموت. وانظر ترجمة: انتجيس بطرس سمعان، يوتوبيا (١٩٧٤)، ص ١٩٤.

(١٠) إن الولدين هما آخر من ينبغي ان يتعهد اليها بترية أطفالا

يقع أهل نيلبيت حول هذا الموضوع مع ما ورد في كتاب جمهورية أفلاطون، وفي ما كان يفعله أهل أسارطة. انظر: (Lysaugus, XVI F).

(١١) وهم دائر يشتمون بعمل ما: هذا بيت شب بليلدا نباله في يوتوبيا حيث يرتب رؤس المدينة لأمر ومحيث لا يفي رجل عطلاً بل يمارس كل عمل بحسن. انظر

ترجمة: انتجيس بطرس سمعان، يوتوبيا (١٩٧٤): ص ١٥٩ وما بعدها.

(١٢) ولكن الأستاذ... لن يسمح... باستخدام حيزات اقتليل أو... ما إلى ذلك.

وهذا شبيه بلذرية «صناعة» التي تشتهر بها البوذية، والتي لم يكن يُسمح فيها للأطفال برفض الطعام: انظر لهم أو بطون من الطرام أو باليك. انظر: (Lysaugus, XXV).

(١٣) قصص غيفة أو حمراء في جمهورية أفلاطون. تقرر الدولة القصص التي تروىها الأمهات وتبرعات للأطفال

(١٤) ينفرد كل أنواع الزينة الشخصية: في يوتوبيا ترى الأطفال فقط بدمود الجواهر. يوجد في نوحه. سمعان في يوتوبيا (ص ١٦٩) النص التالي: ويكمن (بوتوبون) «الآل من شاطئ البحر» والماس والعقيق من بعض العنبر. ولكنهم لا يخرمون ناصحت عب. فود رسوها حديثاً، حفرها، وزئيرا بها بشارهم ويفرح هؤلاء الصغار ويفرحون منه الجلي في صوت الأوى من طعنهم، ولكنهم ما إن شئوا هي العروق وينركوا أن مثل هذه الثوب لا يليق إلا لأطفال، حتى ينجسوها تحلاً...»

(١٥) لم الأحف أي اختلاف أو فرق في تعليمهم: في جمهورية أفلاطون «بما الشكر والإدراك التعليم فيه

(١٦) حمراء... البيضاء. كانت هذه العمارة رمزاً للوزير اخوتة.

(١٧) أبوكى ساحة ميدة عظيمة يرى غيرت (Finn, 39:9: 249) أن في هذه قصة سرية من عمالة «السوء» بزوجة الأولى «قترين شورتز» التي اشتهرت ببخيلتها لإوجها كما اشتهر روبن «واليون» عدم اكرامه بها أو بخيلتها.

(١٨) قُشُورُ وُقُورُ:

يرى أوكيس (Cox, 1954: 80) انها إشارة لنجاسوسين (Parrice) (Parrice) اللذين ستمدهم «ركوب» في هاتكة الأسقف جُزُرِي (Altare) عام ١٧٧٢

(١٩) أقلي... أن يُبنا أن أحدًا زارب قط متعجباً أو مجهول أهمية:

يرى «براق» (U. Brady, 20 th. Century Interpretation G.T., 1966: 6) أنه مطالب من مقارن ك بيرك «متنافس بين قور» «ملف» هذا وقصة «زائر لشرقي في أول القصر السابع التالي» وأن يستجيب «المتالي» ك «جلف» بكذب.

الكن «توتو» (Turner, ed., 1968: 320 Note 42) يشير إلى أن النص قد لا يذكر وجود زوار سريين، ويؤكد فقط سماعك إثبات ذلك.



- (٧) لذلك فمن يعطى نونك الجديدة:
- ويؤلف هذه السيرة مستوحاة من قصة «المشهور» الذي حققا لنفسه هيتون جنبه ثم ربطوه برسمي النحاسون في  
تحتى نكي يدبر خبير النحاسون
- (٨) وهكذا يفعل أعظم الأمراء
- بذكر «تورنر» (Turner, ed., 1960, 322, Note 11) استدل إلى «غودوين» و«غونجلي» أن «زير» «ذلك العظيم»  
في «بلاد فارس» كان يدعى «مورن» الخلد
- وليس السيرة «مورن» بمعنى «وزير» أو «مستشار» أو «خادم أمين وموثوق» أمراً حصيداً على اللغة العربية.
- (٩) الملاحع عن رافة حلاله وزعمه:
- بذكر «تورنر» (Turner, ed., 1960, 322, Note 15) أنه بعد الإعدادات التي فعلت بعد فرد > ١٧٦٠، صدر إعلان  
بفتح راحة الملك. ويفتح «درف» كيدي، (H. D. Kennel, Y. Niles and Querries, CCXIV, 1601) مصدر  
أولاً «أمر» «نيل» في: (Suetonius, Life of Domitian, VI, 2) ويرد فيه كمن «ثلاثي» الذي ترجمه ما بي.  
«له» «أي» «مورين» لا يُعتبر قد حقق «موراً» في مقدمة دون أن يسهل بالإعلان عن رافته، بحيث أصبحت  
«تبدأ» «لني» «تبدو» متعذرة «بشأن» «كثيراً» «في» «حالة» «سروعة».
- (١٠) «لكني» «كنت» «قد» «قرأت» «خس» «حضور» «هذه» «ثقوة»
- بعد «مير» (Hirsh 1919: 214) أن هذا «النس» «ينطوي» «على» «الأعداء» «التي» «تدفع» «بها» «وبيلتر» «سين» «فر» «إلى» «فرنسا»  
«وقت» «ذلك» «بعض» «أشخاص» «كثيرين» «ومتكررة»... «أن» «لذلك» «الذين» «تدعم» «السلطة» «لا» «يأخذ» «لهم» «والقدرة» «على» «تنفيذ» «قد»  
«غور» «ملاحظتي» «سعى» «يوسلوني» «إلى» «استئذان»... «ولكن» «تتبع» «في» «إيراني» «بعد» «أن» «تقرب» «الفضة» «عز» «من» «الدراج» «يفر»  
«تنفيذ» «ذلك» «في» «الحل».

## الجزء الأول: الفصل الثامن

- (١) أرسل شخصية مرموقة:
- كثيراً ما قدّم «بيلتر» «واسطة» «معه» «في» «الدبلوماسية». «احتجاجات» «إلى» «فرنسا» «حول» «منح» «الأموال» «للحرب»  
«السامي» «لديها».
- (٢) اكتشفت... أنه كان سعيداً جداً بفراري.
- حين وصل «بيلتر» «إلى» «فرنسا» أصبح «وزير» «دولة» «المسألة» «عز» «إنجلترا» (The Pretender) «وكان» «لورد»  
«الربيع» «عمر» «ملك» «فرنسا» «حينذاك» «متعلق» «مع» «العائلة»: «على» «اعتراف» «بين» «جيمس» «الثاني» «وهو» «المعالم» «عز»  
«إنجلترا» «ملكاً» «على» «بيلتر» «لكن» «حين» «تولى» «توماس» «الربيع» «عمر» «بعد» «ذلك» «بشأن» «شهر» «وأصبح» «دوق» «أورلينز»  
«وصياً» «على» «عرش» «فرنسا» «فررت» «فرنسا» «بقية» ««الدوق»» «وقد» «تساعات» «لديها» «انظر» ««تورنر»» (Turner, ed., 1960: 822, Note 2).
- (٣) وأحدها «تتأمل» «وتكاثرت»:
- «بيلتر» «من» «له» «مصلحة» «شخصية» «في» «غل» «الحيل» «الفر» «إلى» «بلاده» «وجمعها» «تتكاثر» «هناك» «لكنه» «حين» «يصل» «إلى»  
«بلاد» «البلقاء» «يصبح» «قرباً» «فيها» «يعرض» «أمر» «لها» «لديها» «على» «تحده» «مناك» «العلاقة» «يرتبط» «أكثر» «من» «سببه» ««بيلتر»»  
«وتزدوجها» «به» «لكن» «بشأن» «دولة» «من» «الفر» «انظر» ««وخلات» «بيلتر» «الفر» «الثاني»: «الفصل» «ثامن»: «الفر» «الأول».
- (٤) «فانتهج»... «بعض» «أقوال» «لا» «تستطيع» ««بيلتر»» «إن» «كل» «دولة» «بعضها» «بالطريقة» «التي» «أفصح» «بها» «بعض» «السبب».  
«هكذا» «يصبح» «ذلك» «على» «صحة» «أقواله» «شبه» «بالذي» «الذي» «عرض» ««دوبلان»» «حين» «يقع» «قصص» «عجيبة» «عن» «حياة»  
«المجتمع» «حل» «الفر» «قال» ««دوبلان»»: ««هنا» «هذا» «كأن» «عليه» «أجل» «توق» «الفر» ««ان» «كنت» «لا» «تصدقون» «أخبار»



إلى القسم والظروف المتعددة.

نظر تورنر، (Turner, ed. 1907-1921, Note 1).

(٥) حيث أن هناك كثرة... بعضها .

قارن استعمال «حقير» لحيوانات القردة هنا باستغلال العمال في المزرع «حقير» بعد أن عمل على «حقيره» في مزارع وأواه في بيت (انظر رحلات جلفر، الجزء الثاني، الفصل الثاني والفصل الثالث). الاستغلال واحد في الحالتين، لكن «جلفر» لا يراه بمثابة في المادة الأولى لأنه هو المنفع بينما يراه استغلالاً بشراً في المادة الثانية لأن غيره كان المنفع حيناً كان هو المنفعة.

(٦) وهي التي لا تشع في رؤية بلاد أجنبية:

شهوة البشر إلى بلاد أجنبية استغيات كحافز للرحلات في الكثير من بعض الرحلات، وأشهرها قصة رولفون كرويزو، وقصة يونويبا، وكذلك في قصة داوسيان «مليون تاريخ هافن».

(٧) فهدى بلاش بل: (أي فهدى الثور الأسود)، كان هذا اسم لنفق سفيني في «هونبورن» مقابل شارع «ميرزوين» في لندن.

(٨) اسفينه أذلقشتر: (أي للذئبة)

لاحظ أن «حقير» بدأ مرحلة ثانية التي انتهت به في بلاد لميولفة إلى سفينة تحمل هذا الاسم، كذلك بدأ رحلته «راعة» التي توصلت إلى بلاد الجويل ناسفا إلى سفينة أخرى تحمل الاسم نفسه. ويشر فويلان (N.J. 1962, p. 119) Quinlan, Philosophical Quarterly, XI, VI, 1962, إلى أنه كان هناك سفن كثيرة تحمل هذا الاسم، وأن الكثير من قباطة هذه السفن كانوا يهدون في مشاكل الجاهل الشعبي، ومنهم، على سبيل المثال، اللقطان «ويليم بيلد» William Budd الذي تحول إلى فريمان ثم فريزر عليه وأمين عام ١٧٠٦

## الجزء الثاني: رحلة إلى تروويد لجنتاج

### الجزء الثاني - الفصل الأول

(١) تروويد لجنتاج: لاحظ أن حرف (ج) هنا يُنطق بطرس أهل قصته في مصر حين يتشوق كليل مثل «حليل» ويجيد.

ونظر التبريد (Turner, ed. 1990: 324 Note 1) أن كلمة "Bredbringag" ربما كانت منحوتة من حروف الكهنة *gaganc* و *angar* و *mulit* (أي بلاد الصحرة وليس البلاد وكر الأبيسليم).

(٢) حين وجدنا الربيع هرجاء وعاصفة بحث تنقذ دفع الربيع ونسر بالجماعها: يرى «تبريد» (1990: 324, Note 5) أن هذه العبارة كلها إزداحة بدلا من إزداحة نبحرية التي تذكر في كتب الرحلات فكانت تكون مقلوبة حرف من كتاب: 16: 17 pp. 1669: *Samuel Purchas's Pilgrimage*. وهذا ما نك به أبشأ وليس إديه وهذا. ولتترو.

انظر: (Edly, 1965: 143-144)

(Kilgus, 1976: 464-465)

هذا وقد جنحتنا في ترجمة هذه العبارة على الشروع التي أوردها «تبريد» (Turner, 1990: 324-5, Note 5).

(٣) الأجزاء الغربية الشمالية من بلاد الشام الواقعة: صورة *Group Turner* الموجودة في النسخ الإنجليزية منولة من *German Moll's Atlas Maritima* الذي حل محل الأرض الواقعة شرق الصين والذي يُدعى مانتشا الآن «مين»... عبارة «الغربية الشمالية» خطأ والصحيح هو «الشرقية الشمالية»

(٤) وأبشأ... صلاتاً بظواهرهم في البحر...

يقترح «تبريد» (1990: 325, Note 29) أن يكون «مبغضه» قد استوحى هذا الوصف والموقف من الملحمة الشعرية الإلياذة عندما قرأه فيرجيل (*Virgil, Aeneid*, III, 662 ff) حيث يجرى نهر «الكنوب» «المعلق» «بيرليسيوس» البحر مطرداً صلباً «إبيس»

(٥) وكان في الخطرة الواحدة يقطع عشر ياردات تقريباً

إذا كانت نسبة تقديرات في دبلن في «المعلق» هي ١ إلى ١٢ فذلك يعني أن طول المعلق هو حوالي ٧٩ قدماً أيضاً (Edly, 1965: 143-144) أو «متر» (1990: 324, Note 5) الذي يعتبر نسبة التقدير ١ إلى ١٠ يرى أن وجود رأسه على ١٠ قدماً أمر مستحيل جداً إلا إذا صممه هيئة امرأة كبيرة تجعله قادراً على حمل وزنه الذي يبلغ ٩٠ طناً. كان يكون له رأس «مصر» وعلى الخن، و«مصر» «مصر» ومكان أقصر... الخ.

(٦) ومشيئة المخلوقات البشرية... نقاسب طرفة مع جسمها:

كان هذا هو الرأي التقليدي القديم في مصر «مصر» وهذا هو ما يتطرق عليه عرب شكسبير.

... Of it is excellent

To have a giant's strength, but it is tyrannous

To use it like a giant.

ومذا هو الرئي الذي يؤمنه التباوسيا وتلك، لايت اليونانية والرومانية، ويصوت "و" و"د" فيها عن المبالغة  
الديسكوتوب، Cyclops.

لكن "ديويت" يدعي: القوة، تصوير متطلب للمبالغة في جميع "ديويكتاتخ"، حيث يصمم أنهم "الآخر الأمم"  
إنسانية وأنها حركات وانظر رحلات حلفاء: الجزء الرابع، الفصل الثامن عشر.

(٢٦) لا شك أن العلاقة على صوت: ...

المقصود هنا هو الألف، "تيسوف" (يوزج بركلي)، وكان معادل لـ "ديويت" وصيغته له، وكان من نظرياته  
الفلسفية أن حجم الألف ليس له صلة ثابتة من حيث التكرار أو العكس، بل هي معكبات تتغير حسب نوع  
المخلوق الناظر إلى تلك الألف، وتكرر مثل عن ذلك أن "ديفلو" وأه الأقارب جيلاني ضخامة حجمه ينهز وأه  
لمبالغة حشرة صغيرة.

(٢٧) كتب حراسة بنسوي ... أربعة ثبات:

وما كان هذا الوصف مستوحى، في رأي كثيره (1980: 326 Note 4)، من إحدى قصص المؤرخين التي نجد  
فيها أن بعض كلاب سيمون وأكبر قليلاً من الألف اعتدية.

(٢٨) وهذا هو الذي التوحيد من شعر هذا التقرير ... عن رحلتي ...

يرى ديفيرو (1980: 326, Note 4): شيئاً بين هـ الألف والاهتمامات والتجربة التي برغم في كتابه Voyages, I.

(٢٩) أنه لا قصد من نشر كتابه مجرد رواية قصص، وخاصة من هذا النوع، بل هو يهدف علقاً إلى الترويج  
لمعرفة القيدة ولكن من شأنه أن يقدم معلومة ملائمة.

(٣٠) دون تصنع المعرفة بالمعلوم وتكثف السمات الأسلوبية ...

وهذا القول أيضاً مشابه لقول دافيسون في كتابه (Voyages, I, 10). وأما بالنسبة لأسلوب، فليس من الشك  
من بعد أن يتكثف الأسلوب الرفيع، حتى لو شكك في ذلك، لا يظهر أنه ماهر على ذلك في  
كتاب من هذا النوع، ومن متبع أنه إذا كان ما القول معقولاً، على يكون أسلوب التفسير أهمية كبيرة.

## الجزء الثاني: الفصل الثاني

(١) كانت هذه افتكاه، تصغيراً: قلادة عرق القدم وإلمامي ملاهي أو تزاعها عني:

هذا لما من علاقة حائر والمبالغة الصغيرة وما يحدث (٢) في كتاب تاريخ مصحح للفرس، Histoire  
(1659) Comique de La Luan، حيث يجهز المؤلف "سيرانو دو برجرات" (Cyrano de Bergerac) أنه حين صار  
إلى القمر وجد فيه نساء من المبالغة بتزوج ضويع من ١٦ إلى 2٠ فتاة، وولدت في شبه، على وصيقت  
الملكة (٣) ما يحدث في إحدى قصص ألف ليلة (Arabian Nights) التي تزاوت من الفرنسية إلى الإنجليزية  
عام ١٧٠٤، حيث يقع نفس بصرى أسيراء في ت المبالغة، وتلك القصة هي سمات المبالغة دمة تقوم هي  
بإثباته وكتاب وضعها عند.

انظر تيرر (1990: 327 Note 3).

وانظر أيضاً (1980: 326-327).

(٦) وتكثف ذلك تكتيش، وتجربيلتويج.

بعد اختراع "ديويت" في كتاب رحلات جيفر الكثير من الكلمات والمبارات غير المتروكة أو المروعة في اللغة  
الإنجليزية، المبتدئين الكسنيين. وقد حثفت الشراح والمفسرون والشعراء حول معنى هذه الكلمات والمبارات، وإن  
كان هذا معان محتملة، وحول الأصول المتفوية لها، إن كان لها أصول، وحول العاية من اختراعها.

واخففة أن الكثير من الكلمات والمعارف التي استعملها سويتس؛ فبيلة حل الألسن بحيث يصعب نطقها، كما أنها حربية على المستمع بسبب لا تشبيهاً الأدق ولا دافعاً بسرعة وهي قوق ذلك كله لا سوي للأكاديمية بعدن أصبحت، من هي أقرب إلى الفلاسف والأفكار السهية من إلى الكلمات التي تعبر عن معنى، بل إنها تبدو أحياناً مجرد أصوات متناثرة وغير كونه متناوذة. وكان المؤلف يريد أن يداعب بها القراء مدعية مرفعة.

وقال هذه الكلمات والعبارات المتعرجة أو المتعرجة أو المتعرجة كثيراً كثيراً دليلاً للفراء والمفسرين والفكر من الإنجليز، لكنها بالنسبة لأب، اللغز، الأخرى نفس اللغز، عسراً على الفهم واضعاً والمحل. رعد، بعد مزعمه انكذب مثلاً بالغا لدى مواجعتها. أما الذين يترجمون فكذب إلى لغة العربية فإنهم حين يواجهون هذه الكلمات يجدون أنفسهم في وضع بلغ الصعوبة، وخصوصاً في غياب علامات التشكيل.

كيف تكتب بالعربية كلمات مثل Brodclingdag أو Guldreg أو Glundadilich؟

كأن تبال، حل سين انذار، حل المشكلة بالعائذ، وتجاهلها. بل أن يكتب «Brodclingdag» بحروف عربية ترسم لاسم إلى بلاد لغزها، ويبدأ «Guldreg» كتب «الغزو»، و«Glundadilich» كتب «الحاسة».

انظر: كامل كياتي، جيلفر: الرحلة الثانية في بلاد العائذ (دار المعارف: مصر: بلا تاريخ)، ص ٢٨. عبد الفتاح صدي (رحلات جيلفر ١٩٠٩) اتخذ موقفاً متذبذباً فقد حل المشكلة بالذات وتجاهلها أحياناً (ص ٥٩ و٦٨ مثلاً)، وفي أحيان أخرى كتب بعض الأسماء العربية بحروف عربية ولكن دون أن يعرض الشك. مثلاً: «Glundadilich» أصبحت في ترجمته «غلنداديلش» (ص ٢٧٤)، و«Brodclingdag» أصبحت في ترجمته «دولندورده» (ص ٢٧٧)...

أد ميشال، صاحب «رجل بين الأقزام» الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨، فقد كتب الكثير من هذه الكلمات والأسماء لغزاً بحروف عربية لك أن يستعمل علامات التشكيل. فمثلاً «Brodclingdag» أصبحت في ترجمه «بريدانجداج» و«Glundadilich» أصبحت «جلنداديلش».

ولقد يلقي الجذور التالي بعض الضوء على أسماء المشكلة في الترجمة إلى العربية.

الترجم الكلمات والأسماء التي استعملها سويتس وترجمه آدم اسم المترجم

جلنداديلش	Glundadilich	بلاد العائذ	Brodclingdag	عبد الفتاح صدي (١٩٠٩)
الغزو	غلومديش	بلاد العائذ	بلاد العائذ	كامل كياتي
جلنداديلش	جلنداديلش	بلاد العائذ	بلاد العائذ	ميشال صدي
جلنداديلش	جلنداديلش	بلاد العائذ	بلاد العائذ	عبد محمد زياحي
جلنداديلش	جلنداديلش	بلاد العائذ	بلاد العائذ	ترجمت الحانة

(T) لغة صعبة خاصة بي

بغيراً «غيراً» (1980: 327, Note 5) أو «سويتس» كان يطلق اسم «لغة صعبة» على الاصطلاحات التي كان يستعملها هو ومثلاً في رمانها كمال لاسر.

(٤) غزافي مقابل لغز على جمهور.

«سويتس» يترجمه في قصته عن رحته إلى القمر، يترجم عن الجذور الضري يوسف فزاً في سيرة صدي (Fifty, 1980: 22).

(٥) لو كان ملك بريطاني مكال.

برق «ديزير» (1980: 327, Note 12) أو «سويتس» ربما كان يفهم هذه العبارة «الإشارة إلى أن تلك الجورج



هي عقل، في رأي أولئكاء اطروا لاجيرة ويشترأ أن في رأي أولئكاء فهي مديح فاسفة «دوروي أولئكاء» (أجرة  
«سفر أولئكاء» انظر:

<sup>4</sup> (Whitcomb, 1326-437).

<sup>5</sup> (Ehrenpreis, PMLA, LXXII, 1957, 486).

(٢٢) تصور أني أنه شبيهة بالساعة . لكنه حين سمع صوتي . . .  
رد: لأن «ساعت» قد استوحى هذه الأفكار كما فك «ديكارت» في كتابه له هو: Discourse on Method, tr. L.J. La Heur, 1956, p. 16  
«ولما يلي نوحه لفوك «ديكارت»  
«إن كان لنا الآلة تشبه ساعة ونظف «فكانت» . . . فإد يجرى له طريقك تعرف بين أن هذه الآلات ليست.  
رسم كل شيء، بشرًا حقيقيين أو غير، أبدا من نسطيع تلكلات، أو كذا إشارات معقدة أخرى كذا بفعل «بشر  
لأشرف «ديكارت» «لاخرين» . نظف:  
(Licencees, R.L.L. III, 1 (1962), 26-29).

(٢٣) أحسن، أني لا يمكن أن تكون من إنتاج الفوائز الماثلة في الطبيعة:  
نعرش «سيرا» إلى حصر مثل قام به فلاسفة عصر وأخرها به إن استنتاج مثل: بأنه علة من فلتات  
الطبيعة . «طرق»

<sup>6</sup> Cyrano de Bergerac, Histoire Comique de La Lune, op. 117, 142.

<sup>7</sup> Eddy, 1962, 126-7.

(٢٤) وهذا قرار يتناسب الفلسفة الحديثة . . . أسباب خفية . . .  
قد تنطوي هذه الحارات على: «بكره سطر من «ديكارت» الذي ذكر في كتابه Optics (الطبعة الثانية: 1٧١٧) إن  
العلم الحديث بدأ بمجديه من الفلاسفة العامة في الطبيعة أكثر نشأة بكثير من الفلسفة «الارسطية»  
(Aristotelianism) وما نوحه من «خصائص خفية» . وقد ورد في «نقطة الرابعة من كتاب «سيرن» (Optics,  
4th ed., 1790, p. 377) ما نوحه: «إن الفوك مثل هذه «خصائص خفية» قد وضح غاية المظهر في «فلسفة  
الطبيعة» . وقد رُفِض في السنوات الأخيرة. إن «فوك» بأن لكل حرس من الأشياء «خصائص معينة خفية» عمله  
بمثل ويصلي نتائج ملموسة طبقاً لما قول لا يوضح لنا أي شيء» . «ريد «سويت» هنا بأن «تفسر ظاهرة من  
الظواهر على أنها Cause motrice (أي: فلتة من فلتات الطبيعة، أو ظاهرة لا تخضع للموجبات العامة في الطبيعة)  
هو تفسير حروري شبه في «حروية» «تتبع» الذي يشير إلى «خصائص خفية» .  
هذا، ويكرر «سويت» الإشارة إلى هذا الموضوع في الجزء الثالث من الفصل الثامن من «حالات جلفر» حيث  
يجري مقابلة بين «الارسطو» و«ديكارت» ويشير إلى «نظرية «ليوت» في «الطبيعة» .

(٢٥) زلهم لم يجعلون «ساعة» «استقرار» . . .  
«سحرة» من تسبب العلماء العالم على جهلهم بنوع «سويت» «طريقة «الرسيل» الذي يلون في ص ٦٦ من  
كتابه (Diderot's *Encyclopédie*) . رغم «سوية» التذك من «توزيع» «فلسف» [يفسد العلماء] لا يطرحون نظرية ما على أنها  
«فرضية مؤقتة» بل يبدلون «سوية» «سنة» كذا «ليوت» أن لا يمكن لأية نظرية أخرى أن تكون «سويت» .  
انظر كذلك «سويت» «فلسف» [سيد جلفر وأستاذ] في الجزء الرابع - الفصل الثالث من «حالات جلفر» . حين بنهم  
الحصان «سوية» «جلفر» «الكذب» لأنه يقول «وجود بلاد أخرى غير بلاد «الفرن»  
(٢٦) ومثالي إن كنت من حزب الأحرار أو حزب المحافظين

كان «سويت» غير راض عن انطباع روح «التحرر» . وفي مقابل له «سوان Sentiments of a Church of England Man»  
«١٧١٨» يقول ما بعد: . . . «أنا» «سويت» روح «التحرر» منه كل «سوان» «الاحسان» «الجول» «الأخوة» «وكرم  
«الصيانة» . «لضحت» كل «روبط» «الصداقة» «قسمة» «المثلثات» «على» «سويت» . «ولا» «سويت» أن «سويت» «ذلك» «سوان» «سوان»  
«من» «سويت» «سويت» «سوان» لا «سوان» من «سويت» «سويت» «سوان» «ذلك» «سويت» «سوان» . «بل» «سويت» «سوان»







(٥) النافذة الكبرى بمحاذي لرساي، كان له حين خطاف من بعض إلى ارتفاع ٧٥ نفماً انظر: [Turner, ed. (1892, Note 18).

(٦) حتى وصل إلى سطح مجاور لسطحنا . . .

يؤكد تورنر (Note 12) 312-350) أنه نفسه «حقق» هذه مع الفرد كانت قد كتبت نس يوليو ١٧٩٢ حين كتبت ولأبيه (وهو الاسم المستعار لعدة كان «بها» ويزن سوفيت علاقة حب قوي) إلى «سوفيت» رسالة نصفه فيها حصص تنسب الخطين اللين يشبهون الفرد وكتبت قد كتبت بهم في إحدى لحظات، ويقول في الرسالة: «راحت من هؤلاء المبررات خلع مرسى وزج يدي إعجابه «شديد» بي حتى . . . تجل لي أنه مسيطر ويصعد لي إلى سطح المنزل وبنائي كي موسى أحد أصدقائك. . .» (E. Williams, Correspondence of J.S., (1965), Vol II, p. 428).

(٧) اختضعت طريقي كومة من روث المير:

ربما أسوس سوفيت هذه «نقطة من قصة مختلة في الإلياذة حيث يكون «مخاض» حل روث الفور في سباق في نضار لكنه يترحل على كومة من روث المير ويضع مسطراً على وجهه في مروت.

## الجزء الثاني: الفصل السادس

(١) موسيقاهم ليت مرجحة:

يقول «صامويل جونسون» (S. Johnson, Lives, ed. G.B. Hill 1968, III 53) إن «سوفيت» لم يكن يحب الموسيقى ولم يكن يفهمها، وبته قال ذات مرة «كنت أعرف شيئاً عن الموسيقى، وكل موسيقى تُني في الكون لا تُعادي عذبي شيئاً».

(٢) ليها ثلاث عائل حفيظة

يشير «فريش» (Fitch, 1919 373) أن اسكتلندا لم تتحد مع إنجلترا بشكل نهائي إلا عام ١٧٠٧ (أي بعد عودة إنجلترا من برلينغتون سنة واحدة). لكن ذلك وليو زوجته الملكة ماري كانت لأسبانيا مديون حين اسكتلندا، عام ١٦٨٩، كما أصبحوا أيضاً بعد معركة بيلو (Bellona) عام ١٦٩١ مديون على إيرلند أيضاً وتغلبوا.

(٣) لعينة البلفة التي تبتلي في تعليمهم.

قدّر كلام «جلفر» هذا من تعليم أبناء اسكتلندا مع رأي «سوفيت» في سوء تعليم أبناء الأثرياء وكذا الفروع. وهو يقول في إحدى مقالاته (Intelligence IX) ما يلي: «يزداد سوء التربية والتعجب بقدر ما تزداد ثروة المولدين وعظمتها. ولست أشك من الإخلاق أن لو كان الحال كما تحت حكم ملك واحد، لكان الاسم الوحيد لذلك الملك وورث عرشه من بعده هو أسوأ شيء البشر تربية وخلقاً منذ بدء الخليقة».

انظر: (E. Davis, ed. Prose Writings of J.S., 1899-1906, XII, 46).

(٤) المحكمة العليا التي تكون أحكامها مبررة ونافذة: كان مجلس اللوردات هو المحكمة العليا التي ليس لأحكامها استئناف، وهذا واضح كان «سوفيت» عجج عليه.

(٥) لم يتعرف أعدائهم قط: كان انحراف والخطوات الثلاث الأرستقراطية موضوعاً تقليدياً متكرراً للأدباء الساعرين منذ «الغصن» الساخرة للشاعر الروماني الساخر جوفال (١١٠ - ١١٥ م).

(٦) بعد أن يبحرنا عليهم . . . آباء رومانيون نرجس الذين والشعب:

ربما كان «سوفيت» وهو يكتب هذه الكلمات عن أساق «مختل» يكره نفسه في الحصول على منصب «أسقف» (Bishop).

(٧) دون أن يكونوا قط نذنين لأحد النبلاء . . .

ربما كانت هذه العبارة تعريضاً (دور وارتون) الذي ذكر «سوفيت» في رسالة له عام ١٧١٠ أنه (أي إيرل

وإرتون] حاول أن يُرغم أحد رجبى مكتبة لديه على منصب أمينه لأنه لم أن يزوج غلبة كان الأمير قد ملأها وأراد التخلص منها

(٨) وكيف يحدث أن يرغب الناس... إلى الرضوخ إلى عبودية هذا المجلس.

جوى إيريسين: (Eluengere PMLA, LXII, 1957, p. 138) أن سويت استوحى هذه الإشارة من رسالة الصومع التي كتبها دويليم بلير (William Temple, Works, 1970, II, 25-7).

(٩) فإنه لا يفهم كيف تظفر الدولة أكثر من مؤامره...

يظل رأي الملك هنا الساسة الانصيادية لحرب المحافظين الذين كانوا يحاربون مبدأ اقتراض الدولة من الشعب حسب رأيهم، بالمقارن القديم. انظر (Firth, 1912-1917) وقد بدأ تطبيق هذا مبدأ في 1692 في ظل حكومة حزب الأحرار، ثم وُضع به نظام خاص من قبل بنك إنجلترا في 1694.

(١٠) أن جبرائيل لا بد أن يكونوا أعلى من موكنا:

يقال أن سويت أراد هذه الصورة لتبلي من الفكر الإنجيلي المظفر وماثيورو الذي حقق لإنجلترا إعلان عسكري بانتصاره على تراثيين وسافانته، ولحقى كان من دعه استمرار الحرب ضد فرنسا (ويطرح أثيرت) (Conduct of the Allies, Note 271, 1982) إلى قول سويت: في مقاله المشهورة حولك اجتماع: (Conduct of the Allies, Note 271) من يطعن دعوة الحرب... أن كتب مذمة لمهولدين... تعريض كاتب ما من خساره ستة ملايين من الفون؟ لس في كل هذا أية فائدة... وليس له أية غاية سوى... زيادة شهرة بلدنا (انظر: يقصد: ماثيورو) وثروتته.

النص الإنجليزي موجود في: 11. Davis, ed., *Prose Writings of J.S.* (1959-60), VI, 20.

(١١) جيش دائم من المرتزقة...

هناك اعتراضات على الاحتفاظ بجيش دائم في الكتيبات التالية

■ يونيوا تأليف ديماس موره وترجمة د. أمين بطرس سمعان (1972). من 1971 و1972.

\* See William Temple, *Works*, 1970, I, 2.

\* Eluengere, PMLA, LXVII, 1957, 280-9.

كما كان الاعتراض على الاحتفاظ بجيش دائم من اسلوى ثلاثة طرود المحافظين انظر: (Firth, 1912-1917: 247).

(١٢) إنه لا يعرف سبب لإجبار الناس... فبعض وهوان

يقبل المسيحية، بحرية الفرد في اختيار معتقده الشخصية لأن ذلك ونفع لا يمكن إنكاره وتحمله، لكنه في الوقت نفسه يرفض حرية نشر المعتقدات الشخصية إذا كانت تتعارض مع المعتقدات العامة تعارفاً صارخاً يؤدي إلى بطلان أفكار الأمة وإلى انقسام الأمة إلى طوائف متناحرة. انظر غوبه في مقالة به عنوانها: *خواص حول الدين*: (Thoughts on Religion) ما ترجمته:

ون الفرد إذ هو مدرك أن يُؤمّن قولاً بيقال الحقيقة ويكره لعقل. نستطيع أن نرضى الناس، بأنترغب أو بأنترهب، أن يقولوا ويُفهموا أنهم يؤمنون، وأن يتصرفوا كأنهم مؤمنون، لذلك نحن نستطيع أكثر من ذلك منبغي لكل فرد بصفته عضواً في المجتمع، أن يكتفي بالاحتفاظ برأيه الخاص لنفسه، ولكن لا يجوز له أن يبلبل أفكار غيره أو يثير فتنة في مجتمعه. انظر:

21. Davis, ed., *Prose Writings of J.S.* (1959-60), IX, 261.

كذلك نجد في يونيوا (ترجمة د. أمين بطرس سمعان: 1971، من 1971) أن تفتون المكش... بكل شخص حرية اعتناق الدين الذي يرضى، وبموجب له بدعوة الآخرين إلى دينه، بشرط أن يؤمّن الدعوة بالاعتقاد بدينه ويدافعه، وأن لا يهجم لأنك الأخرى بمؤامره إن لم تنتج حجة... فإذا ما عبّر عن آرائه بعنف وحاسم متصرف، خوف بالشي أو بأن يصبح عبداً.

أما نكاره بأنه رادروج فإنه في يونيوا فتتكون مثل هذا الشخص من مائسة أفكاره في حضور عمدة



والموقع أنهم لم ينجحوا وحده من تلك القواعد البالية الخلق والحكمة لتحديدات والتكثيرات والأفراطيات مما يتبعه الفلاسفة في كل مكان في اكتساب الفهم الصغير. بعضاً من ذلك فهم يعتقدون تماماً إلى القدرة على مناقشة الأدب التي تدفعه أنه ما من واحد منهم يستطيع أن يرى حق الإنسان عليه كمنطق...  
انظر: (بوترويا، ترجمة د. أنجيل بطرس مسعد (١٩٧٢)، ص ١٧٣)

(٦) لا يجوز أن نتجاوز كل ما في نص القانون  
بحر الإنسان، إلى أشبه بين معنى هذه الفقرة. وقد في بوترويا (ترجمة د. أنجيل بطرس مسعد (١٩٧٢)، ص ١٩٦ - ١٩٧)

دعنا لنسمي سوى تقليدياً، بدءاً من الفوتون... هم يرون أنه من من شعاع في شيء أن يمتص من الشمس نيرس عينا توتلين وما هي أكبر حشداً من أن تقرأ كلها. إنه في أكثر عموماً من أن عهدها في شخص. إنهم يقولون من بلادهم عجب النابير... هم يرون أن توضع عسيرات القانون هي أصبح التصورات...  
(١) أن الطبيعة قد انعدمت نحو الأساس...

فعل بناء الكائنات البشرية كانت تمتع في الماضي بأنهم أكثر هو مقولة قديماً جداً. وقد ذكره ديموقريطس في الإلياذة (Hesiod, The Works, XII, 479). لكنهم عرفت بأنفسهم وفكر (صغير) في القرن السابع عشر. وزعم كاتب فرنسي نشر عام ١٧١٨: أن صوت آدم كان ١٢٣ شكلاً ونسخاً. ووجدت. وأن طول النبي موسى كان ١٣ قدماً. وأن طول الامكنة لم يزد عن ٦ أقدام. انظر: (Fildy 1986: 173)

(٢) هذا إذا صح أن نطلق كلمة جنس... والفلاسفة في الأديان  
قاروا جداً مع ما ورد في بوترويا (ترجمة د. أنجيل بطرس مسعد (١٩٧٢)، ص ٢٠١) حيث يجد أن الرجال والنساء على حد سواء يتبعون على الأعمار المحرمة في أيام حياتهم، حتى لا ينفروا إلى علاقة محرمية إذا دعت الحاجة للمعروف.

## الجزء الثاني - الفصل الثامن

(١) كان عاقبة المزم على أن يحصل في كل امرأة من جنس وحجمي لغني فليج منها ذرية.  
- جبراً من رسله نعرض أيضاً لموقف مشابه في رحلته إلى لافور حيث صدر كمر ملكي لأبيه لإسباني «سوزايس» وهو ذكر مثله. لتبين الحقيقة.

انظر: (Chronicle of Bergeron, Rougemont Comique... ص 125)

(Rougemont, 1954: 126)

(٢) تطوير التكنولوجيا الحديثة:

هذا نفسه كل يحمل في أيام دسيفت، بدلاً من ذلك، إذا كان «غير الكنازي» في اللوحة العلمية المعاصرة، يعني «قواته» أو «مجاهدته» رداً فيض على أول منها كان يُشخص في نفس  
انظر: (A.M. Taylor, TSE, VI (1957), 52). ومع انه في رجبك، تُسبب فعلاً في قصص (Lidd, 1968: 21).  
إذا رغبة تلك في جسم «مختل» يجب فيه من الأقزام نوبيا كان دسيفت قد استوحاها من زيجات مثلية بين أقزام وقزماته. حصلت في حياة دسيفت: بها رغبة يور فزم وقزمته تمتد في (سنان بطرسج) عام ١٧١٠، ومن محولات عبيد: مثلية لإنجاب ذرية من الأقزام.

انظر: (A.M. Taylor, TSE, V (1959), 93).

(٣) رحلت الطبع إلى البحر... الخريف... ربما كان بعيداً عن ذلك في ملحمة الأوديسة (Odyssey, V, 121-158) حيث يجلس إيريستيس، في صحرة على شاطئ جزيرة الإلهة الساحرة كاليمسو، (تحتها ما خلم دان كليش)، ويطلب إلى البحر وهو يرفع الدرع شرقاً لأخته وحيناً لوطه.

- (٤) أن نمرًا كان يحمل حقله الصندوف في منقاره، فارت هذا به حدث مع أسيراتوه حين حبه طير نزع. انظر: (Cyrano... Béatrice Cernique, p. 329). ولان أيضًا عما حدث، عسلد الذي حله الرّج من رادي الجواهر. انظر: (ألف بلة ولية: الكتاب الثالث، ص ٤٠٨ - ٤١٣ بيروت منشورات دار خلدن كون تاريخ).
- (٥) كما يعمل بالملحفة البحرية: هناك إن الميسوس (المؤلف السرحي اليوناني الشهير قيل حين هن نسو صفتة صخرة وأسقط عليها سبعة حرة مفرقة وبها عند انظر: (Pomeroy, ed., 1980: 117 Note 7).
- (٦) أدركت حينئذ أنني قد سقطت في البحر.
- (٧) استمر «سيفته» فكرة هذه العبارة من التجربة التي عاش بها المرم دسون وروشنغ الذي غرق، في هورتردام عام ١٦٩٥ حينما سقط الحفّاء، الذي كان يحمله وهو دلتن صندوف، في نهر سطر: (A.M. Taylor, TSB, VII (1957), 30).
- (٨) تشبه نعل سقط اليتيم: هذه إشارة لفظة في المثلوح: اليونانية. «فيتون» هو ابن ديموس «يد الشمس». تقول لفظة إن «فيتون» أصغر أن يقد حركة الشمس، ثم قد السحرة هي الحيل التي تجزها رثاء المات يتسبب في غرق الأرض، لكن «فيتون» كسر الالهة صمعه بوحشة من عواصفه الرعدية وأمضته في هر «إريدانس».
- (٩) ولا شك إن هدف الخطك من تشبه سقوط احقر من سقر النسر سقوط «فيتون»، هو الإشارة إلى الكرمه أو الغرور الذي يؤدي إلى سقوط الإنسان. هذا مستقبل جعلوا هذه نداعة. واد.
- (١٠) توسكن: موطنة في عند نصته أو ما يسمى الآن «الهام».

## الجزء الثالث - الفصل الأول

(١) لاجونا:

هذا الاسم مشتق سبب روي ديفرت (Firth, 1919-254) من الكلمة الإسبانية *la puta* التي تعني «العاهرة» ويشير «ديفرت» إلى مثل شعبي إسباني يذكر في القاموس الإسباني الذي كان في حوزة «مويست» يقول: «أحذر من العاهرة التي تترك لك خبث طويلاً» «روي ديفرت» ثم هذه التسمية تشير إلى قيام إنجلترا بسبب خيرات لوينا وأقارن شعبي. ويؤيد هذا التفسير ما كتبه «مويست» في «دانة» له بعنوان (A Short View... of Ireland) (1718) حيث يقول إنه يصف دخل البلاد كلها يذهب ربحاً صافياً لإنجلترا

النظر: (H. Davis, Prose Writings of J.S. (1955-66), XL, 9).

ويذكر أن قصة «لايونا» سخر من العلماء والأكاديميين والفكرين شكل عام فإنه يمكن أيضاً نعتج كلمة «لايونا» بمعنى «بلاد المعكرين» واعتادوا مشتقة من الكلمة «لايوية» *apulus*.

(٢) القبطان «وليم روبنسون»... سفينة اسمها «هوت» و...:

في سجلات ١٧٠٩ يوجد ذكر نسقين يحملان اسم «هوت» فن، كذلك يوجد في سجلات ١٧١٠ ذكر القبطان اسمه «وليم روبنسون» يقود سفينة اسمها «أفكتشر» وهو اسم لتسعين الفلين ركبها بالمر في أخيراً القبطان (الرابع)

نظر (C. C. Strong, NQ, III, 1957, 471).

(٣) الخفي على رؤية العالم... حقيق...:

حب السفر والروحية في رؤية بلاد أجنبية والسفر حل شعوب ولمع أخرى كس حافظاً على الشعر تكرر ذكره في قصص «سريان» وقصة «يونوي» وقصة «روبسون كروزي» وقد ذكره «جولز» في (الجزء الأول - فصلان الثامن) هامش رقم ٦.

(٤) قلعة سان جورج قلعة أُنشأتها شركة «هند الشرقية» عام ١٦٤٠ وتحولت فيما بعد إلى مدينة «مذرواس».

(٥) متحالفين ورغم المنافسة التجارية العديدة بين إنجلترا و«هول» فإنه كان بين البلدين تحالف قوي (عام ١٧٠١) ضد فرنسا.

(٦) خط «المطوح» ١٨٣:

في «سرخس» «هيرمان مول» (Mall) كانت خطوط لطوك تحسب على أنها ٢٦٠ خطاً شرقي لندن وهكذا فإن «مول» نشر إليه هذا هو على خط الطول ١٧٧ غرب «جرينتش»، في مكان ما في النقط السيميكي (خادي) شرقي ليبيا، وبحري جزر «الوشيت»

نظر: (Williams, 1926: 471)

(٧) «لوانج» جسماً ضخماً كامداً وتمتد بين روين الشمس:

هذا المشهد شبيه بمنهم الاغتراب من القمر نحو وصف «الروبن» في كتاب «لاويغ صادق» (Ludon, 1968: 253)

حيث يقول: «في اليوم الثامن شهدنا ما يليه جزيرة كدية معلقة في وسط الهواء، صفاء مستديرة ومهيبة منيرة زاهية».

كذلك فإن من الممكن أن يكون «سويت» قد استوحى فكرة استخدام حبره كهدية لأغراض السخرية السياسية من قصة ليكاتب. أدانيال فيشر، عنوانه: *The Cornhill Man*، نشرت عام ١٧٩٥. في هذا القصة بطير الخراف إلى لغز في حربه ذات الحجة تحقن ثيوتيتيكيا، وبعد في الفرس مدافعتين في أصحاح مدد البربرية (Dives)، وشياع الكنيسة (Anglican)، واحوازي (Luv churchmen or Dissenters)، وأنشع حزب الأحرار، وأنشع حزب المحافظين.

١٨) قمر . شديد اللعنة: رب لأن عاهة افرد المنيح عشر ذكوا يستعملون كلمة "zda-nni" للدلالة على حجر كاسر، وأيضاً للدلالة على حجر المصاطبي.

(٩) قادرون على رفعها وإزالتها ولحرقها للأمام كما يشاءون:

ل سنن السبع عشر شهر لمن أناس لعنهم شديد بدء الات طائفة. وقد صرح «روبرت هوتك» (Robert Hood)، مكرتير الحسبة، العلنية لنيكية ثلاثين من: «آلات الطائفة» (Carnin, ed., 1980, 340, Note 15).

## الجزء الثالث - الفصل الثاني

(١) إ. ز... جنس من البشر في غربة أشكالهم وملابسهم وسخيفهم

هذا الأناوب تصاخر الذي حسن تفكيرين تحريفين في الغواء تنبيح حذر. وقد استعمله أكتاف اليوناني لوكوميدى السامر «أرسطوفانس» في مسرحيته «الغيوم» (Clouds, 218 F) حيث رثيع «سفرانا» في سلة معلقة في جدار.

لكن لم تترك (I. Farnsworth, PMLA, LXXII, 1957, 895-6) يعتقد أن «سويت» رسم مفكرتي «أليونا» على سطح جنيشة «نوماس بيريد» الذي كان «سويت» يقم معه في «كوبسكا» (Cuba) من أبريل حتى سبتمبر من عام ١٧٩٥. حين كان «سويت» يكتب وينقح «أ» آخر، الثالث من رحلات سفر. وقد كان «نوماس بيريد» شديد الشرود الذهني.

(٢) كانت رؤوسهم... مائلة... ووجدى هوبسم موجهة للداخل والأخرى شحوية إلى قبة السماء: ربما كان «سويت» قد استوحى هذا الوصف من صورة دمية تعلم المرحاضات كانت موجودة في كتب ألفه «جوديث» عام ١٧٦٦ وعنوانه *Female Symbolism* ل أن الصورة الرمزية «أ» «أليونا» مربعة مزينه بدمع نيلوصلة والشجر والأزهر وورود، موزيغ، وشمس أدوات هندسية. وجنن إحدى عيها مغمض مما يعد ثنائية منظور نوع الأعلى.

مطر: (K. Williams, NQ, 1960, 216).

(٣) مسلوفاً دائماً في التفكير... تكرر مع بعض التبرير لنعمة تقديرة عن «داليس» (Dales)، وهو مستحق الحكيم السعد، الذي سعد في شر وهو يسير متلاً في التخم. وري يكون «سويت» قد قصد الإشارة إلى بعض الأدمع الخريبة المصورة عن «ميونزا» وشرود ذهنه، ومنها على سبيل المثال أنه أراد أن يسبق «أليونا» فوضع ساعته في ماء يغلي وظلت البيضاء في يده، وأنه أهدى ثوبين في يد مكتب، لقب كبير نقطة، وآخر مبعرة لفيلفة. (Dough 1956, 382)

(٤) أدرك انعوش... طولة كبيرة عليه... أدوات هندسية

مع أن ذلك جورج الأول لم يكن ينتم كثيراً إلى العلوم والرياضيات، فقد شعر به أنه كان ينخر ببرجودته (Dough)، كانت معلومة في عامه، وبوجود «ليث» (Lith) كواحد من أدواته في بلد آخر.

(٥) كرم ضيافته للفرقاء :

يرى «جيس» (Cove, 1958: 55) أن هذه العبارة ربما كانت إشارة الطائفة النحات جورج «أول» الذي عُرف الكثيرين من الأتات أنه، بهذه الأوصاف دهنواره في منحاسب ذات روات عالية في إنجلترا.

(٦) «تجربة الطائفة»: هذه تجربة استمعناها ورؤيم قبل، في وصفه لاسباب الخارجية الانجليزية في عهد الملك «شارل» الثاني (Charles II) يقول (تلمذ) «كان سوكنا وانكادرا تبايرك اجزيرة «طاعة التي تسمى في هذا الاسم» لذلك حسباً «سوقها» «رباع أو حركات انك والحرر»  
(Turner, ed., 1980: 241 Note 19).  
انظر: (٦)

(٧) «أخطأ في أحد أرقام قياساته . . .

هذه العبارة تهدف إلى السخرية من المحاولات التي كانت تستهدف تسمية «الاعاءات الشمس والقمر والنجوم والبنات القمرية والأرضية بواسطة» (الأساطير) والآلات أخرى. انظر: (M. Nicolson and H.M. Mohler, Science and Imagination, (1962), 120).

وربما كانت تشير بشكل خاص إلى خطأ «لعلبي» في كتاب «نيونز» ثم أدى إلى إضاعة سفر على قياس قسامة بين الأرض والشمس.

(٨) «لاجلادور»: يرى «كلارك» (Clark, 1957: 619) أنها تعني «أدون».

(٩) «كان الملك . . . وأفراد حاشيته قد أعطوا كل الألعاب الموسيقية».

سخر هذه الجملة وما يتبعها حتى آخر العفراء من الملك جورج الأول الذي خصص مئة ألفاً نقدياً للموسيقى «هاندي» (Handel) بقيمة ٦٠٠ جنيه «سنة»، كما نرى «أنف» جنة لتأسيس «الأكاديمية الملكية للموسيقى» (عدم ١٧٧٠)، وهي مؤسسة تأسست خصيصاً لإنتاج «هاندي» كذلك «هاندي» «تسخر» من ظهور «موجة طغية» من «أسماء» للموسيقى في ذلك العصر. انظر: (Firth, 1979: 259) لذلك «سخر» من بعض أعضاء الجمعية الملكية حينذاك، مثل الدكتور «سوتن» والأمر «الذي» كتب «تبعاً» «عديدة» من أوجه الشبه بين الموسيقى والرياضيات. انظر: (Nicolson and Mohler, 1962: 120-121).

(١٠) «دوغني» «الضجيج» . . . «موسيقى النجوم»:

هذا تفسيد مسخر لـ «ريو» في القصة التي كتبها «شينيورد» «حوار» (Scotium Reipinua: ex) «حول» «معمود» «بيرو» (Scripin) إلى «جيرة» «دوب» «لينا» (Milky Way) حيث «سمع» «أصوات» «جدة» «وفين» له «إنها» «موسيقى» ذات سبع نغيمات «ماخدة» من «دورة» «القواكب»، «و» «ن» «أصوات» هذه «موسيقى» تؤدي إلى «الصمم» «تأني» البشر «علا» «معمود» «بسمعيها».

«وسكان» «لايونا» هم «نمياً» «سكان» «كوكب» «صغير»، وهم «ما» «يسامون» في «إحداثيات» «موسيقى» «النجوم».

انظر: (Turner, ed., 1980: 242, Note 19).

(١١) «كانت كُذِّبَ خيوط . . . من القنطري» . . .

يبدو أن طريقة «تلقّي» «العبادات» «والإشارات» «ما» «سجود» «من» «نص» في قصة «Telesphorus» «تواردة» في «كبريات» ««توميل»»، حيث يوجد في أرضية «قصر» ««زويس»»، «صوف» من «القنطري» لكل صف «منا» «وظيفة» معينة. «أحد» «لشخص» «محيرات» «أشهر» «وطائف» «من» ««زويس»»، «وحتى» «أن» «تأني» «ما» «والحة» «القنطري» «والقنطري» «نبيذ» «وماكولات».

انظر: (Lucan 1968: 127-128).

(١٢) «يؤمنون بالانجيم»: كلمة «الانجيم» «Astronomy» كانت حينذاك تعني ««الانجيم»» «Astronomy» «تأني» «الانجيم» «حينذاك»  
(في «القرن» «العشرين»)، وكذلك «تأني» ««الانجيم»» «Astronomy».

«لاجل» أن «عمل» ««يونوب»» «بمفرد» ««الانجيم»» «انظر:» (بيوتويا، ترجمة د. أسجيل «طرمس» «معدن» (١٩٧٤)، ص ١٧٣) حيث «يود» «ما» «يلي»: «ما» «فها» «يتضمن» «بأنفي» «الكواكب» «والحالات» «ها». «ويختصر» «جميع» «أنواع» «الانجيم» «المختلج» «تتخلل». «فذلك» «ما» «لا» «يُلمحور» «به» «في» «الإطلاق».



هذا وقد قام دسويغت عام ١٧١٨ بدور الشمس، وكتب مذكر باسم مستعار هو (إسحق نيوتن)، ثم ما لبثت نسخة سبليزي معروفة سنة ١٧١٨ اسم (جون بورتريج: John Portridge) في موعد محدد. ومن هنا هذا هو عدد من نيوتن (أي دسويغت) خبراً مفصلاً عن وفاة «بورتريج»، في حين راجع «بورتريج» يعلن دون حاشية أنه لم يتبع عمل الخبير المفقود وأنه ما زال على قيد الحياة.

سجل: (J.H. Davis, *Prose Writings of J.S.* (1959-66), 129-130).

(١٣) لاحظت هذا القيل نفسه لدى معظم علماء الفيزياء :

كان علماء الفيزياء في إنجلترا يميلون إلى حزب الأحرار. كان «نيوتن» متبناً حياً لوزير المالية و«فيلسوف» مونتاغيو (وكان هذا من الأحرار)، ثم أنه سنة «والدولة» في قضية العملة انعطفت (The Wood Alliance) بين دي دسويغت حصراً «والدولة» فيها. كذلك كان «لينيير» (Linnier). وهو عالم رياضيات ألماني، يساند بعدئذ الاتحاد بين «هولندا» و«لندن» ضد فرنسا.

انظر: (Godeau, 1966: 164-5).

(١٤) أن الأرض. قصصها الشمس ونسجها

كان تحليل «نيوتن» لحركة الكواكب في كتابه (*Principia Mathematica*, 647, HKI, Sect. 11) قد أوضح أنه لا بد من وجود توازن دقيق بين سرعة حركة الجذاب الأرض نحو الشمس وسرعة حركة الشمس في مدار الأرض حول الشمس بحيث يظل لرائية بين نقطة الحركة زاوية ثابتة. ولو انخفضت السرعة الشدية بالنسبة للسرعة الأولى لزم الأرض تقرب تدريجياً من الشمس ونقط آخر الأمر فيها.

سجل: (Newton and Mehlert, 1962, 125).

(١٥) سطح الشمس يستقبله الجسم فلا تعود تفر... :

كان «ويليام ديهام» (Wm. Derham) قد أوضح أن الدفع الشدية تنجم عن ثورات في البراكين لنسبة التي تقلد الجسم وهذه بطورهم تصبح ذخيرة تسمى سطح الشمس.

\* (PTA) (*Philosophical Transactions Abridged*), ed. H. Jones, IV, i, (721, 236).

\* (Newton and Mehlert, 1962, 125-7).

(١٦) «تأليف الأخير» مؤلف «عالم» الذي ظهر عام ١٦٨٢. كان «إدموند هالي» (Edmund Halley) قد نشر «مقدمة» هذا التأليف في عام ١٧٥٨ (أي ٣٦ سنة بعد ١٧٢٢) لكن «هالي» كان قد حسب أن متوسط فترت جاذب للتأليف هي ١/٨ سنة، وهذا كان صفة الناس بتوقعه عودية للتأليف في ١٧٠٧.

انظر: (Newton and Mehlert, 1962, 127-9).

(١٧) قد يخطئ: كان «ويليام وينتون» (Wm. Winton) في كتابه (*Rational Theory of the Earth*, 1690, pp. 126-136) وفي (*The cause of the Deluge Demonstrated*, 1715) قد أوضح أن الفيضان المذكور في الإنجيل حدث بسبب مذنب. وفي كتاب صدر عام ١٧٣٢ وعنوانه (*A True and Faithful Narrative of What Passed in London*) (١) وهو كتاب سائر كتب أول الأمر إلى «دسويغت» تم تبين أن مؤلفه هو «لكنغستر» يدعى. فوقع أن «دسويغت» أعلن أنه في يوم الجمعة القديم «سيزون العالم من النور» بسبب مذنب، وأنه المذنب ظهر في يوم الأربعاء «في» «دسويغت» ذلك بعد الساعة الخامسة.

انظر: (Teupic Scott, *Prose Works of J.S.* (1891-1904), p. 276, 278).

وفي ١٧٣٤ قرأ «هالي» في الجمعية الملكية بحثاً عن «ثورات نوح» وقدم فيه وصفاً حياً لتفريغ والدسويغت اللذين قد يتبعان من الاصطدام بمذنب.

انظر :

\* (PTA) (*Philosophical Transactions Abridged*, VI, i, 1-5).

\* (Nieuwen and Mohler, 1962: 326-327)

- (١٨) أن الشمس . متسلسلة نفسها كلياً . . . والمختص:
- كان دوريت حركه (R. Hook, *Posthumous Works*, 1705, p. 54) قد أشار إلى احتمال حدوث هذا الأمر .
- انظر: (Nieuwen and Mohler, 1962: 326-7).
- (١٩) متزوجة من رئيس الوزراء . . .
- يقترن أن هذه نصاً أخرى للاستهزاء برئيس الوزراء، وليوليد، وزوجته «كافرون شورتز».
- لكن فيرت (C.H. Finch, RES, ii, 1926, 340-341) يلاحظ هنا إشارة خاصة إلى قصة في الحكمة (١٧١٥)
- وفيها شخص اسمه «جون دورف» على خلافه ونومسي جوزيه لأن تكلمه وقد يروحه سيده، وضرب وأساء إليها
- ب«هزل» أخرى.

### الجزء الثالث: الفصل الثالث

- (١) قطرها ٧٨٢٧ ياردة أو حوالي أربعة أميال ونصف . . .
- يبدو أن احذية لها شكل «الأرض الصغيرة» (Cereat) التي وصفها «وليم جيلبرت» في كتاب «De Magnete»
- المصدر عام ١٦٠٠، وهي عبارة عن حجر مغناطيسي له شكل كروي، ويهتم في الحزب البنية منها دراسة
- الخصائص المغناطيسية للأرض . وكان من بين الملاحظات في «الجمعية الملكية كوة أرضية صغيرة قطرها ١/٢
- بوصف، ومن هنا جُعل قطر «البرهان» بـ ١ ميلاً . أما الرق ٧٨٢٧ فيبدو أنه إشارة إلى القياسات المعاصرة لقطر
- الأرض . «نوتز»، على سبيل المثال، قدر أن نصف قطر الأرض بـ ٣٩٦٣ ميلاً.
- انظر: (Nieuwen and Mohler, *Annals of Science*, ii, 1937: 415-416).
- (T) كما يتفق علماء الطبيعة: علماء الطبيعة (الحديثون) يخفون أن السحب (Cereat) يمكن أن ترتفع إلى علو يزيد حل
- ٨ أميال. لكن في عام ١٧٦٩ اعتبر «ديبريولير» (J. Draparnaud) «دلو ميلون هو الشيء» يمكن أن ترتفع
- إليه واستقر عند «الأخوة» الصاعدة بسبب الحرارة
- انظر (PTA, vi, 1, 68).
- (٣) كهف الماشكين: وقد استقرح «سويت» هذه الأوصاف من الكهف المسمى هذا الذي يتزن مسافة ١٧٠
- درجة في المرحه. فذلك في «الرس».
- انظر:

\* (PTAS, vi, 1971, 2217)

\* (Nieuwen and Mohler, *Annals of Science*, ii, 1937, 409).

- (٤) مكوك الحثلك
- نشر كوروليس عام (١٧٦٩) مقترحاً (Reg) للرموز في رحلات جيلبرت وشبهه به إن أن يترك المكوك هذا مشير إلى
- «مناخات المسوحات» المكتوبة «الصوفية» الإنجليزية. «وبما» نفس معقول لأن في قصة علاقة «لايتواه» (وهي: من
- «لنجلية») عدسة «دلتا» (وهي رمز شبة «دلتا») سخرية من الاهتمام الذي كانت إنجلترا تمارسه على
- إيرلندا، وعلى «الأخضر» مما يملك بمناخ المسوحات «تصوف» (إيرلندية) إذ كانت إنجلترا تحظر على إيرلندا
- تصدير هذه البسجات.
- (٥) قوى هذا المغناطيس تتحرك دائماً في خطوط موازية للجامعة:
- في هذا القول «خط» علمي إذ أن خطوط القوى في المغناطيس تعدي تتبع من القطبين في جميع الاتجاهات.
- (٦) حين يكون «أخضر موازياً» لمستوى الأفق تقع الجزيرة مسافة . . .
- منقول «ديبريت» (R.C. Merrett, JHE, xiv, 1966, 224-225) أن القوى الشبه لأغل المسوية للقوى تتجه







- (٣) طريقهم في الاستجداء من كل من يطلب مساعدتهم:  
 في «بيت سيراك» في كتاب «يكون» بعنوان *New Atlantis* الرائد هو الذي يُعطى صيغة سحرة قيمتها ٢٠٠٠  
 دوقية. انظر (New Atlantis, Bacon, in. 156). كما هنا في رحلات حطير فيك الوضع مقلوب يقصد التهميم  
 واستخفية. إذ أن الرائد هو الذي يُعطى.
- (٤) راحة كريمة لطيفة: هذا يشبه ما نجد عند «رايلي» حول عالم ويختر في سوغر كمية بؤل البشر في وقت  
 احب. ويخط منها كثير من البرز مسيحي ... انظر.  
 (Rabelais, Gargantua and Pantagruel, in J. M. Cohen, 1925, V. xxi, p. 661)
- (٥) قابلية النار للفرق والتبديد: وهذا أيضاً تشبه ما يقوله «رابليه» (Rabelais, 1925, V. xxi, 652) : «وآخرون  
 كانوا يقطعون النار يستكين ويسمون الماء في سبيله».
- (٦) امتداد كفيف عند ولادته:  
 يؤكد «ديريز» (Tamer, 1980, 348, n. 20) أن قصة هذا الاسم الأصغر مستوحاة من تقرير كني «روبرت بول»  
 (Robert Boyle) وهو من لوائح المؤسسين للجمعية العلمية الملكية، عن «رجل أعشى... استطاع في بعض  
 أمور أن يميز الألوان عن طريق لمسها بأصابعه...».
- (٧) طريقة لحرق الأرض بالغازات: في هذا تشبه ما أورد «رابليه» (Rabelais, 1925, V. xxi, 651) عن «آخرين  
 كانوا يمرقون الناطق الرمي ثلاث أزواج من الصلب في وقتها يترد دون أن يفتنوا سبة واحدة من بدورهم».  
 كذلك نجد ما شبهه بما ورد في أحد أحداث الخمية العلمية الملكية عن زراعة تليان في سلال، وفيه وصف  
 لكيفية تسيد قطعة من الأرض بختر عدد من الجومس بها إلى أن تصدأها روثها. انظر: (PTA, IV, 17, 322)
- (٨) لسوق المشايخ الثقلان... : قصة هذه القار تقليد لياست نرسي اسمه (M. Ben) كان قد كتب بحثاً بعنوان  
 وسير الصائيد وقدمه للجمعية العلمية الملكية، وأرسل بالبحث حوارات وكعقوداً مصنوعة من شبك العنكب.  
 وزعم أن تحرير ستاك «يس كل مجالاً من الحروب لعادي» انظر: (PTA, V, 1, 20-24).
- (٩) يضع ساعة شمسية على ذلك الرياح...  
 كان «سبر كريستوفر ورن» (St. Christopher Wren) قد زكب سبيلاً تونوسيكلي للرياح عن طريق قوسل ساعة  
 «ذلك لرياح» (16٦٣). كذلك كتب «ويليامسون» (Williamson) في عام ١٧١٩ بحثاً عن ساعات جعلها  
 «تدق مع الحركة الموضحة للنفس» انظر (PTA, IV, 1, 294-6).
- ما أضفه وسيفند هنا هو أنه وضع ساعة شمسية بهذا ساعة «وثن» وبذلك جعل لساعات تدق مع حركة  
 النفس، أحدث تعديلات في حركات النفس الأخرى، أي أن تتلكن الحزب في هذه الفترة بحار  
 استعمل «جش الفترات» «تغيره» ويضفي التعيرات، ثوابت.
- (١٠) متفاحان كبيران...  
 قارن هذه الفترة مع ما يقوله «رابليه» (Rabelais, 1925, V. xxi, 651) رأيت تكتل شدي يستخرج القسط  
 من حبة حمر ويبيعهم بسر خمس نباتات لثابة.
- ونجد في كتاب «مشارب» (Sprat, History of the Royal Society, 1667, p. 252) سحلاً لاجرة مشهورة أسرار  
 «روبرت هو» (١٦٦٧) عن كتب «أحدث فيه تفتتاً صاعداً عن طريق نبع المرء، يفضح إلى داخل قصته  
 المراتبة».
- انظر: (Tamer, 1980, 345 n. 15).
- (١١) الفنان العلامة العالي: الأغلب أن هذا إشارة إلى «روبرت بويل» (١٦٦٧-١٦٩١) العزيماني الكبير، في  
 لشدة التخصصات. كان اعتمد على في طبيعة الهواء، وفي تحجر الألبان، وفي الرغام، وفي شؤون الزراعة،  
 وفي تربية الأغنام. وكان من الأعضاء المؤسسين للجمعية الملكية العلمية.

(١٦) يدرك البشر في الأرض: هذا هو أحد التفسيرات التقليدية «... رأيهم» لمن يبدون جهودهم في أعمال لا طائل من ورائها. ومن هذه التفسيرات عند أرنولد ولين ويغريون «شاعر الزبد»... ويخبرون صوف الحبيب... ويبحثون عن نظرات العنب في الشجيرات اللطيفة وعن اللون في النوش...».

(١٧) شجيرة سلاطة من الغنم عارية من تصوف بعد في برمانج وشجيرات حيوانات في أيت سبيانه «تاريخ وصية مشابة»: «... نحن نجعلها أكبر وأطول من المعتاد. وجل عكس ذلك نغزلها ونوقف عوجها. ونحن نجعلها أكثر شعراً وأكثر إنشابة. وعكس ذلك نجعلها بسدا وغير سجية. كذلك نجعلها مختلف في اللون والشكل والشد وفي أمور كثيرة».

(New Atlantic, Boston, vi, 159)

(١٨) إحصاء أحسن الجزء الأكبر من عرض القاعة وطولها: قد يكون المصود من هذه الالة «تفكر» هو إعطاء مثال توضيحي عن جدول قديم يعود إلى أيام «شبيروت» اليهوداني. ولكن «سويت» يعتقد أن هذا الجدول ما زال موجوداً في عصره. ولذا لم أشد إليه في مقالة له عن «Tribal Base» (١٧٠٧) بقوله: «ليس صحيحاً ما يقوله الأيقريون حين يزعمون أن الكون تكون من اجتماع عشوائي لملرات. إن أصل ذلك، كما أني لن أصدق أن أصله أن تحسب عشوائياً الحروف المحاطة تحت خطها بالصيغة كتاباً فسيحاً مدبها وحياً بالعلوم».

الطرح.

\* (Ed. Davis, ed., *Prose Writings of J.S.* (1959-66), I, 716-71)

\* (Chromatin, MILN, LON, 1925, 95-100)

(١٩) «سبيح لأكثر الناس جهلاً... أن يؤلف كتاباً... ذوياً... مساعدة من التجربة أو المراسلة: هذا شيء ما يقول «سويت» في كتابه «تساخر الشهير كسل بريمل (A Tale of A Told)» عام ١٧٠٤ عن أقصر انحراف بضمير العلم واكتساب الفكرة عن «تأليف...»... اكتشاف. نحن أبناء هذا العصر، طريقة أسرع وأجود لكي «نصنع» علماء ومكتسبين دون الحاجة إلى شاطئ الدراسة ومباشرة التفكير. ألا وحي الطرح بدعنا في المهووس».

الطرح (Ed. Davis, ed., *Prose Writings*... (1959-66), I, 91)

(٢٠) العامة أن يترك هيلينا الإختراعات بعضهم من بعض. «... مؤلف نيوتر» (Turner, 1980, 290, II 24) أن في هذا النص إشارة إلى جدول الذي قام بين «نيوتر» و«الايثير» حول «نينا» سبر الأخير إلى اكتشاف حساب التفاضل والتكامل. لقد بدأ هذا الجدول عام ١٧٩٩ حين أشرع على أن «الايثير» سرق هذا الاختلاف من «نيوتر» وهذا هو ما قرره لجنة البداية «الكلية التي تحب أن تبحث» لمبحث الموضوع في عام (١٧٠٢). وقد اتضح الآن أن «نيوتر» له سببية التوصل إلى هذا الاكتشاف، وأن «الايثير» توصل للاكتشاف فيما بعد، ولكن بجهود «تخصص» «نينا» الأختراع من «نيوتر» أو السرقة منه.

(٢١) «ملوسة الشفاء»:

كان «سويت» قد أوصى عام ١٦٦٧ بإنشاء أكاديمية «طبية» تدرك كل نصيب اللغة الإنجليزية ونسج «إصلاحات» عملية في أصناف «كلمات» وكلماته.

الطرح (Sprat, *History of The Royal Society*, 1667, p. 40-42).

(٢٢) «اعتصار الكلام»:

يكن «سويت» الفكرة ذاتها في مقاله له بعنوان «Purse Conversation» (١٧٢٨) يقول فيها «والاختراع الوحيد لمشي تم في السموات الأخيرة والتي «سهم في الارتداد» بالكلام هو اختصار المقاطع المتعددة في الكلمة لوحدة إلى مقبيل واحد وسدس غيره من المقاطع. انظر (Ed. Davis, *Prose Writings of J.S.*, 1959-66, p. 106).

106:

كذلك فقد استخدم جورج أرنولد نفس المد في كتاب له صدر عام ١٩٤٩ وعنون ١٩٨٨، لدى وصف لغة التخاطب الحديثة: 'Newpeak'.

انظر: (George Orwell, *Nineteen Eighty-Four* (Penguin Books, 1949), pp. 241, F).

(١٩) تصغير المترين عن طريق الاحتكاك والحث:

هذه الفكرة وردت عند الفولكلوريسم (Lacouture) الذي يذكر في كتابه (De Berum Nahma, iv, 526-541) أن الصوت يتألف من جزئيات مادية، ولقد ولا الكلام، أكثر يجب جسد ويحدث المثلث المكتشفه

(٢٠) التكتلات ليست سوى أسماء لأشياء:

هناك مميزات أو عبارات مؤني غس الفكرة نالها هيكونه انظر (Lacouture, i, 491-492) وهويرا، انظر (Sprat, *History of the Royal Society* (Flubbes, Jonathan (2001) ed. Weller, 1994, p. 133, etcly, p. 133).

كما ومولت فراجع الفكرة إلى وشبيرودا وديجيتال، انظر: (A.C. Howell, *ELF*, xi (1946), 142-151).

(٢١) الغيب الوحيد الموجود فيها...:

بما وسرغته، إذ التشبه نفسه في وراثش تاسر بوجه من تحدث عن المشاكل التي تسبب من تداول العملة. فغشوة (مخلة هوردا الحساب): يقول: ولو ارد أحد السادة [تدين بيتون في الأليات] أن ستي للمدينة ليشتري ملابس وغرد وترى نفسه وألمرت... فانه لا بد أن يخضر معه حمة أو من من الخيول محملة بأقمش [شملت] كما يعمل المزارعون حين يجابون لحرب المدينة. انظر

(David, *Prose Writings of J.S.*, x, 6).

(٢٢) كلمة عالية...:

شارة إلى مميزات ظهرت في القرن السابع عشر حول موضوع اللغة العالية مثل

\* George Calaneo, *Ars Signorum, Vulgo Character: l'alphabetica, et Lingua Philosophica* (1561).

\* Bishop John Wilkins, *Essay towards a Real Character and a Philosophical Language* (1668)

انظر: (Turner, ed., 1963, 351, n. 32).

## الجزء الثالث: الفصل السادس

(١) أن هناك توازياً شاملاً بين الجسد الطبيعي والجسد اللفظي.

يشير شكسبير هذا التوازي بالتفصيل في المسرحية 'الغرابية' و'موترو ولايس'، (Marlowe)، لنفس الأثر مشهد الأول، السطور ٩٦ إلى ١٠٧

(٢) تناظر العناصر... هو علم لمجانستها...:

طبقاً لنظرية قديمة في الطب، يعتمد استمرار الحياة ايجابية عن استمرار التوازن الصحيح في سبة الوسائل أو العناصر الأربعة التي تدخل في تكوين الجسم وهي الدم، والمغز وهو خليط من 'حلاط البذن' تلك لتقديم بمعدود أنه يجب الحس، والمغزاه (مادة صغرة يفرزها الكبد وتحتك في المرارة، وقد القدم، يزعمون أنها تسب سرعة الغضب، والبود (مادة سوداء يفرزها الكبد وتكون، يزعمون أنها تسب الكآبة)

(٣) عيرايلا. ارتجعت! هما إرهابانية وإحتفاز عند تغير مواقع الحروف فيها.

(٤) الحوامات في تلك الملكية تحك...

كان حبيب لمحاظير يكثر من الادعاء بأن مميزات ليدانية (أي نصار دار سيوارت) الذين كانوا يحمون بعد ١٦٨٨ على إعادته هذه الأسرة إلى عرش إنجلترا هي إلى حد كبير مميزات مزعومة من تلقين حرب الأسرار.



(٥) الصقر الجواح: الصقر الأحملي هو "Buzard" وهو نوع حي من الصقور لا يجيئ منه ولا يقع فيه. وكثيراً ما تستعمل كلمة "buzard" للدلالة على شخص غبي أو خشن.

(٦) دمر من القرم: تعني رجل دين ثا مرتبة عالية:

ربما كان المقصود من الإشارة إلى أولئك الذين، وليس آتلفة وقيل، الذي ظل يعلن من «التقريب طيلة ثلاثين عاماً» نظراً (Cough, 1994: 397). ولم تكن العلاقة بين «مؤلفه» و«مؤلفه» كما نزل على ذلك رسالة وجهها إلى «كنج» 1٨ مايو ١٧٧٧، يقول فيها: «هذا المحطة التي توحيت بها الملكة وأنا» «حزنت نفسيكم من تدهوركم من أزمة يتسبب بكل أنواع الإزعاج، ولا ننكره» على طيلة حياتي بإشارة واحدة نزل على الرتبة مدى المحطات المتعددة... لقد كان هذا شككم مع طينة الأرواح السك والعشرون الأخيرة.

انظر: (H. Williams, ed., Correspondence of J.S., 1965, n. 210).

(٧) الغريال: ... الشمس الذي لا يستطيع أن يكتف سرراً.

(٨) مصيبة ترائد تعني «وظيفة»: المقصود هنا وظائف الخدمة المدنية، وهي بالنسبة للنبي المصوبات الكبيرة مثل «مؤلفه» قل على حزنهم وإحباط نفسيهم. ويرى بعض النقاد أن «مؤلفه» يعبر هنا عن الشعور القوي بالاحباط الذي أورثه له عند في القضية.

انظر: (Cough, 1994: 398).

(٩) تير: يمكن أن تعبر هذه الكلمة سمة مستعار للآثار الرسالة الشعرية بحث غدا ومزاج.

### الجزء الثالث الفصل السابع

(١) مالتولدا: هي ولدته في دلي ١٧٨٤ (Clark, 1953: 615).

(٢) جينيتيرب: هي «قيل» حسب عين كلارك (Clark, 1953: 615).

(٣) لوجنخ: هي «مجنونة» كما يقول كلارك (Clark, 1953: 615).

(٤) أسدته من أشله من الأوقات: ... يدور «مؤلفه» موضوع المجلات مع مشاهير الأوقات من كتب «نوبل» تاريخ صائق، حيث يقابل «مؤلفه» شخصيات مشهورة من الأوقات مثل «مقرط» و«دلاطون» و«دوبروس» في السيرة «الردسية» (Elihu Field) «بن» «ذهب» «مؤلفه» بمساعدة المسافر «الغربي» «ميتروزياتك» إلى العالم المحلي (The Ludeuworld) حيث يقابل «أخبروش» «Xerxes» و«دوبروس» «Aletus» و«لارب» «الغربي».

انظر: (Lucian, pp. 238-8; 63-8).

(٥) معركة أوبلا:

يذكر تيرنر (Turner, 1990: 354, n. 3) أن معركة «جنوجاملا» «Gaugmelz» التي «نصر» لها «الأمكند» عن «دوبروس» «النصر» الأخير عام ٢٣١ ق.م.

«دوبروس»: المقصود هنا هو «دوبروس» «ملك» «وعلش» بين ٢٨٠ و ٢٣٠ ق.م. و«م» بلاد الفرس من ٢٣٦ إلى ٢٣٠ ق.م. وأهم المعركة الأخيرة التي هزم فيها الأمكند هو معركة «إسوس» عام ٢٣١ ق.م. و«موس» هو اسم بلدة تقع شرق «الأمكند» في تركيا.

(٦) لم يمت مصمومًا: ... المصور:

يذكر «مؤلفه» مؤرخ اليوناني (٤٦ - ١٢٠ م) في كتابه «Life of Alexander» (Livy) القصة التي تقول أن «الأمكند» مات مسموماً على عتبة «إسوس»، لكنه يقول إن الكثيرين يعتقدون أن هذه قصة خرافية، أما القصة التي نقلها «مؤلفه» فهي أن «الأمكند» مات من أخس بعد أن ظل يجتني «الحمر» «هيلة» «البل» «النهار».

الذي تلاه، لكنه يوضح أن الإمبراطور في أنشأ كل سبب المحس التي كانت تجعله يشعر بظلمة لا يُقوى ip.  
(Lxxv).

انظر (Taine), ed. 1780, 354, n. 10).

(١٦) لم يكن لدى جيشه نقطة . من أجل

إشارة إلى قصة «نيلي»: «لماذا، التاريخ الروماني (٥٩٩ ق.م - ١٧ م) التي تقول إنه بينما كان هانيبال يعبر جبال  
الألب كان يلبس المعصور التي تعترض طريقه عن طريق إشدال من قوتها وبعد ذلك نصب حديقاً لغزل

(٨) قبيل اشتباكه: أي اشتباكه في معركة «فارساليا» (عام ٤٨ ق.م) التي أجزم فيها «بروس».

(٩) في انتصاره الأخير: أي انتصاره في معركة «موندا» (عام ٤٥ ق.م) على أبناء «بروس».

(١٠) «بروتوس» هو «ديركوس بروتوس برونوس» (٨٥ - ٤٢ ق.م) هو أحد القادة والسياسيين في روما، وكان  
صديقاً لقيصر، ثم انضم إلى المشاة على نهر «لارنا» في أحيائه عام ٤١ ق.م. «سويت»، مثل شكبير  
رسم «ديروموس» شخصاً مثالي أكثر من «رعية». «بروتوس» كان. حُر سبيل لثالث، يجب أن يكون حياً ولا  
يرجع لحدوث حقوق طريق تكسب لمل

(١١) سخرط: تاريخ «الامعة الزبا» ٤٦٩ - ٢٩٩ ق.م

(١٢) «إيمانولاس» أحد قادة «تية» (Tiberius) «ليونيد» «تكريس» واحد الساسة فيها (٤٢٠ - ٣٩٢ ق.م).

(١٣) «كلو الامين» هو «مارشاليس بولشيس» (٩٥ - ٤٦ ق.م) «فلسوف أخلاقي من أتباع المذهب الروفي  
واحد للداعين من الجمهورية الرومانية والنظام الجمهوري ضد بولشيس

(١٤) «سير توماس مور» هو مؤلف الكتاب الشهور الذي صدر عام ١٥١٦ م. تحت عنوان «يونوبيا» لكن  
«سويت» يضيف «ما بعده» وحداً من الذين استشهدوا في سبيل عقبتهم وبيادتهم، ذلك أنه رفض  
«لاعترف بذلك» هري. لكن وثقاً للكتابة الإنجليزية، فاحصه لكك بالحقا العظمى وحكمت فيه انصبة  
بالإعدام وأخذ عام ١٤٣٣ م.

### أجزاء الثالث: الفصل الثامن

(١) طلبت أن ترى «موروس»:

كذلك فعل «موريس» في كتابه «تاريخ صلاي» حيث قابل «موروس» رسالة من قصائده وسمع رأيه في فضله  
وعقني كـ

انظر (Lucan, pp. 250-251).

(٢) كان حينها من أئمة الميوت. فضلاً: نوتت الأخبار أن «موروس» كان «معي» لكن «سويت» يرى هي  
«ملي» «لورينزا» «مدي» قال في كتابه «تاريخ صلاي»: «لا يكر لدي» «ملي» «لورينزا» إن كان «معي» لأنني رأيت  
بنفس أنه لا يكن كذلك.

انظر (Lucan, n. 381).

(٣) «معي» في أحد الأبيح...

يرى «وكين» (Osc. 1970: 92) أن هذا النسخ ربما قصد به «سير» «تيم» قبل: الذي كان يحصل التبراسات  
«اللاتينية» حل التبراسات «سويت» وقد دافع «سويت» في كتابه معركة الكتب «The Battle of the Books» (١٧٠٤ م)  
١٧٠٤ م عن أراء «تيم».

(٤) «ديديوس» هو «جاءل» «سكندري» (٦٥ ق.م - ١٠ م) «اشهر بظاوته في المدرسة «المتخصص» «علمي» وأتبع بحثاً  
عن «موروس» «رقيقاً» لأعماله.

- (٥) بومبايوس: رئيس أساقفة ساتونيك (توفي حوالي ١١٩٤ م) ومؤلف لأحد الشروح للإيليا والأوفيست.
- (٦) تفحصها المعقوفة الثلاثة لفهم شعر هذا شيء بالملاحظة التي سمعها أوسيان، من «هومروس» الذي نقل: «شككة هؤلاء» «محققين» «المعبرين» «التعمد» لهم «لا فوق أدبي»  
نظر: (Lucian, p. 284).
- (٧) سكونش: هو «دش شكوش» «Dine Sconch» (١٣٠٨ - ١٣٦٥) كان من الفلاسفة المدرسين (ال«سكونش») ومولفًا لأحد شروح «أرسطوطاليس» (من اسم الكلمة الإنجليزية «Dunce» التي تعني «شخص عبي أو معتل»).
- (٨) راموس هو «بيير لا رامي» «Pierre La Ramon» (١٥١٥ - ١٥٧٢)، كان أستاذًا للفلسفة في جامعة «مسا» «The Collège de France» (تخصصًا مشهورًا للفلسفة الأرسطية).
- (٩) «ديكارته»: هو «رينيه ديكارت» «René Descartes» (١٥٩٦ - ١٦٥٠) فيلسوف وعالم رياضيات فرنسي.
- (١٠) «غاسدي» هو «جيرغ بنندي» (١٥٥٣ - ١٦٥٤): عالم رياضيات وعلمكي وهمايت فرنسي، «عارض فلسفة ديكارت» وفلسفة «أرسطو» و«سار» أو «يجي» الاحتمال بنظرية «ألفيغور» في «الفيزياء الذرية» مع رفضه: في «الفيزياء» نفسه، فلسفة «أيقور» «المادية» للدين.
- (١١) «نظرية الجاذبية»: هي «نظرية «نيوتن» التي حلت» من «قوة» «ديكارته» في «علم» «الاحتمال» «المسألة» «تسوي» في «دوافع» أو «ما يسمى» «نظرية» «The Vortex Theories».
- (١٢) حتى أولئك الذين... «المادوي» «الرياضية»: المقصود هنا هو «نيوتن» الذي شرح نظريته في كتاب نشره عام ١٦٨٧ تحت عنوان «Philosophiæ Naturalis Principia Mathematica».
- (١٣) «إيليوغابالوس»: هو «فلوريوس ألبيس بابيانوس» وهو «إمبراطور روم» (٢١٨ - ٢١٧) الذي حل اسم «مارقموس» أو «إيلوس» «أنتونيوس» «حار» كان «ميراثيًا» «شهير» «يقول» «قوله» في «الوقت» وتسم بذلك «الحيلة» «يردي» عنه «جيبين» (Cicero) «أنه» «وكان» «يكافئ» «مخبر» من «مخبر» «كلمة» «حديثة» «لكن» «أن» «لم» «نسمع» «الكلمة» «الحديثة» «تتكم» «على» «خبرها» «ما» «لا» «يأكل» «شيء» «سواها» «حتى» «يخرج» «أكل» «أخرى» «تروق» «لخلق» «الإمبراطوري» «نظر»  
(Cibbon: Decline and Fall of the Roman Empire, ed., J.E. Bury, 1909, I, 195, n. 66).
- (١٤) «الحرف» «الإسباني»: هو «رق» «در» «لوك» «أمود» «كان» «يقدم» في «الوجبات» «اختيائية» في «إسبانيه» «وبفان» «أن» «أحد» «ملوك» «إسبانيه» «مستأثر» «حياتها» «إسبانيه» «تظهر» له «مغنا» «إسبانيه» «لكنه» «يجد» «هذا» «الحرف» «متفر» «ومثير»  
انظر: (Sibourgen, XII).
- (١٥) لم أجد شيئًا طويلًا من «أروموس» «المزوجة»... «أثير» من «المزوجة»  
حول «الموضوع» «ذهب» «بأن» «أريستو» «أثبت» «أن» «هناك» «كثيرين» «من» «ناس» «هذا» «العالم» «ملوك» «وبدقته» «ولم» «أتركه» «وبادوا» «لم» «يكن» «كل» «لهم» «أكثر» «من» «أربعة» «حصف» «وبدقته» «ميكوك» «عمران» «كم» «أن» «الكثيرين» «من» «ال«الحجازيين» «الذين» «يحيون» «في» «بوت» «الصفا» «يتحدرون» «من» «صان» «ملوك» «وأنا» «هذه» «هذه»  
نظر.
- \* (Rabacub, I. I. p. 41).
- \* (Williams, 1926, 482).
- (١٦) ما قاله «بوليدور فيرجيل»: «امرأة غاضبة»  
«بوليدور فيرجيل» شخص «إيطالي» (١٥٠١ - ١٥٥٤) كان قد أصبح رئيسًا للفلسفة في «روما». ولا يوجد مثل هذا «القول» في مؤلفاته التي تحتوي على ٢٦ مجلدًا، من «تاريخ» «التحليل» «ويعتقد» «أن» «هذا» «القول» هو «من» «اختراع» «مؤلفه» «وأكد» «أن» «يؤثر» «ما» «كانت» «حل» «قد» «دور» «جريت» «كاثي» «أف» «دوق» «أنيوك» «أف» «وغير» «ذلك» «الأغوة» «كلوا» «إطالًا» «كل» «الأغوة» «كثرة» «فصلاته»  
نظر:

\* (Turner, ed., 1980, 356, n. 19)

\* (Cass, 1958: 92)

## (١٧) المصنف انتفاضة... الثورات

يتضح أنه معنى هذا القول، حين نقرا ما قبله (سريته سابقاً) في كتابه قصة يرميل *A Tale of A Tub* (١٧٠٤)، حيث يعزو حملات هنري الرابع (ملك إنجلترا) إلى قصة حب مثله، كما يعزو حملات لويس الرابع عشر إلى دستور شرعي.

انظر: (H. Davis, *Prose Writings of J.S.*, 1935-63, v, 303-301).

## (١٨) تاريخاً صريحاً...

حين قرأ «سريته» كتاباً لـ «دسقف» «جيزرت بيرن» (Gizert Birn) تحت عنوان *History of My Town* (1724-14) كتب «دسقف» التالية: «المؤلف في معظمه لصاميل من أسرا من فانيكهم ناهيلاً لجهة مزيج... تاريخه السري يتكون في معظمه من مضامين نظرية أليس في الغاي، أو في بعض الحالات من اختيار مأخوذة من مصادر تلك أو رابع أو خامس. أما «سريته» هي ولادة أنطالاب بالعرش (*The Premier*) ولا يلي إلا بمحور توري حكوية وهي حالة في زارة الشخصية.

انظر: (H. Davis, *Prose Writings of J.S.*, v, 193).

(١٩) نجد أمراء البحر... معلومات الملو كانت تالفة ربما كان لنفسه ما هو الأمرال وندارد: «بل» (١٧٥٥-١٧٢٧) التي كان يقولها الملك جيمس الثاني، وتجنب في ذلك نفسه أن يدخل في معركة بحرية مع الفرنسيين. ولكنه اضطر أن يبرهنهم في دلاهي عام ١٧٩٢ لأن قائد الأسطول الفرنسي نظراً بنجومه عمل «سقوط الخلاء» دون أن يدرك لغوي المعنى هذا الأسطول بسعة ٨٢ إلى ٤٥.

انظر: (Turner, ed. 1980, 356, n. 27)

(٢٠) ثلاث من هؤلاء: «بشير» «سير» «ووتر شوكوت» إلى أن هؤلاء يرمزون إلى ملك إنجلترا «شارلز الثاني» و«جيمس الثاني» و«ويليم الثالث».

انظر: (Sir Walter Scott, ed. *Writings of Scott*, xii, 335)

## (٢١) شخص به في أن قصته حربية...

ربما كانت هذه القصة رمزاً لمجودة حرب الأحرار نحو صديق «سوفيا» «شارلز مونرووت» (إرنل بيغزود) كانت «كان شارلز فاندأ انجيلة الانجليزية في «سبيل» وبعد أن حقق انتصارات رائعة عام ١٧١٦ استعفى إلى إنجلترا وقبض على «الأميرال» شارل الذي كان صغير السن وقليل الخبرة. وبينما كان عائداً إلى إنجلترا في ١٧١٧ هاجم الأعداء وأعجب أنه الذي كان يقود «جينة» لغز بحروب بنفذة ألت بعد بعض الوقت إلى وفاته.

انظر: (Cass, 1958, 92-3)

(٢٢) ألقبوم: المعركة البحرية التي حدثت عام ٢١ ق م وانتصر فيها أوكتافان «أغسطس» فيها بعد حل أنطوني و«كبريات».

(٢٣) كان ذلك السبب الوحيد لحرب أنطوني: يختلف «سريته» «دسقف» مع الزوج «بلوندي» الذي يقول في كتابه «الملك» (Antonia, 1٤٠٠) إن السبب الحقيقي هو أن «كبريات» «بحر» نطأ بسفينة السبب، بعيداً عن ميدان المعركة و«حر» «أنطوني».

(٢٤) امرأة اسمها «بريتا»: أن امرأة «تجقت» بعد أن كانت من الرقيق، «كي» «ي يقول تورنر» (Turner, 1980, 357, n. 27).

١٨: من الصفحة التي تنسب إليها «سريته».

(٢٥) «بنيكولا» «دي» «بنيكولا» قائد الحناح الأيمن في أسطول «تطويو» «ميركا» «التقويم». انظر: (Plutarch, *Life of Antonia*, 1٤٠٠-1٣٩٩) موضوع «الخربة» هو أن «أغسطس» «عمل» أحد «هنا» «عده» «الملك» «نهر» «بكرم» «باغ»

بها بجلى باقتادير عن فرحل الذي يذير (أعسخر) له بالنصر.  
(٢٦) أجزبا: حر وساركوس فيستايوس لثريكا (٢٥ - ١٢٠ ق.م) الذي اشراف عام ٢٧ ق.م على تربية اسطوخودوس  
وكوكاليناء وقد لا التعلل. الأول في انفس هذا الأسماك في مصر. (الشرط  
(٢٧) حيث احتكر الفضل والثاني... الفتحة الرئيسية لأبي...  
لا شك ان وسيفته ناضجة هذا التهميم عن اسلورود. فذلك لعدم لخبوش الانجليزية خلال الحرب ضد  
فرنسا  
وانظر: الجزء الثاني الفصل السادس، اعرض رقم ١٠٠

### الجزء الثالث: الفصل التاسع

- (١) كنت أقسم ان اغنيديور... دخولك تلك المنطقة  
حد إمام الثورة السجيه في اكتوبر ١٩٢٥م. اعطت الحكومة نيابته بلاذ في وجه الالادويين ما  
عدا المواليد الذين اثاروا هذا الامتياز لأمه اخصروا عشر من مدافنهم وثأروا بالمالف معقل الشجيين في  
قلعة دهراء لمدة خمسة عشر يوم.  
(٢) لزال قوتج قوت او قوتيل قوتج قوتج. ينشر (Kellum, 1951, 373) هذا الاسم بمعنى دمية المداورة  
الشريفة: هو دمية تفتح الثريفة.  
(٣) يفتل قوتج... ١٥٠ الصورة عبرية اطار. (سار الي اشيا: Hahsh, dia, 2٤) حيث يجب ما تروجه  
وسركون لك يوحدهم الى الارض، ويحسون لرب شريك. ولكن نحن هذا الى دائرة ادوية ريمه موحاه  
وسيفته من وسع لقاعة الاستحقاق في قصر ملك -يام كيا ورا في كتاب بعنوان تاريخ البيت كنه حنس  
هوندي اسمه (الجزء الثالث) ١٩٥١ - ١٩٦٦). وكان حبيب السعارة خولدية في لبنان. كشتت بيت  
وكافله بعضي لوسيفه لطيفة مولد الفرس اسم سيراطور اليامان. وهي تصدي على زيف حل ابيدين  
والركيز

### الجزء الثالث: الفصل العاشر

- (١) متروبوليتون: يرى انجبراند، ان وصف هؤلاء انفس كان يفتل عنهم لقب «الخالدون» (نظر: R.P.  
Fitzpatrick, SP, LXX, 190٨, 657-676).  
بالنسبة لسفر سرج. لعدم هذا الفصل، ومع كذا الياف، قارن مع أسطورة «ديونوس» الذي ليخ الخلود هو درام  
الغوة «الصباح والشباب» ومع ما كنه «ديونوس» عن حالة من يرجون طول العمر بجههم تكون النعامة التي  
لواكب الشجيرة، (نظر: (Journal Sallus, n. 18٤ 286). وفلان ليضام مع أفكار مائة كنها «وسيفته» نفسه.  
هو يقول. «كل انسان يرغب ان يحول عمره، لكن لا أحد يرغب ان يصبح عجوزاً» ويقول في مكان آخر:  
«البيت ظاهرة طبيعية وغريزية» «حما حل كل المخلوقات». ومن المستحيل ان يكون له سبحانه قد اوجد الموت  
بشيء ليشره. انظر. (H. Davis, From Windows of J.S. ١٩, 24٩, ٣٠٠ ١٩٦١).  
وكان الاهتمام حول «عمر ابن شاح في عصر وسيفته من اشته ذلك وصف للمسافرين في «شواشكنا» كنه  
ديونوس مافله (Dr. Colum Murray). انظر (JPRS, V ٤٠ 195١) و(Künzler and Mehl, 1962: 1٢6). وكتاب  
للمترجمة كنه عام ١٩٦٦ وترجم ذلك الانجليزية عام ١٩٧٧ تحت عنوان Long lives (الي المصنوعة) وفيه  
يصبر المؤلف للترسي Hucnust de Longevité- طوب العمر نعمة شجرة انظر.

\* J. I. Bland, PHILA, Lxxiii, 1958, 42-50.

\* S. Klima, PQ, xiii, 1963, 556-566.

\* Tames, ed. 1963-1968, n. 1.

(\*) اكتشاف خطوط الطول: أي اكتشاف طريقة لتحديد خطوط الطول في البحر. وكان اسكتلندي الإنجليز قد وجد جائزة فكتوريا عشرين ألف جنيه لمن يبتكر طريقة مناسبة لذلك. وكان «ويليام ويستون» (William Whiston) والفرنسي «دانيال» (Eusephes Danton) قد اقترحا خطة تقضي بترسية سفن ذات صواريخ ومئات من صمغته على كل سفينة في فترة خطوط العرض.

انظر: (Turner, ed., 1963, 359, Note 8).

(\*) الحركة الأدبية: كانت هذه موضوعاً يعطى اهتمام كبير في المجتمع العلمي خلال القرن السابع عشر، وقد قام «ديزاجوليير» (Desaguliers) بمبحث جلاء هذا الموضوع عام ١٧٢٦.

انظر: (Peters, ed., 234-239).

(\*) النبوءة الكوكبية الشاس: كان في ذلك العصر اقتراح بوجود دواء من هذا النوع، يتعني جميع الأمراض وبطيل العصر بلا حدود. وبعد أن تهاجم الكتاب النصوص Long Lives (سنة المائتين رقم ١١) أخيراً، تم تصنيف مضمونها من كمية تحليل هذا الدواء وعن كيفية تعامله (حتى لو ست قُط في كس من الحيد أو في حوض من ثور) حسب نوع المرض. انظر:

\* (S. Klima, PQ, xiii, 1963, 561).

\* (L. D. Poole, KEN, ix, 1964, 265-267).

(\*) ولي من المصنفين: إن قائمة الكتب وأنواع النصوص التي يعالجها منها للمعروف حاشية به يذكره «جورنال» في قصصه السابقة. فبعد أن أستاذ الشعر وتقديره من نصوص الطعام (Juvend. Satires, K. L. 194-204) الأمراض المنوعة الأخرى المذكورة في «سيرة» ١٦٨، ١٦٩ من نصفاً حرقبتل الماشية (Satires, K. L. 215-219) أنه فقدان القدرة على الحياة في الأبيات (168-169) من الأبيات نفسها.

## الجزء الثالث الفصل الأول عشر

(١) لا أذكر أي صادف متيلاً له في ... كتب الرحلات ...

كان ذكر المعمرين وأوصافهم أمر شائع في كتب الرحلات وقصص الرحالة. فبعد أن تلك المرحلة في كتاب «الملك» (Pines, Natural History) الذي نُشر في القرن الأول الميلادي، لم في ذلك. «الملك» تاريخ صافي جيد حيث قول: «حين يمشي عبر أهل القمر ويرى أنهم لا يموتون، بل يمتدحون في أعز كائنات» (Ed. 1960, p. 260). ولم يكن «سيرة» جاهلاً بهذه الأوصاف للمعمرين، وهذا لأنه إقاراً بقصص المعمرين، لكن الشيء الذي لم يفسح له مثل، لا في قصصه «جورنال» فهو يفتقر حول المعمرين أمراً متقراً، بل في المقام والمفرد والاستمرار.

(٢) أرجو حين يعلم المحققون بهذا الأمر ...

ربما قصد «سيرة» الإشارة إلى كتاب «تاريخ اليابان» الذي كتبه «الملك» الثانية «الملك» في «الملك» ١٦٥١-١٦٦٦ (١٧١٦) الذي كان عليه بالسيرة «الملك» إلى «الملك» ليان. ربما كان «الملك» هذا الكتاب مشهوراً في إنجلترا بعد عام ١٧١٦. كذلك ربما كانت الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب قد انتهت عام ١٧٢٠، ليكتب في قصصه على شكل كتاب مطبوع إلا عام ١٧٢٧. ومن الممكن أن «سيرة» سمع بوجود هذا الكتاب عن طريق «الملك» (Cyrus) الذي كان قد حصر نسخة من الكتاب قبل «سيرة». يذكر «الملك» في كتابه أنه في إحدى المرات التي قبل فيها «الملك» سأل «الملك» «الملك» في أوروبا يبحثوا عن اللواء الذي



الوجه المتحجرة وسيميه إلى حثريه، يقال به لا يرغب في أن يكون إنساناً مرة ثانية.  
 أن الرابي التقليدي هو أن «سيفيت» أراد أن يذكر محرمات: أكلة وإستهلاك الإصباح  
 ولا يزال بعض السُّلّا يدافعون عن هذا الرأي. انظر، على سبيل المثال:

\* G. Sherburne, *MB*, Lv, 1958, 92-97

\* C. Tenke, *MBR*, Lv, 1960 171-183

تكون التفسيرات الحديثة لتبرحه عنقوف حذرة بالمخبره والتهك، وذلك لأسباب متعددة، منها أولاً أنهم  
 يمثلون أصحاب «الذهب الرواني» في الفلسفة (Stoics) وأصحاب المذهب النسي الذي يقول إن الله خلق الكون  
 ووسع نوب لم تركه وشأنه ولم يمد يده يتدخل في سيرة (Deeds)، وهذا مذهب كان «سيفيت» ينكرهما ولا يرضى  
 عنهما، انظر:

\* Chronologia, *PHILA*, LXXII, 1957, 889-890

\* K. Wilschke, 1968; 197-198

ولكن الأسباب أن «بني اغريه» ينظرون إلى بعض التفضيل التي ينبغي بها لشر. انظر (Buckley, in Tel.  
 Jours, vol. 1967, 270-273).

وأما الأسباب في طبيعة «بني اغريه» تنظري على سطح وثقافة «إيراد» بمخبره والضحك انظر: (E.  
 Stone, *MLQ*, x, 1949, 361-370)

تكون أكثر الأسباب روايت «بولاً» لدى القوم، هم أن «بني اغريه» يمثلون مثلاً لأهل «عوى» من زيف كبير، وأن  
 «خبره» حين وقع تحت تأثير «قول» زنى أفكارهم ومذاهبهم وأصبع شخصاً سجعاً و«بني اغريه» وما  
 حدث به قد يشبه إلى حد ما ما حدث للرحماني في القصة الأخيرة من كتاب «الوسيان»، تاريخ صادق، حيث  
 كاد الرحالون يقتلون ويؤكلون من قبل «ساعات» ثمانين حريفات حين يصبح لهم أن «لحن» تحت «باني» حوشر  
 كحرفه الأخير.

ولزيد من الأملاح على قصة التفسيرات الحديثة للمعنى الرابع انظر: *M.P. Douira, ed. A Casebook in Gull's*  
*vers. Among the Houghhorns*, 1961.

(٧) «بني الياهو» يترجم بكلمة «ياهو» (Buckley, 1967: 275) إلى «Ye who (have) this» - أي وأنتم  
 يا هؤلاء تصحبون هكذا. ويصير في اليهود، كما صرحهم «سيفيت» «دنا» للفراد

ويربط «مور» (J.F. Moore, *NO*, ed., 1950, 182-183) إلى كلمة «ياهو» من جهة «بسم بعض البشر» اسمية  
 «الطغوة» في أفريقيا، التي سمعها كتب الرحلات واليهود «دنا» «الطغوة». وتختلف الفرض أن «مور» قد يشير إلى هذه  
 «بشر» بأنه «سديفة» وأنه تعني في أفريقيا إما يشير إلى اليهود (1905) الذين كانوا يفتنون في شرق أفريقيا.  
 وليس من المستبعد أن يكون «سيفيت» قد استوحى بعض صفات «بني الياهو» ولا سيما «بهم» «الجنون» «الجنون»  
 «الجنة» و«بهم» وأنهم، من «الجنة» «الجنة» في أوروبا في ذلك العصر من اليهود

وقد يكون المقصود من تصوير «بني الياهو» هذا الشكل «الجزء» هو إعطاء حروب «لؤلؤ» من «دابة الإنسان». ذلك  
 أن كتب «المعنى» «تدريسة» في أيام «سيفيت» كان تعرف الإنسان له «وجود» «عاف» كما كانت تُذكر «الخصن»  
 «كتمان» على «المروءات» غير «الطاعة». لكن وصف «سيفيت» ل«سوك» «بني الياهو» «بني» «بهيون» البشر شكلاً،  
 و«سوك» «الجنون» «الطاعة» «بهي» عن «إنكار» «لجنة» «كتب» «المعنى» وهي «ضرورة» «إيمان» «تريفات» «الطاعة».

انظر: R. S. Ozick, *Reveries and the Imaginations*, ed. J. A. Mervin, 1962, pp. 247-253

كذلك يبدو أن «بني الياهو» يمثلون ضد الإنسان بعد السنوات «والطاعة» «الكتاب» «الطاعة» «بني» «تصوره»  
 «الجنة» «المسيحية». وكانوا قصد «سيفيت» أن يفتد «الطاعة» «بني» «الطاعة» «بني» «الطاعة» (Shafesbury,  
 1771-1773) التي تؤكد أن الإنسان «بني» «الطاعة». وأن يؤكد من جديد «طاعة» «الطاعة» (Original  
 (S.)) «الطاعة»





(٩) شاعرت صندا من الحيوانات في حفل: يبدو أن حبة من وصف ديني، لياحه هنا مُنتجعي من الأوصاف، المرسلة في كتب الرسائل عن تقبيل صمينة (ولا سيما لدى الموثقوت) وعن القرد، انظر: R.W. Frantz, *MP, exis*, [191], 49-57.

وقارن بما قاله دانييل من العنكبوت الأصلية في لوستا: فإن سكن هذا الهند هم تمس السموت في السلم إن «موتشوت»، رغم قذارتهم، إذ غوزفوا هؤلاء من حيث قزوه، يُكْتَبَرُون سلفاً مرفين. هؤلاء بلا بيت، ولا حتى قلاب من الجسد... كما عند الموتوت، ونواً أعضنا شكل هؤلاء البشري، فاجم لا يختلفون إلا للبلاد عن الوحشيين بطور:

R.W. Dampier, *Voyages and Descriptions*, 1699, v, 453.

(١٠) كان هذا غالباً... تنتهي برؤوس مدية.

في كتاب حياة سويط (1785) Life of Swift, ص ٥٠٥ يستشهد «لورانس بيريدان» به النص ليثبت أن «سويط» لم يقصد أن يحس ديني البعوض رسماً لشر. يقول «بيريدان»: «من معروف جيداً أن الأظفار البشرية إذا أُسِج لها أن تنمو... لا تأخذ أبداً هذا الشكل، وإنما إذا أُسِج لعمق يدين عن القيام بوظيفتها لكن ربما كان «معمود» من هذه الخالب أن لم يزل إلى عداية البعوض».

(١١) كانت أقدامهم تتدفق... تصل إلى الأرض حين يجسرو:

وارد بالأوصاف التالية:

والصاء [الافريجات] ترجمته. وتند نسي لمرأة في قبة ايوبيديس (Ulucius) حتى ليحكها إن نضجه حل كطها... ٤...

اوثنى أثناهي حتى لصل إلى تحت كرمي: بحيث إذا أُنْخِثَ إحداهن وهي تعمل في التعليب تدق تدبها حتى يكاد يسلان الأرض بحيث يجلي في يراها من بعد ثم لها سنة أرجى».

نظر

\* Thomas Herbert, *Some Years Travels*, 1635, p. 15.

\* Richard Ligon, *A Tour and Exact History*, 1607, p. 32.

\* Francis, MQ, 1931, 34.

(١٢) ترمي برازها فوق رأسي: في الصفحة ١٠٨ من كتاب *New Voyage and Description of the Islands of America* (1699) (وهو كتاب كان مرسوماً في مكتبة «سويط»)، يذكر المؤلف «الويلز» ويقر: *Exhaust Water*: «نقروه التي أكلت نقر من طعمي إلى عصب... وهي تثير وترج، ومن قناع لها القوصة تنبوا، عمداً على رؤسنا».

كذلك يصف «دانييل» قرد «دين» بما يلي: «قلت مرة كثيرة أنص من شجرة إلى شجرة فوق رأسي، تثير وتجرب صرخة طعناً، وكانت تنظر إلى من رجع عابسه كبداء العدد ونقوم بحركات بطرائع غريبة. بعضها كان كمثل قروصا جافة ويرده عني، وبعضها الآخر إلى برازه وورله حول أذنيه». انظر:

\* Timothee, *Voyages and Descriptions*, 1695, ii, 161.

\* Frantz, 1951, 52.

(١٣) أظن أنها لا بد أن يكونا ساحرين طرا شكلهما... ٤

ربما يكون «سويط» قد استوحى هذه الفكرة من كتاب *Metamorphoses* (تأليف أوفيد) أو من قصة «الحمار الذهبي»: *The Golden Ass* (تأليف أپولونيوس) التي يعبر عنها شكل عن طريق السحر إلى حمار. ونجد أيضاً نفسها في قصة من تأليف «لويسيان» عنوانها *The Ass* أو *Lulus*.

(١٤) حاول... أن تلك صهيل الخيل، وظهرت عليها الدمشق:

ربما كان، هذه الصيغة، خليقاً تهكمياً على طرف (مسطور: 1991a, 67) لأن الإنسان يختلف عن بقية

الحيوانات يكره كثيرا لدرة على التماثل وتمازج للتفرد.

## الجزء الرابع - الفصل الثاني

(١) ملاسي، التي لم يكن لدى الخصم أي فكرة عنها: يتوأن في هذه العبرة إشارة إلى ضعف قوة الملاحظة عند تحليل أصل الأدب، هنا بأنها «مفردة»، وقد سبق للخصم السيد في الفصل الأول أن شاعرا. وبنظرنا برفع القيمة على رأسه ثم يعيد وضعها فوق رأسه.

(٢) سهولة إشباع حاجات الإنسان

هذه فكرة «أبيقورية» تكررت في كتابات فلوكريشوس (Lucrētius, DRN, ii, 16-17) وهوراس (Horace, Sat. 1, ii, 131-136) كما ذكرها «الغشني» (P. 1, ii, 131-136) صديق «سريته».

(٣) ليزيد الشهية بل الشراب بغير «توترا» (Turner, 1980: 364 n. 11) إلى أن هذا نظرية بطلنة. رأي تطاري على إشارة للفرد بأن أفكاره وحالته وأسكنه لم تعد صحيحة كوجبة بالاعتناء عليها.

(٤) الإنسان وحده، دون الحيوانات، مفرد بالملح:

هذه أيضا نظرية بطلنة سبب نور تيرنر (Turner, 1980: 364, n. 11). الأنعام على سبيل المثال، مفرمة بالملح ويردد كلها حين يتوهم عصر الملح في انعدام كما يرداء حليها. ولقد كان الملح عنصرًا أساسيًا في حياة البشر. ولهذا فإن زفني «حظرة» للملح يتطرى هو «مهم» زكري هو رفضه للمجتمع البشري. ويقول «باني» في هذا «المرشد» «الحب» للمحضرة «مستقيمة» دون الملح» انظر:

\* Pliny, Natural History, XXXI, 42, 85

\* P. Bucke, 8N, i, 1961, 1-5

وقارن هذا مع فكرة «مدرسة» تقول إن الفشل البدني في أمريكا الشمالية كان نكته الملح وتعتبره مصدر كل الأمراض لدى الشعوب «متحضرة». انظر:

\* E. Le Roy, Dialogues Curieux, 1709, ed. G. Chatelet, 1931, pp. 97, 128

وقارن أيضًا بما ورد في قصة روبنسون كروزو من كراهية البدنين «تين» شخصية «جمعة» المبلغ «نشر» كتاب «نصف» الهندية في الأمطار الكروية أو رحلة روبنسون كروزو، ترجمة... «نعم» بفرس البني المطبعة الأمريكية في بيروت سنة 1901، ص 27.

## الجزء الرابع: الفصل الثالث

(١) أبدي الامراطور شاول... ملاحظة هذا المعنى:

يشاع عن «امراطور» شاول «شمس» أنه قال إنه يفضل أن يخاضب رأسه بالإسبانية، ومشوكة بالإيطالية؛ وحبائه بالألمانية. وربما كان «سريته» يفكر بهذه الإغارة حين نشأ له أن «الإناء» باللغة الإيطالية. انظر: «رحلات» جنترو، أسرد ثالث، «فصل الأول».

(٢) ليس لدى بني المونيم أدب فكرة عن الكتب أو الأدب

يرى «بكتور» (Buckley) في هذه إشارة إشارة إلى أن «بني المونيم» يختلفون إلى الإبداع. انظر:

M.W. Buckley, Fair Liberty Was All But Cry, ed. A. N. Jackson, 1987, p. 27

لكن يجب، في الفصل التاسع من هذا الجزء الرابع أن «بني المونيم» متفوقون على كل المخلوقات في الشعر.

(٣) هو يحتم أنه من المستحيل أن توجد بلاد وراء البحر...

هذه الأقوال تنسبه إلى الخصم السيد «دليل» على أن نعت «عقل» بني المونيم، شبه بال«عقل» ل«الجاهل» لدى

على أثرية. نتيجة (سار الجزء الثاني - الفصل الثالث). وقد يكون القصد من السخرية من الدين يريدون مناقشة قضايا الدين والإيمان والنيات عن طريق العقل وحسب.

فمن هذا يحدى موقف «سويت» وعنوان: *On the Trinity* حيث يقول: «من القضايا القديمة والصحيحة القول بأن الأشياء قد تكون فوق مستوى عقل دون أن تكون متناقضة مع... ولو قيل لشخص ساحل إن حجر الصليب يجب الحثيد عن بعد فقد يقول إن هذا شيء متناقض لعقله، وإنه من الحجر أن لا يتمد الناس كل الأحياء على عقولهم في نصايا الدين».

انظر: (H. Davis, ed., *Prose Writings of J.S.*, 1939-1966, ix, 164-166).

(٤) كلمة «هوبنيم»... كلمات الطليعة:

يرى «تيرنر» (Turner, 1980) ١٦٩، ٢٠٥ أن هذه العبارة تطرق على أن «بني الحويتم» لا يفلون أسد التل عليها، فيبصر، بل يمشون صمًا بشرًا هو المرور والكبرياء.

(٥) جندي عظمى يشكل مختلف عن أجساد الآخرين:

هذا ينص على أن حكمتهم تعتمد على التعارض من الأمور، وليس على الواقع. ويشير «تيرنر» (Turner, 1980) ١٦٩، ii, ٦٥ إلى أن «سويت» كان يقبل لفلسفة استند على الفاهر ويتر من نفسيات التي ترجم أنها تعرف البراهين التي عليها.

(٦) أشعة من حفود بني الباهو....

ربما كانت هذه إشارة إلى انحدار إنسانية إنجلترا وقولها إلى حذر كاره للشر. فدون هذا مع ما ورد في مقالة «سويت» بعنوان (*A Modest Proposal*) 1774، حيث يقترح، بسخرية مريرة، أن يُستعاد من جلود أطفال فقراء الأيرلنديين في صناعة كفوف رائحة نليدات وأحذية صلبة لاسلكة الآخرين.

انظر: (H. Davis, ed., *Prose Writings of J.S.*, 1939-66, iii, 112).

(٧) لا يستطيع أن يفهم إلا تلميحاً ظلية من تخفي ما أعطت لنا الطليعة حول قضيه الملايين وما مضايقتها نفسية لهم:

\* J. Ehrenpreis, *PMLA*, Lxxii, 1957, 889-890.

\* J. C. MacManis, *JHE*, xlvii, 1966, 61.

(٨) تكريم ميدانه يتلية كل رجليتي، وهكذا بقي السر مجهولاً:

هذا يعني أن لخصاء يعرف «مهموم الكتب» قد يظنوا عليه التكرم على الحقيقة (عدم إقضاء) والسكرت على منظور الزائف.

## الجزء الرابع: الفصل الرابع

(١) أنا بني الحويتم هم ماتتكم:

ربما كان «سويت» يقصد ما سخره من حد لانجايون الضمير للمحل.

(٢) أن حلتهم وشهورهم إلى ما هنا:

هذه صفة مشتركة بين «بني الحويتم» و«أرواين»، أصحاب فلسفة النقشف قرن هذا يحدث «سويت» الساخر من أرواين حيث يقول: «إن غطتهم في إشباع الخاكت عن طريق قطع قرعيرات شبيهة بقطع كدالما» حين تحتاج إلى أحذية». «سار»:

(H. Davis, *Prose Writings of J.S.*, i, 244).

(٣) تركت بلادي لأجمع لروا:

لاحظ أن هذا الدافع لسعر وإشكال مختلف عن الدافع الذي ذكره إنجلترا في نهاية الفصل الثامن من الجزء

الأول (أي: أرغيتي التي لا تنح في رؤية تلك أسيرة)، كما ذكره في بداية الفصل الأول من الجزء الثالث (أي: مغتنى عن رؤية المأساة).

(٤) ولقد فُقد اضطرروا إلى البحث عن رزقهم في أماكن أخرى:

لاحظ أن الأسباب التي يعطيه «مخلوقه» هنا لسفر الأعراب هي أسباب لا إنسانية ولا أخلاقية، ذلك أن الأسباب هنا تنحصر في ارتكاب الجرائم وفي الغرار من أعدائهم أكثر مما رغبة في اكتساب الرزق أو في التعرف على العالم ومعرفة.

هذا الانحطاط في الأسباب يعكس انحطاطاً موازاً في طبيعة وحشوه التي رؤيته للبشرى الناس وفي فهمه لطباع البشر.

#### الجزء الرابع، الفصل الخامس

(١) الحرب العظيمة مع فرنسا.

المقصود هنا حرب خمسة أوجزج (The league of Aragon) من ١٤٨٩ حتى ١٤٩٦ ثم حرب الصراع على غرناطة أسبانيا من ١٤٩١ حتى ١٥١٢.

(٢) طمع حكم لا يكتفي بما لديه من بلاد وإنما تحت حكمه من بلاد:

فأراد أن يوسع في يونانيا: انخرض في اقتراحات [على ملك فرنسا] وزدته الميول بتعطيل حرب عهده إلى ضم إيطاليا [فرنسا] أن يتركها لطلب وشأنه... وأن يغزو في بلادها لأن مملكة فرنسا وسعها تكاد تكون أكبر من أن يحكمها رجل واحد....

انظر: (نومس، مود: بورتويا، ترجمة د. كجيل بقرموس معمار (١٩٧٤)، ص ١٧٢ - ١٧٤).

(٣) إن كان اللحم خيراً أو أخيراً حقاً.

إشارة إلى الحقيقة السيئة حول تجار حبر القربان وغيره ذل جسد المسيح ودمه. وقد صور «سوفيت» في كتابه قصة برييل (١٧٠٤). قصيدة «سازار» الاختلافات حول هذه المعيدة بين الكاثوليك (ويكلمهم في القصة Poets) والبروتستانت (ويكلمهم Martin) والحوارج Diacenteros (ويكلمهم في القصة Jack).

(٤) إذا كان العصفور شراً أم خيراً؟

كذلك، هناك سرائف سيئة تعتبر موسيقى العزف على «الأورغن» والعداء في الكنائس أعمالاً كذا.

انظر: (Turner, 1980, n. 7).

(٥) ما ينبغي فهمه بقطعة من الخشب: كتابتها أو حرقها:

قطعة الخشب ترمز إلى العليق، وقد اعتبرت بعض لغات علبين على شكل سلبب صلباً مكروهاً، من هؤلاء أتباع كائنات، واليوريثانور (مظهرون).

(٦) أفضل لون للعلاص: إشارة إلى طيف الرجاء: «لارمينيكان» (ملايسهم ميدام) «كوكليير» «Corcelines» (ملايسهم بيضاء)، «ميد» «تالوت» «Tinitarius» (ملايسهم حرام)، «الفرشيشكان» (ملايسهم رمادية).

(٧) تقوم الحرب بين أميرين... لاختصاص بلاد أمير ثالث: قالت هذا بما ورد في بورتويا (ص ١٢٣) حيث يشير أحد الشنارين على ملك فرنسا والبريد إلى ندية مع ملك «أوسون» (إعادة مملكة نافار ربه، صديقاً للسلام، موضوع الأخيرة هي أن مملكة نافار ليست ملك فرنسا أو لملك أوسون، وأن السلام المقترح بينهما سيتم عبر حساب ملك ثالث).

(٨) لا يجوز للمرء أن يتكلم دفاعاً عن نفسه:

قارن هذا بالأحوال الشاذة في بورتويا حيث يجد أهل بورتويا ديعون كلوا من بلادهم جميع المدعون، الذين يتناوبون القصد بمهارة ويناقشون الأمور الشاذة بشهارة. ويرد من غير أن يقوم الشخص بالدفاع عن نفسه ويقرن الفاضي ما كان سبقوه المحامي... (ص ١٢٦).

## الجزء الرابع . الفصل السادس

- (١) اضطررت أن... أشرح له فوائد العود... رقيم العائد:  
لنزل هذا الموصف، الشاعر لسلطان مذهب وقوته في قمة شارون وانظر (Lucisz, pp. 85-87). والموصف  
الشاعر لاستعمال الذهب في صناعة نبيذ السخنة وتعيد وصناعة المصارني، التبوك... الخ في يوتويا (نوحه  
د. أنجيل بطرس سمعلا، ص ١٦٨ - ١٧١).
- (٢) أكثر الناس يكذبون كل يوم سامانتي طويلة بأجور ذهبية... رغاء.  
موضوع المال، وتفوقه والأغنياء بطررك أيف في يوتويا (نوحه د. أنجيل بطرس سمعلا (١٩٧٤)، ص ٢٢٨ - ٢٢٩)
- (٣) قلتي إن لا سبورد الجدر... بقصر أمهلنا:  
يؤكد تيرنر (Turner, 1980: 268, n. 8) أن هذا الوصف لطائر الجمر لا يتفق مع صنف «سرينغ» من الجمر في  
حياته الشخصية - فقد كان يستعج به ويشترى كميات منه مقددة لأشروع ولصاغر
- (٤) نحن على صلي نتاج عمل مائة من الجرايين... :  
يتمتع «توسس موز» أيضًا في يوتويا (ص ١٥١) على مدار الوقت واسعد في الأعمال غير النفعية، كصناعة  
زخارف والتكريمات.
- (٥) يعرفون كيف يثبتون للذئب صواب وأبهم:  
نزل هذا مع قول «سوينغ» في القصيدة التي نمن فيها وفاته (Verses on the Death of Dr. Swin. LL, 121-122)  
He'd rather chuse that I should die  
Than his prediction prove a lie
- ومعى حذير الستين من الشعر. «ك أي اعليبي» يفضل أن أموت، على أن ألهو، ويثبت بذلك أن تنبؤ  
[موت] كان كاذبًا.  
بالإضافة إلى بعض الألباء إلى قتل مرضاهم، انظر أيضًا:  
Juvenal, Satires, n. 721
- (٦) مرسوم أخصاصة... : يشير تيرنر (Turner, ed., 1930: 369, n. 1e) إلى أن هذا يشبه «مرسوم لمعرو وانسون»  
الذي صدر عام ١٦٦٠ عند عودة ملكية إلى إنجلترا. وهو غفر غش لشركاء في انسرد على الدولة الملكية أو في  
الحكومات الجمهورية التي حكمت إنجلترا قبل ١٦٦٠. وهو غفر لسل المصنع ما حدا حسين شخصًا تجلذت  
أسراهم. وقد نشر أعمال الملكية (Casuliers) على هذا المرسوم فسؤوه مرسوم المعفو عن أعداء الملك والسيان  
لأعدائهم.

## الجزء الرابع : الفصل السابع

- (١) صارت الحقيقة عندي جميلة وعزيرة... قررت أن أصحي من أجليه بكل شيء  
بما جرت حده، سبارة على عيط العذرة التي كتبت إلى «أرسهيو» ويقول ليها: «إني أحب الأطلون وكعب  
سفراط، لكني أحب الحقيقة أكثر».
- (٢) الشهرة غير لطيفة: أحب المواهر والأحجار الكريمة يفتخر كُف في يوتويا (نوحه د. أنجيل بطرس سمعلا  
(١٩٧٤) ص ١٧٩ - ١٨٠) شهوة إلى لذة وهمية كاذبة.
- (٣) قام ذات مرة... على مبدل التجربة، يتقل بعض اصحابنا :  
ربما استوحى «سوينغ» هذه «التجربة» من قصة الكولوتيل جوك (١٧٢٢) للكاتب «ديال ديفرو» حيث يلت  
«حذكه» بعض الفرد في حرفة نذرة ويخضعها في محووب في جندج نجرف، لكنها تسقط في التجويف العميق فلا

بقدر الوصول اليه، ويصرح بزار حركاً وياث، ثم يفرح فرحاً جوارياً حين يهبط اليه ويستمرده.

نظر:

Daniel Defoe, *Captain Jack*, ed. S.F. Monk, 1966, pp. 23-26

(٤) غنيمتهم الذي لا يفت عن شيء: قارن هذا بما وُصفت به قبائل «غورثوت»: دانلس وإكلوند كن شيء مهم! يكن كريباً وقسراً، وإذا قاتلوا حيواناً ماتهم ياتسون لعماء وصغارها حتى يخرج منها الموت، ثم يغمرونها غل نير فصب دون أن يكلطوها أو يمسسوها، ولا تكاد تسمع من يتخاطفونها وإكلوند: النظر:

\* Captain Cook, *Voyage Round the Globe*, pp. 55-6, in William Hack's, *A Collection of Original Voyages*, 1596

\* R.W. Franz, *MIP*, Köln, 1991, p. 55

(٥) إن تلك اليهائم: تعبر الإثنيات مشاعاً لتجميع:

بعضي من انصاف ثائيد في جمهوره المأطون. النظر: (Plato's *The Republic*, 3K V.)

(٦) لاحظ سبدي إن أنني الباهو...:

يشير ديونوتي (Turner 1980: 370, n. 34) إلى أن هذه التكتيكات الأسرية يتكرر ذكرها في الأدب الروماني (Pastor of Literature) على سبيل المثال في فصائد «فرجين».

نظر (Virgil, *Eclatua*, iii 64-65).

(٧) شمع الحضارة...:

شيرة إلى أن لا سرائر. الجنسية والمرادفات الجنسية تشافة ليست من المورث العنصرية، بل هي نتاج حضاري. وقد كانت هذه العنصرية رتيبة في عصر «سيفيت»، لكنها موحيدة أيضاً في الأدب الكلاسيكي. النظر: (Cicero, *Saturnus* ii, 162-170)

## الجزء الرابع - الفصل الثامن

(١) إن ذوي ونوات الشعر الأحمر... هم أشدحم صبغاً ونجراً...:

موضح وتيقن، أن هذه نظرية كانت شائعة في القرون الوسطى، وأنها متصلة دون شك بشخصية «يودا» الذي كان ذا شعر أحمر ونظري راجت عنه قصة قتلته بأنه

(٢) صلب إن ألى ياهو كنت راققة...:

ربما كانت قصة هذه العنصرية «جنترا» قبيات مُعدلاً سائراً عن وصف «توقس آدم وجود» لسبب هذه الموجود في قصة أطلانطا الجديدة (New Atlantis, ed. Bacon, 161, 354) التي كان يستحم فيها القصاب (أو الشابات) الذين يرضون في الزواج «فلم عوة قداماً لكي يتم تخصبهم من قتل من يثلون العروس (أو العريس).

(٣) لم تصلوا الحادية عشرة من عمرها... الفرق الكثير بين عمر هذه الفتاة و«جالت» يوحى فكر القصة ربما ترمز إلى «قالت» (وهو الاسم الذي كان «سيفيت» يطلقه على صبيته) وسرّ «سيفيت» التي وقعت في غرام «سيفيت» رغم أنه كان أكبرها بخمس وعشرين سنة، ولحقاً به عام ١٧١٤ إلى «برلندا» وراحت تكثر من زيارته في «برلندا» وتلق عليه بشوقها وشهوت وقد منته الشواصل لها. النظر: (Cicero, 1980: 371, n. 7).

(٤) ميلزهم الرئيسي العظيم هو استخدام المعش والانبعاث لأحكامه:

كان هذا مرشداً أصحاح ملحد الذين تعيبي (Deists) الذين يؤمنون بوجود إله ويتكبرون الأدب السهل، ولكنهم سبلي عن هذنية المعش وليس حل وحى من السماء. وهم يؤكدون أن المعش رحتة يشي للأخلاقي «عاصمة» والمناصب «أحمدت» إن الله لا يتدخل في نواميس الكون. كان «يوتنبروك» صديق «سيفيت»، من أنتاج هذا المذهب، وقد كتب رسالة إلى «سيفيت» (١٧١٦) يطلع فيها عن مذهبه ويقول: «ولا

القدرة على تغيير التصحيح من اعتناء، والمحقق من الباطل، التي تُشبهها العقل... هي نوع العقل الذي ينبغي أن يوجه كل أعمال العقل».

(٤) العقل صدهم... تفتح على الفور...

فإن هذا مع مبدأ ديكارت، القائل «إن كل الأشياء التي تصورها بدقة وبما هو يوضح كمثل تكون صحيحاً، نظر:

Descartes *Discourse on Method*, 1637, Pt. iv, in J. Veitch, 1957, p. 27

وقارن مع مفهوم المعرفة الخسبية عند دجون لوك، [Locke] والتي «لا يجد العقل عنه في نفسه شيئاً، بل يرى الحقيقة كما ترى العين الباردة، حالاً يُوجه نحوها... إن هذا الجزء من المعرفة لا يمكن مقارنته، فهو من دور التنس، شططه، يمرض نفسه في الحماق عن إدراك سلا بمنه وفي العقل» انظر:

John Locke, *Essay Concerning Human Understanding*, 1690, BK. IV, ch. 11, ed. A. C. Fraser, 1958, n. 176-177

(٥) العقل يُعلمنا أن عقل أو نرفض نقط عندما نكون على يقين:

بلاحظ نوتس (١٠) و (11) في Turner, ed., 1956: 271. إن هذا مبدأ خالفه ليد اخصان حين رفض، إن يصدق أن هناك بالأداء غيري وراء البحر. انظر: [رحلات جلفر، الجزء الرابع - فصل ثالث - نهاية العفة الرابع].

(٧) يفتي كتاباً مع احتكام «سخرط»... للإشارة من إلى قول سقراط إن محاولة البحث في العالم اللذين إنما هي مشيئة لغز، لأن بعض المعتقدات من هذا العالم يستحيل الوصول إليها، وأن البحث بعدد لوجب. هو البحث في موضوع الفلسفة الأخلاق. انظر:

\* Plato, *Apology*, 19

\* Xenophon, *Memorabilia*, I, 1. 11-12; IV, vi, 5

ثم قارن مع ما يرد في جمهورية أفلاطون (13) و 480 و 482 (República, 415, 482) حيث يوصف الذين يدرسون مثل العليا *studies*، مثل الجرش والمعاد بأنهم وحدهم الذين يحصلون من «التربية» *“apocryms”*، أما الذين يدرسون عالم الدارك الحسية فلا يحصلون على «كثير من رأي» أو «معتقد» *“ideas”*.

(٨) العدالة ونعت الخير هما الفضائل الأربعين.

العدالة، حيث اعتبر، كانت كليات مجدية وقد قُترِيت (١٦٧١ - ١٧١٣) ويكرهه لأنه كان يعتقد أن لدى البشر طرف اجتماعية غريزية. انظر: (E. Toulmin, *Utopia*, xli, 1953, 273). كذلك كانت هذه الكليات عية لدى «فيلسوف» الذي كتب إلى سوفيته (أغسطس، ١٧٧٣): «لا أعرف عهداً أوثق من عهد العدالة، كما أنه فإن في إحدى مقالاته: «حب الاجتماع بالآخرين هو الغريزة العقلية في الطبيعة البشرية، وحب الخير هو ذمها الأصعب». انظر:

\* R. G. H. nicks, *Philosophical Works*, 1794, iv, 256

\* Fitzpatrick, *PMIA*, Feb. 1957, 892-893

(٩) انقريب... أبتا ذهب فهو في يده. قارن بوصف مبدية للتقريب في يونيو (ترجمة د. أنجيل بطرس مسعود، ص ١٧٤)، حيث استلزون «لا يحصلون شيئاً معهم، لأنهم لا يحتاجون شيء، فذلك رصنتهم، فليها خلوا بهم في يومهم دون «علمهم».

(١٠) لا يفرطوا استدلالات الشكليات: قدن بما جاء في يونيو (ترجمة د. أنجيل بطرس مسعود، ص ١٧٨ - ١٧٩) حيث يُفتي أن من البقاء وأن يقيم المرء كل هذا الوزن لأنواع التفكير التوافق... في مرور حتمي صادق يمكن أن يجده الشخص في أن يكشف له آخر من رأسه أو يتي له ركة».

(١١) رأيت سيدي يجب أناء جاره كما يجب أناء: في جمهورية أفلاطون يعتبر فرحد جميع الأعمال أربعين يولدون من سبعة إلى عشرة شهور من مضاجعتهم للنساء أبناءهم.



لزيد من الشرح من هذه المعلومات نظر

Plato, Republic, BK. V., 451 D

(١٢) الطبيعة تعلمهم أن يُقَيِّروا جنسهم كله على قدم المساواة: هذه نسبة إلى خذ كبير يا محمد في يوتوبيا (ترجمة = أنجين بطرس سمعان من ص ١٧٥ - ١٧٧) أدنى الحديث عن واللغة القليلة الشريعة حيث نجت: «والعقل أنشأ... ينجوننا ويخفينا... أن نمارس... من أجل لثقتنا الطبيعية جميع الآخرين أيها...» (ص ١٧٥).

(١٣) حيث تكتف أمهات أوهيهم... لا يخلون في الانفراد بأزواجهم كذلك يغفل الأزواج البراهين في هذا... حيث يتوقعون عن معاشرة زوجاتهم بعد أن تاجب الواحدة منهم طبعاً لم تلب نظر: (Frank Kermode, 240, conv. 1991: 113).

(١٤) كيلا تصبح الأعداد الكبيرة عبئاً على البلاد: يعتقد «بنو المعصية» أنه لا توجد فيها إرادة البصر بلاد من بلادهم ولهذا لا كمل لهم أن يجدوا النسل متعاً لغامرة الانتصار لكتني... ولأنه لا يوجد هناك ذهب فيه الأعداد الثلاثة منهم.

(١٥) عند الزواج يحرصون على الخبز الأول... في جمهورية أفلاطون أيضاً يُلْغى التماسل لتخطيط مدونة وإشرافها بحيث تتوفر في الأطفال الذين يتم إنجابهم الشروط الصحية والنسب التي تقودهم الدولة. انظر

Plato, Republic, 458 d-461 e

(١٦) يعتبرون الزواج عبئاً من الأعمال الضرورية للكتان العقل: الزواج عبء واجب حتى في المقصد ثانياً وثلاثة يبرهن في استنوار به الجنس، وليس لعاطفة الحب والفهم فيه أي وزن. يقول «سوفسطا» في رسالة إلى سقراط (كتاب عام ١٧٧٧) غطياً السدة. وكانت «ال» نوبتي بليك وأليك عندلته كسلة، والتسعين الذي اختاره زبجاً لك هو... من اقترين حدًا إلى... لقد توفرت في زواجك استكبة والمدة المشتركة، دون أن تقاطعها تلك العاطفة السخيفة التي لا وجود لها إلا في مسرحيات لعدنة والقصص الرومانسية. انظر:

(H. Derr, ed., Poetic Writings of J.S., 67, 69).

(١٧) لكن نقض الزواج أو الحياة الزوجية لا يور لم يسمع بها... أحد. نالون مع قصة «جورج» (Gadwin, The Man in the Moon, 1631: 103) التي يزد بها أن «سام» جميعهم يتمتعون بحرف مطلق، إلا أني السز الذي منحهم إليه العليقة حيث أن الرجل إذا عرف واحدة منهم، لا ينبغي نظرها غيرها.

(١٨) ويعقد مبدئي لنا نخطئ... من نعطي الإناث تعليمًا غنيًا... في جمهورية أفلاطون (Plato, Republic, 453 e & 67) وفي يوتوبيا (ترجمة = أنجين بطرس سمعان، ص ١٧٢) يُلْغى «احتمال» لسكود والإناث تعليمًا واحدًا.

## أجزء الرابع: الفصل التاسع

(١) هل يجب إرادة بني الياهو... هذا مثال التهميش من «الرحمة» وحسب. الجزء الذي ينس لمؤلفهم وقد استوحاه «سوفسطا» من نظام «الغروب» (أي نظام نيج كميده والألان في «سبوطا» انظر:

\* Plutarch, Life of Lycurgus, xxvii

\* W. B. Euboean, JQ, xlv, 1965, 191

(٦) *ظهراً على جبل... : يُعترض أن كلمة «جبل» هنا تشير إلى «الآلة» الحديثة الاستعداد أو «الجبل» الذي وُضِع عليه ينشأ (Millon) جة عن في القردوس المفقود انظر (John Milton, *Purcellus*, 172, 226).*

(٧) نشأ من تأثير جزيرة الشمس على «الصلابة» :

من الواضح أن هذا إشارة نظرية «لوثرينوس» (Lutherus, 1743, 7, 743) التي تزعم أن كل المخلوقات المخلقة نشأت من الأرض لأنها لا يمكن أن تكون سلفت من السه أو برزت من البحر، وأن وحتى الآن لا تزال حيوانات كثيرة نشأت من الأرض وبشكلها المبرقعة الشمس. ومن المحتمل أن «صويت» أراد، حين أشار هذه النظرية «إيمورية» في أمس، حيلة التي ساقطت النظرية الانجليزية، أو يذكر قراءه أن بي «بشر» هم، رغم انحصارهم، من صنع له.

(٨) إلهوا استخدام الحبر

ربما استوحى «صويت» هذه الفكرة من الممارسة الحسية (أي «عصره») في «إيرلندا» والمنطقة في استخدام الحبر «استخدامها». انظر: (Finn, 1913, 250). لكن مقارنة بشر بالحبر كانت كفة معروفة وإثباتية، وقد أكتسب «صويت» من استعمالها في كتابه قصة «برميل» (A Tale of a Tub) ومعرفة الكتب: (The Battle of the Books).

(٩) لا بد أن أعرف لهم بالتقوى... في الشعر:

لا شك أن المقصود من الحديث عن «بشر» لتليل هو الفكاهة والفحك.

(١٠) قصائد لهم... حول الصداقة وحسب آخر

كان معظم الشعر في «سلطنة» يتألف من «مدح» الذين «اتوا» من أجل «مبازحة». انظر: (Lutherus, 1743). أما «بشر» انشغل في «جمهورية أفلاطون» فهو «ناب» ويصف «صورة» الرشد العظيم «القائمة» على «جعل» الشدة «والتي» في «وجه» «تسميات» انظر: (Hepburn, 1913, 131). كذلك «من» معظم «صداقة» «الشام» «بشر» (Pope). «مقد» «لغائرين» في «مدح» «الغدير» أو «سافات» «لغز» «المرات» أو «اشكال» «الرياضة» «الأخرى». وقد كانت «عائلات» ««صويت»» «الأمل» في «علم» «شعر» (1791-1792) على «علم» «فصيح» «بشاد».

(١١) لا يشعر «أصدة»... لدى «مهم» «فرض» أو «حرث» :

هذا هو أسلوب «الروائيين» (Stuart) في «مواجهه» «الكوارث» و«موت» «الأجدة». «كان» هذا «أسلوب» «مكون» «يونوجيا» «حيث» «وحيثما» «يموت» «المس» «فرح». «وتكون» «المدة» «تدوين» «بالأمل». «لا» «يكيهم» «أحد»، «بل» «بشعورهم» «بالفناء». انظر (برولوييا). ترجمه د. «أنجل» «بشر» «Stuart» من 1913.

## الجزء الرابع: الفصل العاشر

(١) كنت أحصل على العمل... فأشربه مخلوفاً بلاء...

«العص» «المخلوط» «بلاء» هو «أحد» «أنواع» «الشراء» في «يونوجيا» انظر: (يونوجيا، ترجمة، د. «أنجل» «بشر» «Stuart» من 1913).

(٢) كنت أفتح بالصحة الجديدة... وراحة لبلاء:

«بعد» في «لوثرينوس» (Lutherus, 1743, 16-17) «لا» «يل» «ألا» «نرى» أن «الطبيعة» «لا» «تحتاج» شيئاً «إلا» «حسباً» «لغز» «من» «الأوجح». «وهذا» «نحو» «على» «لا» «استحتاج» «الأساس» «ساعة» «وحيثما» «من» «الفن» «والحرف».

(٣) «صوت» «عندما» «أرى» «شكل» «صور» «في» «ماء» «بحيرة» أو «نهر» «أمير» «وسمعي». «اشتمل» «أنا»

هذا «تدوين» «تكمي» «لصوت» «متكررة» في «شعر» «لغز» «لغوي» (Lutherus, 1743, 16-17). انظر «في» «ميل» «نقل»:

\* (Theocritus, vi, 34-3).

\* (Virgil, Eclogues, ii, 25-6).

\* (Pope, Pastoral, i, 27-30).

حيث نجد المسمى الحبيب (وهو «وليفيموس» عند الأول، «دكتور بلون» عند الثاني، والثالث «الراعي» عند «روب») بضم زل شكله في الماء لتؤكد أنه ليس في الحقيقة شجرة أما «جلطرو» فقد وقع لي غرام بي الموهبم ويشعر أنه نبح وغير جدير بهم.

(٤) طلب من أد أفكر في صنع قارب.

يبدو أن هذا الجهد تقليد فكيفي لما أورد في «منجمة الأوبسة» (Oudevoets, v. 100-261) حيث تنطق الإلة الساحرة «كالبوس» أمر من مجلس الألة في «كولمبوس» «إطلى سرح «كولمبوس» ومساعدته في دنه قارب.

(٥) التفتي بأهاد بي الموهبم للشهودين

إن اختبار «سرعة» كلمات مثل «البحار» «مشهورين» وما يراده «التهكم» ذلك أنه ليس لهم تاريخ مذكر وليس هم أي شخص «الشعوب» الأخرى، وبمسم بهم أحد.

(٦) وفطنته (أي القارب) بجلطرو بي أياها:

إشارة أخرى إلى تدهور «الإنابة» «جلطرو» وتحوله إلى عدو «شعر» نظر «رحلات جلطرو» الجزء الرابع - الفصل الثالث، المسمى رقم (٢).

(٧) وعين غنتك بالانطباع لكي أبل جلطرو...:

يذكر «لاري» (L'archery, 10-291) هذه الحادثة أهم «الذكاء» في كتاب «رحلات جلطرو» إذ تتعكس فيها الأمور ويصبح «البلد» سائداً شكل منطقي (12) وفي ثروت لغة «سحب» كتاباً.

كذلك فإن هذه الحادثة «تصغير» «جلطرو» «المضحك» لما تقدم «غريباً» أي «هنا» إذ تبدأ «لاري» إلى «السحابة» «التي» «التي» «جلطرو» لي «تُك» «الجو» «لنفس» «تكرار» «تسبب» «لنفس».

## الجزء الرابع - الفصل الثاني عشر

(١) الطرف الشرقي الجنوبي من هولندا الحديثة:

يقول «مور» (J.B. Moore, JRGCP, 11, 1941, 223) على هذا يد بي: «لذا كانت بلاد بي الموهبم تقع حيث وصف «جلطرو» «هولندا» التي «حرب» «الغرب» «مصر» «الجنوب» من «أرمينيا» «هنا» «بي» أنه «استطاع» «جد» «حل» من «هنا» «لجاد» «إن» «سطح» «مساحة» «تترواح» بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ «ملا» «بحراً» «البحر» «الشرق» «في» «أرب» «مغطى» «بحر» «بي» «السموع» «في» «عدة» «بعض» «فقط» «لا» «تتجاوز» «ست» «مئة» «مساحة» «وسريعة» «لا» «تزيد» «في» «تقدير» «هنا» «من» «نوم» «وتصغ» «الربيع» «في» «الساعة» «البحر» «هنا» «رحلا» «بي» «أو» «معلومات» «جلطرو» «ما» «لمت» «صحبة».

ويقترح «سكوت» (Scott, ed. v. 238) تصحيح النص بحيث يصبح «الطرق» «الغربي» «الجنوبي» أما «كوس» (Oude, 14-16-61) «تدفع» «عن» «إفاد» «أهل» «على» «هنا» «تدافع» «ذلك» «بي» «جلطرو» «بمعهد» «ته» «وصل» «الغرب» «الجنوب» «من» «ألمانيا» «أن» «بلاد» «بي» «الموهبم» «تقع» «على» «مساحة» «تصغ» «من» «الغرب» «الجنوب» «من» «ألمانيا» «(غريباً» «على» «خط» «عرض» «١٤» «حول» «خط» «طول» «١٤١» «شرق»).

(٢) «مواقعها» «الطبيعي»

ويذكر «مور» «هنا» «بكر» «ما» «أشار» «إليه» «تغيير» «من» «أنه» «وجد» «أن» «هولندا» «الجنوب» «(New Holland)» «تقع» «إلى» «الغرب» «مساحة» «أحد» «من» «البلد» «التي» «تحتها» «خريطة» «البلد» «الآن».

\* Broun - 1914-174

\* J. Mansfield, ed., *Demopleria Vagabunda*, 1906, p. 430 L, 432-3

(٣) «صليبي» «تصغير» «البلد» «هولندا» «نول»:

«هولندا» «مول» «سعد» «هولندي» «(نوف» «في ١٧٣٢)» «كان» «قد» «جاء» «إلى» «لندن» «سواي» «عام ١٦٨٠». «ويذكر» «الطلس» «هولندا» «وغرنت» «خريطة» «جديدة» «وصحبة» «للمال» (١٧١٩) «هو» «الطلس» «الذي» «أحمد» «عبد» «مور» «في» «تحديد» «التران» «جغرافية» «في» «كتاب» «رحلات» «جلطرو» «مطر» (Oude, 14-16-61).

(٤) جئت منها... قبل خمس سنوات:

بتقاسيمات أكبره (Garc, 1978: 53) فإن «جلقر» قد عادر إنجلترا قبل هذا الحادث بأربع سنوات وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً.

(٥) السنوات الخمس التي قضيتها في تلك البلاد:

نصّ الصفحة الأولى لرسالة جلقر يذكر «السنوات الثلاث»، وهذا يتفق مع ما يقوله «جلقر» في الفصل الثالث من هذا الجزء الرابع، بأنه عاشر ثلاث سنوات في هذه البلاد.

لكن «فونكتر» خيّر في طلبة ١٧٣٥ «سنوات الثلاث» بل «السنوات الخمس». ويبدو أنه فعل ذلك لكي يجعل قول «جلقر» للقطان «دون يندرو» متفاجع ما سيؤكّد أن قاته مسخرة (انظر تفاصيل الحاشية). لكن «فونكتر» نصّ أن بعضهم من السنوات خمسة الفترة التي استغرقتها الرحلة من إنجلترا إلى بلاد الخيل، وهي فترة تزيد عن تسعة أشهر. انظر: (Garc, 1978: 53).

(٦) بدأ... يكون رأياً أفضل من جذقي:

في نسخة الأري (١٧٢٦) يوجد بعد كلمة «جذقي» النصّ التالي: «حصرياً وأنه اعترف أنه فاضل خطأ هوندو رغم أنه زود مع خسة من محاربه عن سريرة لوقاظة حبوب هولندا الجديدة» رزحوا يمشون عن هام، دوا، حصداً يسرق أداه عازداً من المحبوبات التي تشبه شجرة أوايت الذين وصفهم من بني الجاهو، كما ذكرنا تفاصيل أخرى قال القطان إنه قد نسبها، لأنه اعتمد. حينذاك أن كلام القطان اعتمد كلّه ليس سوى أكاذيبه.

وقد حذف «فونكتر» في طبعه ١٧٣٥ هذا النصّ كلّ، لكي لا يكون هناك تناقض بين هذا النص وبين تأكيده «جلقر» في الفصل الثاني عشر الذي يلي هذا الفصل، فإنّ تركّ تلك البلاد «دوربي قبي قطع».

النصّ المحذوف منهجاً لأنّه يفسد «دياق» «جلقر» «لصيق» «هوندي» مع تركّ «جلقر» أكثر من مرة أن الهونديين كذابون وخونون ولا ياتزبون بالمانة.

لكن ما يقوله «جلقر» في الفصل الثاني عشر مهم أيضاً فهو غريب. ودعا عن استعده لأن أقسم، أنه لم يزر تلك البلاد «دوربي قبي قطع» هذا إذا كان علينا أن نعتقد أنّ تلك البلاد. فهذا يقول لا يؤكد حقيقة بشارة ما يؤكد استعده «جلقر» لحالف اليمين، وخصيصاً أن الجزء الأخير له يشير إلى نفس الدقائق الشك في صحة افواه بني الهوندي أنفسهم.

(٧) قد عرضني لخطر السجن أو لحرق على يد محكمة العنبي:

محكمة تنفيش هي عكس كالتوكية كسبة مشهورة بمسوحاً في مسألة من يئثر منهم في عمل أو قول يتناقض مع مبادئ العقيدة الكاثوليكية.

وقصه «جلقر» عن غيور ماسه ما سببه عن نشر مدّعاه لتهمة دين سطيرين في نشر محكمة العنبي: أوفيا حسد العقيدة لأن نصه تناقض مع ما يقوله سفر التكوين (22: 1) Genealogy حول أن الله قد منع الإنسان «الشفعة والبطر» على كلّ كائن من يسيب على وجه الأرض؛ وإنهجة الفتاة قد قصته ترحي حسداً أنه رائق السخرة وعاشي معهم وقد حطّر ب«جلقر» نفسه، في الفصل الأول من هذا الجزء الرابع، أن الحصاني ملذين قابلهما «أحواك مشقرون في هيئة حصان».

(٨) كان «دون يندرو» من حبيبي ومقاسي:

دعا كان المقصود هنا هو الإشارة إلى أن فلسفة «دون يندرو» القائمة على «الإحسان» وأنها خير للآخرين هي البديل الصحيح لفلسفة «جلقر» الفاسدة على شمس النشر وكرهم.

(٩) وثقتُ الآن منشأً على...

يختلف «فونكتر» حول مدلول هذه العبارة. بعضهم اعتبرها دليلاً على عدم الصحّ المعنوي عند «سونيت» نفسه انظر



وهذا، نرى أن «سويغت» حين جعل «جلفره» يشبه باليواني «سيون» أراد أن يثبتنا إلى أن قصة «جلفره» عن أجيول شائعة هي قصة كاذبة مثل قصة «سيون»، ولا تصديق «جلفره» يؤدي إلى «الحرب والدمار». انظر: ٤٠ [Winton, Sk, 1900, 32].

(٥) فرديناندو كورنيو هو هيرنانفو توريز (١٨٨٩ - ١٩٥١)، القائد الإسباني، الذي استطاع سحقه وقبضته التي رؤس المستنكر أن يمثل المكسث في أفار من عام. وسبق العام (١٩ مارس ١٩١٩ إلى ١٣ أغسطس ١٩٢١).  
(٦) عدالة ملوك في «غرمس من الحقوق...» المقصود هنا هو حقوق أبناء البلاد بفتح «ق» قبل «حقوق» الذين.  
(٧) مجموعة من الفراعنة: أداتل مستعمرين لإسباني لأمريكا كانوا من «تغلمري» الذين كان لهم الأثر هو العنصر غير كنوز الذهب، وقد الشهروا بمسوقهم على أهل البلاد الأصليين وبلاتنج والمقاتل التي ارتكبوها ضد.

(٨) «غذّب» لم تأمهم... ذهب:

من أمثلة ذلك ما فعل «كورنيو» بملك المكسيك «ميتزوفا» الثاني: إذ نهبه بالصلاح عام ١٥١٩ إلى أن سلبه ما قيمته حينذاك ٩٠٠ ألف جنيه من ذهب الخالص وكنية غبغت من أسودهم والحجارة الكريمة.

(٩) وهدأته إلى المسيحية في عام ١٥٣٣ قتل القائد الإسباني «بيرارو» آخر ملوك الإنكا في بيرو، وأسمه «ثامبول»، رغم أنه أخذ منه هدية باهظة من الذهب والفضة. وقد حكم «بيرارو» عليه بالموت خرقاً، لكنه حين أعلن «الثامبول» دينه بالمسيحية، غير الحكم بالحرق إلى حكم بالإعدام على سائر.

(١٠) هذا «فرص» لا ينطبق... على الأمة البريطانية:

فإن «بكم» «البرتغالية» الشديدة قد تهكم «توماس مورا» في «برتو» على «دبلوماسية الأورقة» «نفر» «بوتويا» ترجمه د. «أجيل بطرس سمعان» من ١٩٨٠ = ١٩٠٠.

(١١) ولهذا «قائمي أرجو...» عنم «الظهور أعلمي»

لاحظ أن كتاب رحلات جلفره ينتهي بمجموعة صدق «ذيلة» «الكبرياء» و«فرور» وهي شبيهة بالوصفة التي نراها في «بوتويا» (ترجمة د. «أجيل بطرس سمعان» ص ٢٣٠) ضد «الكبرياء».

لكن هذه «جلمة» الأخيرة في كتاب رحلات جلفره نوضح أن أكبر مثال يُجسّد «ذيلة» «الكبرياء» هو «جلفره» نفسه.



## YORK CLASSICS

The series, planned to consist of some 40-50 volumes, will constitute a complete library for Arabic-speaking readers of English literature and will include a biography of the author, an introduction to the work, notes and a glossary.

**AUSTEN, Jane**

Emma

Pride and Prejudice

Sense and Sensibility

**BENNETT, Arnold**

Anna of the Five Towns

**BRONTË, Charlotte**

Jane Eyre

**BRONTË, Emily**

Wuthering Heights

**CONGREVE, William**

The Way of the World

**CONRAD, Joseph**

Heart of Darkness

**DEFOE, Daniel**

Moll Flanders

Robinson Crusoe

**DICKENS, Charles**

A Tale of Two Cities

Great Expectations

Hard Times

Oliver Twist

**DU MAURIER, Daphne**

My Cousin Rachel

**ELIOT, George**

Silas Marner

The Mill on the Floss

Every Man

**FIELDING, Henry**

Joseph Andrews

**FORSTER, E.M.**

A Passage To India

**GOLDING, William**

Lord of the Flies

**GOLDSMITH, Oliver**

She Stoops to Conquer

**HARDY, Thomas**

Tess of the d'Urbervilles

Under the Greenwood Tree

The Trumpet Major

The Return of the Native

Far from the Madding Crowd

**HAWTHORNE, Nathaniel**

The Scarlet Letter

**HEMINGWAY, Ernest**

Fiesta

For Whom the Bell Tolls

The Old Man and the Sea

**ISBEN HENRIK**

Ghosts

**JONSON, Ben**

Volpone

**JOYCE, James**

A Portrait of the Artist as a Young Man

**LAWRENCE, D.H.**

Sons and Lovers

Women in Love

The Virgin and the Gypsy

**MARLOWE, Christopher**

Doctor Faustus

**MILLER, Arthur**

Death of a Salesman

**SHERIDAN, Richard**

The Rivals

**STEINBECK, John**

The Pearl

**SWIFT, Jonathan**

Gulliver's Travels

**SYNGE, John**

The Playboy of the Western World

**TWAIN, Mark**

The Adventures of

Huckleberry Finn

The Adventures of Tom Sawyer

**WILDE, Oscar**

An Ideal Husband

The Importance of Being Earnest